



## حميدة أحمد عبد المجيد عثمان

الحالة الاجتماعية: متزوجة وأم لثلاث أبناء

مكان الميلاد: الخرطوم 3

الموطن: السودان - دنقلا

العنوان: السودان، الخرطوم، أبو آدم مربع رقم 13

المؤهلات التعليمية:

- المرحلة الابتدائية: مدرسة كفاح اسيا الابتدائية بالخرطوم3
- المرحلة المتوسطة: مدرسة الزهور المتوسطة بالخرطوم جنوب .
- المرحلة الثانوية: مدرسة الخرطوم الثانوية القديمة بالعمارات .
- المرحلة الجامعية: جامعة القاهرة فرع الخرطوم - كلية الآداب - قسم اللغة العربية درجة الليسانس 1992م.

الدراسات العليا:

- جامعة أمدرمان الإسلامية ماجستير في الدراسات النقدية والأدبية من كلية الدراسات العليا قسم اللغة العربية 1999م
- جامعة ام درمان الاسلامية دكتوراه في الدراسات النقدية والأدبية من كلية الدراسات العليا قسم اللغة العربية 2012م .

الخبرات العملية:

- محاضر بقسم اللغة العربية - كلية التربية ثم كلية الآداب والإدارة جامعة الملك خالد ثم جامعة بيشة - المملكة العربية السعودية منذ 1999م حتى 2017م.
- أستاذ مساعد بالجامعة العربية المفتوحة - السودان العمارة 2021 الي الآن .

البحوث:

- بحث مقدم لنيل درجة الليسانس بعنوان (بشار بن برد شخصيته وشعره).
- بحث مقدم لنيل درجة الماجستير بعنوان (عبد الله الشيخ البشير حياته وشعره).
- بحث مقدم لنيل درجة الدكتوراه بعنوان (البناء الفني الروائي لزينب بليل).
- كتاب البناء الفني في الرواية النسوية المعاصرة (دراسة نقدية في روايات زينب بليل).
- بحث بعنوان (التماسك النصي في سورة الكهف)
- تحت الطبع كتاب (الرؤية والتشكيل في شعر عبد الله الشيخ البشير)

البريد الإلكتروني: dhmageed23@gmail.com

# البناء الفني في الرواية النسوية المعاصرة



د. حميدة أحمد عبد المجيد عثمان

الطبعة الثانية - 1444هـ - 2022م

البناء الفني في الرواية النسوية المعاصرة - دراسة نقدية في روايات زينب بليل



دار آريثريا للنشر والتوزيع  
Araythria for Publishing and Distribution

1

سلسلة الدراسات الأدبية والنقدية

# البناء الفني في الرواية النسوية المعاصرة



دراسة نقدية  
في روايات زينب بليل

د. حميدة أحمد عبد المجيد عثمان

الطبعة الثانية - 1444هـ - 2022م

الكتاب : البناء الفني في الرواية النسوية المعاصرة دراسة نقدية في روايات زينب بليل  
الكاتب : حميدة أحمد عبد المجيد

تاريخ النشر : الطبعة الثانية 2022م

رقم الإيداع : (2022/600)

التصميم والإخراج : علي عبد الحليم

فهرسة المكتبة الوطنية أثناء النشر - السودان

813.0099624 حميدة أحمد عبد المجيد - 1964

أ.م.ن

البناء الفني في الرواية النسوية المعاصرة : دراسة نقدية في رواية زينب بليل/  
حميدة أحمد عبد المجيد - ط.1 - الخرطوم : دار آريثريا. 2022  
350 ص ؛ 24سم.

ردمك 3-3-814-99988-978-ISBN

1. القصص العربية - تاريخ ونقد- السودان. أ. العنوان.

### حقوق النشر محفوظة للمؤلف

لا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب أو أي جزء منه، أو تخزينه كنسخة إلكترونية  
أو نقله بأي شكل من الأشكال دون إذن خطي مسبق من المؤلف .

إن دار آريثريا للنشر والتوزيع غير مسؤولة عن آراء المؤلف وأفكاره،  
وتعبر الآراء والأفكار الواردة في هذا الكتاب عن وجهة نظر المؤلف ولا تعبر  
بالضرورة عن وجهة نظر الدار.



دار آريثريا للنشر والتوزيع  
Arithria for Publishing and Distribution

جوال: 00249121566207 - 00249910785855

arithriaforpublishing@gmail.com

## كلمة الناشر

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

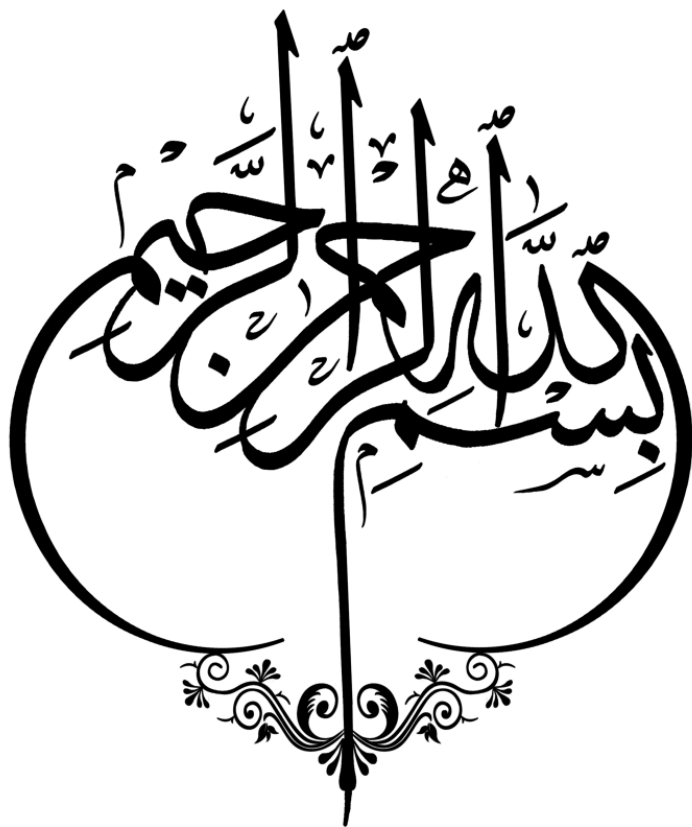
وبعد،

القارئ الكريم،

سلسلة الدراسات النقدية والأدبية هي مجموعة من الدراسات والبحوث العلمية الرصينة الهادفة، عملت دار آرثريا للنشر والتوزيع على تبنيها والاهتمام بها ونشرها؛ خدمة للبحث العلمي في مجال الدراسات الأدبية والنقدية. وبين يديك القارئ الكريم اول إصدارات هذه السلسلة وهو كتاب الدكتور/ حميدة أحمد عبد المجيد، بعنوان: البناء الفني في الرواية النسوية المعاصرة دراسة نقدية في روايات زينب بليل، ولجودة العمل وجدته، ولما بذل فيه من جهد كبير ومثابرة؛ نتوقع أن يجد القبول والاستحسان من المختصين والمفكرين والباحثين في مجال الدراسات الأدبية والنقدية بمختلف توجهاتهم.

القارئ الكريم:

ان دار آرثريا للنشر والتوزيع اذ تثمن المجهودات العلمية لجميع الباحثين داخل وخارج الوطن العربي، تؤكد بأنها سوف تعمل بكل جد واجتهاد على توسيع قاعدة النشر العلمي وإتاحته عبر الدار وشركائها، لنشر البحوث التي تسهم في رفد المكتبة العربية والعالمية بالجديد المفيد وبالدراسات الاصيله والهادفة. القارئ الكريم يؤمن العالم اليوم بالعمل الجاد والبحوث العلمية الرصينة ذات المردود الايجابي على الفرد والمجتمع، ومن خلال هذا المبدأ سنعمل دائماً بحول الله كي تكون الدار منبراً علمياً يشار إليه بالبنان. ومن الله نرجو التوفيق ويااه نسال الاعانة.



قَالَ تَعَالَى:

﴿لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ

وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ﴾ سورة النحل آية 103

## إِهْدَاءٌ

إلى الروحين الطاهرتين....

روح أبي ذاك الرجل العصامي الذي بنى نفسه بنفسه.

وعلمنا كيف نسير في مسيرته

وروح أمي تلك المرأة الصامدة التي ربنا على القيم والمبادئ

إلى روح زوجي مبارك:

زوجي الذي وقف بجانبني وساندني... وشجعني على هذا

البحث.. ولكن لم تمهله الأيام ليرى ثمرة غرسه.

إلى أبنائي :

البراعم الزاهرة.. التي منها وبها ومعها يكون الأمل.. لتكتمل

المسيرة.. التي رسمت معالمها المشيئة الإلهية.

## المحتويات

الصفحة	الموضوع
3	كلمة الناشر
6	الإهداء
10-9	تصدير بروفيسور. محمد المهدي بشرى - الطبعة الأولى
12-11	تصدير د. عبد المنعم محمد على المكي الطبعة الثانية
14-13	المقدمة
15	التمهيد(اهمية الرواية ونشأتهاوتطورها في الأدبين العربي والسوداني)
24-15	أولاً: نشأة الرواية وتطورها في السودان
29-24	ثانياً: الرواية النسوية
<b>الباب الاول: زينب بليل سيرتها وفنها)</b>	
42-35	الفصل الأول: حياة زينب وسيرتها
74-43	الفصل الثاني: ابداع زينب بليل
58-44	المبحث الأول : المؤثرات التي أثرت في فن زينب بليل
74-59	المبحث الثاني: الاتجاه الفني في روايات الكاتبة
<b>الباب الثاني: (عناصر البنية الروائية والفنية في روايات زينب بليل)</b>	
75	الفصل الأول عناصر البنية الروائية والفنية في روايات زينب بليل
118-77	المبحث الأول: بناء الشخصية عند زينب بليل
119	المبحث الثاني : البيئة المكانية والزمان والحدث في روايات زينب بليل
140-121	المطلب الأول: البيئة المكانية في روايات زينب بليل

الصفحة	الموضوع
150-141	المطلب الثاني: الزمن في روايات زينب بليل
178-151	المطلب الثالث : بناء الحدث الروائي في روايات زينب بليل
221-179	المبحث الثالث: اللغة والاسلوب في روايات زينب بليل
252-223	الفصل الثاني: (عناصر الرواية الفنية في روايات زينب بليل)
235-225	المبحث الأول: التقنيات الحديثة(تيار الوعي)
252-237	المبحث الثاني : توظيف التراث
<b>الباب الثالث (قضايا المضمون عند زينب بليل)</b>	
263-252	الفصل الأول : قضية الالتزام عند زينب بليل
338-256	الفصل الثاني: القضايا الانسانية
302-265	المبحث الأول : قضية المرأة بين التحرر والمحافظة
328-303	المبحث الثاني : قضايا الانسان (الفقر)
338-329	المبحث الثالث: الصراع السياسي والحضاري
343-339	الخاتمة
348-344	المصادر والمراجع

## تصدير الطبعة الأولى

هذه الدراسة للباحثة: حميدة أحمد عبد المجيد وهي بعنوان: البناء الفني للرواية النسوية المعاصرة (دراسة نقدية في روايات زينب بليل)، دراسة رائدة تتسم بالرصانة والمنهجية العلمية فالباحثة تتناول موضوعاً يتعلق بالرواية التي تكتبها المرأة أي الرواية النسوية إذا جاز لنا القول، والدراسة هي أصلاً أطروحة أكاديمية تقدمت بها الكاتبة لنيل درجة الدكتوراه وقد نالتها عن جدارة واستحقاق، لذا لا بد في البداية من الإشارة إلى موضوع الأطروحة الذي يتميز بالجدة، فقد كانت الباحثة على درجة من الجرأة والشجاعة لاختيار بحث يختلف كثيراً عن الموضوعات التي درج طلاب الدراسات العليا في الجامعات السودانية على اختيارها، فعادةً لا تخرج هذه الموضوعات عن تلك النمطية مثل الشعر الكلاسيكي أو الصراع بين مدرستي البصرة والكوفة أو تحقيق كتاب تراثي مثل كتاب الخصائص لابن جني وفي أحسن الحالات يختار الباحث شاعراً ينتمي إلى الحداثة المبكرة مثل شوقي أو حافظ أو العقاد؛ فالطلاب لا يجرؤون على اختيار موضوعات تعالج ملامح الأدب الحديث المعاصر وهم يتعدون عن تناول قضايا السرد عامةً والرواية الحديثة على وجه الخصوص، فالباحثة حميدة عبد المجيد وبكل جرأة اقتحمت موضوعاً جديداً وهي تعلم أنها إنما تحرث في حقل بكر، وقد وفقت أيما توفيق باختيارها روائية سودانية معروفة لها مساهمتها وحضورها في المشهد الإبداعي في السودان، ألا وهي زينب بليل التي أصدرت عدداً من الروايات تمثل إضافةً إلى رصيد الرواية العربية بوجه عام والسودانية بوجه خاص.

جملة القول إن الباحثة من خلال استخدامها للعديد من مناهج النقد الكلاسيكي والمعاصر استطاعت تقديم إضاءةً جديدةً للعالم الروائي للكاتبة زينب بليل، كما استطاعت تقديم دراسة جادة تشكل ملامح الأدب النسوي في العصر الحديث.

وقد رجعت الباحثة إلى الكثير من المصادر والمراجع التي استفادت منها بدرجة كبيرة مما أعانها على الوصول إلى خلاصة واضحة ومتماسكة فيما يتعلق بإبداع الكاتبة محل الدراسة.

ولا شك أن مثل هذه الدراسة تملأ فراغاً كبيراً في أدبنا النقد في السودان بل وفي العالم العربي كله، مما يجعل لإصدار هذه الدراسة في كتاب فائدة قصوى في المشهد الإبداعي على امتداد العالم العربي من المحيط إلى الخليج.

بروفيسور: محمد المهدي بشرى

الطبعة الأولى 1435هـ - 2014م

والصلاة والسلام على سيد المرسلين وخاتم النبيين

وعلى آله وصحبه أجمعين  
**تصدير الطبعة الثانية**

نفحتني الباحثة الدكتورة حميدة أحمد بكتابها عن البناء الفني للرواية النسوية، الذي كان في الأصل أطروحتها التي قدمتها لنيل درجة الدكتوراه ، فشرعت في القراءة هياها أول الأمر لطبيعة الموضوع من جهة ، وللجفاف الذي يصاحب الرسائل العلمية من جهة أخرى، وكلما مضيت في القراءة شدي الكتاب إليه، فعلى الرغم مما اتسم به من دسامة علمية إلا أنه سلم من الجفاف الذي يصاحب الرسائل الجامعية ، فمضيت منطلقاً في القراءة مستمتعا به، وصرت لا أدعه إلا لحاجة مهمة حتى فرغت منه .

اتخذت الكاتبة من روايات الأستاذة زينب بليل أمودجاً للبناء الفني النسوي للرواية، واستطاعت بهذا الحصر أن تلم بجوانب الموضوع وتقتنه أيما إتقان . لقد قرأت الدكتورة روايات زينب بليل قراءة واعية ، ونفذت إلى أعماق العمل الأدبي ، بل استطاعت النفاذ إلى أعماق الروائية المبدعة نفسها ، وكأنها اتحدت معها روحياً وعقلياً ، قرأت كثيراً عن الأدب النسوي وغير النسوي ، واطلعت على كثير من الدراسات التي تبحث في الفن الروائي ، كل ذلك بفكر ناضج، وقلب واعٍ، وذهن متفتح، فجمعت ورصدت وحللت وأتقنت ، ووقفت عند مواطن القوة في الروايات منوهة بها ، وعند مواطن الضعف منبهة عليها ، فجاءت دراستها كأحسن ما تكون الدراسات الجامعية تسد نقصاً في هذا الباب، باب الأدب النسوي خاصة والأدب السوداني عامة ، وهو تخصص دقيق نادر قل من تصدى له من الباحثين، وتفرغ له يدرسه مثل هذه الدراسة التي هي بحق إضافة قيمة ومفيدة ، وثمره دانية يُخشى عليها من القاطفين بغير بغير حق ، وقد أحسنت الدكتورة حين عزمت على نشرها داخل السودان ؛ لتعم بها الفائدة، وليعلم الجيل الحالي شيئاً عن ثقافته وأدبه .

وضعت الدكتورة لبحثها خطة شاملة ونفذتها بدقة بالغة بحيث لم تدع مجالاً لـ " لو " ولا " ليت " ، ويحمد لها أنها حرصت حرصاً تاماً على أن تؤيد كل آرائها وأفكارها بالشواهد الكثيرة المتضافرة المقتبسة من الروايات ومن غيرها ، والرأي ما أيد بالدليل كان أوقع في النفس وأثبت .

لا أريد أن أطيل ، وأختم بأن الدكتورة قد أفاضت من حسها الفني وجمال أسلوبها وتملكها ناصية اللغة ما جعل هذا السفر القيم عملاً إبداعياً في نفسه، كأنه رواية ، من غير أن ينقص من رصانة البحث العلمي وعمقه شيئاً، وأفضى إلى النتائج المبهرة التي خلص إليها، فهو جدير بأن يطلع عليه المهتمون بالشأن الثقافي السوداني وطلبة الدراسات العليا، فهنئاً للمؤلفة وهنيئاً للمكتبة السودانية ، وهنيئاً للمتلقى الشغوف بهذا السفر القيم،  
والله ولي التوفيق

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا

د. عبد المنعم محمد علي المكي

جامعة الخرطوم ، وجامعة الملك سعود، وجامعة شقراء ( سابقاً )

الطبعة الثانية 1444هـ - 2022م

## الهقدمة:

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونستهديه ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهدي الله فهو المهتد ومن يضلل فلن تجد له وليا مرشدا ، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا ونبينا وحبينا محمد صلي الله عليه وسلم الهادي الأمين وعلى آله وصحبه الغر الميامين .. وبعد،

برز في الآونة الأخيرة وبشكل متجدد مايسمى بالكتابات النسائية ذات الطابع الخاص ، وانتشرت تلك الظاهرة في مختلف أرجاء الوطن العربي ، بما فيها السودان. وتعد الكاتبة الروائية زينب بليل من الروائيات السودانيات اللاتي لهن دور في تطوير الرواية النسوية وطبعها بطابع المحلية . كما لها دور في طرح العديد من القضايا الاجتماعية ، برؤية واضحة ونظرة عميقة ، وقد أسهمت من خلال هذه النظرة في وضع الحلول المناسبة لتلك القضايا، مثل قضية الفقر والمرأة وقضية الصراع الطبقي والسياسي وقضية الحرية والعدالة والمساواة ولا سيما حرية المرأة، فقد كانت في جميع كتاباتها نصيرة للإنسان بصفة عامة وللمرأة بصفة خاصة .

كذلك تعد زينب بليل من الكاتبات الملتزمات اللاتي يعتنبن في أعمالهن بقضايا المجتمع والحياة، ويصرون المعاناة والظلم الواقع على الشعوب والمجتمعات، كما يصورن سوء الأحوال الاقتصادية للشعوب التي أدت بدورها لتردي الأحوال الاجتماعية ، وكل ذلك من جراء الممارسات غير الأخلاقية للسياسيين والمسئولين. كما حرصت الكاتبة في أعمالها الروائية على الدعوة إلى الخير والإصلاح وتهذيب النفوس وتزكيتها عن طريق الفن والإبداع حيث وظفت قلمها لنصرة الفقراء، ونادت بإزالة كافة أشكال الظلم والفساد وإذابة الفوارق الطبقيّة والطائفيّة بين أفراد المجتمع . وقد نالت روايات زينب بليل اهتماماً من النقاد والمتخصصين ولكن طابع المحلية من حيث اللغة وكذلك ضيق ذات اليد حال دون انتشارها في البلاد العربية . وما يدل على أهمية أعمال الكاتبة، حصولها على جوائز وأوسمة في داخل السودان تكريماً واعترافاً لها على مساهماتها في مجال الفن الروائي وتطوره.

لذا فإن أهم أهدافي في هذه الدراسة أن أقدم نقداً تحليلياً للرواية النسوية من خلال روايات زينب بليل، وبتعبير أدق سوف تقوم دراستي للبناء الفني لروايات زينب بليل على رصد الجماليات الكائنة في عناصر البنية الروائية لديها ، ومدى قدرتها على التعبير عن رؤيتها وقضاياها التي تؤمن بها، لأن المكتبة السودانية وربما العربية تفتقر لمثل هذه الدراسات في ذلك المجال، فروايات زينب لم يتم تناولها تناولاً كاملاً من قبل النقاد والدارسين، فيما عدا بعض التعليقات السطحية على أعمالها التي سُطرت على صفحات الصحف اليومية من قبل الصحفيين والنقاد المتخصصين وغير المتخصصين . فكانت هذه أول دراسة أدبية مستقلة شاملة عن زينب بليل وحياتها وفنها وقضاياها .

## الهدف من الدراسة كذلك:

الكشف عن ملامح الفن الروائي النسوي في العصر الحديث عبر رائدة من رائداته. الكشف عن الكاتبة ودورها، والمشاركة بقدر الإمكان في إبراز دور الرواية في خدمة المجتمع وإثراء لغته العربية، وكذلك الوقوف على مظاهر التجديد في الأدب العربي المعاصر. الكشف عن مفاهيم ومضامين الرواية السودانية من خلال دراسة أحد رموزها وأعلامها.

دراسة كاتبة ملتزمة اتخذت من عالم البسطاء - مجالاً لرواياتها- الذين يبنون حياتهم على القيم الإنسانية والمثل العليا والأخلاق حسب ما ترى الكاتبة. ومن أهم أهداف الدراسة كذلك وضع هذا الإنتاج الروائي المتميز للكاتبة تحت المجهر وربطه بأبعاده الثلاثة الماضي والحاضر والمستقبل. وقد أثبتت الدراسة من خلال الفصول دور الكاتبة في إثراء الفن الروائي منهجاً وفكراً، كما صُنفت الكاتبة ضمن الكُتاب الملتزمين بقضايا وطنهم وهمومه.

## التمهيد :

للرواية أهمية كبرى في عالمنا الحديث الذي اعتبرت فيه أداة من أدوات التعبير عن الاتجاهات الاجتماعية والسياسية والفلسفية، فقد عبرت الرواية خير تعبير عن المواقف والقضايا والأفكار المعاصرة التي نصطدم بها في واقعنا، فلم تعد الرواية تقدم المتعة أو التسلية فحسب، بل اتخذها الكاتب لينقل ما يعتدل في وجدانه من رؤى وأحلام وتصورات، بالإضافة إلى وقائع عصره وقضاياها، ونظرا لسعة انتشارها وتوزيعها وقوة تأثيرها، فهي تعد الأداة المناسبة للتواصل الأدبي بين الجماهير المختلفة .

## أولاً : نشأة الرواية وتطورها في السودان :

إن ظهور الفن القصصي في السودان تأخر قليلاً عن الشعوب العربية الأخرى ، وربما يرجع ذلك لتأخر النهضة الأدبية الحديثة في السودان قدراً من الزمن عن غيرها من البلاد العربية . وقد نشأ الفن القصصي في السودان مرتبطاً ومتأثراً ببيئته المحلية أول الأمر بما يمكن تسميته بالمؤثرات الداخلية ، ثم متأثراً بالآداب العربية والغربية وهي مؤثرات خارجية، في مرحلة تالية لهذه المرحلة الأولى ، ويمكن تفصيل ذلك على النحو الآتي :

## أولاً : المؤثرات الداخلية :

السودان قطر شاسع مترامي الأطراف متعدد اللهجات والبيئات والسحنات، وأهله يجمعون بين العادات العربية المختلطة بالعادات الأفريقية، وهذا التباين في العادات والتقاليد أثر كثيراً في الروائيين ووجدانهم فتناولوا بالنقد والمعالجة المجتمع من حولهم وتطرقوا للعادات الاجتماعية المختلفة الموغلة في القدم ، مثل الزار والشعوذة والدجل وتحكم الخرافة والمعتقدات البالية في عقلية الأفراد . وتعرض الكتاب كذلك للبيئة الدينية وما تفضى فيها من خرافات وشعوذة وأساطير تتصل بالصوفية والأولياء الصالحين وأضرحتهم ، فقد تعمق في البيئة السودانية خاصة القروية منها الإيمان بأولئك الشيوخ وكراماتهم « حيث شكل هؤلاء الشيوخ حضوراً عظيماً في كل المدن السودانية والقرى ، وذلك عبر وجود القباب والأضرحة في كل مكان ، وكذلك زيارة الشيوخ التي كانت لازمة عند كل أمر عظيم ، ولا تخلو رواية من الأثر الديني أو التعرض لمشايخ الطرق الصوفية ، أو تأثير الأولياء الصالحين ، فقد تأصلت هذه الظاهرة في المجتمع وتعمقت جذورها فيه مثل روايات الطيب صالح، وغيره من الكتاب ، وكذلك رواية « نبات الصبار » لزينب بليل حيث نجد البيئة الصوفية متمثلة فيها من خلال المسيد وشيوخه وحيوانه وكرم الضيافة للمرضى الذين يؤمنونه طلباً للعلاج أو الفقراء طلباً للرزق أو الإقامة ، كما نجد كرامات الأولياء .

أما قصص الجدات أو « الحبوبات » التي تأصلت في المجتمع السوداني ، فهي مسرفة في الخيال أعتد في سردها على الأساطير والخرافة والقوى الغير طبيعية لتثير في الأطفال حب المغامرة والبطولة كما تعلمهم حب الغير والوفاء والتضحية في بعض نواحيها مثل «فاطمة السمحة» تي ثرت ايجابياً في الروائيين خاصة النساء منهم مثل كاتبتنا زينب بليل». (1) وقصص الجدات تلك عاشت في وجدان الكتاب لعشرات السنين ، وكان تأثيرها مباشراً على قصصهم مثل رواية « تاجوج » لعثمان هاشم. وهناك أيضاً من الكتاب من نسج على منوالها أو تأثر بها تأثراً لا يمكن تجاهله، ومثل هذا القص لا يمكن حصره إذ نجد التأثير مختلطاً في عناصره ومندمجاً فيها، فهذا الأثر - كما ذكرنا - ظل منذ الصغر محفوراً في وجدان الروائيين مطبوعاً في أذهانهم . إلى جانب هذا القصص هناك قصص من واقع البيئة السودانية بعضها متصل بالخيال الديني ، مثل القصص التي ذكرناها حول الأولياء الصالحين وكراماتهم في بقاع السودان المختلفة ، والبعض الآخر متصل بالبطولة والأسطورة وهي قصص «الهمباتة » وهم قطاع الطرق واللصوص الذين يلجأون للسلب والنهب في البادية ويغيرون على القوافل التجارية ، حيث كانوا يسافرون بوسائل النقل البدائية مثل الجمال والبغال ، مثل قصة « طه ود الضير » وغيرها ، وهذه القصص تشابه قصص صعاليك العرب الجاهليين أمثال عروة بن الورد والشنفرى ، وقد عُد سلبهم ونهبهم نوعاً من أنواع البطولة يفخرون به ، « وتوجد كذلك قصص البطولات التي شاركت فيها بعض الشعوب العربية أمثال «سيف بن ذي يزن» و«أبو زيد الهلالي» وغيرها» (2) .

## ثانياً : المؤثرات الخارجية :

1. ارتباط السودان ثقافياً وفكرياً مع مصر ، بحكم انها أقرب الدول إليه وأميزها ثقافة وتحضراً ، فعلاقته بها كانت منذ حكم محمد علي باشا وحكومته التركية ، فاتجهت أنظار السودان إليه ، ثم جاء الاستعمار الإنجليزي الذي جمع بين البلدين الشقيقين فازدادت أواصر العلاقات بينهما اجتماعياً وفكرياً ، فشغف أدباء السودان بالأدب المصري وعكفوا على قراءته ومتابعته ، وقد لعبت الصحافة دوراً كبيراً في هذا المجال ، « فاتجه الأدباء إلى متابعة كل ما تنتجه المطابع المصرية ، ولم يكن تتبعهم لها مقصوراً على شكل دون الآخر» (3) . بل تتبعوا كل الأجناس

(1) من جريدة رأي الشعب - الملف الثقافي ص 9- الخميس 13 شعبان هـ 14 اغسطس 2008- بدون رقم العدد- تصدر في الخرطوم السودان .

(2) دراسات في القصة العربية الحديثة د/ محمد زغلول سلام ص 374 .

(3) القصة الحديثة في السودان - مختار عجوبة- الخرطوم 1972م ص 16 .

الأدبية قراءة ونقدا ، فقرءوا للمازني والمنفلوطي وتيمور وغيرهم فتأثروا بكتاباتهم ، ولم يقف شغفهم عند هذا الحد بل تعداه إلى أن « جعل بعضهم يغامر بالهجرة إلى مصر طلباً للعلم والثقافة وهروبا من جحيم الاستعمار الذي حرّمهم العلم والتزود بالمعرفة»<sup>(1)</sup> ، فالتحقوا هناك بالجامعات المصرية واتصلوا اتصالاً مباشراً بالثقافة المصرية والأدباء المصريين أمثال طه حسين وتأثروا به . وقد كان لإنشاء كلية غردون في عام 1902م أثر كذلك في احتكاك الثقافتين وذلك عن طريق جهود الأساتذة المصريين بالكلية ، حيث لفتوا انتباه الأدباء السودانيين للأدب المصري والتعلق به . فظهر التأثير بالروايات المصرية موضوعاً وإسلوباً ، فتناول الروائيون الموضوعات الاجتماعية والسياسية، وبدا تأثرهم واضحاً إذ خرجوا عن أطر مجتمعهم المحافظ إلى مجتمعات أخرى لا تمثل واقعهم ، مثل رواية « الضفة الحزينة » للكاتبه درر فالعلاقة بين البطلين لا تمت إلى المجتمع السوداني بصلة ، وكذلك تأثروا بالجانب الوطني فحرروا أعمالاً روائية تحكي كفاحهم ضد المستعمر والمطالبة بالاستقلال . فمثلما صور أدباء مصر ثورة 1919م صور أدباء السودان ثورة 1924م وكفاحهم ضد الإنجليز ، أما من ناحية الأسلوب فقد تأثروا بالمنفلوطي ورومانسيته ، وهيكلا وتصويره للبيئة الريفية المصرية التي تشبه القرية في السودان ، وأكثر الكتاب تأثيراً فيهم هو نجيب محفوظ الذي تعلقوا به وبأدبه ، فנסجوا أعمالاً روائية على منواله مثل الطيب صالح في رواية « عرس الزين » وغيره من الكتاب .

2. اتصال الكتاب بأدباء الشام وذلك عن طريق المجلات اللبنانية التي ترد إلى السودان ، وكذلك عن طريق الأساتذة الشوام العاملين بكلية غردون ، وأيضاً الطلاب الذين أوفدوا إلى الجامعة الأمريكية ببيروت فقد كان لهم دور كبير في التأثير على الأدب والثقافة السودانية»<sup>(2)</sup>.

3. أما الثقافة الغربية فقد كان لها أثر واضح على أدباء السودان ، فقد صادفت هوىً في نفوس المتعلمين ، وتهيأت الأجواء لاستقبال هذه الثقافة وخاصة الإنجليزية منها نسبة للظروف السياسية، والاستعمار الذي فرض اللغة الإنجليزية، وتعليمها في المدارس وكلية غردون ، فأتقنوا هذه اللغة وقراءوا آدابها في لغتها الأصلية وتعرفوا على الكتاب الإنجليزي وأساليبهم . وقد اطلع الكتاب السودانيين

(1) ملاح من المجتمع السوداني - حسن نجيلة-بيروت الطبعة الثالثة 1964م- ص 87

(2) انظر القصة في الأدب السوداني الحديث د / محمد زغلول سلام ص 140

على الروايات المترجمة من الآداب الأخرى ولا سيما الفرنسية فنهلوا منها وأثروا فكرهم أمثال محمد أحمد محبوب وعبد الحليم محمد، وقد كان الاتصال بالإنجليز كذلك مباشراً عن طريق الاحتكاك بهم»<sup>(1)</sup> في المجتمع السوداني عن طريق العمل وخاصة مجتمع النساء الإنجليزيات اللاتي أثرن كثيراً في العلاقات العاطفية فانعكس ذلك على أعمالهم الروائية، فأثرت رواياتهم العاطفية مفعمة بالتصرفات الحرة التي لا تتناسب وطبيعة المجتمع السوداني المحافظ على عاداته وتقاليدته مثل قصة « موت دنيا » لمحمد أحمد محبوب وعبد الحليم محمد التي عكست مجتمع آخر مغايراً للمجتمع السوداني اجتماعياً وثقافياً.

إن هذه المؤثرات مجتمعة - داخلية كانت أم خارجية - عملت على خلق مجتمع واعٍ ومثقف، وعملت على قيام نهضة أدبية ثقافية وخلق وعي سياسي قومي، فنهض السودان ثقافياً وفكرياً وسياسياً، مما مهد لظهور أدب قومي شعراً كان أو نثراً.

### مراحل تطور الرواية في السودان :

إننا نستطيع أن نميز ثلاث مراحل مرت بها الرواية السودانية منذ نشأتها وحتى تطورها، كما إننا في نفس الوقت لا نستطيع أن نفصل بين هذه المراحل فصلاً تاماً، كما لا نستطيع أن نحدد لكل مرحلة منها فترة زمنية محددة، إذ أن التغيير السريع للأوضاع السياسية والاجتماعية انعكس بدوره على الرواية في مراحل تطورها، وهو تغير نسبي خاصة في المرحلة الأولى والثانية التي تقاربت فتراتها وقد اتسمت كل مرحلة بسمات متغيراتها السياسية والاجتماعية، هذا من الناحية الموضوعية، أما من الناحية الفنية فنلمس نوعاً من التقارب أو التشابه بين المرحلتين .

**فالمرحلة الأولى:** تُعد البدايات الأولى الساذجة للرواية السودانية، ويمكن أن نُؤرخ لها بنهاية الأربعينيات في القرن الماضي حيث نجد رواية « تاجوج » لعثمان محمد هاشم 1948م أي بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية، وبعد زيادة الكفاح الوطني في سبيل التحرر والاستقلال وقد كانت رواية «تاجوج» رد فعل للأوضاع التي عاشها السودان آنذاك، وتُعد أول رواية سودانية تصور البطولة والتضحية من أجل الوطن وتعكس واقع الحياة القبلية في شرق السودان ودفاع البطل عن قبيلته وإنكار ذاته أمام واجبات القبيلة، كما نلمس فيها جانباً من العاطفة والهيام بين بطلها المحلق وابنة عمه تاجوج التي عانى من أجلها كثيراً من المتاعب والآلام والمآسى، « وتُعد الرواية من القصص الشعبي الذي نقله المؤلف إلى الفصحى وأجرى فيها تصرفاً وأضاف من خياله حتى صارت رغم أصلها الشعبي تمثل

(1) الاتجاهات الشعرية في السودان د / محمد النوبي - القاهرة 1957م - ص 46

المرحلة الأولى لتطور الرواية<sup>(1)</sup>، وهي في مجملها شكلاً ومضموناً لا تعد طوراً مكتملاً للرواية من الناحية الفنية ، وقد سبقت هذه الرواية في الثلاثينيات بعض الأعمال الروائية التي نسبت إلى المسرح مثل « الملك نمر » لإبراهيم العبادي وهي في حقيقتها مسرحية شعرية ، وأيضاً « خراب سوبا » لخالد أبو الروس التي تعرض أحداث مملكة سوبا عاصمة علوة، وتصور الدور الذي قامت به المرأة في هذه الدولة<sup>(2)</sup> . ومثل هذا النوع من الروايات يمثل مرحلة تاريخية في السودان عكست البطولة القومية والكفاح الوطني ، وجميع هذه الروايات ضمت أبطال محليين . وهذا الطور من الرواية اتجه إلى التاريخ والنضال الوطني في السودان ومادته مستقاة من التاريخ الشعبي المحلي وقد أسهمت هذه الروايات في إيقاظ الشعور القومي والكفاح ضد الاستعمار - وخاصة بعد فشل ثورة 1924م - ، فالرواية في السودان يمكن أن نعتبر بداياتها تاريخية .

ثم ظهرت الرواية الذاتية في السودان ، متأثرة بنظيرتها في مصر ، فحينما بدأت الرواية الذاتية السودانية في الظهور كانت الرواية الذاتية المصرية قد وصلت إلى مرحلة النضج عند توفيق الحكيم وهيكل وطه حسين ، فظهرت أعمال متأثرة بهذا النوع من الفن الروائي ، مثل « موت دنيا » للكاتبين محمد أحمد محجوب وعبد الحليم محمد ، التي تمثل ترجمة شخصية لمرحلة من حياة الكاتبين، وتعكس الرواية حياة طبقة خاصة من المثقفين الذين نالوا قسطاً من الثقافة الغربية واحتكوا بالحضارة الأوروبية وتأثروا بها ، فجاءت حياتهم مغايرة لحياة الشعب السوداني في جوانب من حياتهم الاجتماعية ، وخالفوا كثير من العادات والتقاليد ، « ولا تخضع » موت دنيا « لمقاييس الرواية ولا الترجمة الذاتية ، والكتاب مزيج بينهما ، ملئ بالخواطر والذكريات والأحداث والمناسبات القومية<sup>(3)</sup> . ولكن رغم ذلك فإن رواية « موت دنيا » تمثل مرحلة من مراحل تطور الرواية ظهرت فيها بدايات السمات الأولى للرواية في الفترة مابين الثلاثينيات حتى ما قبل الحرب العالمية الثانية . ونلمح كذلك الذاتية عند زينب بليل في روايتها « الاختيار » ومملكة الدار محمد في روايتها « الفراغ العريض » حيث عكست الكاتبان ملامح كثيرة من حياتهما ، ورغم عدم تزامن الروائيتين مع الطور الأول، إلا أنه يمكن أن نعدهما البدايات الأولى لمعظم الروائيين، فقد كانت محاولتهما الأولى في الكتابة تتجه إلى حياتهما والترجمة عنها، حيث لم تكونا على وعي تام بالموضوعات ولم يصلا إلى مرحلة النضج بعد ، فهما تملكان الموهبة دون الموضوع ففتجهان إلى خيالهما .

(1) دراسات في القصة العربية الحديثة / د/ محمد زغلول سلام ص 278 .

(2) انظر الرواية السودانية الحديثة / د/ بابكر الأمين الدريدي ص 53

(3) دراسات في القصة العربية الحديثة / د/ محمد زغلول سلام ص 385 .

أما الناحية الفنية لروايات هذه المرحلة فقد كانت معظمها ساذجة ، كتبت باللغة الفصحى الممزوجة بالعامية لتحاكي الواقع وتقترب منه ، فالأدب السوداني تأثر بالصراعات الأدبية في مصر، التي دارت حول لغة الحوار هل تكتب بالعامية أو الفصحى، وقد شارك فيها العديد من الكتاب المصريين أمثال المازني وطه حسين ونجيب محفوظ . وهذا مناحية الاسلوب أما من الناحية الموضوعية ، فقد التصقت الروايات بالبيئة والمجتمع وعبرت عنه وعن قضاياها ومشاكله . ولكن على أي حال مهما تعثرت الرواية في خطواتها الأولى إلا أنها «تمثل المفهوم العام للرواية وتحمل سماتها العامة ؛ ولذا فقد شاركت الرواية السودانية غيرها من الروايات في الآداب العربية في الشكل الأدبي العام»<sup>(1)</sup> .

**وتبدأ المرحلة الثانية للرواية في منتصف الخمسينات حتى بداية الستينات** مروراً بالاستقلال - 1956م - ، حيث تغير المجتمع السوداني ، فطرات عليه متغيرات كثيرة من الناحية الفكرية والسياسية والاجتماعية ، فمن الناحية السياسية ازداد الوعي الوطني ، فتضافرت الجهود الوطنية لنيل الاستقلال وإزاحة المستعمر ، فتكون مؤتمر الخريجين الذي أسسه جماعة من الشباب المثقفين عمل على نشر الوعي وإصلاح المجتمع ودفع حركة التعليم ، فأنشئت العديد من المدارس ، أما على المستوى الاجتماعي فقد شاركت المرأة السودانية في دفع عجلة التقدم وذلك بإقبالها على التعليم وخروجها إلى العمل لتعلن عن دورها الفعال في المجتمع .وكذلك نمو الطبقة العاملة ومشاركتها في النضال السياسي والمطالبة بحقوقها وحل مشاكلها، وهذا لفت إليها الانتباه من جانب المثقفين والسياسيين فبرز دورها في المجتمع .وظهرت أيضاً طبقة المهنيين والزراع وطلاب المدارس وطلاب كلية غردون وشاركوا جميعاً في النضال الوطني. مما جعل الرواية تخطو خطوات واسعة نحو الموضوعية فعبرت الأعمال الروائية عن هذه الفترة خير تعبير، وتنوعت الموضوعات بين سياسية واجتماعية وعاطفية وتاريخية، ولكن اللون الغالب كان الموضوعات ذات الصبغة الاجتماعية التي تناولت مشكلات المجتمع وما طرأ عليه من متغيرات في قالب فني أكثر نضجاً وتطوراً نحو الاستقلال الذاتي والموضوعي.

وقد تأثر مؤلفو هذه الروايات تأثراً واضحاً بالروايات الغربية والمصرية ، حيث ظهر في أعمالهم الروائية بعض الملامح لبيئات سودانية لا تشبه البيئة السودانية ، خاصة عندما يصفون العلاقة العاطفية بين الجنسين وما ينجم عنها من لقاءات حميمة وحب جامح بعيد عن أعين الرقباء ، كما في رواية « الاختيار » لزينب بليلى واللقاءات التي تمت بين «علي» و«آسيا» بطلي الرواية ، وهي علاقات غير واقعية تمثل مجتمعات وبيئات أخرى حيث تتصرف فيها بطلة الرواية دون خوف من المجتمع أو العار أو الفضيحة، فقد « كان

(1) الرواية السودانية الحديثة د / بابكر الأمين الدرديري ص 69 .

الروائيون الذين يتناولون الكتابة في هذا الموضوع ينطلقون إلى اجترار ما قرءوه في الروايات المصرية والإنجليزية»<sup>(1)</sup>. التي تعلقوا بها كثيراً، ومثلها أيضاً نجد رواية «حياة الدموع» لهندي عوض الكريم التي صور فيها البطلين يقضيان لحظات حاملة وأوقاتاً سعيدة حيث يذهبان إلى السينما أو المسرح، ثم ينتزهان في الحدائق أو قرب البحر لهنأاً بجوٍ حالم، فهذه الصور لا نجدها في واقع المجتمع السوداني في الماضي، فالكاتب هنا يصف مجتمعاً آخر، قد يكون تأثر به من الروايات الإنجليزية، أو ربما تخيله وأراد أن يعيشه.

وأيضاً تناول بعض الكتاب المجال الاجتماعي بما فيه من مشاكل التخلف والفقر في القرية، وكذلك التفارق بين الطبقات الاجتماعية، مثل رواية «الاختيار» و«نبات الصبار» لزينب بليل، ودارت كثير من الروايات حول القضايا السياسية التي تناولت حياة العمال والكادحين في المدينة والأحزاب السياسية التي بدأت في الظهور في تلك الفترة. وجميع القضايا والمشكلات التي تعرض لها الكتاب في تلك المرحلة إنما هي نتاج تغيير شامل في المجتمع السوداني على المستوى المدني والحضري وما وصل إليه من تقدم وحضارة. وإذا تناولنا روايات هذه المرحلة من الناحية الفنية نجد أن الكثير منها يقع في مرحلة وسطي فأكثرها يعتمد إلى السرد والتسلسل العادي مع المبالغات وكثرة المصادفات والنهايات المفاجئة غير المتوقعة»<sup>(2)</sup>، مع حشد كثير من المواعظ والجمل الخطابية والإنشائية، بالإضافة إلى وجود الحوار باللغة العامية غالباً وأحياناً بالفصحى، أما الأسلوب فعادي لا تلوين فيه ولا ظلال ولا أبعاد في لغة سهلة قريبة من اللغة اليومية<sup>(3)</sup>، وهذا الضعف البنائي ربما يرجع إلى أن معظم الكتاب كانوا من الشباب عديمي الخبرة من طلبة الجامعات الذين لم يتمرسوا في الكتابة وربما تكون هذه تجربتهم الأولى ولا ننسى قصر عمر الرواية، لكن هذا الحكم العام لا يمنع من وجود أعمال روائية جيدة تبشر بالخير وتنبئ عن أقلام جريئة استطاعت أن تثبت أقدامها وتعبر عن نفسها، أمثال الطيب صالح الذي اشتهرت أعماله عالمياً وذاع صيته، ومملكة الدار محمد التي تعد أول روائية سودانية، وخلييل عبد الله وغيرهم.

**أما المرحلة الثالثة والأخيرة** فيمكن أن يؤرخ لها بمنتصف الستينيات وبداية السبعينيات حتى وقتنا الحاضر، حيث حدث تغيير جذري في المجتمع والفكر السوداني، مما دعا إلى تغيير في الفن الروائي الذي أصبح هو الفن الأدبي الغالب، فعلى الصعيد الاجتماعي والفكري برزت طبقة المثقفين والعمال والمزارعين كقوى لها وزنها وتأثيرها في المجتمع من الناحية

(1) الرواية السودانية الحديثة / د/ بابكر الأمين الدرديري ص 76

(2) مثل رواية الاختيار لزينب بليل

(3) دراسات في القصة الحديثة محمد زغلول سلام ص 194

الفكرية، كما ظهرت الأحزاب السياسية والطائفية التي بدأت تؤثر في الحكم، فقامت الثورات مثل ثورة أكتوبر- 1964م - التي كانت على هيئة انتفاضة شعبية ضد الحكم العسكري وظلت البلاد تحت الحكم الطائفي حتى ثورة مايو - 1969م - التي أعادت الحكم العسكري مرة أخرى.

في ظل هذه الأحداث طرأت تغيرات على المجتمع، حيث شارك الشباب الجامعي وكل القطاعات الأنفة الذكر في الحركة السياسية وغيرت مجرى الأحداث، مما يوحى بوعي فكري وسياسي، وقد شاركت المرأة في دفع عجلة التنمية وذلك من خلال دورها في وجوه النشاط المختلفة من ثقافية واجتماعية وسياسية بعد أن تحررت من القيود التي كانت تكبلها من عادات وتقاليد وغيرها.

كل هذه التغيرات في المجتمع السوداني تناولها الروائيون، وظهرت جلية في أعمالهم التي حفلت بالقضايا والمشاكل السياسية والاجتماعية وصورت تلك الأحداث، وعبرت الرواية كذلك عن الإنسان السوداني وذاتيته. وإذا ألقينا نظرة على تلك الروايات نجدها ممثلة لتلك القضايا بصورة عامة، هذا من الناحية الموضوعية أما من الناحية الفنية « فقد نضجت الرواية وسارت نحو الكمال الفني أو قاربته مثال «روايات الطيب صالح» التي تعدت في هذه الفترة المجال المحلي إلى المجال العالمي العربي والغربي، ومثلها روايات الدكتور إبراهيم الحردلو وأبو بكر خالد<sup>(1)</sup>، وأيضا رواية «نبات الصبار» لزينب بليل التي حازت على جائزة الشهيد الزبير للإبداع الفني، ورغم ذلك فإن هذا لا يمنع أن بعض تلك الروايات اتسمت بضعف البناء الفني، مثل الأسلوب الذي اقترب من العامية المغربية في المحلية وكان دافع الروائيين وراء ذلك هو إيمانهم بمحاكاة الواقع مما جعل بعض الروايات لا تتعدى الحدود السودانية، فروايات زينب بليل رغم ما تميزت به إلا أن إغراقها في العامية جعلها لا تتعدى حدود السودان، وربما هذه العامية هي التي لفتت إليها الانتباه مع اهتمامها بالبيئة السودانية والتصاقها الكبير بها. ويلاحظ كذلك على روايات تلك المرحلة من الناحية الفنية « كثرة المصادفات الكثيرة دون مبرر مقنع وبلا تمهيد مع الاعتماد على ضربات القدر لتحويل مجرى الأحداث أو إثارة الانفعال لدى القاري والإسراع بنقض القصة<sup>(2)</sup>». وقد غلبت الثقافة الإنجليزية على كُتاب هذه المرحلة، وكما ذكرنا سابقاً فإن اللغة الإنجليزية قد انتشرت بين أوساط المتعلمين والمثقفين نسبة للنظام التعليمي الذي كان متبعاً حين ذاك، وبعد الاستقلال اتسعت اللغة الإنجليزية بفضل ازدياد عدد الخريجين من المدارس وكلية غردون، فنشأ جيل متمرس بها وبآدابها، مما جعل الثقافة الإنجليزية تطغى على غيرها من الثقافات، «ويلاحظ كذلك أن عدداً من كتاب هذه المرحلة الأخيرة، قد درسوا وعاشوا في إنجلترا أمثال الطيب صالح الذي عاش

(1) الرواية السودانية الحديثة / د/ بابكر الأمين الدرديري ص 87 .

(2) دراسات في القصة العربية الحديثة د / محمد زغلول سلام ص 397

وعمل بلندن فترة طويلة من الزمن وإبراهيم إسحاق الذي عمل مدرساً للغة الإنجليزية في المدارس الثانوية العليا، وإبراهيم الحردلو الذي قضى جزءاً من حياته في إنجلترا مبعوثاً من جامعة الخرطوم التي عمل بها محاضراً، ومنذ أواخر الخمسينات وأوائل الستينات بدأ المبعوثون يعودون من إنجلترا وغيرها من الدول الغربية مما ساعد على نهضة فكرية وفنية وهياً لتقبل كل تجديد في الشكل الروائي»<sup>(1)</sup>.

هذه المراحل الثلاثة لتطور الرواية السودانية إذا قورنت بتطور الرواية العربية نجدها تكاد تماثلها، فهذه المراحل من المههد حتى الكمال الفني للرواية - من الناحية الفنية والموضوعية - توضح التطور التدريجي لهذا الفن الذي أصبح أكثر الفنون الأدبية تعبيراً عن المجتمع وقضايا المعاصرة. وإنه ليتبين لنا من خلال مراحل نشأة الرواية وتطورها في السودان أن التيارات الواقعية والرومانسية لم تكن منفصلة، حيث كان ثمة نوع من التداخل فيما بينهم فرواية «هائم على الأرض» رومانسية بينما رواية «بداية الربيع» التي ظهرت في نفس الفترة تتجه نحو الواقعية، وهذا ما ينطبق على أغلب روايات الستينات»<sup>(2)</sup>.

فالاتجاهات التي ظهرت في الرواية منذ منتصف القرن الماضي إلى الوقت الحالي، كانت تتباين ما بين الرومانسية والواقعية، فلا توجد رواية كاملة تمثل هذا الاتجاه أو ذاك بل تتداخل التيارات مع بعضها البعض داخل الرواية الواحدة، فنحس في جزء منها اتجاهاً واقعياً بينما الجزء الآخر اتجاه رومانسي، ويرجع ذلك إلى كيفية معالجة الروائي للموضوع وتحليله له. وقد اتجهت الرواية السودانية في الستينات وبداية السبعينات إلى الاتجاه الواقعي الذي يرصد الظواهر الحسية في المجتمع ويسجلها مع الاهتمام قليلاً بالجوانب النفسية، إذ ان الرواية الواقعية تعبر عن إحساس الأديب بالعالم الذي يحيط به، بينما تعكس الرواية الرومانسية الهروب من ذلك الواقع. كما تناولت الروايات الواقعية الجانب السياسي وتقلبات الحكم بعد الاستقلال، وما صاحب الوضع السياسي من تغير في الحكومات المختلفة والمتنوعة. أما الجانب الاجتماعي فتناولت فيه الممارسات السيئة التي وجدت في المجتمع إبان الحكم الإنجليزي، وبفعل تأثيره الطويل عليه مثل الخمر والمخدرات والدعارة وغيرها، وظهرت كذلك مشاكل في الطبقة الدنيا مثل الفقر والجهل والمرض. لكن الكثير من المعالجات الواقعية الروائية لم يتعمق فيها الكتاب ليتابعوا المشكلة من جذورها، وصولاً إلى حلها بل تناولوها تناولاً سطحياً فحسب، فعدم النضج الروائي وكذلك عدم النضج الثقافي للمجتمع كله جعل كثير من الكُتاب لا يغوصون في أعماق القضايا وحلها، لذلك انتهت

(1) بانوراما الرواية العربية الحديثة / د/ سيد حامد النساج الطبعة الثانية - الناشر مكتبة غريب - القاهرة ص 329

(2) الرواية السودانية الحديثة / د/ بابكر الأمين الدرديري ص 14.

حياة أكثر شخصياتهم بالانتحار، أو الهروب من الحياة، أو الفشل في مواجهة المجتمع، أو الاقتناع بسلك السلوك الأخلاقي السيئ في سبيل التشفي والانتقام»<sup>(1)</sup>، مثال لذلك رواية «الاختيار» لزينب بليل حيث انتهت حياة البطلة بالانتحار دون وجود حل لمشكلتها، وأيضاً بعض شخصياتها واجهت نفس المصير للهروب من واقعها وعدم مواجهته. ولكن رغم هذه الإخفاقات نجد رواد الرواية الواقعية قدموا نماذج حية جديدة بالاهتمام، واستطاع بعض الكتاب أن يتعمقوا في نفسية الشخصيات متخذين من حياتهم محوراً لمحاولاتهم الروائية، والكتاب الفذ هو الذي يستطيع أن يقنع القارئ بأنه يقدم له واقع الحياة.

## ثانياً: الرواية النسوية:

من المسلم به أن فن الرواية ليس حكراً على الرجال فقط، بل النساء الروائيات أيضاً لهن دور كبير في هذا الفن، وقد دارت تساؤلات عديدة من جانب النقاد حول الفرق بين إنتاج الرجل وإنتاج المرأة، وهل يؤثر جنس المرأة في مضمون رواياتها، وفي تحديد قيمتها الأدبية والاجتماعية، ورسم خطوطها، بمعنى آخر هل تؤثر أنوثتها في إضفاء ملامح خاصة على كتاباتها، فمما لا شك فيه أن الكاتب الرجل والكاتبة المرأة يتطرقان لموضوعات عامة تخص المجتمع وتناقش قضاياها المختلفة، ويرتادان معاً آفاقاً إنسانية تهم الإنسان بصورة عامة، وتصفه إنساناً وتطرح مشاكله رجلاً كان أم امرأة، ولكن بالرغم من ذلك فلكل منهما خصوصيته واهتماماته التي يفرضه جنسه، فالكاتب الذكر مثلاً أكثر اهتماماً بقضايا الإنسان الاقتصادية والاجتماعية، وكذلك القضايا السياسية والصراعات البشرية، في حين ينصب اهتمام الكاتبة الأنثى «في التعبير عن ذاتها الأنثوية وفي تصويرها للآخر الرجل أو لذاتها وما تحمله من مشاكل خاصة تدور حول ماهيتها الأنثوية ونظرتها لنفسها والمجتمع من خلال موقعها فيه»<sup>(2)</sup>.

وقد ظهرت دراسات نقدية عديدة تفرق بين هذين الاتجاهين على الصعيدين العالمي والعربي، ومثال للدراسات العالمية «الكتاب الذي صدر في لندن باللغة الإنجليزية بعنوان "Contemporary Women novelists" "الكاتبات الروائيات المعاصرات". ويحاول أن يعرفنا الكاتب من خلال عدد من المقالات والدراسات النقدية لعدة كتاب، جمعتها وأعدتها "باتريشيا ميدسيكس"، بأعمال عدد من الروائيات العالميات المعاصرات، ويتناولها بالنقد والتقويم والتحليل. مع كل ما يجمع بينها من تشابه أو اختلاف في الموضوعات والحبكات والشخصيات والنهائيات والخيال والواقع. ومن خلال استعراض الأعمال الروائية يتضح أن المضامين متقاربة وكذلك البناء الفني، وإنها جميعاً تتسم بسمات تختلف عن

(1) انظر الرواية السودانية الحديثة د / باكر الأمين الدرديري ص 16..

(2) صورة الرجل في القصة القصيرة السعودية، د/ منال عبد العزيز العيسى، ص 198.

سمات الرواية عند الكاتب الرجل، الذي يهتم اهتماماً فائقاً بالعنصر الوصفي التطويري ذي الطابع السيكولوجي، بينما تجسد المرأة مشكلتها مع الرجل وعدم استطاعتها العيش معه، وفي الوقت نفسه لا تستطيع الاستغناء عنه، وتُعرّف الأعمال الروائية المرأة تعريفاً دقيقاً، وتحاول الحديث عنها بأمانة، وتمتدح الروايات بالعنصر النسائي الخاص<sup>(1)</sup>.

أما في مجال الدراسات العربية النقدية فقد تناول عدد من النقاد العرب هذه القضية خاصة المحدثين منهم وحاولوا الفصل بين الإنتاجين خاصة في مجالات "النقد النسوية" التي تهتم بإبراز صفة خاصة للكتابة النسائية، لا تستطيع المرأة من خلالها التخلي عن ذاتها.

ظهرت كثير من الروايات النساء في العالم العربي اللاتي سطرن أسماءهن بحروف من نور منذ فجر الرواية أمثال «وداد سكاكيني» و «سلمى الحفار» من الشام ومن مصر و«نورة الغامدي» من الخليج.

أما بالنسبة للروايات السودانية فقد تبوأَت المرأة السودانية مركزاً مرموقاً بالنسبة للفن الروائي السوداني منذ مساهمتها فيه بالريادة على يد الكاتبة ملكة الدار محمد في روايتها «الفرغ العريض» والتي اعتُبرت أول رواية سودانية، ومن ثم تابعت المحاولات بعدها مثل بثينة خضر وعابدة عبدالوهاب وليلى ابو العلا التي تفوقت في الإبداع القصصي مما أهلها لنيل واحدة من أكبر الجوائز الأدبية في المملكة المتحدة في عام (2000م)، وكاتبتنا زينب بليل بالإضافة إلى غيرها لا يسمح المجال بذكرهن جميعاً. وفي ظل هذه الكتابة النسوية يجب توضيح الدور الإبداعي الخاص بعالم المرأة بعيد عن الرجل، فللمرأة مميزات الخاصة التي تميز أدبها عن أدب الرجل، وبالتالي تصبح للرواية النسوية مميزات الخاصة التي تميزها عن أدب الرجل، ومن أهم هذه المميزات:-

1. «إبراز المواقف التي تكشف عن طبيعة الأنثى وتعشقها لاهتمام الرجل بها وطغيان المد العاطفي والوجداني عليها، بل أن الروايات النسوية يمكن أن تعتبر مجلى للعواطف الأنثوية على تنوعها وثرائها»<sup>(2)</sup>.

2. الخطاب النسوي الذي يحمل خصوصية تمثلها معاناة المرأة، وبالتالي نتلمس جماليات خاصة بالإبداع النسوي، فالأنثى لها خطابها الذي يؤكد هويتها الأنثوية ويميز خطابها النسوي الذي تنفرد به<sup>(3)</sup>، فقد ناقش بعض الباحثين خصوصية هذا الخطاب وتفردته، ومنهم سامية عدنان التي ناقشت هذه

(1) انظر وفيات مع نقد الرواية \_ ياسر الفهد - بريق للخدمات الطباعة - دمشق- الطبعة الأولى 2002م- ص 144،146.

(2) فن الرواية في الأدب السعودي، د/ محمد صالح الشنطي، ص 286.

(3) فصل اللغة من هذا البحث.

القضية بتركيزها على ما اسمته بالتعبير النسائي الذي عرفته «بأنه الطريقة التي تنفرد بها النساء سواء في الكتابة أو الحديث ، بمعنى أن القارئ أو المستمع يمكنه أن يتعرف على جنس المتحدث أو المتكلم من طريقة التعبير فقط دون تدخل العوامل الأخرى»<sup>(1)</sup>، وقد أكد حريز على تفرد هذه اللغة التي عزلت مجتمع النساء عن مجتمع الرجال»<sup>(2)</sup>.

3. الموضوعات القصصية التي تدور حول قضايا المرأة وهمومها مثل الزواج والطلاق والزواج بأخرى وما يتعلق بالحمل والولادة وتربية الأطفال، وكل ما يتعلق بالقهر الذي يمارس على الأنثى بجميع أشكاله من الرجل ، «فالأنثى في كثير من الحالات تستغرقها مشاكل وهموم عالمها عالم الأنثى وهي عكس الكاتب الذكر الذي عادة ما يسعى للتعبير عن قضايا الإنسان ذكرا كان أم أنثى . وكثير من الكاتبات السودانيات يعترفن بأن قضايا المرأة شكلت لديهن هاجساً وأن المرأة الكاتبة هي خير من يعبر عن واقع المرأة ومعاناتها»<sup>(3)</sup> ، مثل بثينة خضر التي عبرت عن ذلك قائلة : « بالنسبة لي شكلت قضايا المرأة وشخصيتها ذات التراكيب الإنسانية المختلفة هاجساً شخصياً بحكم عملي كمدرسة في المرحلة الثانوية وبحكم تجربتي كامرأة وأم وجدة»<sup>(4)</sup>، وقد علقته أم أحمد على ذلك بقولها: « المرأة الكاتبة هي خير من تعبر عن واقع المرأة ومعاناتها وتطلعاتها وهاجس حياتها»<sup>(5)</sup> .

4. صورة الرجل عند المرأة دائماً سلبية، فهو خائن غدار وفاسد وزير نساء، وصوت المرأة واضح من خلال قصصهن سواء على الصعيد الخاص في السودان أو العام في العالم العربي والغربي ، فصوت الأنثى واضح وإبداعها يستغرق كل همومها واحباطاتها في عالم الرجل، فإبداعها لم يتجاوز الفضاء الداخلي لعالمها عالم الأنثى. ولكن كل ما سبق لا يعني أفضلية الإبداع النسائي عن الإبداع الذي يقدمه الرجل، فلكل منهما خصوصيته .

(1) التعبيرات النسائية في كلام السودانيات ودورها في التقريب بين المتحدثين ، سامية عدنان ، كتابات سودانية العدد 6 سبتمبر ، ص 441-631 . عن كتاب الشمعة والظلام د/ محمد المهدي بشرى - حصاد للطباعة - الطبعة الأولى 2004م - ص 79 .

(2) التصنيف الاجتماعي والاختلاف اللغوي في الخرطوم واطرافها ، سيد حامد حريز ، 198، . عن كتاب الشمعة والظلام د/ محمد المهدي بشرى ، ص 79 .

(3) أنظر الشمعة والظلام ، د/ محمد المهدي بشرى ، ص 103

(4) عن المرجع السابق الصفحة نفسها .

(5) عن المرجع السابق الصفحة نفسها .

وهذه السمات للرواية أو القصة القصيرة النسوية لا تقتصر على الكاتبة السودانية فقط، بل نجد أمثلة لها في جميع العالم عريباً كان أم غريباً، ففي الخليج العربي مثلاً لاحظت سعاد المانع ظاهرة عامة في الإنتاج النسوي وهو سيادة الأنثى في إبداع المرأة، حيث توضح ذلك قائلة: «ان معظم البطلات في هذه القصص نساء، وتبدو في هذه القصص تجارب لا يمكن أن تواجهها إلا نساء»<sup>(1)</sup>، وقد لاحظت الكاتبة كذلك الصورة السالبة للرجل في هذه القصص الزوج مثلاً تبدو صورته الخارجية عبر رؤية زوجته الثانية شخصاً لا يشغله غير تحقيق نزواته على كافة مستوياتها، وكذلك انتبهت الكاتبة لسيطرة هاجس الزوجة الثانية<sup>(2)</sup>، الأمر الذي نراه واضحاً في القصة النسوية أو الرواية السودانية على سبيل المثال في «أغنية النار» لبشينة خضر وغيرها. وقد لاحظ الناقد والكاتب صلاح فضل أن أغلب القصص النسائية المنشورة في مجلة العربي طوال اربعين عاماً مضت تدور في نطاق العالم الداخلي الحميم للمرأة عندما تتأمل ذاتها وطباعها كأنتى أو عندما ترقب أحوال الرجل وترصد مواقفهم اتجاه قضايا القلب والوجدان»<sup>(3)</sup>، وقد علل الكاتب ذلك «بأن الداخل هو أكثر جذبا لانتباه الكاتبة وتجسيدها لعالمها وامتدادا لرؤيتها من هذا الخارج الذي لا يزال يعاندها ويستنفد طاقتها للتكيف معه»<sup>(4)</sup>. وكذلك نجد هذا التشابه في الإنتاج النسوي السوري حيث تقول ماجدة حمود في كتابها الخطاب النسوي «في الرواية السورية النسوية قلما نسمع صوت الرجل الخاص به، فصوت المرأة هو الصوت المحوري الذي يسيطر على فضاء الرواية السورية النسوية، ويعبر عن همومها وقضاياها ومعاناتها الخاصة»<sup>(5)</sup>. وخلاصة القول إن الكاتبة الأنثى أكثر انشغالا بهموم عالمها الأنثوي الخاص وما تعانیه من متاعب وقهر يسببه لها الرجل. ولكن هذا التفسير ليس قاعدة ثابتة ولا ينطبق على جميع الكاتبات النساء أو الكتاب الرجال إذا نجد هناك من الكاتبات النساء ما يستطعن الكتابة عن معاناة الرجل بصورة قوية ومعبرة، مثل الكاتبة زينب بليل التي استطاعت أن تعبر عن معاناة الملك في روايتها «كش ملك» فجسدت معاناته وصورت نفسيته من خلال استخدامها

(1) كتابة المرأة للقصة وهواجس المرأة، سعاد المانع، قوافل العدد الرابع -ص2، 94، عن كتاب الشمعة والظلام د/ محمد المهدي بشرى، ص 104.

(2) انظر المرجع السابق الصفحة نفسها.

(3) عين النقد على الرواية الجديدة - د/ صلاح فضل - دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع - القاهرة - عبده غريب 1998م -ص 65.

(4) عين النقد على الرواية الجديدة - د/ صلاح فضل - ص 65.

(5) انظر الخطاب القصصي النسوي «فماج من سورية» - د/ ماجدة حمود - دار الفكر المعاصر - بيروت لبنان - الطبعة الأولى 1422هـ-2002م- ص 149.

لتقنيات الفن الحديث من منلوج ونجوى ذاتية وغيرها. والعكس من ذلك نجد الكتاب الرجال منهم من يستطع أن يعبر عن واقع المرأة تعبيراً جيداً والدليل على ذلك الروائي المصري نجيب محفوظ الذي استطاع أن يعبر عن المرأة ومشاكلها خير تعبير من خلال بعض رواياته مثل «الحرافيش» و«زقاق المدق» وغيرها .

## الخطاب النسوي في روايات زينب بليلى :

في حديثنا عن الرواية النسوية نتخذ زينب بليلى نموذجاً، حيث نلمس خصوصية الخطاب النسوي الذي يعبر عن المرأة وهمومها وقضاياها ولا يستطيع الرجل التعبير عنه، مثل الولادة والإجهاض والختان والدورة الشهرية وخرم الأذن ، فكل هذه القضايا الذاتية التي تتعلق بالمرأة شرحتها الكاتبة بالتفصيل واستطاعت أن تعبر عن مشاعر المرأة إزاء هذه الهموم، وصورت لحظات المخاض والإجهاض ، وكيفية تعامل الأنثى معها وغيرها مما يهم الأنثى ويتعلق بها. فالوصف الدقيق لمشاعر الأنثى من خصوصية الخطاب النسوي، وقد تفوقت زينب وبرعت في تحليلها لمشاعر الأنثى أمماً كانت أو أختاً أو ضرة ، وفتاة بكرا وعانساً فاتها قطار الزواج وغيورا تأكل قلبها نيران الغيرة وتستبد بها رغبة الانتقام، وهذه النماذج المتعددة تنتمي إلى الشرائح الفقيرة والغنية في المجتمع، وإن كانت في أغلبها من الفئة المكافحة التي أثر فيها الفقر فلون معاناتها بالآلام. وقد لجأت الكاتبة في تحليل هذه النماذج من الداخل ، وجاء ذلك من خلال أسلوب الحوار أو المنولوج الداخلي الذي تحكي من خلاله الشخصية عن نفسها وتعبر عن مشاعرها سواء عبر الحديث مع الآخرين أو مع نفسها، وتكشف الكاتبة عن براعة خاصة في تصوير خلجات الأنثى ودخائلها والتغلغل إلى أدق التفاصيل في مشاعرها وقدرتها الفائقة على تحليل هذه المشاعر. <sup>(1)</sup>. وهذه البراعة في وصف مشاعر الأنثى طبع رواياتها بطابع خاص ، فليس من الصعب أن يدرك القارئ أن مؤلف هذه الروايات امرأة ؛ « إذ من غير المعقول أن يستطيع الرجل مهما بلغت حساسيته أن يرصد الخلجات الأنثوية الدقيقة بحرارة وحميمية»<sup>(2)</sup>، ومن يقرأ روايات الكاتبة يحس بهذه الحميمية والحرارة، وهذا في حد ذاته يعطي الروايات أهمية خاصة ، بغض النظر عن سلبيات هذه الروايات.

كذلك من مميزات الخطاب النسوي عند الكاتبة وصف المرأة الدقيق لنفسها ومشاعرها<sup>(3)</sup>. وهذا الوصف لحال المرأة تتزاحم فيه أفكار الأنثى، وتنتظر لنفسها من وجهة نظرها هي لا الأخر، ونظرة المرأة لنفسها لا تصفها إلا امرأة كاتبة؛ فذلك الوصف قل

(1) انظر رواية الاختيار، ص 132 .

(2) فن الرواية في الأدب العربي السعودي ، د / محمد صالح الشنطي ، ص 290

(3) رواية الاختيار ، ص 27 .

أن يحس به الكاتب الرجل ، لأنه في العادة، يحاول أن يصف المرأة من وجهة نظر من يشتهيها لا من وجهة نظرها الذاتية، أو من منظور المرأة، وهذا الشكل من تأنيث اللغة نجده عند كاتبات كثيرات. ومن مميزات الخطاب النسوي كذلك الاهتمام بالزينة والمظهر، وقد أفسحت الكاتبة مساحة للاهتمام بالمظهر وخططات الشعر والجسم في رواياتها ص 67 الاختيار ، وفي «نبات الصبار» ركزت اهتمامها بشعر «خديجة» « بالماء الدافئ غسلت شعرها الذي أغرقته بالدهن منذ الأمس..ثم مشطته بالفرشاة حتى لمع، ثم أحكمت نسج الضفيرة»<sup>(1)</sup>. فهذا الخطاب خاص بالنساء ولا يهتم بها القاص الرجل .

إذن في ظل هذا الشرح يمكن أن نقسم الأدب إلى قسمين حسب النوع: أدب الرجل وأدب المرأة ، فمن خلال الدراسات التي صنفت هذا الأدب يتضح أن للمرأة أدب خاص بها، لأن هناك أمور متعلقة بالمرأة وخاصة جداً لا يستطيع الرجل أن يعبر عنها مثل الحمل والولادة...الخ وغيرها من الأمور التي تتعلق بعاطفة المرأة ومشاكلها النفسية، فالمرأة هنا هي الأصدق تعبيراً و الأكثر أحمية تمثل هذه الأمور. والملاحظ لروايات زينب بليلى يجدها لا تخلو من البعد النسوي ، فكان الكاتبة تثبت دون موارد الدفاع عن حق الأنثى روحاً وجسداً مهما كانت أما وأختاً وزوجة وحبيبة وغيرها، والمطالبة بحقوقها وحل قضاياها، وتصوير المآسي التي أحاطت بالشخصيات النسوية في رواياتها يمثل ذلك ويعبر عنه ، كما أن رواياتها تتعلق برؤيتها لذاتها ولعلاقتها بالآخر.

(1) رواية نبات الصبار ، ص 64 .



## الباب الأول زينب بليل سيرتها وفنها

- الفصل الأول : حياة زينب بليل وسيرتها .
- الفصل الثاني : إبداع زينب بليل .
- المبحث الأول : المؤثرات التي أثرت في إبداع زينب بليل .
- المبحث الثاني : الاتجاه الفني في روايات الكاتبة .







## أولاً: المجتمع الذي عاشت فيه زينب بليل :

إن الكاتب\_أيَا كان نوع العمل الأدبي الذي يكتبه \_ يستمد الكثير من تجربته الشخصية، كما يعبر عن الكثير من آرائه وأفكاره ، وموقفه العام من الحياة ومشكلات الإنسان في بناء عمله الفني ، ومن ثم كانت الحقيقة النفسية التي تقول : إن فهمنا لشخصية الكاتب \_ إذا كان ذلك متاحا \_ يساعدنا كثيراً في فهم عمله الأدبي وتفسيره<sup>(1)</sup>. لذلك لابد من دراسة حياة الكاتبة زينب بليل وشخصيتها والظروف المعيشية التي نشأت فيها حتى نقف على أهم المؤثرات الاجتماعية والفكرية التي أثرت في أدبها، ومن ثم نبين مدى انعكاس حياتها وبيئتها على فنها.

## أولاً مجتمعا :

زينب حاج بليل الزين غلام الله من مواليد 7 مارس 1947م ، ولدت بمدينة سنجة التي تقع على شاطئ النيل الأزرق ، وتبعد 36. كم شرق الخرطوم العاصمة، وتعتمد سنجة على الزراعة مورداً رئيسياً لها ؛ حيث تعد من أغنى المدن الزراعية التي تغذي السودان بثرواتها الزراعية الهائلة . وقد تحدثت عنها الكاتبة من واقع نشأتها فيها قديماً فقالت:«مدينة سنجة تسورها غابات المانجو والسنت والهدج ، مدينة في موسم المطر يمتلئ سماؤها بالعصافير الملونة والجراد وشوارعها بالمياه المنحدرة من الغرب إلى الشرق نحو النيل تظللها أشجار النيم الوارفة والليمون وأماسيها تضج بأصوات الأبقار والأغنام من المراعي الغير بعيدة عن المدينة»<sup>(2)</sup>. ومنطقة سنجة تعد من المناطق ذات الطبيعة الخلابة وهي مدينة سياحية ذات مناظر جميلة طبيعية، فموقعها على النيل الأزرق جعلها تتمتع بأجواء لطيفة جدا وخاصة في وقت الخريف. ومدينة سنجة لها خصوصية في تاريخ السودان لقربها من مملكة الفونج ومدينة سنار القديمة ، وهي من المدن العريقة في السودان، ويقال إن الجمجمة الأولى للإنسان اكتشفت في إنسان سنجة الأول ، ويقطنها خليط من القبائل الرئيسية في السودان نزحت إليها من أنحاء المختلفة مثل الجعليين والشايقية وغيرهم، وقد تم هذا النزوح في مرحلة متقدمة من تاريخ السودان. وقد ارتبطت الكاتبة بمدينة سنجة ومجتمعها ارتباطاً قوياً، فقد كان المجتمع يعيش في حميمية شديدة والعلاقات بين الافراد كانت مترابطة<sup>(3)</sup>. وقد أفرزت الكاتبة كل ذلك في رواياتها خاصة «نبات الصبار» التي نلمس فيها هذه الحميمية بين سكان «شارع النار» والترابط الاجتماعي بينهم . والمستوى

(1) الرؤية والاداءة- «نجيب محفوظ»- د/ عبد المحسن طه بدر -دار المعارف- القاهرة- ط31986م - ص 271 .

(2) صحيفة رأي الشعب ، الخميس 12 شعبان 1429هـ الموافق 14 اغسطس 2008م ، الملف الثقافي ، ص 4 .

(3) صحيفة رأي الشعب ، 2008م ، الملف الثقافي ، ص 4 .

الاقتصادي لسكان مدينة سنجة كان متدنياً، فقد كان أغلبية السكان فقراء ليس بمعنى الفقر الآن لأنهم كانوا مكثفين ذاتين، فقد كانوا يربون الحيوانات والطيور لينتفعوا منها ومن إنتاجها.

### ثانياً : أسرة زينب بليل :

تنحدر زينب من أصول شمالية من قبيلة الركابية فوالدها من الذين نزحوا من المديرية الشمالية إلى سنجة ، ووالدها من قبيلتي كنانة والحسينات وهي من مواليد مدينة سنجة، نشأت الكاتبة وترعرعت في أسرة فقيرة في بيت متواضع<sup>(1)</sup>. وقد نشأت الكاتبة طفولة سعيدة لأنها كانت الطفلة الوحيدة في أسرتها فإخوتها يكبرونها بسنوات، وكانت مدللة ومحبوبة مجابة الطلبات من كل أفراد أسرتها تلك الأسرة التي تعد من الأسر الممتدة التي تسكن مع بعضها البعض « الأخ والخال والخالة والعم والعمة والجدات» وغيرهم من أفراد الأسرة<sup>(2)</sup>.

### ثالثاً : ثقافة زينب بليل وعملها :

نشأت الكاتبة في أسرة لم يتعلم أغلبية أفرادها خاصة الكبار منهم، التحقت الكاتبة بالمدرسة الأولية «الكتاب» في قريتها سنجة حيث كانت هي المدرسة الوحيدة للبنات في المدينة<sup>(3)</sup>. وقد تعلمت فيها القراءة والكتابة ، وارتبطت ذكريات كثيرة من هذه المدرسة ومعلماتها في ذاكرتها.

انتقلت الكاتبة إلى المدرسة الأميرية الوسطى بمدينة مدني، وكانت ضمن الدفعة الثالثة في المدينة من الطالبات، وتعد هذه المرحلة حجر الزاوية بالنسبة لثقافة الكاتبة ، كما تعد مرحلة تحول تام في حياتها، حيث تعرفت من خلالها على خليط من الأجناس المختلفة كما تعرفت على مناطق جديدة، وقد مثلت هذه المرحلة حلقة الوسطى ما بين الطفولة والشباب في حياة الكاتبة ، فبدأت هوايتها وحبها للقراءة يتضح ، وأصبحت نهمة تقرأ بشراهة ، وقد هيات لها المكتبة المدرسية العديد من الكتب والروايات التي أشبعت هذه الهواية لديها<sup>(4)</sup>.

فقرأت كثيراً من كتب سلسلة المكتبة الخضراء للأطفال كما قرأت معظم الروايات المصرية التي أتيحت لها من مثل روايات إحسان عبد القدوس ويوسف السباعي وتوفيق

(1) المرجع السابق - ص 4 .

(2) أنظر صحيفة رأي الشعب ، الخميس 12 شعبان 1429 هـ الموافق 14 اغسطس 2008م ، الملف الثقافي ، ص 4 .

(3) المرجع السابق - ص 4 .

(4) صحيفة رأي الشعب ، الملف الثقافي ، ص 4 .

الحكيم وغيرها من الكتب الثقافية، فازدادت حصيلتها اللغوية وفتحت مداركها العقلية، وفي هذه المرحلة تعلمت اللغة الإنجليزية لأول مرة، حيث أصر الإنجليز على نشر لغتهم، فمنذ السنة الأولى تعلمت اللغة الإنجليزية بل قراءت عدد من الكتب والقصص البسيطة باللغة الإنجليزية من المكتبة، من مثل «ديفيد كوبر فيلد» و«جنيير» وغيرها. وقد كان لهذه المرحلة تأثير كبير في شخصيتها وطفولتها، ووصمت حياتها بمعاني كثيرة.

انتقلت زينب إلى المرحلة الثانوية بمدرسة «الخرطوم الثانوية»، حيث استمرت في هذه المرحلة هوائيتها، فقرأت كل ما أمكنها قراءته من الكتب الإنجليزية والعربية. بخلاف المدرسة كانت مصادر الثقافة محدودة في المجتمع حينذاك، فليس هناك ثراء في الثقافة غير الكتاب، حيث لم يكن هناك اتساع في وسائل المعرفة مثل التلفاز أو السينما أو الفيديو، ولكن بالرغم من ذلك كان هناك استعداد من جانب الفرد للتعلم، فظهر العديد من الأفاضل من المثقفين والكتاب والأدباء الذين أثروا الساحة الأدبية. التحقت الكاتبة بمعهد الموسيقى والمسرح، ثم حصلت على درجة الماجستير، ولكنها لم تكمل درجة الدكتوراه لضيق ذات اليد.

أما بالنسبة لمسيرتها العملية فقد بدأت معلمة للغة الإنجليزية بالمرحلة المتوسطة في مدينتها سنجة، حيث ظلت فيها أربع سنوات، ثم التحقت بعدها بوظيفة في الحقل الصحي بمستشفى الخرطوم قسم الأشعة، واستمرت فيها لمدة ستة أشهر فقط، رجعت عقبها إلى التدريس مرة أخرى<sup>(1)</sup>. ثم انتقلت عقبها الكاتبة إلى القاهرة في بعثة دراسية مع زوجها. وبعد رجوعها من القاهرة ذهبت برفقة زوجها للعمل في إمارة ابوظبي. حيث عملت هنالك مترجمة باحدى مستشفيات النساء والتوليد، وتبعاً لوظيفتها فقد مرت عليها الكثير من مشاكل النساء واكتشفت أن هموم المرأة واحدة ومشاركة في كل الأجناس. أزداد إحساس الكاتبة بالغربة وعدم الانتماء فقررت الرجوع إلى السودان. وبعدها تقلدت منصب مديرة «اتحاد نساء الأعمال الذي استطاعت أن تنجح في إدارته»<sup>(2)</sup>، وبفضل هذا المنصب وتعاملاتها مع القطاعات الأخرى داخل السودان وخارجه أتيحت لها فرصة تكوين «منظمة نساء السودان لمحاربة الفقر» لإعانة النساء في السودان، وقد فتح لها العمل في الاتحاد فرصة لمساعدة الفقراء.

## رابعاً: إنتاج زينب بليل الأدبي .

كتبت زينب ثلاث روايات الأولى بعنوان «الاختيار» وقد بدأت كتابتها منذ الستينيات

(1) المرجع السابق الحلقة السادسة.

(2) المرجع السابق - الحلقة الخامسة .

من القرن الماضي، عندما كانت معلمة حيث بدأت ترسم الملامح العامة لشخصها ولم تكتمل إلا في الثمانينات عندما كانت في أبي ظبي، وتدلل الرواية على الطور الفطري الأول للكتابة، أو البذرة الأولى التي تعبر عن فطرة الكاتبة حتى في اختيارها للموضوع. وكذلك بالنسبة للإهداء الذي حشدت فيه الكاتبة مجموعة كبيرة من أسماء الشخصيات التي وقفت معها وساندتها، فلم تجد شيئاً تقدمه لهم إلا الشكر والعرفان، وهذا يعبر عن رومانسية الكاتبة كما يدل على عدم حرفيتها الكتابية.

أما بالنسبة لموضوع الرواية فهو اجتماعي في قالب روماني، وقد حوت الرواية تجارب السفر وكثير مما خزنته الكاتبة في الذاكرة منذ الطفولة، مثل العلاقات الإنسانية والزواج والطلاق والأسر الممتدة، فقد كانت تعيش في هذا الخضم من العلاقات التي انتهت والعلاقات التي بدأت، فأرادت أن تتخلص وتتحرق منها فأفرزتها في «الاختيار»، حيث إن جميع الأحداث والشخصيات كانت مخزنة في ذاكرتها لمدة عشرين سنة. وقد عبرت الرواية عن زينب في مرحلة الطفولة، وهي عبارة عن استرجاع لأمكنة وزمن عاشتها الكاتبة بحب وحرية وأمان. وعن كيفية كتابة الرواية تقول الكاتبة: «رواية الاختيار بدأت كتابتها بعد أن عملت على تسجيلها حكياً على شريط مسجل وبعدها تم تفريغها على الورق، ثم عملت على قراءتها لأكثر من عشرين مرة وعملت عليها حذفاً وإضافة»<sup>(1)</sup>. وقد تأخر نشر الرواية، حيث طبعت الطبعة الأولى عام 1985م، وطبعت الطبعة الثانية عام 1989م.

أما روايتها الثانية فبعنوان «كش ملك»، التي كتبتها في الثمانينات ولم تكتمل فصولها إلا بعد خمسة أعوام، ظلت الكاتبة خلالها عاكفة عليها، حتى أكملت فصولها. والرواية تعبر عن طور فكري جديد للكاتبة يوضح وصولها إلى درجة متطورة من النضج الإبداعي وامتلاك أدوات الكتابة، فالرواية تعد أكثر نضجاً وفكراً من «الاختيار»، كما نلاحظ أن الإهداء انحصر في شخص واحد مما يدل على تقدمها الإبداعي، وتعلق الكاتبة على ذلك بأنها أصبحت أكبر سناً وأكثر نضجاً وتجربة، وتقول أن «الاختيار» تمثل الحياة الأولى الرغيدة أما «كش ملك» فتعبر عن المجتمع الذي تغير»<sup>(2)</sup>.

فموضوع الرواية اجتماعي يحكي عن هموم الناس ومشاكلهم وينقل السلبيات والانحرافات التي ظهرت في المجتمع، كما يعبر عن المرأة ويصورها ضحية من ضحايا المجتمع.

أما روايتها الثالثة فبعنوان «نبات الصبار» والتي طبعت في أواخر 2011م، والرواية

(1) صحيفة الوسط - العدد 365 - السنة الثانية - الأربعاء 19 نوفمبر 2008م - الموافق 22 ذي القعدة 1429هـ - ص 8 «الثقافية» التي تصدر في الخرطوم - السودان

(2) برنامج إذاعي نجوم بعيدة - تقديم نجيب نور الدين الحلقة السابعة.

تحكي عن شريحة من الفقراء هم الطبقة «المهمشة» في المجتمع، فتصور آلامهم وأفراحهم وأمانهم، والرواية في موضوعها خليط من الحقيقة والأسطورة، وتقول الكاتبة عن عالم الرواية: «نبات الصبار هي العالم العريض الذي عشته وأعيشه وأحلم أن يكون الآن، فالشخصيات فيها ملامح من كل من عرفتهم... وفيها الأسطورة التي بهرتني وأثقلت رأسي، والتي سمعتها مئات المرات في ليالي الصيف المصبغة بسحر الأساطير وعطر النوار والليمون، فشكلت معظم أحداث الرواية»<sup>(1)</sup>. وتمثل الرواية طور إبداعي متقدم للكاتبة حيث نالت الرواية جائزة «الشهيد الزبير للإبداع العلمي» في السودان للعام 2016م. وأما في مجال الدراما فكتبت زينب عددا من النصوص التي قدمت تمثيلات في الإذاعة السودانية، وهي عبارة عن موضوعات في نقد المجتمع وما يحدث فيه من سلوكيات، وكذلك نقد للمرأة وما تقوم به من عادات بالية. وللكاتبة كذلك عدد من القصص القصيرة التي نُشرت في الصحف السودانية ولاقت استحساناً من جانب القراء. كما لها مسرحية «نكون أو لا نكون» التي عرضت على المسرح عام 1995م وقد كانت عبارة عن قصة قصيرة ثم حولتها الكاتبة إلى مسرحية. وأول عمل درامي كتبه الكاتبة نص بعنوان «المحاكمة» شاركت به عام 1975م في مسابقة للنصوص الدرامية، وكان عبارة عن دفاع عن الفقراء المظلومين، وقد فاز النص بالجائزة الأولى. ومن مساهماتها في مجال الأدب ومساعدتها للشباب الناشئ من القصصين، تقديمها لبرنامج إذاعي متخصص لكتاب القصة القصيرة، تعده وتقدمه في إذاعة ولاية الخرطوم، وتطرح من خلاله القصص القصيرة التي يقدمها الشباب الناشئ، وتقوم بنقدها وتحليلها.

## سادساً: الموهبة الأدبية :

لم تظهر على الكاتبة في طفولتها أي علامات تدل على موهبتها الأدبية، ففي المرحلة الأولية لم تكن لديها الموهبة في التعبير الإنشائي حيث كانت درجاتها متدنية في مادة الإنشاء والتعبير، وربما يرجع السبب في ذلك إلى عدم اهتمام الكاتبة بالكتاب ولا بالقراءة في تلك الفترة<sup>(2)</sup>، ولكن عند دخولها المرحلة الوسطى بدأت تظهر الملامح الأولى لموهبتها، فبدأت تقرأ بشراهة واستهوتها المكتبة المدرسية التي كانت تكتظ بالكتب التي استبدلتها بالقصص والأحاديث.

تقول زينب: «كانت المكتبة تزدهم بالكتب فكنت أقرأ رواية في الأسبوع من الروايات المبسطة واستهواني الكتاب أو ربما كبرت.. ما كنت أطلب بأن أسمع مغامرات الشاطر

(1) صحيفة رأي الشعب، الملف الثقافي، ص 4.

(2) أنظر صحيفة رأي الشعب، الملف الثقافي، ص 4.

حسن مع الغول الذي لا يموت أبداً وماعادت تستهويني الأحداث المتكررة بلا نهايات، وحتى ذاك العمر لم أصلح بأن أكون أي شيء»<sup>(1)</sup>. وطيلة الثلاث سنوات الأولى من المرحلة الوسطى كانت الكاتبة تقرأ فقط، وقد استطاعت في هذه السنوات أن تمتلك حصيلة لغوية كبيرة. فكانت تنقل كل العبارات التي تعجبها في مذكرة وتحفظ بها.

إذن المكتبة المدرسية ارتبطت بالبدايات الأولى لفن الكتابة عند الكاتبة كما بدأت مواهبها تظهر، ففي السنة الرابعة بدأت تكتب مادة التعبير بصورة جيدة ولكنها لم تتنبأ بأنها سوف تصبح كاتبة، لأنها كانت تقتبس من الكتب التي تقرأها «وقد كتبت يوماً موضوعاً تعبيرياً في حصة الإنشاء، فأثنى عليه المعلم وقال لها إنها ستخلف «ملكة الدار محمد»<sup>(2)</sup> ولم تكن تعرف في ذلك الوقت من هي «ملكة الدار محمد»، ولم يفسر لها المعلم ولم تهتم لتعرف صفات التي ستخلفها»<sup>(3)</sup>. وفي المرحلة الثانوية واصلت الكاتبة موهبتها في القراءة والاطلاع، كانت تقتبس وتكتب في الموضوعات الاجتماعية من مثل موضوعات الكاتب سلامة موسى التي مالت إليها، وقدمت سلسلة من هذه الموضوعات في الجمعية الأدبية. وفي هذه المرحلة كتبت الكاتبة أول موضوع إنشائي باللغة الإنجليزية ونجح الموضوع، ولكنها لم تحس أنها فعلت شيئاً فالتنافس كان كبيراً في كتابات الموضوعات الإنجليزية<sup>(4)</sup>. وبعد ذلك تطورت موهبتها الأدبية فبدأت تكتب وتقول الكاتبة: «كنت اكتب ما أحس أنه يهمني أكتب ما يستفزني من مشاهد أو أحاسيس، وأكتب الجميل الذي أتمنى أن يكون وأكتب القبيح الذي أتمنى ألا يكون، وأكتب شخصيات التقيت بها وشخصيات رسمتها من الخيال خلقتها كما تمنيت أن تكون رجلاً أو امرأة.. كتبت من الذاكرة ومن الخيال عن الرجل أو المرأة دون تحيز»<sup>(5)</sup>.

أما بداية موهبة الكتابة الروائية، فقد كانت عبارة عن محاولات أولى بدأت عندما كانت زينب معلمة، فأخذت تخطط لشخصيات وترسمها فلاحت «الاختيار» ولكنها لم تتبلور بعد، حيث بدأت الشحنات داخلها تتدفق، وبدأت تفرزها في شكل ملامح وشخصيات ومشاهد ولكنها لم تصبح رواية كاملة، وقد استفادت الكاتبة في تلك المرحلة من حياتها

(1) صحيفة رأي الشعب، الملف الثقافي، ص 4

(2) أول رواية سودانية.

(3) صحيفة رأي الشعب، الملف الثقافي، ص 4

(4) صحيفة رأي الشعب، الملف الثقافي، ص 4

(5) المرجع السابق الصفحة نفسها.

الإبداعية من قراءة رواية «عرس الزين» للأديب «الطيب صالح» باللغة الإنجليزية وأثرت فيها تأثيراً كبيراً، وعرفت من خلالها كيف تكتب رواية»<sup>(1)</sup>.

إذن فالحس الروائي لدى الكاتبة كان موجوداً داخلها منذ أن كانت طفلة في قريتها، بالإضافة إلى الخيال الواسع والقراءة المكثفة، كل هذا كثف عندها الاحساس بالآخرين الذين كانت تحمل همومهم ومشاكلهم»<sup>(2)</sup>.

زينب بليل كاتبة تمتلك الموهبة دون شك، فقد وفقت في استثمار موهبتها، وحاولت أن تطور أدواتها الإبداعية، ولكن ينقصها الاحتراف أو الحرفية في الكتابة، فهي لم تترث وهي تكتب بل دفعها الحماس الذي جعلها تتناسى كثيرا من أساسيات الفن الروائي، وكان كل همها أن تكتب ما خزنته في ذاكرتها، ومازالت تحمل منه الكثير فجاءت جميع رواياتها إسقاط لعالمها القديم والحديث، فموهبتها جوهرة ولكن تحتاج إلى صقل، وأعتقد أن ما جعل الكاتبة تندفع وراء موهبتها دون الرجوع إلى الخلف أو إعادة النظر، هو بعض النقد الغير موضوعي الذي وجه لرواياتها - التي لاقت رواجاً عند النقاد السودانيين - حيث بُني أغلبه على المجاملة والمزاج والانطباع.

فقد ركز نقادها على محاسن إبداعها دون الولوج إلى جذور العمل، ومن نماذج النقد الذي وجه لرواياتها قول الناقد د. هاشم ميرغني الذي تحدث عن احترافيتها الكتابية ومحاولاتها لحل مشاكل السرد المعقدة باعتمادها على الموهبة، وقال: «زينب كاتبة حدثة بالفطرة، اعتمدت على موهبتها فقط ولم تحاور النصوص بل دخلت في حوار مع الحياة بشكل مباشر»<sup>(3)</sup>، أما الناقد عز الدين ميرغني « فيقول أن زينب بليل هي سيدة الرواية الحوارية في السودان بلا منازع.. وهي صاحبة بصمة خاصة في الرواية السودانية»<sup>(4)</sup>. أما البروفسير محمد المهدي بشرى فيذكر أن الكاتبة اختزلت تجربتها في محطات قصار، ويرى أن تجربتها في العمل الدرامي والمسرحي هي الأروع، كما يرى أنها اتخذت من الكتابة مثلها وغيرها من النساء سلاحاً، وكتبت رواياتها وقصصها من واقع تجارب حميمة من عالمها الخاص... ويقول إن نجاح عملها الأول «الاختيار» يرجع إلى مقدرتها العالية على الحكى»<sup>(5)</sup>.

(1) برنامج إذاعي نجوم بعيدة - تقديم نجيب نور الدين الحلقة السابعة .

(2) المرجع السابق الصفحة نفسها .

(3) صحيفة الوسط - العدد 365 - ص 8 «الثقافية»

(4) المرجع السابق الصفحة نفسها .

(5) المرجع السابق الصفحة نفسها .

ومن الفنانين الذين عملوا معها وأحبوها الممثلة «بلقيس عوض» التي ذكرت أنها عملت على عشرات النصوص لزينب بليل وهي أعمال اجتماعية ثرة، وتقول عنها أنها صاحبة قدرات عالية في كتابة الشخصية والسيناريو والدراما بشكل عام<sup>(1)</sup>.

(1) صحيفة الوسط - العدد 365 - ص 8 «الثقافية»

## الفصل الثاني إبداع زينب بليل

المبحث الأول : المؤثرات التي أثرت في إبداعها .  
المبحث الثاني : الاتجاه الفني في روايات الكاتبة .

## المبحث الأول

- المؤثرات التي أثرت في إبداع زينب بلييل .
- المطلب الأول : مؤثرات داخلية.
- المطلب الثاني: مؤثرات خارجية .

## المطلب الأول مؤثرات داخلية.

- 1- الطفولة والنشأة .
- 2- الرحلات والسفر .
- 3- الثقافة والشخصيات .
- 4- الموهبة .



هنالك مؤثرات عديدة أثرت في أدب زينب بليل وطبعته بطوابع فنية ، منها النشأة والأسرة، ثم الرحلات والأسفار ثم الثقافة والمطالعة .

## 1 - الطفولة والنشأة :

الطفولة هي أهم مؤثر من مؤثرات الكاتبة الفنية ، فطفولة زينب في سنجة ونشأتها شكلت الملامح الأولى في حياة الكاتبة، بالإضافة إلى نشأتها المدللة والسعيدة ، كانت هناك حياة الطفولة وما فيها من غنى وثناء عاشتها الكاتبة بكل احساسها<sup>(1)</sup>. وتحمل الكاتبة ذكريات كثيرة عن قرينتها وموسم الامطار فيها، وقد خزنتها في ذاكرتها، إذ أن معظم سكان سنجة يعملون بالزراعة فتذكر الكاتبة منظرهم وهم يحملون فؤوسهم وأكياساً ملئية بالحبوب لزراعتها في الصباح الباكر، وقد أسقطت الكاتبة جزءاً كبيراً من هذه الحياة في روايتها «الاختيار». وفي ليالي الصيف تذكر الكاتبة منظر القمر عندما يتجلى فينافس ضوءه الصافي الكهرياء، ويمتلئ الجو برائحة النوار ، فينشئ الأطفال أذيتهم الثقافية الاجتماعية، ليستمعوا من خلالها للحكايات والأساطير الخرافية ، التي لم يملوا سماعها ابداً. وتقول زينب بشأن ذلك: «نصغي في انتباه لبدور بت السلطان ثم فاطمة السمحة وود النمير...قصص ما كنا نملها..نسمعها يومياً..ننادى لنجتمع...يبدو أنني كنت أكثرهم استمتاعاً بالحكي لأنني حتى الآن أحفظ تلك الحكايات بتفاصيلها»<sup>(2)</sup>. وقد سيطرت جلستهم حول القاصة أهم معالم رواية «الاختيار» وبدائها، حيث بدأتها بالحوار الذي سمعته آلاف المرات «حبوبة أنا دايرة أبقى زي فاطمة السمحة». إذن نمط الحياة وما فيه من أحاجي وصديقات وحرية كاملة ليس فيها تعقيد حيث اللعب والفرح والانطلاق، وحيث الطفلة الوحيدة وما وجدته من حنان وحب لا يشاركها فيه أحد ، كل ذلك وفر للكاتبة حياة طفولية سعيدة .

فكانت طفولة الكاتبة غنية بالأحداث، فمنظر الغروب ما زال مرسوماً في ذاكرة الكاتبة بكل جمالياته، وكذلك منظر الشروق، وعدو الأطفال خلف الأغنام لتسليمها للراعي في أطراف المدينة، وفي ذاكرتها لعب الأطفال بالطين وصناعة المدافع ، فكل تلك المشاهد مصورة في ذاكرة الكاتبة، وقد أسقطتها في روايتها الأولى «الاختيار» حيث شكلت شجرة «النيم» مكاناً مهماً في أسرة «حمدان» .

أما البيئة فلها أثر كبير في أدب الكاتبة ، فالبيئة التي عاشتها رغم فقرها إلا أنها كانت بيئة غنية وثرية بما يوجد داخلها من عادات وتقاليد ، فالحياة كانت مكتظة بما يمور داخلها من أفراح وأحزان ، والناظر للحياة في تلك الفترة يجدها محصورة في المشائخ

(1) صحيفة رأي الشعب ، الملف الثقافي ، ص 4 .

(2) المرجع السابق الصفحة نفسها .

وزياراتهم والرعي والخريف والزواج والمآتم . ولكن داخل هذا المجتمع المحدود هنالك نمط حياة ومجتمع غني لا يتوافر لأي إنسان، فإلى جانب الطبيعة من خضرة ونهر وجبال وغابة ، هناك حياة كاملة عاشتها الكاتبة خاصة داخل مجتمع النساء، ذلك المجتمع الغني الذي يركز على المشايخ الذين تتم زيارتهم واللجوء إليهم في كل الأمور، حيث يتم ذبح الذبائح عند أضرحتهم والتبرك بهم والاعتقاد الكبير فيهم وفيما يقع منهم من كرامات ، ثم هناك الزواج وطقوسه. وايضاً هناك العديد من الطقوس التي تهم النساء في فترات معينة من حياتهن؛ ومما زاد حياتهن ثراءً وجود «الزار» الذي كان متفشياً بكثرة في سنجة ولم يكن ممنوعاً، وقد شاهدته الكاتبة وهي طفلة وخزنته في ذاكرتها، وأسقطته في أعمالها حيث شكل مشهد «الزار» دوراً مهماً في أحداث روايتها «الاختيار» ، كما شكل مشهداً أساسياً في مسرحيتها «نكون أو لا نكون». وتقول الكاتبة في ذكرياتها عن الزار:« في ذاك الزمن كل النساء مزورات شاهدتهن يتقمصن شخصيات وهمية ويتكلمن بلغات أجنبية كنت أظنها انجليزية سليمة حتى عرفت الإنجليزية وعرفت أن تلك اللغات اخترعها من أوهاهمن»<sup>(1)</sup>. وبناءً على ما سبق يتضح غنى الحياة وجمالها في مدينة سنجة قديماً، فهي مفعمة بالحيوية والحركة والثراء، رغم عدم وجود التلفاز أو الاذاعة أو غيرها من وسائل الترفيه الآن ، أو سبل الحياة المعقدة من مواصلات وزحمة وغيرها مما يشغل الناس. فهذا العالم هو عالم زينب بليل الذي شكل الملامح الرئيسي للكتابة والإبداع عندها، والذي ارتبط عندها بالانتماء المستمر فهي ترى أن العالم كله سنجة وتذكر ذلك قائلة:« أنا أشعر بالانتماء المستمر إلى سنجة ... والانتماء ما زال إلى الآن فكل ما كان موجوداً قديماً قائم إلى الآن البيت الذي ولدت فيه والشاطئ وغيرها من الأماكن التي علقت بالذاكرة»<sup>(2)</sup>. والانتماء لمكان واحد والارتباط به معروف في الأدب خاصة عند الروائيين ، حيث نجده مرتبط عند كتاب الريف بموطنهم ومكان نشأتهم ، ونجد نموذجاً له في السودان عند «الطيب صالح» في روايته «موسم الهجرة إلى الشمال» حيث أسقط فيها جميع ذكرياته وحنينه إلى منطقته بالولاية الشمالية. وزينب كذلك من الروائيين الذين أثرت فيهم مناطقهم ونشأتهم ، حيث حملت ذاكرتها مجتمع سنجة وأهله وعاداته وتقاليده ، وكبرت في أحضان طبيعته، وشاهدت كل ما يدور فيه وراقبته عن كثب منذ نعومة أظافرها لذلك عندما وصفت القرية في روايتها «الاختيار» جاء وصفها دقيقاً وواقعياً، فهي تتمتع بمراقبة حدسية ساعدتها في وصف القرية وسكانها، هذه المراقبة الدقيقة مصدرها الخيال الذي ساعدها لإحياء عالم القرية. والذي أتى مؤكداً

(1) صحيفة رأي الشعب ، الملف الثقافي ، ص 4

(2) برنامج إذاعي نجوم بعيدة - تقديم نجيب نور الدين الحلقة الثالثة .

واقعية حقيقية، فكان القارئ أمام لوحات حقيقية يعيش فيها ويتحسس ألامها ومشاكلها.

## 2 - الرحلات والسفر :

السفر والانتقال من مكان لآخر له أثره في تجربة الإبداع عموماً ، حيث يرى المبدع مجتمعات أخرى تفتح له فيها آفاق جديدة وتعمق إحساسه بالآخر . والسفر والرحلات لها أثرها المباشر في زينب بليل فيما يتعلق بالانتقال من مكان لآخر وما يخلفه المكان الجغرافي من بعد نفسي واقتصادي . وأول رحلة داخلية للكاتبة كانت سفرها إلى مدينة مدني حيث غادرت مدينتها سنجة وكانت هذه تجربتها الأولى لمغادرة أهلها وركوب القطار، وقد كان لها أثراً عميقاً في حياة الكاتبة، والسفر بالقطار وضع بصمات على حياتها وذكرياتها<sup>(1)</sup> . والانتقال عند زينب لم يكن لمدينة أخرى فقط بل لمرحلة أخرى وهي المرحلة الوسطى حيث التقت بطالبات من الطبقة الأرستقراطية من بنات الوزراء وغيرهم، وكانت هي من الطبقة الفقيرة، وقد كان لهذه التجربة أبعادها النفسية والاجتماعية على الكاتبة ، حيث خزنتها في ذاكرتها وأسقطتها في روايتها «الاختيار» من خلال بطلتها «آسيا»، وتعد رواية «الاختيار» سيرة ذاتية للكاتبة .

أما التجربة الثانية التي أثرت في زينب هي سفرها إلى القاهرة ، حيث لم تهتم بالتنزه ومشاهدة معالم القاهرة بل كان كل همها مشاهدة المسرح والسينما المصرية، فقد حرصت على حضور كل المسرحيات التي أُتيحت لها، وكانت تذهب إلى المكتبات بصفة مستمرة ، وكل هذا كان له الأثر الكبير في إثراء ثقافتها وتعميق فكرها وصقل موهبتها، حيث تعرفت على الدراما المصرية وعاشتها عن قرب .

أما رحلتها الثالثة فهي سفرها إلى أبوظبي، وقد كان لهذه الرحلة الأثر الكبير في شخصية الكاتبة وأدبها، وأول ما لفت نظرها الفخامة والترف الذي عاشته وأحسسته، فكان هذا الترف والشموع في روايتها «الاختيار» وليد اللحظة التي تأثرت بها وأسقطتها في الرواية التي كانت تكملها في ذلك الوقت. وهذه الرحلة اضافت لها بعداً جديداً وعمقت الموضوعات داخلها، كما أثرت في شخصيتها وأكسبتها خبرة وقوة وصلابة .

## 3 - الثقافة والشخصيات :

تنوعت ثقافة الكاتبة ما بين ثقافة عربية وثقافة أجنبية ، فأما الثقافة العربية فقد حصلت عليها من خلال المكتبة المدرسية في المدرسة الوسطى، حيث قرأت كل ما توفر لها من كتب اطفال وروايات عربية، كما قرأت كذلك عدد من المجلات مثل مجلة

(1) برنامج إذاعي نجوم بعيدة - تقديم نجيب نور الدين الحلقة الثالثة .

حواء» و«صباح الخير»<sup>(1)</sup>. وقد قرأت كذلك بعض كتب المفكرين المحدثين أمثال سلامة موسى الكاتب المصري الذي أعجبت به لما تتميز به كتاباته من عمق وفلسفة، ولما يوجد فيها من نصائح، وهي بطبعها تميل إلى مثل هذه الموضوعات من مثل كيفية التعامل مع الآخرين وكيفية التحكم في الظروف والمشاكل وكيفية تجاوزها»<sup>(2)</sup>.

أما بالنسبة للثقافة الأجنبية فقد تعلمت الكاتبة اللغة الإنجليزية وخبرتها جيدا في زمن أصر فيه الإنجليز على فرض لغتهم، حيث أن الثقافة التي كانت سائدة في ذلك الوقت هي التشجيع على قراءة الكتب الإنجليزية، فقرأت زينب الروايات الإنجليزية والأميركية وتشبعت بها وتركت أثرها في رواياتها، خاصة في المرحلة الثانوية التي كانت امتداداً للمكتبة المدرسية في المرحلة المتوسطة، حيث كانت الكتب جميعها باللغة الإنجليزية.

أما بالنسبة لتأثير الشخصيات على أدبها وتشكيل شخصيتها فتذكر أنها كثيرة ولكن ما علق بذاكرتها قليل، وأول تلك الشخصيات المشايخ وزياراتهم ومنهم الشيخ «الصابوناي» الذي كانت تذهب إليه زينب مع والدتها التي كانت تصر على زيارته خاصة في وقت الامتحانات، فيسافرون إليه مسافة لا تبعد كثيرا من مدينة سنجة، حيث يتبركا به، ويساعدهما حسب اعتقاد والدتها على النجاح.

أما الشخصية الثانية والمهمة في حياة الكاتبة فهي شخصية أخيها «أحمد» الذي كان يهتم بها كثيراً ويحبها ويقف بجانبها عند الصعاب، ويستذكر معها دروسها، ثم «رزق بحر» الذي كانت تقول عنه الكاتبة أنه والدها الثالث، فقد كان يحملها على اكتافه ويأخذها إلى المدرسة عندما كانت صغيرة، ويشترى لها كل ما يجده لدرجة أنها اسقطت جزءاً كبيراً من ملامح شخصيته وكذلك اسمه في روايتها «كش ملك».

وتصرح الكاتبة بذلك قائلة: «في «كش ملك» البحر كان يمثل الإنسان الذي أحب أن يكون عليه الإنسان ولما قرأت الشخصية بعد إكمالها في الرواية، وجدت فيه ملامح كثيرة من شخص أحببته كثيرا هو أي رزق بحر الذي كان يحملني على كتفه في أولى أيام دخولي المدرسة»<sup>(3)</sup>.

وقد أسقطت كذلك كثير من الأحداث التي تتعلق بها وبوالدها رزق في الرواية من خلال شخصية «البحر» وشخصية «ياسمين» حفيدته حيث تشابهت الأحداث ولامح الشخصيات.

(1) برنامج إذاعي نجوم بعيدة - تقديم نجيب نور الدين الحلقة الثالثة .

(2) المرجع السابق الحلقة نفسها .

(3) صحيفة رأي الشعب ، الملف الثقافي ، ص 4

ومن الشخصيات التي أثرت في أدبها شخصية القاصة التي كانت تقص وتروي لهم الأحاجي، فعلقت بذاكرتها هي وما كانت ترويها، أما الطالبات اللائي أثرن فيها أدبياً فاحدى زميلاتها وصديقاتها التي علمتها كيف تكتب وتنقل كل الجمل والعبارات التي تعجبها مما قرأت وتضعها في مذكرة صغيرة، مما ساعدها على تنمية قدراتها الأدبية .  
ومن الشخصيات التي أثرت فيها اجتماعياً ونفسياً شخصية المعلمة، التي نظرة اليها نظرة جمالية فقط، وهذه النظرة الجمالية وصفت بها جميع شخصيات المعلمة في رواياتها منهن «مريم التوم» و«زهرة الملك» في روايتها «كش ملك» حيث وصفتهما بالنظافة الشديدة والمنظر الحسن، ولكن من الناحية النفسية فقد تأثرت زينب بسلوكيات المعلمة ومعاملتها للطالبات «<sup>(1)</sup>».

كل هذه المؤثرات الأساسية من البيئة والنشأة والتعليم والعمل، أثرت في زينب بلييل وظهرت من خلال رواياتها خاصة «الاختيار»، التي كانت لها علاقة بهذه المحطات، وارتبطت بحياة الكاتبة ومناخ الحياة والأسرة الممتدة والأحاجي، وهي عبارة عن ميلودراما اجتماعية كاملة انتقلت إلى روايتها «الاختيار» .

(1) برنامج إذاعي نجوم بعيدة - تقديم نجيب نور الدين الحلقة الثالثة.



## المطلب الثاني: مؤثرات خارجية

- 1- التأثير بالكتاب الغربيين .
- 2- التأثير بالكتاب العرب .



## 1 - التأثر بالكتاب الغربيين :

تأثرت زينب بليل بالرواية الغربية خاصة الواقعية منها، فقد تأثرت بالكتاب الواقعيين أمثال «بلزاك» و«زولا» و«ثاكري» و«توماس مان»، حيث نجد وجه شبه بينها وبينهم خاصة «بلزاك» في تسجيل الوقائع الاجتماعية، ووصف البيئة الذي يعد أحد أهم عناصر الرواية الواقعية، وقد ركزت عليها الكاتبة وجعلتها أساساً لتحريك شخوصها وأحداثها، وقد لعبت البيئة دوراً مهماً في بلورة أفكار الكاتبة الشخصية. وزينب بليل في حكمها على الكتاب الأجنبي تبدو معجبة بالمشاهير من أدباء الواقعية النقدية الذين يتميزون بالنزعة الإنسانية الشاملة أمثال تولستوي ودستوفسكي، وكتاب القصة القصيرة أمثال تشيكوف وموبسان .

فثقافة الكاتبة ومعرفتها الجيدة باللغة الإنجليزية أهلتها لأن تطلع على كثير من الروايات الأجنبية في لغتها الأم، فانعكس ذلك على رواياتها بصور مختلفة، وقد ذكرت ذلك قائلة «قرأت كمية من الكتب الأجنبية...مثل «جزيرة الكنز»... والأدب الأمريكي تأثرت به واقتبست منه مثل رواية «الرجل الغني والرجل الفقير»..فقد أنزلت كثير من الجمل التي قراءتها في رواياتي، وهي من المخزون الذي تعلمته من الآخرين»<sup>(1)</sup>.

ونجد بعض هذه العبارات الإنجليزية التي اقتبستها من الأدب الأجنبي مثل «الكل يحمل صليبه ويبحث عن الخلاص - حاملاً النار المقدسة الأبدية - أرض الميعاد - طواف الرب على الدنيا - فغضب الرب» .

## 2 - التأثر بالكتاب العرب :

تأثرت زينب بليل بالكتاب العرب خاصة المصريين منهم مثل «نجيب محفوظ»، وكذلك توفيق الحكيم و«طه حسين» و«المنفلوطي» و«يوسف السباعي وغيرهم»<sup>(2)</sup>. وقد ظهر تأثير بعض هذه الروايات من خلال سرد العلاقات العاطفية والأحداث والسياق، التي ظهرت في «الاختيار» في الحوارات العاطفية بين البطل والبطلة .

أما «نجيب محفوظ» فقد بدأ التأثر واضحاً وجلياً بينه وبين زينب بليل حيث نجد كثيراً من نقاط التشابه بينهما من خلال روايتها «نبات الصبار» التي ربما استقت كثيراً من أحداثها وشخصياتها ومضمونها العام من روايته «زقاق المدق»، كما تتفق معه في بعض جوانب الرؤية الأدبية . وفيما يلي نسرد عدد من نقاط التشابه بين الروائيتين :

1. الوصف السردى لزقاق المدق وشارع النار، فكل من الروائيتين تصف المكان وصفاً تفصيلياً دقيقاً يتضح من خلاله الوضع الاقتصادي والاجتماعي لحياة السكان.

(1) برنامج إذاعي نجوم بعيدة - تقديم/ نجيب نوالدين - الحلقة الخامسة والسابعة .

(2) المرجع السابق - الحلقة السابعة .

2. أحداث كل من الروايتين لا تدور حول مجموعة أفراد، وإنما تدور حول المكان «زقاق المدق» وشارع النار»، بكل ما يحمل من علاقات اجتماعية وقيم وأخلاق.
3. وصف الشخصيات وتكشف تلك الشخصيات من خلال واقع المجتمع .
4. العجز المادي يشل معظم أبناء الزقاق والشارع ، والتناقض البشري بكل ما توجده الظروف الصعبة موجود ، ف نجد الصلاح والتقوى كما نجد الفساد والانحراف .
5. الفقر المدقع والتطلع إلى مستوى اقتصادي أفضل . فالفقر هو الذي يتحكم في مصير الشخصيات .
6. انعكاس الفساد الاجتماعي والاقتصادي والاستبداد السياسي على العلاقات الاجتماعية في شارع النار وزقاق المدق .
7. تغير الأوضاع إلى الأسوء بسبب الحرب في الزقاق مما أدى إلى ضياع الزقاق، الذي يمثل ضياع مجتمع بأسره في فترة معينة، والتغيير إلى الأحسن في الشارع بسبب المياه وبناء المستشفى .

ونجد كذلك بعض التشابه بين زينب بليل ونجيب محفوظ في مجال الرؤية الأدبية «فالطريق الوحيد للخلاص الذي تطرحه رؤية نجيب محفوظ ، هو طريق القلة الناجية من البشر ، في محاولة لقهر الجانب المادي الحيواني الغريزي في الإنسان والذي ينتهي به إلى الكارثة ، ليس حتما أن تصل هذه القلة الناجية إلى غايتها ، قد تتشابه أمامها الدروب وقد تضل الطريق وقد تشحذ وتستجديها ولا تجدها وتسير في طريق الآلام على الأشواك وقد لا تصل إلى طريقها وهو الطريق الوحيد لتحقيق إنسانية الإنسان ونبله ، طريق موحش ومقفر وشديد البرودة ، ولكن لا طريق سوا الوصول إلى الحرية والكرامة والسلام»<sup>(1)</sup>.

إذن فرؤية نجيب محفوظ تقوم على أساس ان البشر الذين يتبعون غرائزهم المادية حتما سيتردون في الهاوية في النهاية ، أما البشر الذين يسيطرون على غرائزهم ويسمون بها فهم الذين يفوزون ويصلون إلى أسمى مكانة إنسانية وهم القلة الناجية ، والنوع الأول وهم «الغالبية العظمى، ويعيشون في الجحيم ولا يحمل لهم نجيب تعاطفا.

أما النوع الثاني فهم المرشحون لجنة نجيب محفوظ ومهيئون للدخول من الباب الضيق الذي لا تدخل منه إلا القلة الناجية»<sup>(2)</sup>.

وزينب بليل تتفق رؤيتها مع نجيب محفوظ في نظرتها إلى الناس فالغني عندها

(1) الرؤية والاداء -نجيب محفوظ ، د/ عبد المحسن طه بدر ، ص 56,55 .

(2) انظر المرجع السابق ، ص 56 .

دائماً شريراً ويسلك سبيل غير مشروعة وغير سوية للوصول إلى هدفه ، أما الفقير فصورته دائماً حسنة وهو مثال للشرف والأمانة وهو الذي يحمل معاني الإنسانية .  
إن ما يريده نجيب في رواياته يتفق مع ما تريده زينب بليلى ، فنجيب يريد « مجتمع برجوازي في أفضل صورة ممكنة، نضيف إلى ذلك ضرورة العناية بالعلم ودوره في تطور الأمم، ويعد نجيب محفوظ أول من نادى بشعار العلم في مجتمعه»، وهذا يتفق مع ما تريده زينب وهو قيام مدينة فاضلة ليس فيها بؤس ولا شقاء ولا تعاسة ، كما نلاحظ دورها الملموس في تشجيع العلم والمناداة به كونه عاملاً من عوامل التقدم والازدهار.  
وتأثرت الكاتبة بالكتاب السودانيين خاصة «الطيب صالح» . فقد ذكرت تأثرها بالطيب صالح من خلال احد لقاءاتها الصحفية قائلة: «لم اكتب رواية الاختيار إلا بعد قراءتي لعرس الزين»<sup>(1)</sup>. فقد اقتبست الكاتبة كثيراً من شخصيات روايات الطيب صالح، حيث نجد تشابه بين شخصية «الحسين» في «نبات الصبار» وشخصية البطل في روايته «دومة ود حامد» ، فكلاهما غريب على المكان ذو سطوة هائلة على الآخرين، يقول الطيب صالح عن بندر شاه أنه «كان رجلاً أبيض اللون وفد على ود حامد من حيث لا يعلم احد»<sup>(2)</sup>، وربما نجد تفسير لهذا التشابه وهو «أسطورة الوافد الغريب والتي تتكرر في الأدب الشعبي السوداني أو الحكاية الشعبية خاصة»<sup>(3)</sup> .

(1) صحيفة الوسط ، السنة الثانية - العدد 365 - ص 8 .

(2) رواية دومة ود حامد ، الطيب صالح ، ص

(3) الشمعة والظلام د/ محمد المهدي بشرى ، ص 49 .



## المبحث الثاني

الاتجاه الفني في روايات الكاتبة .



لم تهتم زينب بليل بأن تتجه اتجاهها فنياً موحداً في رواياتها، وإنما كانت تختار من الاتجاهات الفنية ما يروقها فتكتب به. لذلك فمن الصعب أن نتكهن بوجود اتجاه فني واحد محدود لها، ولكننا لا نخطئ كثيراً إذا ما قلنا أنها اتخذت عدة اتجاهات فنية أثناء تطورها الفني عبر رواياتها الثلاث، وأهم الاتجاهات الفنية التي تتضح في رواياتها:

أولاً: الاتجاه الرومانسي المختلط بشيء من الواقعية.

ثانياً: الاتجاه الواقعي الطبيعي.

ثالثاً: الاتجاه الواقعي الاشتراكي.

ونلمس جانباً من الواقعية الرمزية. وبناء على ذلك تكون الواقعية قد غلبت على اتجاهها الفني، وإن تكن غير خالصة.

وقد تأثرت الكاتبة بالمحيط العام الأدبي من حولها أو بقراءاتها الخاصة. إذ أن المصادر التي ألهمت الكاتبة مبادئ الفن القصصي والروائي، هي الترجمة عن الأدب الأوربي أو قراءته في لغته الأصلية، وأيضاً الحكايات الشعبية، بالإضافة إلى الرحلات وما شاهده من المناظر الطبيعية والحضارة والبناء والعمران ثم العادات والتقاليد الأجنبية أو العربية، وقد استفادت من الرحلات كذلك بمخالطتها للأدب المصري والالتصاق به عن قرب، كما تأثرت بأسلوب الحياة بشكل عام، فكل ذلك كان له الأثر الكبير في تغذية ثقافتها وزيادة معارفها.

## أولاً : المدرسة الرومانسية :

بدأت الكاتبة حياتها الأدبية، رومانسية مرهفة الاحساس والشعور ميالة إلى العاطفة والغرائز الإنسانية. ونلمس ذلك في روايتها الأولى «الاختيار» التي تعد المرحلة الأولى لمسيرة أدبها الروائي، كما تعد البواكير الأولى قبل مرحلة النضج، مع وجود بعض السمات الواقعية. وربما تعزى هذه الرومانسية إلى نشأة الكاتبة في عصر غمرته الرومانسية، إذ «كان الأدب كله عبارة عن غلالات رومانسية متأثرة بالرومانسية في مصر عند المنفلوطي أو المازني أو عبدالرحمن شكري، أو ما نقل من الآداب الغربية التي دارت في الفلك نفسه، بالإضافة إلى الأوضاع السياسية والاجتماعية التي كانت تسود البلاد من حزن وكآبة وسخط وتشاؤم»<sup>(1)</sup>. وربما الكاتبة نفسها تحمل في اعماقها بذور الرومانسية لنشأتها في بيئة طبيعة وجو أسري مفعم بالحياة والحب والتفاهم والرومانسية فنمت وازدهرت فيها.

## الملاحع الرومانسية في روايات الكاتبة :

1- الذاتية : اعتمدت الكاتبة في رواياتها خاصة الأولى على سيرتها الذاتية وخبرتها في الحياة التي صورتها من خلال الشخصيات التي كانت قريبة الشبه منها ومن الذين عاشوا

(1) انظر دراسات في القصة العربية الحديثة ، د/محمد زغلول سلام ، ص 225 .

حولها من الأسرة أو القرية»<sup>(1)</sup>، فهي ترى نفسها من خلال شخصياتها، مثل شخصية «آسيا» في «الاختيار» و«مريم» و«ياسمين» في «كش ملك» و«خديجة» في «نبات الصبار»، وهذه الشخصيات جميعها هناك وجه شبه بينها وبين الكاتبة، يلاحظ من خلال كتاباتها ولقاءاتها، فهي تخبر على لسان الشخصية كل ما رأته وعاشته خاصة شخصية «آسيا» في «الاختيار»، فمثلاً عندما تنتقل «آسيا» في رحلتها من القرية إلى المدرسة، لا تهتم الكاتبة بتصوير الحدث لذاته أو الشخصية وإنما اهتمامها انصب على تصوير واقع اجتماعي معين، عايشته الكاتبة من خلال حياتها وأرادت نقله. ولا عجب من ذلك، فرواية «الاختيار» تعالج وقائع الحياة التي تمس حياة الكاتبة الإنسانية، لذلك تحي شخصيات روايتها بقوة نفسها، وعليه نقول «مهما كانت الرواية موضوعية، فإنها تخفي دائماً معاناة الكاتبة، وهناك صراع بين الكاتبة والرواية لتخفي نفسها، ولكن بالرغم من ذلك، فإن هذا الصراع الشخصي مستحسن لأنه سبب نجاح عبقرية الرواية»<sup>(2)</sup>. والاقتراب من الترجمة الذاتية ينشأ دائماً نتيجة «لضعف الخبرة في مجتمع محافظ تبدو فيه العلاقات الاجتماعية مقننة فلا تسمح باكتساب خبرة واسعة في مجال العلاقات التي تعد المادة الخام لفن الرواية، ولكن يجب أن لا يفهم مصطلح الترجمة الذاتية أن يلجأ الكاتب إلى تاريخ حياته ويفسرها ويحللها عبر مراحلها المختلفة، أو يهتم بتجاربه الشخصية كونها تجارب ذاتية مفردة، وإنما نعني استفادة الكاتب من مراحل حياته وتجاربه الخاصة»<sup>(3)</sup>.

فالكاتبة انتهجت أسلوب الترجمة الذاتية -ليس بالمعنى الاصطلاحي الدقيق- في رواياتها بما وظفته من تجارب حيوية اثرت فيها، فوقفت عند بعض الأحداث وقفات تحليلية تفسيرية، وأرادت توثيق بعضها ووصف الأماكن التي عاشت فيها. وتقول الكاتبة عن رواية «الاختيار»: «أسقطت فيها جزءاً من ذاتي عليها وما اسمعه واره من صور وأحداث بشكل جزئي من ذاكرتي الكتابية بشكل تراكمي وذلك منذ فترات طويلة مضت»<sup>(4)</sup>.

2- الاهتمام بالجانب النفسي للشخصيات، إذ «يعمد الروائي إلى التعمق في أغوار النفس ليستطيع التعرف على الصورة الأخرى لشخصية الإنسان، ويعرضها بكل جوانبها الظاهرة والباطنة فمنذ حركة الرومانتيكين ظهرت أهمية الشخصية أو البطل في القصص وغلبت غيرها من العناصر، فالرومانتيكية اهتمت بالفرد لا المجتمع اهتماماً كبيراً وسلطت الأضواء على

(1) انظر المبحث الاول من الباب الاول في هذا الكتاب.

(2) اثر الرواية الواقعية الغربية في الرواية العربية. د/ محبة حاج معتوق، ص 116.

(3) فن الرواية في الأدب السعودي د: محمد صالح الشنطي، ص 37.

(4) صحيفة الوسط، العدد 365 - ص 8.

الذات الإنسانية والنفوس . وتنطوي قصص الرومانتيكية على النظر للفرد باعتباره غير منطوق على الشر ، فالشروع يغرسها المجتمع نفسه»<sup>(1)</sup>. وزينب تعمقت في أغوار النفس وحللتها خاصة شخصية الملك في «كش ملك» ، وشخصية «آسيا» في «الاختيار» وشخصية «خديجة» في «نبات الصبار» ، وذلك عبر استخدامها لتقنيات قصصية معينة ، مثل استخدام الطريقة المباشرة في السرد، كما اعتمدت على ضمير الغائب ، وكل هذا من سمات الرومانسية. ونجد كذلك ملامح رومانسية في شخصية البطل عند الكاتبة، حيث ظهر «البطل الرومانتيكي المثالي في أخلاقه وتعامله وشكله، ونظرته المثالية الحاملة وذاتية الطاغية وعواطفه الفياضة»<sup>(2)</sup>، ونجد ملامح هذا البطل متمثلة في اغلب شخصيات أبطالها خاصة «الحسين» في «نبات الصبار»، ومن خصائص أبطال الرومانسية كذلك «مشاعرهم الحزينة، وهيامهم بالطبيعة وهروبهم من الواقع، وإحساسهم بالغربة وحنينهم لمجتمعاتهم، وضجرهم من الحياة ، وتوقهم إلى عالم تسوده الحرية والمحبة»<sup>(3)</sup>. وهذا ما كان يبحث عنه «الحسين» في «نبات الصبار» .

3- عدم تبرير الأحداث أحيانا، والتهويل في الرسم والتصوير وتتابع الفواجع، والمبالغة في الخيال ، الذي اعتمدت عليه الكاتبة عنصرا رئيسيا في كتابة «نبات الصبار» خاصة في رباية «الحسين» وما تفعل من معجزات، بالإضافة إلى خيالها الواسع في رسم مشاهد الجن وصوره. 4\_ اعتماد الرومانسيين على المصادفة والقدر والمفاجآت ، واتخاذها وسيلة لتجميع الأحداث والوصول بها إلى نهايتها ، والاعتماد على الاسلوب الجامح المحشو بالمبالغات، مما قد يجعل القارئ يندمج عاطفيا مع الكاتب»<sup>(4)</sup>. وهذا ما لجأت إليه زينب حيث بنت كثيرا من أحداثها على المصادفات والقدر والمفاجأة.

5\_ وصف ظواهر الطبيعة والحياة العامة من عادات وتقاليد اجتماعية وثقافية واقتصادية وسياسية وما يحيط بها من خرافات وأساطير ، وهذا ما نجده متمثلا في روايات الكاتبة .

6\_ الرغبة في الإصلاح والنزوع إلى الخير، وهذه من ابرز وجوه الرومانسية في روايات زينب خاصة الأولى منها. فالكاتبة تنادي بالتغيير والإصلاح ، وتدعو إلى الخير وتحض عليه . 7- تناول قضايا الحب والمرأة، فقد تناولت الكاتبة في رواياتها مشاكل الحب بين

(1) دراسات في القصة العربية الحديثة د: محمد زغلول سلام ، ص 15 .

(2) البطل في الرواية السعودية د/ حسن حجاب الحازمي ص 66

(3) البطل في الرواية السعودية د/ حسن حجاب الحازمي ص 66

(4) المرجع نفسه الصفحة نفسها .

الجنسين وما ينتج عنه من مواقف درامية حزينة أو مبهجة سارة، ويظهر تأثرها بالروايات المصرية والأجنبية في مواقف الإبطال وسير الأحداث «لأن الظروف الاجتماعية التي كتبت فيها الروايات خاصة «الاختيار» كانت لا تسمح بالحب بل تعتبره جريمة، وأن المرأة عورة يجب مداراتها والمحافظة الشديدة عليها وذلك بالرغم مما أصاب المجتمع من تقدم حضاري وما ناله أبناءه من تعليم حتى المرحلة الجامعية، إلا أن الخوف الاجتماعي مازال قائماً»<sup>(1)</sup>. ونجد التأثير المحافظ يؤثر على معظم روايات تلك الفترة التي كُتبت فيها «الاختيار». ولكن بالرغم من التحفظ إلا أن الكاتبة لم تظهر المحافظة الشديدة، ولم تخف من النقد الاجتماعي فصورت العلاقة بين «آسيا» و«علي» رومانسية حاملة لا ظل فيها للواقع. وتظهر سمات الرومانسية واضحة من خلال قصة هذا الحب بين الحبيبين حيث تجاوزت العلاقة بينهما المألوف العادي إلى المثالي المقدس، فظل الحبيبان وفيين لجهما رغم السنين والعقبات التي واجهتهما، «فهذه الدقة في وصف الحب والقداسة في الحديث عن المحبوب بدرجة يصبح الحب فوق القيم ويرتفع إلى درجة عليا، فتصبح المحبوبة مثلاً لكل ما ينشده المحبوب ورمزاً لكل ما يبحث عنه، بالإضافة إلى تلك العاطفة المضمرة الأفلاطونية وذلك الحب الهائم كل هذه سمات رومانسية واضحة»<sup>(2)</sup>. أضف إلى ذلك قيام العقبات أو الحواجز في طريق هذا الحب، على رأسها الفارق في الوضع الاجتماعي، «فآسيا» كانت فقيرة من طبقة دنيا، بينما كان «علي» غني جداً من طبقة ارسقراطية، ففشل الزواج بينهما، مما أدى لوقوع البطلة «في سلسلة من الأزمات النفسية، ودروب من المعاناة يغلب عليها الطابع الرومانسي، على مثال معاناة بطلات وأبطال بعض قصص الرومانسيين الأوروبيين خاصة الفرنسيين»<sup>(3)</sup>.

وتصوغ الكاتبة أفكارها في الرواية نظرات الرومانسيين ومواقفهم من الحياة والناس متمثلاً في هذا البؤس الحزين والنهاية الحزينة للبطلة «آسيا»، التي قررت اختيار الانتحار نهاية لأحزانها وحيرتها بعد وقوعها في الإثم مع حبيبها وخيانة زوجها، وتتضح هنا رؤية الكاتبة والهدف الاجتماعي الذي ترمي إليه ففيه العبرة الأخلاقية، وهو سوء عاقبة الخطيئة، وهو الانتحار الذي اختارته البطلة لتظهر نفسها مما قامت به من سوء.

## ثانياً: المدرسة الواقعية :

«الفن ليس وسيلة من وسائل المعرفة فحسب، بل عمل خلاق يساعد على فهم

(1) الرواية السودانية الحديثة / د/ بابكر الأمين الدرديري ص 133

(2) انظر دراسات في القصة العربية الحديثة / د/ محمد زغلول سلام ص 121، 122.

(3) المرجع السابق - ص 121

الواقع من أجل المساهمة في تصويره وإعادة بنائه من جديد»<sup>(1)</sup>. وقد اختلفت الآراء حول كيفية تمثيل هذا الواقع ومعنى الواقعية، فمنهم من رأى أنها لا تعني النقل الحرفي للواقع، ومنهم من رأى غير ذلك .

فالسعافين قد نفي «ما يمكن أن نسميه بالواقعية الحرفية أو الفوتوغرافية التي ترى الصدق الفني ونقل ما تقع عليه العين، أو نقل ما يزعم الفنان بأنه حدث فعلاً»<sup>(2)</sup>. أما محمد مندور فيرى أن «الواقعية تسعى إلى تصوير الواقع وكشف أسرارها وإظهار خفاياها وتفسيره، أي أن الواقعية ليست هي النقل الحرفي لحقائق الأشياء بحجة تحري الصدق»<sup>(3)</sup>. واختلف مفهوم الواقعية عند يحيى حقي عنه عند الناقلين السابقين فهو يرى أنها تسجيل حرفي للواقع اذ يقول «الواقعية تمثل البشر كما هم بنقائضهم ومعاييهم ومخازيهم، ولتحقيق هذا التمثيل يجب أن لا يتخيل الكاتب الاحداث بل يذهب إلى الشارع ويختلط بالناس ويتجول في الطرق داخل المجتمعات»<sup>(4)</sup>. وهذا المفهوم فيه قصور حيث يصور الواقع تصوير تسجيلي دون تغلغل الكاتب فيه من خلال تجاربه وحركة الواقع وتطوره .

وعلى كل حال فإن الكاتب الواقعي بالضرورة عليه أن «يحقق التوازن بين محاولاته تصوير الواقع وبين احساسه به أو فكرته عنه ، فليس معنى تصوير الروائي للواقع أنه لا يخضع هذا الواقع للتصميم والاختيار، وينبع تصميمه واختياره من أنه لا يقف من الواقع موقفاً حيادياً ولكنه يستغله لإبراز احساسه الخاص.

وتظهر براعة الفنان في قدرته على اقناع القارئ بأنه يقدم له واقع الحياة، وذلك بما يبدو عليه من تلقائية في اختيار أحداثه، بحيث لا يبدو عليه التعسف في اختياره، في نفس الوقت الذي ينبغي له فيه ألا يستسلم لهذه التلقائية حتى يحتفظ لروايته بتصميمها وبالرابطة التي تربط بين أجزاءها»<sup>(5)</sup>.

## الملاحع الواقعية في روايات الكاتبة :

اختيار الشخصيات من البيئة المحلية السودانية، فالرواية الواقعية كُتابها لا يلجأون إلى الشخصيات الشاذة والغريبة أو المتأزمه بل يختارون شخصيات عادية تظهر فيها حركة المجتمع وطبيعة البيئة الحضارية المتغيرة . وهي شخصيات تتفق مع المزاج العام للبيئة

(1) صورة المرأة في الرواية المعاصرة ، د/طه وادي ، ص 189 .

(2) تحولات السرد- دراسات في الرواية العربية ، د/ ابراهيم السعافين ، ص 349 .

(3) الأدب ومذاهبه ، محمد مندور ، دار النهضة مصر للطبع والنشر، الفجالة القاهرة، بدون تاريخ ، ص 93 .

(4) الاتجاه الواقعي في الرواية العربية الحديثة في مصر، د/ حلمي بدير ، ص 78 .

(5) تحولات السرد - دراسات في الرواية العربية ، د/ ابراهيم السعافين ، ص 351 .

الحضارية»<sup>(1)</sup>. ولا شك أن زينب بلليل بما أنها كاتبة واقعية كانت تدرك علاقة الفرد بمجتمعه إدراكاً واعياً. بحيث بدت شخصياتها في سلوكها معبرة عن بيئتها منتمية لها، لا تشكل تنافراً من أي نوع، فأغلب نماذج شخصياتها واقعية استقتها من المجتمع سواء في القرية أو المدينة ، مثل «حمدان» و«آسيا» و«محبوب» و«علي» وغيرهم في «الاختيار»، و«سعاد» و«الملك» و«البحر» و«مريم» وآخرين في «كش ملك» ، و«خديجة» و«احمد» و«سوسن» و«خالد» وغيرهم في «نبات الصبار». وقد جاءت شخصياتها متنوعة تحمل سمات المجتمع السوداني بكل تناقضاته وقطاعاته المختلفة، وهذا التنوع في الشخصيات «يتطلب خبرة متفاعلة بالمجتمع مدققة في مجال التجارب البشرية. معتمدة على ملاحظة كل فرد في حالته الخاصة على حده. وهذه الخبرة والتدقيق عكست نماذج معينة من الواقع، وهي النماذج الفقيرة الكادحة البائسة ، ذات مواقف من المجتمع ومواقفها غير سلبية ، ناظرة من وضع لا ترضاه، باحثة عن طريق جديد تحقق من خلاله آمالها وأمانها وأشواقها إلى السعادة في المساواة والحق»<sup>(2)</sup>. وهذه الشخصيات الكادحة ايجابية تساهم في حل مشاكل الناس، واغلبها متمسكة بالمبادئ والقيم القديمة .

2- المراقبة والوصف، تركز الرواية الواقعية على المراقبة والوصف اللذين يشكلان عنصرين اساسيين في مفهوم الرواية. والوصف مهم سواء أ كان وصفا للشخصية أو المكان، حيث «يهتم الكاتب بوصف المظهر الخارجي للشخصية ويركز أحيانا على جمال الشخصية، لأن هذا الجمال يمثل دوراً مهماً في حياتها، فهو يجلب السعادة أحيانا وأحياناً يؤدي إلى تهلكتها، ويصف القبح لأنه يؤدي إلى تطور بعض الحوادث بطريقة غير مباشرة أي يغير معالم الشخصية الموصوفة»<sup>(3)</sup>، كما حدث بالنسبة لشخصية «خديجة» في «نبات الصبار» فقد لعب جمالها دوراً كبيراً في تخطيط مسار حياتها، وكذلك شخصية «سيدة» في «كش ملك» حيث ادى جمالها إلى تدمير حياتها. ويهتم الروائي الواقعي بوصف الشخصية الخارجي كذلك، «ليجعلنا نتخيل الشخصية أمامنا نراقب تحركاتها وتطورها، فيقربنا بذلك من الواقع ويوهمنا به. ولا يهمل الكاتب وصف الحياة الداخلية لهذه الشخصية لأنها تظهر نفسيتها»<sup>(4)</sup>. فقد تعرضت زينب إلى الحالات النفسية للشخصيات الرئيسة في كل رواياتها ، مثل «الملك» و«آسيا» و«خديجة»، فصورت الوعي الإنساني وعمقته من خلال الطرق النفسية.

(1) الاتجاه الواقعي في الرواية العربية الحديثة في مصر د/ حلمي بدير ص 86

(2) الاتجاه الواقعي في الرواية العربية الحديثة في مصر ، د/ حلمي بدير ، ص 14..

(3) المرجع السابق ، ص 93 .

(4) اثر الرواية الغربية في الرواية العربية ، د/ محبة حاج معتوق ، ص 23 .

بدأت الكاتبة دقيقة المراقبة، شديدة الملاحظة في وصف خارج المكان وداخله، كما فعلت في روايتها «نبات الصبار» حيث عمدت إلى وصف «شارع النار» وصفاً دقيقاً، لتكشف عن المستوى الاجتماعي للشخصيات التي تسكنه، وكذلك عن اهتماماتها ودرجة ثقافتها، ويتجلى هذا في ص 13-23. وفي «الاختيار» وصفت القرية ومجتمعها البسيط وصفاً تسجيلياً، ولكي يكتمل وصف القرية لجأت الكاتبة إلى وصف الاصوات والروائح التي تمنح الرواية واقعية ملموسة وتقرب الشيء الموصوف من القارئ فيتحمسه ويشعر به، فوصفت الدخان والزار ومشاهد الولادة، وجميع اللوحات الشعبية في القرية. وأدت المراقبة الدقيقة للمرئيات إلى إيضاح الواقع وإعطاء صورة حقيقية عن المجتمع. وقد تكون الكاتبة تأثرت في هذا النطاق بـ«فلوبير» تراقب ادق التفاصيل في المكان وتصفه.

3- تركز الرواية الواقعية على تصوير عادات المجتمع وتقاليد، وقد استمدت الكاتبة موضوع روايتها الأولى «الاختيار» من الواقع الذي عايشته في قريتها، وحيث صورت حياة الريفيين وعاداتهم وتقاليدهم وحياتهم اليومية وأحزانهم وأفراحهم وسلوكهم اليومي وأفكارهم ومعتقداتهم. مما يؤكد صلتها القوية بهم، فكثير من الأحداث تدل على معرفة الكاتبة الجيدة بالقرية وحيات أهلها، بل يكاد القارئ يشك أن هذه القرية هي مسقط رأس الكاتبة «سنجة» كما وصفتها في كثير من لقاءاتها في الصحف والبرامج الإذاعية وهذه جميعها مظاهر واقعية تدل على واقعية هذه الرواية. أما في تصوير العادات والتقاليد، فقد نهجت زينب بليل نهج «بلزاك» فدرست تقاليد القرية وعاداتها بكل جوانبها درساً مفصلاً بحيث أعطت صورة واقعية كاملة عنها.

4- من مرتكزات الواقعية استخدام الطريقة غير المباشرة في السرد، واستخدام ضمير المتكلم مع أهمل البطل وتوزيع دوره وتقسيمه على الشخصيات الأخرى «فعند قراءة أعمال فلوبير وبلزاك ومويسان تشعر أن هنالك بطلاً ما، بطلاً ذاتياً حراً، ولكن هذا البطل ليس في العمل نفسه بل هو وراءه على نحو ما. أنه مزيج من الكاتب ومن النموذج الذي يصوره»<sup>(1)</sup>. وهذا ما انتهجته زينب بليل في جميع رواياتها حيث لم تعتمد على بطل واحد مطلق بل وزعت البطولة على شخصيات عديدة.

5\_ النزعة الإنسانية المحلية والإقليمية، حيث ارتضت الكاتبة الواقعية أسلوباً واتجاهاً، لذلك فقد اختارت قطاعات إنسانية من الحياة، وما فيها من خيوط معقدة ومتشابكة وهي الشرائح الفقيرة في المجتمع المهضومة الحقوق، وحاولت تحليلها وفكها لذلك اضطرت لهذا الكم من التفاصيل ومثلتها واقعياً، بالإضافة إلى معالجة مشاكلها بطريقة التصوير

(1) البطل في الآداب والأساطير د/ شكري عباد ص 159، عن كتاب الاتجاه الواقعي في الرواية العربية في مصر، د/ حلمي بدير، ص 142.

والتسجيل والسرد وتقديم التفاصيل الدقيقة، حتى توضح مفهومها وحكمها العام على المجتمع والناس. والكاتبة في تركيزها على هذه الشريحة كأنما تؤرخ لها اجتماعيا في القرن الماضي. ولكن رغم نجاح زينب في تصوير الحياة الاجتماعية لهذه الطبقة ومحاولة حل مشاكلها خاصة في روايتها «نبات الصبار» إلا أنها أدخلت الخيال والحلول غير المنطقية مما ضر بواقعيته التي اعتمدت فيها على الأحداث الخارقة التي قام بها «الحسين».

6\_ تعرضت الكاتبة لمشكلات عديدة مثل الفقر والتخلف ونظام الحكم والسياسة. حيث اهتمت في «الاختيار» ببعض القضايا السياسية ومشكلاتها وبرزت رأي بعض الشخصيات في قضايا السياسة والفكر الأيدلوجي. مما أدى إلى إثراء الرواية فكرياً وفنياً، «وهذا التصوير لبعض قضايا السياسية احد الزوايا «الجديدة» التي تجذب الانتباه في الرواية الواقعية»<sup>(1)</sup>. صورت الكاتبة كذلك الصراع الطبقي الحاد بكل إفرازاته ضعفا وقوة، وكذلك الهجرة ومشاكل الاغتراب والأحلام الفردية المستحيلة فصورت الواقع الاجتماعي تصويرا دقيقا من خلال رواياتها الثلاث.

7\_ الواقعيون يتجهون إلى سرد قصصهم على غرار الحياة الإنسانية الطبيعية، «ولذا يتجنبون العنف في اثاره العواطف والإغراب في وصف المشاهد وسرد المواقف ما استطاعوا إلى ذلك سبيلا، كما يحرصون على كبت العواطف المتأججة . بعكس الكاتب الرومانسي ... في سبيل اخر ، ... على جانبية الاشواك أو الورود ويورد المفاجآت المستغربة ، ويصف حالات عجيبة من التأجج والهيجان»<sup>(2)</sup>.

## 1 - مدرسة الواقعية النقدية :

حفلت الواقعية النقدية، بإظهار الجوانب السلبية من المجتمع والتذكير على صورته السيئة دون الخبرة، ولم تزعم هذه الواقعية أنها تهدف للإصلاح، بل زعمت أنها تصور وتعكس الجوانب السلبية في حركة المجتمع، وتركز عليه الاضواء وتلفت اليه النظر»<sup>(3)</sup>. وإذا كانت الواقعية النقدية تحمل نقد المجتمع وإظهار مساوئه فإن هذا الواقع لا يمثل في الأشياء والأماكن منفصلة عن الإنسان... بل هي صورة من حيث علاقتها بالأفراد.. وعلى هذا النوع من الروايات منتقاة لتخدم فكرة الكاتب»<sup>(4)</sup>.

(1) صورة المرأة في الرواية المعاصرة ، د/ طه وادي ، ص 255 .

(2) فن القصة /د محمد يوسف نجم ، ص 44

(3) الاتجاه الواقعي في الرواية العربية الحديثة في مصر ، د/ حلمي بدير ، ص 149 .

(4) قضايا الفن القصصي /د يوسف نوفل ص171- عن الاتجاه الواقعي في الرواية العربية الحديثة في مصر ، د/ حلمي بدير ، ص 14..

وكتاب الواقعية النقدية يتميزون بالنزعة الإنسانية الشاملة، لذلك فهم يقومون بنقد كل ما يمس هذا الإنسان وقضاياها. وقد نقدت الكاتبة كثيراً من قضايا المجتمع والناس، وقدمت تقريرا اجتماعياً كاملاً عن أحوال المجتمع السوداني في فترة من فتراته التاريخية، لذلك نجد ملامح للواقعية النقدية في رواياتها، وأهم ما يميز اتجاه الواقعية النقدية لدى الكاتبة أنها ترفض الكثير من واقع الحياة الاجتماعية والسياسية، وترفض ازدواجية الفكر بين اليمين واليسار، وترفض الانتهازية والوصولية والنفاق، وهي ترفض الواقع المعاش وتحلم بإمكانية تحقيق الأفضل، وينبع التغيير والرفض للواقع عن إدراك واع بكافة أبعاد المجتمع وقضاياها، ومن ملامح الواقعية النقدية :

1\_ تقديم نماذج بشرية وأنماط متكررة معاشه غير شاذة أو غريبة، مثل النماذج التي نجدها في رواياتها خاصة «نبات الصبار» حيث قدمت نماذج مختلفة لجميع طبقات المجتمع.

وتطرح الكاتبة ملامح إيجابية في المجتمع، فنجد لمحة من الحياة الاسرية في كل رواياتها، ففي «الاختيار» في أسرة حمدان، وفي «كش ملك» في أسرة الملك وفي «نبات الصبار» في أسرة خديجة، فيتكرر عند الكاتبة نموذج الأب والأم والإخوان، فتكون انطباع عن ملامح الأسرة السودانية في كل مكان، وتصف التقاليد التي تحكم الأسرة والعلاقة بين الأبناء والأبناء وتقدم الكاتبة نموذج الأب الذي حاولت التركيز عليه في «الاختيار»، ونموذج للأم الساذجة الطيبة الحنونة التي لا هم لها إلا رعاية بيتها وزوجها وأولادها، هذا بالإضافة إلى تقاليد الأسرة في المواسم والأعياد.

وتبدع الكاتبة في تسجيل عادات الأسرة الارستقراطية وتبين الحدود التي كانت لشخصية الأب والأم والأبناء وكيف كان يمارس كل منهم حياته ويحقق وجوده، مثل أسرة «خالد» في «نبات الصبار» وأسرة اخوان «الملك» في «كش ملك».

3- تعكس رواية «الاختيار» الروابط الاجتماعية التي تربط مجتمع القرية، ونجد العلاقة بين افراده قوية والمعاملة بينهم طبيعية لا تكلف فيها ولا رياء، وعناصر الطيبة والوفاء والصدق كلها متوفرة بالرغم مما يقاسونه من فقر وقسوة ومن أهمال السلطات لهم وقصور الخدمات الضرورية عنهم، وتصور كذلك الرواية القناعة والصبر اللذان يتحلا بهما إنسان القرية في مكابدة الظروف المعيشية الصعبة والحياة الاجتماعية القاسية. ويحاول التغلب على كل هذه الظروف ويوفر اسباب الحياة الكريمة والسعادة لأبنائه من بعده كما فعل «حمدان».

4- نجد لمحة أيضا من عدد من القضايا الاجتماعية في رواياتها، مثل «الاختيار» فنجد

زواج المسرة ووالدها ورغم أنه لمحة غير متعمدة إلا أنها تعطي نظرة نقدية للفارق بين الزوجين لجيلين مختلفين وثقافتين. ونجد أيضا حديثا عن الطلاق ، وحديثا عن كثير من العادات والتقاليد التي تمارس داخل مجتمع القرية، وخارج نطاق الأسرة نجد شخصيات متباينة فنجد الوطني مثل «حسين» ، والرأسمالي مثل «محبوب»، والمستقل مثل «مصطفى». 5\_ كان للدين عن طريق الطائفية والطرق الصوفية سطوته البالغة على المجتمع السوداني، ولا يزال كذلك في كثير من بقاع السودان. «ولكن الثقافة والعلم وكفاح الشباب الواعي زعزع هذه السطوة ، فخفضت قبضة الطائفية على مجتمع المدينة بما يحوي من المثقفين والعمال بفضل الوعي وانتشاره ، وظل محصورا غالبا في القرى»<sup>(1)</sup>. وقد ناقشت الكاتبة مسألة الطائفية في رواياتها .

6\_ تبنت زينب بليل في رواياتها قضايا المرأة وتعليمها وحريتها ، حيث اهتمت بقضية حرية المرأة ، وأولتها القدر الكافي من الاهتمام في رواياتها ، كما تحدثت عن دورها السليبي في المجتمع ، بسبب سيطرة الرجل وهيمنته على مجريات الحياة وعدم اتاحته الفرصة للمرأة للمشاركة في الحياة العامة لتحقيق الذات وبناء الدولة والمجتمع. وترى الكاتبة أن المجتمع يسمح للمرأة بالتعليم والثقافة ، ولكن لا يسمح لها بتجربة الممارسة في الحياة العامة وذلك لأن نفسية الرجل الشرقي طبعت على أن ترى المرأة على هيئة معينة ، هي الهيئة الأنثوية ، بما فيها من ليونة وطاعة ، وتعلق بالزوج وخدمة منزله وتربية أولاده ، وخلافة الرجل أثناء غيبته عن المنزل . وقد ناقشت مشكلة المرأة وقضاياها ضمن المشكلات التي أفرزها الوضع الاجتماعي والاقتصادي، ولكن من منظور اجتماعي متقدم ، فقد ركزت مثلا على الشريحة التي تنتمي إليها البطلة «خديجة» في «نبات الصبار» وهي شريحة الأطباء، وصورت محيطها الذي نشأت فيه وأمط السلوك الذي مارسته هذه الفئة، كما حاولت الكاتبة أن ترصد أحلام البطلة التي تعبر عن القلق الشائع لدى الفئة التي تمثلها من الأطباء الصاعدين وطموحاتهم ورغباتهم للقفز فوق ظروفهم .

## 2 - مدرسة الواقعية الاشتراكية :

لقد نادت الواقعية الاشتراكية بضرورة تصوير الواقع لا كما يبدو في الظاهر، ولكن كما يبدو في حركته المتفاعلة بحركة التطور وحركة التاريخ ، ومعنى اخر نادت بالا تكون مهمة الكاتب بأن يصور الجوانب السلبية في المجتمع، ولكن الجوانب الايجابية التي تهيئ الفرصه لنظرية «الانعكاس» أن تؤدي دورها في تصوير الواقع الجديد «للعامل»

(1) دراسات في القصة العربية الحديثة د/ محمد زغلول سلام ص 40..

وللطبقة البلوتارية على السواء»<sup>(1)</sup>. والواقعية الاشتراكية مذهباً فنياً لا نجد تأثيراً به قد حدث على صعيد العمل الروائي في السودان. ذلك لأن المتتبع لمضمون الرواية السودانية منذ نشوؤها إلى الآن، يلحظ أنها قد حفلت في بعضها بمشاكل الإنسان السوداني سواء في القرية أو في المدينة، والمشاكل التي عرضتها الرواية السودانية كانت في بعضها تمثل صراعه مع واقعه أو واقع المجتمع. ولكن رغم ذلك لا نستطيع أن نزعم أنها استطاعت أن تعكس الواقع السوداني بصورة كاملة، لأن معظم الروايات عكست الذاتية النابعة من خيال المؤلفين. وروايات زينب بليل رغم أنها عكست حركة المجتمع وواقعه، إلا أن هذا لا يمنع أن نصفها كذلك بالذاتية في بعض جوانبها. وإذا أردنا أن نصنف رواياتها خاصة «الاختيار» ضمن مذهب الواقعية الاشتراكية، فإننا لا نستطيع ذلك لأن الفكر الاشتراكي في الأدب السوداني لم ينضج بعد في تلك الفترة. ولكن يمكن أن نجد ملامح منها يبدو أنها تأثرت به من كتاب الغرب أمثال تولستوي وجوركي وتشيكوفي الذين قدموا نماذج فريدة «للأدب الاشتراكي الذي صور كفاح العمال ضد سيطرة رأس المال الحاكم، وتطلعهم إلى مستقبل أفضل وكفاحهم من أجل تحسين المستوى المعيشي للطبقة التي تضطلع بالعبء الأكبر في تقدم ورفاهية المجتمع»<sup>(2)</sup>. ولا جدال في أن زينب بليل تأثرت بالفكر الاشتراكية في بعض كتاباتها، من كتاب الغرب من الاشتراكيين وكذلك الواقعيين أمثال تولستوي وزولا الذين تناولوا واقع المجتمع الإنساني وتشابكاته الطبقيّة وعلاقات الافراد داخله، فتبين من خلال رواياتها الفساد الاجتماعي والسياسي الذي حاق بالسودان خلال فترة من تاريخه كما تناولت الصراع الدائر من أجل حق الحياة الكريمة خاصة في «الاختيار» و«نبات الصبار». والواقعية الاشتراكية في بعض جوانبها تتخذ الفلاحين المعدمين موضوعاً لرواياتها، وتحتل البطولة الجماعية لا الفردية المساحة الكبرى من الاعمال، كما تصور البيئة الشعبية في بعض الاحياء الشعبية بالمدينة بكل ما يصطرع فيها داخل بناء روائي. و«كتاب الواقعية الاشتراكية واعين لظروف مجتمعهم مدركين للقوى المتصارعة فيه، مستشرقين للمستقبل الامثل»<sup>(3)</sup>. وتتمثل الواقعية الاشتراكية عند زينب في انتخاب شخوصها من المطحونين والمهمشين والمزارعين. ومضامين رواياتها يصور بؤس حياة هذه الفئة ومعاناتها في سبيل لقمة العيش، وفي «الاختيار» تلاحق المزارعين في بؤسهم وشقائهم ونضالهم ضد المالك، وتقرن بؤسهم وشقاءهم بدفعهم إلى الحركة والعمل على رفع الظلم عنهم. ففي الرواية تتعدى الكاتبة الواقع وتجسد نوازع التمرد والثورة

(1) الاتجاه الواقعي في الرواية العربية الحديثة في مصر، د/ حلمي بدير ص 234

(2) المرجع السابق، الصفحة نفسها.

(3) بانوراما الرواية العربية الحديثة - د / سيد حامد النساج - مكتبة غريب- القاهرة- ط2 بدون تاريخ - ص 219.

لدى المزارعين المهديين في امنهم وحريرتهم وكرامتهم. ومن خلال هذا المضمون نجد الرواية تبين الصراع القائم بين الاقطاع والمزارعين، وهو الصراع الذي احتدم طويلا في الروايات السودانية والعربية، فصورت الكاتبة ذلك الصراع لتعبر عن الظلم الاجتماعي الذي تعرض له المزارع السوداني. وعليه فيمكن أن نضع رواية «الاختيار» ضمن هذا الأدب الاشتراكي، إذ تعرضت لظلم المزارع وصراعه مع صاحب المال وكفاحهم من أجل حياة أفضل مثل حمدان وأولاده وصراعهم مع المالك السيد محبوب، وقد اتخذ المزارعين «حسين» محامي يدافع عن حقوقهم ويرسم لهم الطريق . وإذا اردنا أن نلخص الاحداث أو نكشف عن المضمون الفني للرواية لنبين ادراجها ضمن الأدب الاشتراكي، فنجدها تدور حول اسر فقيرة- اسرة حمدان- في قرية تكافح من أجل حياة أفضل وتمثل الاسرة القرية بأكملها وتصارعها مع الملاك، ويكبر الابناء ويشد الصراع بين المزارع وملاك الاراضي ، ولكن الكاتبة تدخل بعض الاحداث الاخرى وتنحى بالرواية نحو منحا اخر، يختص بالجانب الرومانسي، فتدخل الصراع الطبقي داخل هذا الاطار الرومانسي، وتدخل بعض الاحداث الجانبية والتطورات التي قد تبدو ثانوية ، فنجد أنفسنا أمام نقتطين أساسيتين هما محور الرواية الأول وهو النظام الاقطاعي ومساوئه والثاني هو الصراع الطبقي، وقد تخللتها أحداث استعرضت فيها الكاتبة ثقافتها عن القرية وعاداتها وتقاليدها ثم تناولت الفساد الاجتماعي. ونماذج الكاتبة من المزارعين يدل على وعيها لثقافتهم، بمقاييس الثقافة الواسعة، والتي تكشف عن حكاياتهم وامثالهم واغنياتهم واساطيرهم وعاداتهم وتقاليدهم وطريقة تفكيرهم في زمن يعد الامام بأساليب الغرب حضارة. والكاتبة تناولت جزءاً من الرواية بهذا الفكر، وحاولت أن تنتصر للمزارعين بالمفاهيم الاشتراكية ولكنها وقفت عند حدود التعبير عن الظلم الاجتماعي الذي تعرض له المزارع في ذلك الوقت من تاريخ السودان. ولكن تظل نقطة مهمة تحتاج لتوضيح هي معالجتها للموضوع من جانب روماني، وإيجاد الحلول بطريقة مغرقة في الرومانسية، مثال تذبذب زواج «بدرية» من «حسين» والذي يمثل بعدا رمزيا لفشل الدعوة الاشتراكية والاخذ بها في فترة من تاريخ السودان. وعلى هذا لا نستطيع أن نزعم أن زينب بليل تناولت «الاختيار» من منظور اشتراكي ، بل حاولت الانتصار لقضايا المزارعين وتناولت بعض الشخصيات التي لها ميول اشتراكي وتنادي بمبادئ وتحكم بها. ونلاحظ تعاطف الكاتبة مع شخصياتها الاشتراكية مثل «بدرية»- كما ذكرنا ذلك سابقا- وتعاطفها مع هذه الشخصيات يبدو واضحا في اضاء مزيج من الاحترام والجدية عليها، وبالرغم من أن الكاتبة تتعاطف مع هذا التيار الفكري عن طريق تعاطفها مع شخصياتها، الا أنها لا تترك لها فرصة النمو والتطور أو ربما التزاما بالواقع الاجتماعي الذي يرفض الفكر اليساري جملة وتفصيلاً.

### 3 - مدرسة الواقعية الرمزية :

ظهرت الواقعية الرمزية عند الكاتبة من خلال الأسماء والشخصيات والعناوين وكذلك بعض الاحداث، كما وضحته الدراسة في مبحث اللغة ، وقد ابرزت رواية «نبات الصبار» معناها الرمزي الذي يمنحها عمقا معنوياً وأديباً، فهي ترمز إلى هدف إنساني من خلال تصوير الواقع الاجتماعي. وتهدف إلى جانب معناها الرمزي إلى الجانب الإنساني الذي يعد روح الرواية. فهي تصور حياة قطاع معين من المجتمع وهي طبقة المهمشين والكادحين في المجتمع ، وتبرز معاناتهم واحلامهم، وتصور من خلال هذا القطاع الفساد الاجتماعي والسياسي ، وزينب لا تصور في هذه الرواية أزمة الإنسان الفرد في هذا القطاع بل تصور أزمة المجتمع في مجموعه ، وهي الأزمة الناجمة عن تدهور الأوضاع السياسية والاقتصادية وظهور عامل المظاهر الذاتية والصراع المادي والطبقي. وزينب في رواية «نبات الصبار» وفقت في تصوير فساد المجتمع وتفككه، ولكنها لم توفق في تصوير شخصية «الحسين» فقد بالغت في تصرفاته والأحداث التي دارت حوله. فهذه الشخصية الإنسانية تتكرر في كل المجتمعات ولكن بدون هذه الربابة التي تفعل فعل السحر وتكمن إنسانية الرواية وقيمتها في هذه الشخصية. وشخصية «الحسين» تذكرنا بشخصية تراثية سودانية ترمز إلى شخصية «الشيخ اسماعيل» صاحب الربابة الذي ورد ذكره في كتاب «طبقات ود ضيف الله»، وتشبه كذلك شخصية «الحنين» في رواية «عرس الزين» للطيب صالح ، فكلا الشخصيتين ذات أثر روحي في المجتمع وتأتي بالكرامات والافعال الخارقة للعادات، ويبدو هذا تأثير واضح من قبل الكاتبة .



## الباب الثاني

عناصر البنية الروائية والفنية في روايات زينب بليل

### الفصل الأول

عناصر البنية الروائية في روايات زينب بليل

المبحث الأول : بناء الشخصية

المبحث الثاني : البيئة المكانية والزمان والحدث .

المبحث الثالث : اللغة والاسلوب .

### الفصل الثاني

عناصر البنية الفنية في روايات زينب بليل

المبحث الأول: التقنيات الحديثة (تيار الوعي).

المبحث الثاني: توظيف التراث.



## المبحث الأول

بناء الشخصية عند زينب بليل.



عند دراستنا لأية رواية لا بُد أن نبدأ بدراسة عناصرها المختلفة المكونة لها، مثلها في ذلك مثل أي شكل فني يراد فهمه ودراسته، فلا بد أن يحلل إلى عناصره الأولية المكونة له، وذلك بهدف الكشف عن مدى قدرة الكاتب على الربط بين هذه المكونات، وصولاً إلى الصورة النهائية والرسالة التي أراد إرسالها إلى جمهور المتلقين. « فمهمة الناقد هي الكشف عن العلاقات البنائية للعمل الفني، وتحديد كيف استطاع الكاتب أن يربط بين أجزاء العمل الأولى»<sup>(1)</sup> وإذا نظرنا إلى الرواية من هذا الجانب، نجدها تحتوي على عدد من العناصر مثل الشخصية والحدث والزمان والمكان واللغة، والأسلوب، وغير ذلك، فليس هناك تحديد قاطع من قبل النقاد يحدد تلك العناصر التي تحتويها الرواية.

## الشخصية:

وأول ما نبدأ به دراستنا التحليلية لعناصر الرواية هو عنصر الشخصية وقد ارتضينا أن نبدأ بها أولاً لأنها تمثل العنصر الأكثر أهتماماً من جانب الكاتبة، فرواياتها في مجملها يمكن أن نعدّها «روايات شخصية أكثر منها روايات حدث، أي تكون السيادة للشخصية أكثر من الحدث، فيما تكون رواية الحدث معتمدة على تتابع الأحداث»<sup>(2)</sup>. ودليلنا على ذلك أن رواية الكاتبة الأولى «الاختيار» تعد رواية شخصية أكثر منها حدث، فالبطلة هي الشخصية المحورية التي تدور حولها الأحداث وترتبط بها الشخصيات الأخرى وتسلب عليها الكاتبة الأضواء من كل جانب، فتتبع الكاتبة حياة البطلة منذ طفولتها وشبابها إلى وفاتها. فالشخصية تقوم بدور أساسي في بناء الرواية، حيث أنها تحمل فكرة الكاتب وتعبّر عنها، وهي التي تؤثر في كل ما يتصل بالرواية من أحداث، كما أنها هي التي تظل عالقة بذهن القارئ وذاكرته، فإذا كانت الشخصية مقنعة، فستكون أمام الرواية فرصة للنجاح، «وذهب بعض النقاد إلى القول بأن الرواية هي فن الشخصية، إمعاناً في توكيد دورها وقوة تأثيرها في العمل الروائي»<sup>(3)</sup>، ولكن بالرغم من ذلك فلا نستطيع أن نفصل بين الشخصية وأجزاء العمل الروائي من حدث وإسلوب ومكان... الخ فكل جزء مكمل للآخر، فإنه لا يوجد حدث بدون شخصية، كما لا توجد شخصية بدون حدث.

## أولاً : فمن أين استقت زينب بليل شخصياتها :

يختار الكاتب الشخصية لتكون مدار اهتمام القارئ في تتبعه للحوادث لأنها تظل حية في ذاكرته بعد قراءة الرواية، وهو يبتكرها من خياله الواسع. « فالشخصية الروائية

(1) الإتجاه الواقعي في الرواية السودانية الحديثة - د/ بشير عباس بشير - رسالة دكتوراه جامعة القاهرة 1983م ص 39.

(2) لمزيد من المعلومات حول هذا الموضوع انظر كتاب فن القصة د/ محمد يوسف نجم ص 146 وما بعدها

(3) الإتجاه الواقعي في الرواية السودانية الحديثة د/ بشير عباس بشير ص 127

بناء لغوي خيالي لا وجود له خارج العمل الروائي أو الكتاب الذي يحتويه ، على الرغم من أنها تصوير لتجربة الكاتب في احتكاكه بالحياة الواقعية وعلاقتها بالناس الذين يعيشون معه في تلك الحياة فهي إذن تصوير للناس وليس انعكاساً مروياً لهم»<sup>(1)</sup> . وبما أن الكاتب فنان خلاق فإنه يفهم شخصياته فهما عميقاً وباستطاعته أن يرسم الشخصية الغنية بتركيزه على إمكانات الشخصية الإنسانية وطاقتها . ويأتي بالشخصية من مراقبة محيطه ومجتمعه، لأن هذه الشخصية لها كيانها المستقل . وكاتبنا تختار شخصياتها من الواقع والحياة التي تعيشها ، فمعظم شخصياتها اختارتها واختزلتها من خلال واقعها وتجاربها ، خاصة شخصيات روايتها الأولى «الاختيار» التي يمكن أن نعدّها ترجمة ذاتية للكاتب- كما ذكرنا سابقاً- نقلت فيها كثير من ملامح حياتها وحياة أسرته، بل انها انتقت كثيراً من شخصياتها من واقعها المحيط بها، وقد وضحت زينب بليل ذلك بقولها : « أن شخصياتي ليست من فراغ ، ولكنها كانت حقيقية ، ثم أضفت إليها شيئاً من الخيال، فالنواة واقعية أضفت إليها بعض الصفات التي كنت أتمنى أن تكون عليها تلك الشخصية .»<sup>(2)</sup> ونؤكد على قولها هذا بالتنويه الذي خصصت له الكاتبة صفحة كاملة في روايتها ، بأنه «إذا تصادف وتطابق أي اسم أو حدث في هذه الرواية مع الواقع فذلك محض صدفة»<sup>(3)</sup>، فهذا الاعتراف من قبل الكاتبة زعم باطل وخوف داخلي، فهي قد نقلت جزءاً كبيراً من واقعها وسيرتها الذاتية، ولأنها تعرف أهلها جيداً ومجتمعها الذي عاشت بين ظهرانيه ، «فقد خافت أن يظن الجميع أنهم يعرفون تلك الشخصيات ، وربما توهم البعض أنهم تلك الشخصيات ، لذلك حاولت الكاتبة إبعاد الشبهة عنها بهذا الإدعاء»<sup>(4)</sup>، وفي اعتقادي أن هذا يدل على قوة شخصياتها ونجاحها وملاءمتها للواقع .

## ثانياً : أنماط الشخصيات عند الروائية زينب بليل :

فإذا نظرنا لشخصيات زينب بليل في جميع رواياتها نجد معظمها تقترب من الواقع، ولتوضيح تلك الواقعية ، يجب معرفة أنماط الشخصيات عندها أو أنواعها، وخاصة أنها لم تقف عند نمط واحد من الشخصيات الروائية بل تحركت مع نماذج وأنماط متعددة هي في حقيقتها خلاصة واقع عاشته الكاتبة مع مجتمعها ككل ، وتفصيل ذلك كالآتي :

(1) المرجع السابق - ص 138

(2) برنامج نجوم بعيدة تقديم نجيب نور الدين - الحلقة السابعة .

(3) رواية الاختيار - المطبعة العسكرية - الطبعة الثالثة بدون تاريخ - إهداء الرواية.

(4) برنامج نجوم بعيدة تقديم - نجيب نور الدين - الحلقة السابعة.

## 1 - شخصيات رئيسية:

### أ/ (البطل) الرئيس:

البطل ذلك الشخص الذي يلعب دورا رئيسيا في الرواية . والمحور الذي تدور حوله الأحداث ، وتستقطب الشخصيات وتُسخر لخدمته، وهو الذي يسلط عليه الكاتب الأضواء ويبرز دوره ويجمع كل خيوط الرواية في يده .

فللبطل أهمية بالغة في العمل الروائي فنا ومضمونا ، فهو إلي جانب أنه يمثل الشخصية الرئيسة، فهو أيضا الشخصية الأكثر حضورا في الرواية وأهمية بالنسبة للكاتب والقارئ معا ، فالكاتب يولي هذه الشخصية عناية فائقة مبرزا أبعادها بوضوح وإفاضة متتبعاً حركتها ومحللا لمواقفها، ويبدل قصارى جهده لتصويرها بدقة وشمول لإقناع القارئ أنها شخصية حية وحقيقية.

فمفهوم البطولة قد تغير في الروايات الحديثة أو المعاصرة عنه في القصص القديمة، فالبطل في القصص القديمة مثلا نجده فارسا شجاعا ومثاليا في أخلاقه ونبله وتعامله وتضحيته وفدائه ، أي أنه نموذج الفارس الذي يتسامى في شجاعته. «أما البطل في الرواية الحديثة فهو كائن يبحث عن ذاته الحقيقية عبر تجارب كثيرة يبدو فيها تائها قلقا غير مستقر، يسافر طويلا في الماضي ، ويشطح إلي المستقبل، يأثم ويخون ويتعثر، وإذا أمن مرة بالقيم كفر بها مرات عديدة .وهذه هي صورة البطل المعاصر في الرواية العربية الحديثة، أنه مزيف البطولة فهو قريب الشبه بالبطل المعاصر في الرواية الغربية الحديثة . فقد تجرد من البطولة بمثلاتها وشرفها وشجاعته فهو شخصية منكسرة مهزوزة دنيئة، تفعل أي شي وتقترب أي شيء بلا وجل أو تردد ، فهل يمكن أن يسمى هذا بطلا ؟ !! إلا إذا عيننا به فقط الشخصية الرئيسة في الرواية وليس البطولة الحقيقية ، وإلا إذا أطلقنا عليه المزيف ليصبح البطل المزيف.»<sup>(1)</sup> وإذا قارنا البطل في روايات زينب بليل قديما وحديثا مع ما سبق ذكره نجد البطل بنوعيه يتجسد من خلال رواياتها، فمثالية الأخلاق والنبيل والشهامة والتضحية تتمثل في شخصية «الطيب» في رواية «كش ملك» الذي أطلقت عليه الكاتبة فيما بعد لقب «البحر» وهو شخصية مثالية من حيث تضحيته لتربية حفيدته وتكريس حياته لها بعد مقتل زوجته وموت ابنته ، فلم يتزوج أو يفكر في الزواج بل شغل كل وقته وحياته لتربية حفيدته « ياسمين» ، ونرى هنا صورة الرجل المثالي بكل معانيها من حيث تمثلها لمعاني الحماية والحنان . وتعد معاناة البطل بين المثالية والواقعية واحدة من المشكلات التي واجهت البحر ، وهي مشكلته الوحيدة وقضيته الكبرى التي عاش صراعاته بسببها ، فهو

(1) انظر البطل في الرواية السعودية -د/حسن حجاب الحازمي«دراسة نقدية» - نادي جازان الأدبي 1395هـ- ص 43،41.

يحلم بعالم مثالي تسوده المحبة والسلام والعدل. وهناك أيضا شخصية البطلة «خديجة» في رواية «نبات الصبار» فهي شخصية مثالية مضحية محبوبة من الجميع، وضعتها الكاتبة في بؤرة الأحداث، فحينما تذكر شخصية من شخصيات الرواية يكن الأمر متعلقا بصورة أو بأخرى بخديجة، وتقدمها الكاتبة نامية فنيا واعية بأهدافها وبحركة المجتمع من حولها، فهي تحمل قضية وتدافع عنها، ألا وهي نصره الفقراء وتغيير أحوالهم المعيشية، فقد أحببت «خديجة» أهلها الفقراء وتبنت هي ومجموعة من الشباب الدفاع عنهم وتلبية احتياجاتهم من علاج ودواء وغيره.

أما صورة البطل المعاصر فنجد شبيها في شخصية «وقيع الله» أو «الملك» في رواية «كش ملك» الذي صورته الكاتبة شخصية استغلالية وانتهازية وخائنة في سبيل تحقيق مآربها، فالملك منذ أن كان في المرحلة الجامعية انتهازي يستغل ذكاه ونجاحه وشكله في الإيقاع بالفتيات ثم الغدر بهن، بالإضافة إلى خيانتته لأصدقائه والوشي بهم للسلطات الحاكمة. وقد صورته الكاتبة شخصية حاقدة تولد الحقد في نفسها منذ الصغر، تريد أن تنتقم من البشرية جمعاء كما تذكر الرواية ذلك: «أحس حقدا يملأه.. لن أجهد نفسي أبدا ولن أضيف شيئا. تحترق الإنسانية بأغنيائها وأوغادها»<sup>(1)</sup>، أمثل هذا يعد بطلا! لا بمفهوم البطولة العام وإنما نعده الشخصية الرئيسة الثانية في الرواية بعد البحر.

شخصية البطل عند زينب ربما تكون شخصية سلبية أو إيجابية، ف«البحر» و«خديجة» و«الحسين» شخصيات إيجابية بما صورته الكاتبة من خلال أدوارهم، أما شخصية «آسيا» بطلة «الاختيار» فهي شخصية سلبية رغم بطولتها. حيث تمثل الشخصية المحورية التي تدور حولها أحداث الرواية من الألف إلى الياء، ولكنها لم تقم بأي دور إيجابي في الرواية ولم تحقق شيئا أو مغزى في الرواية، وقد انتحرت في نهاية الرواية «أعرف أن ذنبي عظيم ولكن عفوك أعظم، سامحني يا رب. عندما ابتلعت كل ما في الزجاجة، وتمددت في السرير..»<sup>(2)</sup>، فانتحارها هنا حل اقتضته الشخصية السلبية، وما تتصف به من مثالية، فالكاتبة لا ترضى لبطلتها أن تأثم بعد كل ما لقيته علي يد زوجها من عذاب وحرمان، ولكنها اضطرت إلى ذلك اضطرارا، فكان الموت أنسب حل للخروج من هذه الأزمة وسبيلا للتكفير عن ذلك الإثم الذي ارتكبه، والذنب الذي يؤرق ضميرها. إذن فهي شخصية سلبية هاربة من المجتمع، أماتتها الكاتبة وبالتالي فقد ماتت فنيا في يدها ولم تعد قادرة علي العطاء.

(1) رواية كش ملك زينب بليل - المطبعة العسكرية - الطبعة الأولى مارس 2000م ص 3

(2) رواية الاختيار ص 153

## ب / البطل الثاني :

مع أن شخصية البطل هي الشخصية الرئيسة في الروايات إلا أنه توجد شخصيات أخرى لها حضورها القوي في الرواية، وتأثيرها الكبير في سير الأحداث، وأهميتها القصوى بالنسبة لشخصية البطل. وهذه الشخصيات يمكن تسميتها بالشخصيات الرئيسة الثانية أو شخصيات المرتبة الثانية بعد شخصية البطل.

فالبطولة في العمل الروائي قد يقوم بها شخص واحد تدور حوله الأحداث، وتخدمه بقية الشخصيات، وقد يقوم بها مجموعة من الأشخاص يهتم الكاتب بإبراز سلوكهم واتجاهات أفكارهم، وتحليل نوازعهم وتكوين الأحداث من خلالهم، فيعملون جميعاً من أجل إبراز الفكرة، « وقد تطور المفهوم الفردي في العصر الصناعي حيث برز دور الطبقات العاملة، وفرضت البرجوازية نفوذها علي مجال الأحداث في الرواية، واستفحل الصراع بين الطبقات الاجتماعية المتضاربة في مصالحها وأهوائها، وقد كان لكل ذلك أثره في البطولة الروائية التي لم تعد معقودة للواء لفرد بعينه، وإنما تجاوزته إلي عدة أفراد، واخذ الكاتب يصور مجموعة من الأشخاص لها معاناتها، وأشواقها وقضاياها التي تناضل من أجلها دون التركيز علي شخص بعينه بحيث يمثل الجميع في النهاية طبقة اجتماعية لها فكرها العام واتجاهها المميز»<sup>(1)</sup>. وقد وفقت زينب بليل في لجوؤها لأكثر من شخصية رئيسة للقيام بدور البطولة في أعمالها. واعتقد بالرغم من ذلك أنها قدمت روايات متماسكة، وشخصيات نالت عناية متفاوتة، حيث أوجدت بينها روابط جعلتها تسير في إطار العمل الواحد، لتتعاون جميعها في خدمة البناء الروائي وإبراز الفكرة العامة له. ونلمس ذلك بوضوح في جميع رواياتها، فمثلاً في «كش ملك» التي مثلت فيها مجتمع السودان، وصورت فيها الصراع بين الغني والفقير من خلال مجموعة من الشخصيات نالت جميعها عناية الكاتبة واهتمامها، بالإضافة للشخصيتين الرئيسيتين في الرواية -«الملك» و«البحر»- اللتين أخذتا دور البطولة ونالتا نفس العناية والاهتمام من قبل الكاتبة ووزعت عليهما الأحداث والأدوار بالتساوي، نجد أسرة «الملك» من أبنائه وزوجته، وأيضا أسرة «البحر» وجيرانه، كل أولئك كان لهم دوراً في الرواية، وكل شخصية يمكن أن تكون لها البطولة.

أما في «نبات الصبار» حيث صورت الكاتبة مجتمع «شارع النار» والحياة داخله من خلال نماذج من الشخصيات عكست تلك الحياة، فقد نال عدد من الشخصيات عناية الكاتبة واهتمامها، حيث يجمعها مكان واحد هو ذلك الشارع، وتحركها هموم مشتركة وهي التغيير إلي الأحسن، صحيح أن لكل شخصية حياتها وهمومها الخاصة ولكنها لا تبعد

(1) فن الرواية - د/عبد الفتاح عثمان - ص119

عن هموم الجماعة، وفي الوقت نفسه يمكن أن تصبح هذه الهموم هما جماعيا يشترك الجميع في حله. ومثال لتلك الشخصيات «خديجة» و«الحسين» و«آمنة» زوجة الحسين بالإضافة إلى شخصيات كثيرة من الأطباء الشباب «أحمد» و«عادل» و«سوسن» الذين ساهموا في البطولة واثروا الرواية.

أما رواية «الاختيار» فبدايتها لا توحى بوجود بطولة مطلقة وإنما تطرح الكاتبة رؤيتها العامة حول عالم القرية بمشكلاتها المختلفة ومحيطها البشري المتنوع، فالبطولة هنا متعددة لأن طبيعة المجتمع الذي أرادت الكاتبة تصويره - في تلك الفترة الزمنية من عمر السودان - كانت تقتضي أن يعدد الكاتب أبطاله لأنه مجتمع لم يكن ينفصل فيه الفرد عن الجماعة حتى في أبسط خصوصياته، وقد نجحت الكاتبة في تصوير صورة نابضة بالحياة لمجتمع القرية في تلك الفترة الزمنية المبكرة، من خلال مجموعة من الشخصيات تسيطر عليها روح الجماعة، فتتحرك ضمن إطار واحد، وتحركها هموم مشتركة يساهم الجميع في حلها، فأسرة «حمدان» الكبيرة تُعد من الأسر الممتدة في السودان وكل شخص من أفرادها يمثل بطلا في الرواية، بالإضافة إلى كل الشخصيات التي لها علاقة بتلك الأسرة فهم أيضا أبطال في تلك الرواية فالعمل جماعي كما ذكرنا، لذلك لا نجد بطولة مطلقة في رواية «الاختيار»، حيث وزعت الأضواء على جميع شخصياتها بنسب متفاوتة.

إذن فالبطولة متعددة في جميع الروايات، لذلك «فإن أهم ما ينبغي للكاتب مراعاته حينما يلجأ إلى تعدد الأبطال أن يربط بينهم داخل العمل بحيث تبدو حكاية كل شخصية -رغم تفردها واختلافها - منفصلة عن الشخصيات الأخرى التي تشاركها البطولة لكي تتأزر جميع شخصيات البطولة في إبراز الفكرة. وتقديم الصورة التي يطمح الكاتب إلى إيصالها بوضوح»<sup>(1)</sup>.

هناك مميزات اتسم بها البطل عند زينب بليل، منها أن البطل عندها دائما مكسور من الداخل رغم ما يمتلك من ثروة وجاه، ففي رواية «الاختيار» نجد «محجوب» مهزوزا من الداخل فقد سافر واغترب عن قريته وعانى ليظفر بمن يحبها، ولكن شاءت الأقدار أن تتزوج غيره «بكي حتى افرغ مآقيه من الدموع واقسم ألا يبكي بعدها.. لا شئ يستحق البكاء..»<sup>(2)</sup>.

أما في «كش ملك» ف«وقيع الله» عاش مهزوزا بعد كل الأحداث التي تعرض لها فقد تركته حبيبته، وانحرفت أخته وهرب خارج البلاد تاركا أبناءه، فكل هذه الأحداث أثرت في

(1) البطل في الرواية السعودية - د/ حسن حجاب الحازمي - ص 658

(2) رواية «الاختيار» ص 31

البطل وجعلته غير مستقر نفسياً، فبكى عندما عرف أن من أحبها تزوجت غيره «لم يصدق لماذا ركزت عليه الدنيا لترميته بكل المحن .. ألم تجد الدنيا سواه تقسم عليه المصائب؟ لماذا هو .. تتساقط أمانيه واحدة بعد الأخرى ...! دون قصد سقطت من عينيه دمعتان»<sup>(1)</sup>.

فالبطل عند الكاتبة يعاني كثيراً ولا ينال الفتاة التي أحبها وتمناها. «فالبهر» أيضاً لم يتزوج من سعاد التي أحبها «ذهب إلى النخلة في الركن، فاحتضنها وأجهش بالبكاء ..».. تمنى أن يموت حتى لا يراها مزفوفة لسواه ..<sup>(2)</sup>. والانهازم والانكسار الذي أصاب البطل في كل النماذج السابقة كان مرده عند الكاتبة الغنى. وكأن الغنى والثراء والرفاهية في نظر الكاتبة لا تجتمع أبداً مع السعادة وراحة القلب وهدهوء النفس مثل «الملك» و«محبوب». فتجلبب التعاسة والشقاء لهذا الغنى وتغلق أمامه كل أبواب السعادة فتحرمها منه عقاباً له على ما كسب من مال ، فالأغنياء في نظرها جميعاً أشرار والفقراء خيرين .

حرصت الكاتبة على إبراز ثقافة البطل في رواياتها فأصبحت ظاهرة لافتة للنظر، لذلك حرصنا أن نقف عندها حتى نستوضح تلك الظاهرة ، فأبطالها أغلبهم متعلمون تعليماً عالياً ، أو لهم اهتمامات أدبية ، حتى وإن كانت تخصصاتهم بعيدة كل البعد عن مجال الأدب ، ومنهم من له محاولات إبداعية كالرسم ، وحتى الذين لم تساعدهم ظروفهم على إكمال تعليمهم كانت لهم قراءاتهم المتنوعة ومحاولاتهم الجاهدة لتثقيف أنفسهم ، ففي رواية «الاختيار» أكثر أبطالها وشخصياتها نالت قدراً من التعليم فالبطلة «آسيا» خريجة جامعة وكذلك علي «البطل» الثاني طبيب ، وبقية الأبطال جميعهم خريجين جامعيين من كليات مرموقة.

أما رواية « كش ملك » فإن الشخصيات المتعلمة فيها أقل عدداً من شخصيات رواية «الاختيار» إلا أن البطل «الملك» قد نال درجة الدكتوراة في الأدب الإنجليزي وكذلك درجة الدكتوراه في إدارة الأعمال من جامعات عالمية ، وكان على مستوى عال من الذكاء حيث لقبته الكاتبة بأينشتاين . وفيما يتعلق برواية الكاتبة الأخيرة « نبات الصبار » فشخصياتها أغلبهم أطباء؛ لأن الرواية تعرض شريحة الأطباء وعلاقاتهم مع بعضهم البعض ، فتحشد عدداً من الأطباء ، منهم البطلة «خديجة» وغيرها ، وتظهر ثقافة أبطالها بكل وضوح من خلال حواراتهم مع الآخرين ومن خلال تداعياتهم التي تحمل مخزوناً ثقافياً وأدبياً واسعاً، ويتمثل ذلك في جميع رواياتها، فمثلاً في «الاختيار» نلمس ذلك من خلال المناقشات التي

(1) المرجع السابق - ص 59

(2) رواية «كش ملك» ص 17-18

بين الأبطال، ومن نماذجه الحوار الذي دار بين «الطاهر» و«ليلى»<sup>(1)</sup>. وكذلك الحوار بين «الملك» و«ياسمين» في «كش ملك»<sup>(2)</sup>.

أما في «نبات الصبار» نلمس هذه الثقافة العلمية من خلال شخصية «خديجة» و«خالد» عبر الحوار الذي دار بينهما:

«- لو كنت جنائني يا أستاذ، لو كنت حقيقة بتفهم في الورد وفي النبات، كنت فهمت إنه النبتة لما يقلعوها من بيئتها بتذبل حتى لو كانت بيئتها مستنقعا .

- طيب أقدم ليك أنا المعلومة البسيطة دي، بصفتي جراح، أستاذ جراحة ..ممكن تنقل عضو من جسم إلى جسم آخر ..ويقبل العضو الجديد التغير ويندمج في البيئة الجديدة ويعمل بمنتهى الكفاءة»<sup>(3)</sup>.

كل هذه النماذج تتضح فيها ثقافة الأبطال، وقد تذكر الكاتبة بعض الألفاظ الإنجليزية حتى تدل على ثقافة البطل، مثل رواية «نبات الصبار» التي امتلأت بهذه الألفاظ الإنجليزية لتدل على ثقافة أبطالها خاصة «خالد» الذي درس في الخارج وأكمل دراسته العليا هناك فكان من الطبيعي أن نجد بعض الألفاظ الإنجليزية في حواراته»<sup>(4)</sup>. وفي رواية «كش ملك» وضحت ثقافة «الملك» الذي عاش أكثر حياته في الغرب فكانت الكاتبة تأتي باللغة الإنجليزية على لسان الأبطال، ومن هذه العبارات:

«i.am sorry.....Itis O.k»<sup>(5)</sup> وغير ذلك من الكلمات والعبارات الإنجليزية التي تقحمها الكاتبة في الكلام، وقد تذكر الكاتبة بعض أسماء الكتب التي يقرأها بعض أبطالها لتدل على ثقافتهم مثل كتب الشعر والرسم وغيرها. وقد تظهر ثقافة أبطال الروايات من خلال مواهبهم المختلفة، مثل الرقص والرسم وتنسيق الحدائق والزهور والخياطة، ونماذجها كثيرة من خلال الروايات<sup>(6)</sup>. وربما هذه الثقافة والاهتمام بالعلم من جانب الكاتبة دليل على تشجيعها للعلم ومناصرتها له، وربما مصدر هذه النزعة الأدبية الواضحة والمواهب لدى أبطال وشخصيات زينب بليلى هي الكاتبة نفسها، التي لم تستطع الانفصال عن أبطالها فأسقطت جزء من تجاربها الشخصية واهتماماتها الذاتية على أبطالها وشخصياتها الرئيسية،

(1)2 رواية الاختيار ص 45

(2) رواية كش ملك ص194

(3) رواية نبات الصبار ص 180

(4) رواية نبات الصبار 175،

(5) رواية كش ملك ص 173

(6) السابق - ص 118،117،156،113، رواية «نبات الصبار» ص162

«وهذا ليس مستغرباً بل أمر طبيعي ويمكن أن يحدث خصوصاً في الكتابات الأولى، أو الإنتاج الأدبي القليل من الروايات، لأن الكاتب حينما يختار بطلاً ليقدم تجربته، أو جزءاً من تجربته في عمل روائي فإنه - في الغالب - لا يختاره لذاته، ولا لإفراد تجربته، وإنما ليصور من خلال همومه ومشكلاته، وهموم ومشكلات المجتمع الذي ينتمي إليه»<sup>(1)</sup>، وقد نجحت زينب بليل في التعبير عن هموم المجتمع ومشكلاته من خلال هموم أبطالها ومشكلاتهم، التي تعكس بصورة أو بأخرى هموم المجتمع الذي ينتمون إليه.

## 2. شخصيات ثانوية :

توجد إلي جانب الشخصية الرئيسية في أي عمل روائي شخصيات أخرى تؤدي دوراً ثانوياً في الرواية، ويكون ظهورها على قدر الدور الذي تؤديه، وتختفي - غالباً - بانتهاء دورها، وتعرف بالشخصيات الثانوية « وهذه الشخصية الثانوية لا يحفل بها الروائي كثيراً، فلا يهتم بتفصيلات حياتها ولا يتابع تطور أفكارها إلا في الحدود التي تخدم الفكرة الجوهرية من الرواية، وتساعد على نمو الشخصية الرئيسية»<sup>(2)</sup>. وغالباً ما يلتقط الكاتب شخصياته الثانوية من الحياة مباشرة، وهي رغم عدم اهتمام بعض الكتاب بها إلا أنها لها أهميتها وقيمتها في العمل الروائي، فهي تسهم بصورة كبيرة في إبراز المحيط الاجتماعي، ولها دورها في إضاءة أبعاد الشخصية الرئيسية.

وجميع روايات زينب بليل - وخاصة «نبات الصبار» - تؤدي الشخصيات الثانوية فيها دوراً مهماً من خلاله تعكس الكاتبة صور الحياة الطبيعية في المجتمع وترسم من خلال هذه الشخصيات حبها لهذه الحياة بكل ما تحمل من طيبة وسذاجة، كما ترمز إلي ماضي وحاضر المجتمع السوداني بكل قيمه وسلوكه وعاداته وتقاليده في مناسباته المختلفة، كما تساهم هذه الشخصيات بصورة كبيرة في بناء العالم الروائي لدى الكاتبة، وتساعد في بلورة الشخصية الرئيسية وأبعادها. وقد انتقت الكاتبة شخصياتها الثانوية من الواقع، وكثير من شخصياتها يمكن أن تكن حقيقية أو التقت بها الكاتبة من قبل. والشخصيات الثانوية في معظم روايات الكاتبة لا تقدم إلا من جانب واحد من جوانبها، كالشخصيات الإيجابية، المسطحة، الغير نامية، السلبية... الخ، والكاتب يجب أن لا ينظر إلي الشخصية من جانب واحد « لأن هذه النظرة المثالية المطلقة إلي الشخصية من جانب الكاتب تدفعه بالضرورة إلي الاختصار علي تقديم جانب واحد من جوانب الشخصية الإنسانية، أم خيرة بصورة مطلقة أو شريرة بصورة مطلقة، بيضاء أو سوداء فاحمة ملائكية أو شيطانية، والنقاد يعتبرون

(1) -انظر البطل في الرواية السعودية -د/ حسن حجاب الحازمي ص- 532 وما بعدها

(2) بناء الرواية - د/ عبد الفتاح عثمان ص 76

هذه الشخصيات الكاملة التقديس أو الكاملة الوحشية شخصيات فاشلة»<sup>(1)</sup>. لأن الشخصية في الواقع «مزيج من الخير والشر كالشخصيات العادية التي نراها في حياتنا اليومية، أو نكتشفها في ذواتنا. وعلم النفس الحديث لا يقر هذا الفصل الصارم بين الشخصيات، فليس ثمة شخصيات بيضاء محض ولا سوداء محض، بل أن الشخصية الإنسانية الحية مزيج من هذين اللونين، وباختلاف نسب هذا المزيج، تختلف الشخصيات الإنسانية بعضها عن البعض الآخر»<sup>(2)</sup>. ومثال لها شخصية «خالد» في «نبات الصبار» التي تعد من الشخصيات الثانوية التي اهتمت بها الكاتبة كثيرا، فخالد يمثل الرجل الارستقراطي المتعجرف الذي تؤثر فيه رحلاته إلي أوروبا ودراسته للطب. وقد سلطت الكاتبة الأضواء علي الجانب الفكري والاجتماعي لشخصيته التي تعد رمزاً أكثر من كونها شخصية، فهو رمز للرجل الغني المتعلم، الذي يعمل أستاذا للجراحة بالجامعة ويمتلك مستشفى باسمه، فأبرزت الكاتبة مضمونه الفكري والاجتماعي من خلال مواقفه وعلاقاته مع الآخرين «ترك الحسين ما بيده عندما رأى الدكتور مقبلا نحوه. نفذ يديه من التراب في القميص الذي يرتديه وسلم على الدكتور. فكر دكتور خالد ألا يمد له يده. كيف لا يغسل يديه قبل أن يمدها له؟ كيف سيتزوج ابنة رجل لا يعرف أن التراب أوساخ يجب أن يتطهر منها قبل أن يضع يده في يد إنسان آخر حتى لا يلوثه»<sup>(3)</sup>.

وقد أظهرت الكاتبة كثيراً من المواقف التي تدل علي شخصيته وفكره. وقد تزوج من البطلة «خديجة» رغم الفارق الاجتماعي والعمرى بينهما، وهذا النموذج يوضح أنانيته «سيعيش مع جينا في هدوء في هذا القصر الكبير الجميل.. لن يدعها تنجب أطفالا.. سيجعل منها أميرة. يختار ملابسها وعلاقاتها الاجتماعية... سيفصلها عن سكان المستنقع»<sup>(4)</sup>. وقد قدمته الكاتبة من جانب واحد ذلك الشخص الأناني المتعجرف الذي يريد الاستحواذ علي «خديجة» بشكلها المثالي ومنعها من الإنجاب حتى لا يؤثر علي قوامها<sup>(5)</sup>. فهو يحبها بجنون ولكنه حب أناني حب تملك، وقد صورت الكاتبة مواقفه مع «خديجة» وأنانيته المفرضة، فعندما حملت «خديجة» رغما عنه اسقط لها جنينها، فركزت الكاتبة علي جانب واحد فقط من الشخصية حتى تظهر من خلالها كيف يتعامل الأغنياء - مع

(1) انظر تطور الرواية العربية - د/ عبد المحسن طه بدر ص 202

(2) فن القصة - د / محمد يوسف نجم ص 107

(3) رواية نبات الصبار - ص 125

(4) نبات الصبار ص 122

(5) السابق ص 162.

الفقراء\_ اللذين تصورهم الكاتبة دائماً في صورة سيئة أناس بلا قلوب .  
وإذا نظرت الكاتبة لشخصية «خالد» من جوانب أخرى كان يمكن أن تعطيها بعداً  
يثير عملها الأدبي ، ولكنها دائماً تركز على الجوانب التي تساعدنا في تحقيق رؤاها ، فهي  
كأماً تخلق شخصيتها لهدف معين تريد تحقيقه ومن ثم توجه هذه الشخصيات تبعاً  
لما تريد، وتتحكم في أفعالها ومصيرها.ولكن بالرغم من ذلك فإن هذا المضمون الاجتماعي  
والفكري الذي ركزت عليه الكاتبة في شخصية «خالد» أعطي الصراع بينه وبين «خديجة»  
بعداً اجتماعياً وطبقياً ، ومن هنا يكون انتصار «خديجة» بعد كل ما حدث لها وهزيمة  
«خالد» يمثل انتصار طبقة وانهزام طبقة أخرى.

ومن امثلة هذه الشخصية التي تجسد علي طبيعة واحدة نراها بكثرة في روايات  
زينب ، فالشخصية تظل علي حالة واحدة لا تفارقها أو تغيب عنها، فتقدمها الكاتبة «دفعة  
واحدة ولا تجعلها تنمو بنمو الأحداث فهي لذلك علي طول الرواية بيضاء أو سوداء ، خيرة  
أو شريرة تحملها الكاتبة ما تريد في أسلوب تقريرى مباشر، ما يجعلها سلبية مسطحة  
منذ البداية»<sup>(1)</sup>، لذا فإنها ستتوقف فنياً عن الحياة لأنها تستمد فكرها من الكاتب وليس  
من واقع حركة الشخصيات التي صورها»<sup>(2)</sup>، ومثال لذلك شخصية «المسرة» في «الاختيار»  
شخصية ثانوية خلقتها الكاتبة لتوضح من خلالها الصراع الطبقي ، والظلم الذي تتعرض له  
المرأة من جراء هذا الفارق الطبقي وعندما انتهت مهمة الشخصية كان الانتحار هو حلها  
للخروج من أزمتها فتوقفت فنياً عن الحياة ، لأن الكاتبة نقلت من خلالها ما تريد نقله،  
وقد بالغت الكاتبة في رسم شخصيتها ومأساتها، فليس من الممكن أن تتغير حياة «المسرة»  
كل هذا التغيير ولا تحاول جاهدة أن تصلح منها، بل تستسلم لوضعها ثم تنتحر، وكان  
يمكن أن تطالب بالطلاق أو تتصرف أي تصرف آخر دون الانتحار، وهي تلك الشخصية التي  
قدمتها لنا الكاتبة في ثوب من الحيوية والمرح والتفاؤل والسرور، وهذا يدل على أن الكاتبة  
تتحكم في مصير شخصياتها وتسيرها وفق ما تريد وليس كما تتوافق مع حركة الشخصيات  
و أحداث الرواية. وشخصية المسرة هنا شخصية غير نامية أو شخصية ثابتة لا تتغير ولا تنمو  
عندما تعترضها أحداث أو مفاجآت في حياتها ، ولا تؤثر فيها الأحداث ولا تتأثر بها، وتسير  
وفق مواقف معينة لا تتقيد بإطار محدد . «والشخصية غير النامية أو الشخصية الثابتة،  
لها فائدة كبيرة في نظر الكاتب والقارئ، لأنها تسهل عمل الكاتب فهو دون شك يستطيع  
بلمسة واحدة أن يقيم بناء هذه الشخصية التي تخدم فكرته طوال الرواية وهي لا تحتاج

(1) دراسات في نقد الرواية ، د/ طه وادي - ص 133 .

(2) المرجع السابق الصفحة نفسها .

إلى تقديم وتفسير»<sup>(1)</sup>. وعكس الشخصية السلبية الشخصية النامية «التي لا تسير على نمط واحد و تظهر ملامحها تدريجيا وتفاجئنا بطريقة مقنعة بعمل أو صفة جديدة لا نعرفها فيها من قبل ، وهي بذلك تعبر بصدق مقنع عن احتمال وجودها في الحياة ، وهذه الشخصية لا تبرز للقارئ في الصفحات الأولى ، بل تكتشف شيئا فشيئا وتتطور بتطور الرواية وأحداثها ولا يقدمها المؤلف بتقرير وضعي إنما يتركها تتحرك في الرواية ، لتكشف مع كل موقف عنصرا من العناصر المكونة لها ، والقارئ مطالب باكتشاف مثل هذه الشخصية»<sup>(2)</sup>. ومن نماذج هذه الشخصية الطيب «البحر» بطل رواية «كش ملك» و«خديجة» بطلة رواية «نبات الصبار» ووالدها «الحسين» فجميعهم شخصيات نامية ومتطورة بتطور الأحداث ، ولكن رغم ذلك إلا أن الكاتبة تتدخل في وصفهم وحياتهم بصورة أو بأخرى . وقد قدمتهم في صورة خيرة دائما.

وهناك شخصيات ثانوية خلقتها الكاتبة لتصور من خلالها وجهة نظر معينة أرادتها الكاتبة ، فشخصية «زهرة الملك» مثلا في رواية «كش ملك» لها ظروفها الخاصة التي أثرت في حياتها، فقد تعرضت للاغتصاب وهي طفلة صغيرة وأسهمت أمها في جرحها لهذا المصير » تذكرت أمها كيف ضمتها إليها 0000 تذكرت صوتها سامحيني يا زهرة 000 تذكرت المهانة التي تعرضت لها من ذاك الرجل الفاسق 00000 تذكرت انتحار أمها لأنها لم تحتمل القهر»<sup>(3)</sup>، فكل هذا اثر في الشخصية نفسيا وخلق عقدة لديها ص «181» فرضت قضية الزواج والارتباط بالرجل في أي علاقة كانت.

فالكاتبة هنا عزلت الشخصية عن محيطها الاجتماعي وحصرتها في إطار نظرية معينة ، وهي بذلك تنظر إلي الشخصية نظرة قاصرة . «زهرة» كان يمكن أن تغير نظرتها للحياة والرجل بعد مرور تلك السنين وتقلب الأحداث وتغير ووضعا الاجتماعي، ولكن الكاتبة حصرتها في جانب واحد توقفت معه في التفكير وانشاء أسرة . كما أنها لم تعمقها وتعمق المشكلة وتعطيها أبعادا أخرى ، وقد اكتفت بعرض المشكلة دون أن تجد لها حلا، كما تفعل ذلك دائما فتعرض المشاكل دون حلول .

وبعض شخصيات الكاتبة الثانوية تحمل فكرة تريد إيصالها، فمثلا شخصية «كارولين» في «الاختيار» شخصية ثانوية خلقتها الكاتبة لتعبر من خلالها عن المرأة الغربية ومدى تطورها بالنسبة للمرأة السودانية، بل لتوضح الفرق بين الحياتين من الناحية الاجتماعية

(1) انظر دراسات في القصة العربية الحديثة د/ محمد زغلول سلام ص 17

(2) انظر دراسات في نقد الرواية د / طه وادي ص 229

(3) رواية كش ملك - ص 162

والاقتصادية وخاصة حياة النساء، فقد أجرت الكاتبة حواراً طويلاً بين "كارولين" و"آسيا" استعرضت فيه موقفها وآراءها حول الحضارة الغربية "كارولين الحياة في بلدنا تختلف تماماً عما تتوقعين، خاصة بالنسبة للنساء. النساء في بلدنا غير النساء عندكم"<sup>(1)</sup>، وبعد أن سردت الكاتبة على لسان "آسيا" ما تعاني منه المرأة السودانية من اضطهاد، وما يقع عليها من ظلم من جانب الرجل والمجتمع، تعرضت للمسؤوليات التي تقع على عاتقها، ثم ذكرت الأوضاع الاقتصادية السيئة في المجتمع السوداني "مع الأسف.. لن تستطيعي أن تعيشي مع الصادق وحده. ستعيشين مع الحوجة دون اكتفاء.. ومع الظلام دون انارة.. والأوبئة بلا وقاية والظلم بلا دفاع أو عدالة. أخشى أن تكون المؤثرات أقوى منكما"<sup>(2)</sup>، فنحس هنا أن شخصية "كارولين" خلقتها الكاتبة لتتزوج من "الصادق" النموذج الذي مثل احد الفقراء اللذين كافحوا وتعلموا حتى أصبح له وضع في المجتمع، وقرر أن يتزوج من أجنبية.

### 3. شخصيات خيالية:

"قد يتخطى بعض الكتاب في تخطيط الشخصية حدود الطبيعة الإنسانية، فيبالغ في تحديد بعض الصفات، ويجسم بعض الملامح الفارقة، ويبرز بعض العيوب المميزة، مما ينأى بالشخصية عن الواقع والصدق، ومثل هذه الشخصيات لا تتفق مع واقع الحياة في شئ، إذ يترتب على الكاتب أن يكون متزناً في تقديم شخصياته، فالشخصية القصصية يجب أن لا تكون خارقة، تتحدي الواقع وتتجاوزه، ولا هزيلة تنحط عن الواقع وتنكمش عنه"<sup>(3)</sup>. وهذا النمط من الشخصيات الخارقة يمثله الحسين في "نبات الصبار" تلك الشخصية التي ظهرت في "شارع النار" وهو غريب على هذا الشارع، سكن معهم وتزوج منهم، ودارت حوله وحول ربابته الأساطير، "فقد كان يعزف عليها في أحلك الظروف فتهدا الأمور ويعزف عليها في أصعب الأوقات فتتجلي الغمة، ويتبعه الناس ويستمعون له كان في هذه الربابة سحراً.

مثال لذلك "تمزقت الملابس المهترئة بفعل العراك00000 وضرب الرجال النساء، وضرب الرجال الرجال والنساء. فزع الأطفال وعلا صراخهم وفجأة سمعوا صوت الربابة 00 وشيئاً فشيئاً هدأ الغليان وطغى النغم حتى تشبع بالهواء وحمله الريح بعيداً حاملاً معه الغضب والصراخ"<sup>(4)</sup>. ويتكرر فعل هذه الربابة ذات القوى الخارقة كثيراً في الرواية.

(1) رواية الاختيار ص 108

(2) المرجع السابق ص 109

(3) رواية الاختيار ص 109

(4) رواية نبات الصبار ص 4.

تلك الربابة التي سأل الحسين الله يوماً أن يعطيه سحراً في صوته وربابته واستجاب الله له . واستخدمت الكاتبة شخصية ”الحسين“ لحل كثير من عقد الرواية عن طريق معجزة الربابة، أي عندما تتشابك الأحداث وتصل العقدة إلي حد لا يكون فيه قدرة لإنسان على حلها إلا بتدخل عامل جبار خارجي له قدرة تفوق قدرة البشر العاديين، فمثلاً عندما كثر الأطفال في شارع النار ولم يجدوا لهم حليب يشربونه اتجهوا للحسين ”وطلبوا منه أن يفعل شيئاً في أمر الأطفال الذين في كثرة النمل .. صار الحسين ينهض في جوف الليل ويصعد فوق الجدار ويعزف فيستيقظ السكان . يستيقظ الدجاج ليبيض وتستيقظ الشياه والأبقار وتمتلئ ضروعها بالحليب حتى أنث الحمير تمتلئ ضروعها بالحليب فتحلب النساء وما يزال الحليب يتدفق ويشرب الصغار ويشربون حتى الارتواء رغم كثرتهم . يعزف الحسين لحناً كأنه سؤال وكأنه رجاء وكأنه أمر فتعطي الأنعام كل الحليب ثم تختفي وتظهر في اليوم التالي عندما يناديها صوت الربابة في جوف الليل ..“<sup>(1)</sup> . وهذا ما وجدناه في تحقيق المعجزة في كل الأحداث التي مرت في الرواية. فلولا هذه الربابة لما ظهر جيش الجن العجيب و استطاع أن يتغلب على قوى الشر من جيش الانس. والحسين دائماً يتجه إلى ربابته عندما يحاصره الهم . أما عند موت الحسين فقد مات ميتة غريبة ولم تظهر جثته، ”أصابت الحسين رصاصة في صدره وقبل ان يسقط أو تسقط الربابة ، امتد زراع من أعلى الشجرة وحمله في رفق ووضع في أعلى غصن الدم الذي كأن ينسكب كشلال تكون بحيرة رقاقة المياه ، صارت مزاراً لأهل المدينتين . تلون ألوانهما بألوان الطيف“<sup>(2)</sup> . وقد ترك موته أثراً أسطورياً في نفوس أهل شارع النار، فالكاتبة هنا استخدمت الحسين شخصية خيالية حاولت من خلاله تقديم كثير من الحلول والعقد في الرواية فلسان حال الكاتبة يقول ان التغيير لا يمكن أن يأتي إلا بمعجزة أو قوى خارقة .

#### 4. شخصيات أخرى :

#### شخصيات شبابية :

الشخصيات الشبابية أو سن الشباب ترمز له زينب بليل في كل رواياتها بعنصر التقدم الذي عن طريقه يأتي التطور والتغيير في المجتمع السوداني، ويمتاز الشباب في المجتمع السوداني بما يمتاز به كل الشباب في عصور الانتقال، فهم جادون لا يعرفون الخمول طامعون في التعلم والرقي ، ففي كل رواياتها الشباب يتجهون إلى العلم و التعلم ، ولعل من اللافت في رواياتها أنها حين صورت الشباب وحياتهم ، لم تنقل لنا صورة شاب عابث أو تافه أو منصرف عن التعليم.

(1) رواية نبات الصبار ص 48.

(2) السابق - ص 250

فالكل يريد التطور والتغيير وذلك بما يفعله بسواعده الفتية وعقليته المتطورة. ففي رواية "الاختيار" مثلا انصب جل اهتمام الكاتبة على هذا الخليط من الأبناء (الشباب) وكيف تغيرت حياتهم باختيارهم، وكيف لعب الحب دورا أساسيا في تشكيل هذا التغيير سواء سلبا أو إيجابا. وتحاول الكاتبة كذلك في الرواية المقارنة بين جيلين جيل الأجداد الذي يتمثل في والد و والدة حمدان وجيل الأحفاد الذي يمثله أبناء حمدان، فتوضح من خلال هذين الجيلين التغيرات التي طرأت على المجتمع السوداني وكيف تم ذلك التطور، فالشباب هم الذين عملوا على تطور المدينة الصغيرة فسواعد أبنائها وعقولهم تطورت رغم الصعوبات التي عانوها والنظام الإقطاعي الظالم الذي يأخذ عرقهم وكدهم بثمن قليل "فتية كالأمل.. تماسكوا كجدار من الصلب... كأنهم يتواعدون... وغنوا بحناجر قوية.. كأنهم يهتفون.. كأنهم يقسمون بذاك التراب الذي سقوه عرقا ودموعا.. بأنهم سيواصلون الزحف وقوفا دون انحناء مهما دفعوا من ثمن.. لا خوف مهما طال الليل وكبرت العثرات"<sup>(1)</sup>.

فعن طريق الشباب تم ارضاخ الرأس مالي "السيد محبوب" وتغيير رائه و ذلك بحرق قطنه"<sup>(2)</sup>. والكاتبة في كل الأحداث لا تخصص شخصيات بعينها بل تتحدث عن الشباب بصورة عامة شباب القرية بما فيهم أبناء حمدان، وهذا يدل على اهتمامها بعنصر الشباب بصفة عامة، الذي ركزت واعتمدت عليه في التغيير الذي تنشده أو الحلم ببناء مدينة فاضلة يسعد فيها الجميع، وهذا ما نلاحظه في رواية "نبات الصبار" فالشباب كانت لهم البطولة المطلقة حيث صورت الكاتبة مجموعة من الشباب من ضمنهم البطلة وعدد من الشخصيات الثانوية جميعهم أطباء فقراء يسكنون مدينة النار فأسهموا في تكوين "جمعية العافية للجميع" التي كان هدفها الأول تحقيق العافية للجميع وذلك عن طريق طلب الدواء والمساعدة من الجهات الخيرية والطوعية، وكان أملهم أن يفتتح كل واحد منهم عيادة مجانية في بيت من بيوت الحي وتمنى أولئك الشباب أن تتحقق أمنيتهم.<sup>(3)</sup> وفي نهاية الرواية تحققت الأمنيات واستطاع الشباب أن يقدموا الصحة للجميع عن طريق بناء مستشفى ضخم في مدينتهم، وكذلك عن طريق الشباب تم بناء مدينة النار مرة أخرى بعد حرقها"<sup>(4)</sup>. إذن الشباب هم الذين عملوا على التغيير في كل المجالات الصحية والتعليمية والبيئية والثقافية. وهكذا تعطي الكاتبة الشباب اهتماما كبيرا في رواياتها وتبث من خلالها

(1) رواية الاختيار ص 35

(2) المرجع السابق - ص 68، 69

(3) رواية نبات الصبار ص 84

(4) السابق - ص 45

آراءها وأفكارها، فهم دائما من أكبر دعائم التجديد والتقدم في المجتمع السوداني. وقد لاقت نماذج الشباب التي قدمتها الكاتبة استحسانا وإعجابا وقبولا من جانب القارئ.

### ثالثا: طرق رسم الشخصية :

”وضع النقاد معالم الشخصية الروائية الناجحة، حيث انهم ركزوا على ضرورة إبرازها إبرازا تاما، من كل جوانبها بتحديد اسمها ولقبها وأسرته وقبيلتها وبيئتها ومقومها الاجتماعي والطبقي وثورتها وملامحها النفسية وقدرتها الفكرية وغير ذلك مما يساعد علي تحديد معالم الشخصية بصورة قاطعة جسميا ونفسيا واجتماعيا سعيا وراء الوصول إلى النموذج الإنساني المتكامل الذي يمكن أن يحكم له أو عليه من خلال موقفه أو مواقفه الإنسانية في الرواية.“<sup>(1)</sup>

فأكثر القراء يفضلون الرواية التي تقدم لهم شخصيات حية ، فهم يسعون إلي التعرف إلي شخصيات جديدة إنسانية يسهل فهمها وإدراكها تصور المجتمع وتتفاعل مع مشكلاته، ولا شك أن عناصر الرواية الأخرى تتضاءل أمام الشخصيات الحية المتحركة. والذي يحدد للشخصية إطارها الفني بالدرجة الأولى ، دورها في بناء الرواية ، ووعي الكاتب بوسائل خلق الشخصية، وأيما ما كان دور الشخصية في الرواية ينبغي أن تكون متوافقة مع منطقتين:

المنطق الأول: هو منطق الواقع الاجتماعي الذي تنعكس عنه الشخصية، أي تكون مصورة للبيئة التي تحدث عنها. فمثلا رواية «الاختيار» تبدو عرضا لقطاع من الحياة في السودان يمثل الشريحة الأكبر في المجتمع، والرواية تصور حياة أسرة بسيطة لا تختلف عن الآف الأسر التي عاشت في تلك الحقبة الزمنية. وتصور الكاتبة معاناة هذه الأسرة وأفرادها وكفاحهم ضد الظلم وتغيير واقعهم، أما رواية «كش ملك» فتصور البيئة السودانية من خلال الصراع ما بين الخير والشر ، الذي ترصد من خلاله الكاتبة حياة الشخصيات ونفسيته ومدى تأثيرها وتأثيرها في الآخرين وعلاقتها بطرفي الصراع . أما «نبات الصبار» فتقدم فيها زينب بليلى مجموعة عجيبة من المخلوقات الذين طحنتهم عجلة الحياة وقسوة الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية فحولتهم إلى كائنات تعيش حياة غريبة مليئة بالانحرافات والمتاعب، فهذه الشريحة من المجتمع تعيش تحت خط الفقر ، فتصور الكاتبة معاناتها وكفاحها من اجل حياة أفضل ، كما تصور الصراع بين هذه الشريحة والقوى السياسية التي كانت تحاول أن تقف في طريق تغييرها وتقدمها، فتعكس الكاتبة حياة الشخصيات ومعاناتها. وكثيرا من شخصيات رواياتها تحاكي شخصيات من الواقع، فصدق الكاتبة في استيحاء ملامح النموذج الذي تنقله عن الواقع ، يؤدي إلى أن تكون شخصياتها ممتلئة حياة وحرارة ومقنعة فنيا .

(1) الاتجاه الواقعي في الرواية السودانية الحديثة / د/ بشير عباس بشير ص 240

أما المنطق الثاني: أن تكون الشخصية صادقة لمنطق العالم الروائي الذي تعيش داخله، أي أن تكون صادقة ومناسبة للأحداث التي تعبر عنها داخل العالم الذي تقدمه، فكل رواية تصور حياة معينة لابد للشخصيات أن تمثل عالم الرواية الذي تعيش فيه، فكل الروايات بعواملها المختلفة نجد شخصياتها تمثلها تماما، سواء من حيث الخصائص العامة أو من حيث تصرفات الشخصيات وفق بيئتها التي تعيش فيها وتمثلها.

ففي رواية «الاختيار» مثلا نماذج مختلفة للمزارع ووصفه الذي يمثل بيئته، كما نجد نموذج للشخصيات الطيبة التي تمثل عالم الخير، وعكسها تماما الشخصيات التي تمثل عالم الشر في «كش ملك» أما «نبات الصبار» فقد أسهبت فيها الكاتبة في الوصف المكاني والوضع الاجتماعي أو الخلقي الذي تمت فيه الشخصيات وقدمت نماذج حية تمثل تلك البيئة بأبعادها المختلفة. وهكذا تحافظ كل شخصية داخل بناء الرواية على خط فكري معين لتؤدي دورها المحدد لها داخل العالم المتخيل الذي تصوره. وقد استخدمت الكاتبة طرق مختلفة لتكشف عن تلك الشخصية وأبعادها :-

## 1\_ الوصف السردي المباشر :

هي وسيلة يحاول بها الكاتب تحديد ملامح شخصياته، ويتخذ هذا التحديد عدة طرق لرسم الشخصية داخليا وخارجيا. فعند رسم الشخصية من الخارج يعتمد الكاتب إلى «الطريقة التحليلية وهي الطريقة الأولى، التي ترسم الشخصية من الخارج، فتشرح عواطفها وبواعثها وأفكارها وأحاسيسها، ويعلق الكاتب على بعض تصرفاتها ويفسر البعض الآخر. أما الطريقة الثانية لرسم الشخصيات داخليا فهي الطريقة التمثيلية التي ينحى الكاتب نفسه فيها جانبا، ليتيح للشخصية أن تعبر عن نفسها وتكشف عن جوهرها، ويمكن للكاتب أن يستخدم الطريقتين، ولكن قد تضطره بعض المواقف فيلتزم بطريقة واحدة، مثل روايات تيار الوعي عند ما تعبر الشخصية عن نفسها. أما السرد والحوار فيجعلان الكاتب يستخدم الطريقتين»<sup>(1)</sup>. ولكن «الطريقة التمثيلية يفضلها النقد الحديث لأنها تكشف الشخصية من الداخل إلى الخارج فتصبح أقوى أثرا وأدق تعبيرا عن وصفها خارجيا»<sup>(2)</sup>. وزينب بليل استخدمت الطريقتين في رسم شخصياتها لأن رواياتها مبنية على السرد والحوار معا، فرسمت الملامح والحدود العامة لكل شخصياتها ثم الخطوط التي ينبغي أن تسير فيها وفق الملامح العامة لها بحيث لا تتعداها فهي تجعل من شخصياتها أمطاطا وصوراً محددة المعالم والسمات، وسوف نوضح ذلك من خلال تحليل بعض شخصياتها وطرائق رسمها، فمثلا شخصية «خديجة» في «نبات الصبار» تصورها الكاتبة في صورة إنسانة خيرة كاملة

(1) انظر فن القصة د/ محمد يوسف نجم ص 98

(2) المرجع السابق - ص100

الأخلاق والخلقة وتمنحها كل صفات الكمال « كل ما يتبقى من إيراد الشتول يعطيه الحسين خديجة... تتصرف فيه كما تحب .. فكانت خديجة تشتري فستانا لطفلة اهترا فستانها، أو جلبابا لامرأة.. أو كراسا لتلميذ تراه يحتاجه.....دخلت مع أعضاء الجمعية البيوت وشاركت في تنظيفها وشاركت في زراعة الأشجار . كل السكان يعرفون ابنة الحسين التي أخذت منه أخلاق الملائكة»<sup>(1)</sup>

ففي معظم أجزاء الرواية تبالغ الكاتبة في تصوير شخصية «خديجة»، فتصورها كريمة محبة ودودة ومتعاونة مع الآخرين.<sup>(2)</sup>، أما في المدرسة فهي الطالبة النموذجية المتفوقة في دروسها تحرز أعلى الدرجات في جميع مراحلها حتى تفوقت في المدرسة الثانوية وتبلورت شخصيتها وحصلت على مجموع يؤهلها دخول كلية الطب، وهنا اكتملت الصورة التي أرادت الكاتبة لهذه الشخصية التي خططت لها حياتها منذ مولدها وفق نهج معين ، وفي حدود ذلك التخطيط تسير الشخصية .

وقد ركزت الكاتبة على البعد الجسمي لبطلتها بصورة اكبر وخاصة صفات بعينها تجعلها متميزة ومستقرة في نفس القارئ وعقله، مثل التركيز على شعر«خديجة» الأسود الطويل الذي تميزت به فحاولت الكاتبة إبرازه وأصبح سمة من سمات الشخصية تعرف به وكررته أكثر من مرة «وبالماء الدافئ غسلت شعرها الذي أغرقته بالدهن منذ الأمس ..ثم مشطته بالمشط والفرشاة حتى لمع، ثم أحكمت نسج الضفيرة التي تدلت بطول الظهر»<sup>(3)</sup>. فهو هنا ميزة تميزها عن غيرها لا يشاركها فيه احد، لذلك تظل صورتها عالقة في ذهن القارئ بهذه الصفة المميزة. ولكن بالرغم من ذلك لم تركز الكاتبة على هذا البعد الجسمي فقط بل خلطت بينه وبين أبعاد أخرى كالبعد الاجتماعي أو النفسي .

ونلاحظ أن الكاتبة لم تقف عند وصف الشكل الخارجي بتفاصيل دقيقة لأنه يستغرق صفحات طويلة ، لذلك فإنها اختارت الأوصاف التي تخدم وتدعم هدفها وأفكارها أو تنقيها ، فحاولت التركيز على جانب واحد أو أكثر من الأوصاف التي تتميز بها الشخصية فعملت على إبرازها، مثل هذا الشعر الطويل الذي اهتمت به الكاتبة كثيرا بل جعلته محور لبعض الأحداث ، وفي «كش ملك» ركزت على عيون «وقيع الله» الجريئة و نظرته التي تخترق الناظر إليها حتى النخاع ودائما تذكر الكاتبة تلك العيون ونظرتها. تلفت الكاتبة النظر إلى شخصياتها حين تعتمد إلى تحليلها ووصفها بدقة ، مبينة

(1) نبات الصبار- ص 58

(2) السابق - ص 74

(3) رواية نبات الصبار - ص64

خصائصها ومميزاتها وواصفة لأخلاقها وتصرفاتها ، وحينئذ لا تترك الكاتبة صغيرة ولا كبيرة إلا أحصتها، فلا تدع للقارئ المشاركة في رسم الشخصية بل له المشاركة الوجدانية فقط، وقد تتدخل الكاتبة كثيرا في تكوين ومزاج شخصياتها ويظهر من رسم الشخصيات أنها كانت مكتملة في ذهنها ولم يبق الا أن تعرضها على محك التجارب التي تجلو شخصيتها جلاء واضحا ودقيقا. «فاستخدام طريقة التقديم الوصفي المباشر للشخصية من قبل الكاتب تجعله يتحكم فيها وفي أفعالها فلا يعطي القارئ الفرصة لاكتشاف الشخصية بل يقدمها له جاهزة من خلال هذا الوصف التفصيلي ، وهذا الأمر جعل بعض النقاد يعيب ذلك لأن وصف الشخصية في الحياة العادية لا يتم بتلك الطريقة ، وقد تنبه النقاد إلى عدم انزلاق الروائي وراء تلك الأوصاف ، لأنه ربما يفقد الشخصية منطقتها الذي يجب أن تحافظ عليه ، من حيث واقعيته لتصوير الحياة البشرية وصدق الكاتب وفق العالم الروائي الذي تعيش فيه»<sup>(1)</sup>.

ربطت الكاتبة بين وصف الشخصية من الخارج وبين بعدها النفسي، فاعتمدت على الوصف الخارجي للشخصية لتعين القارئ على تفهم الأبعاد النفسية لها، فلا شك أن الشكل الخارجي لشخصية «الملك» أو «البحر» في «كش ملك» هو الذي أعان القارئ على فهم نفسيتهما فقد أعطت الكاتبة «وقيع الله الملك» وصفا منذ بداية الرواية يدل على ما سيكون عليه في حياته فهو «ذو قامة فارعة قوية ولونا يماثل القمح حين الحصاد وعيونا جريئة تخترق الناظر إليها حتى النخاع وعقل لا تقف إمامه معضلة»<sup>(2)</sup> ، فهذه الأوصاف أعانت على فهم نفسيته التي تكشف عن غروره وثقته الكبيرة بنفسه، فقد استغل عقله وشكله في تغيير وضعه الاجتماعي «سأستغل شكل الملك هذا واعيشت في عواصم العالم وأتزوج شقراء»<sup>(3)</sup> ، فوقيع الله كان يعرف قيمة نفسه ولكن الحظ ليس معه فهو فقير وأمه تعمل خادمة في بيوت الأغنياء لذلك تولد في قلبه حقد ضد الناس جميعا، ولجأت الكاتبة هنا لطريقة تعامل الآخرين مع الشخصية ، فقدمته من زوايا متعددة ، ولكنها جميعا تصب في مورد واحد هو إظهار تلك الشخصية بالأنانية والانتهازية ، وبذلك استطاعت الكاتبة أن تستنقذ هذه الشخصية من التسطح .

أما «البحر» الممثل لجانب الخير في روايتها فقد منحته أوصافا تدل عليه «قوي البنية وأقوى ما فيه يدها قويتان بشكل واضح . وعيناه الصغيرتان تلمعان مثل خرزتان

(1) انظر الاتجاه الواقعي في الرواية السودانية الحديثة د/ بشير عباس بشير ص 132-133

(2) رواية «كش ملك» ص 3 .

(3) السابق الصفحة نفسها .

سوداوان تقولان للناظر إليه سلاما سلاما...إذا نظرت إليه لا تملك إلا أن تبتسم لا تملك إلا أن تحبه»<sup>(1)</sup>، فهذا الوصف هيأت الكاتبة به القارئ ليتعرف على الشخصية منذ البدء بأنها سوف تكون خيرة ، وقد ركزت على اليمين القويتين لإعداده لأحداث قادمة مثل الزراعة والحفر، فجعلته في أحداث أخرى يحفر التربة تحت شجرة النخيل التي زرعها في منزل سعاد الفتاة التي أحبها ثم يقوم بحمل زوجها ودفنه بعد أن قامت هي بقتله، وقد اعتمدت الكاتبة كثيرا على هذا الأسلوب التقريبي في تقديم شخصياتها بصورة مثالية حيث تلصق بها بعض الصفات الثابتة التي تلازمها من أول الرواية حتى نهايتها وهي لا تتغير-كما ذكرنا ذلك- فجاءت معظمها شخصيات ثابتة بسيطة ملحمية الشكل ، مثل شخصية «البحر» و«الملك» في «كش ملك» وشخصية «الحسين» في «نبات الصبار» وغيرها. «والروائي كما ذكر النقاد لا يقف من الشخصية موقف القاضي ، لأن ليس من وظيفته إصدار الأحكام المباشرة عليها وعلى الناس ، فهذا من عمل المفكرين والمعلمين ، وإذا نظر الكاتب إلى الحياة أو الشخصية من منظور واحد أو جامد فقد مصداقية عمله وحيويته»<sup>(2)</sup>.

لم تقتصر الكاتبة على الأوصاف الجسدية البارزة للشخصية بل عمدت إلى الوصف الدقيق، ففي روايتها «الاختيار» وصفت جميع شخصياتها خاصة أفراد أسرة حمدان وصفا انشائيا دقيقا «الروضة فعلا هي ملكة ..لا تصرخ ولا تتشنج ابداً هي اقرب للحزن من المرح لكنه حزن ملوحي ..يجبرك أن تحترمه ولا تحاول هتك أسراره ..أرجلها مشققة شعرها أشعث وجلدها يابس ..وفستانها كأنها استعارته من أخرى أكبر منها حجما...الروضة والعيون الندية رغم الجفاف ..والعطاء السخي والحب الذي لا ينضب ..والصدر الذي لا يضيق مهما ضاق العيش ومهما استحكمت الحلقات»<sup>(3)</sup> فالكاتبة هنا تصف الشخصية وتحللها وتوضح جميع جوانبها بل تشرح نفسياتها وتقدمها جاهزة للقارئ الذي لا يتعب ذهنه في اكتشافها وكذلك الكثير من الشخصيات التي تصفها بنفس الصورة»<sup>(4)</sup>. فنلاحظ هنا الوصف الكامل لتلك الشخصيات التي لا تصفها من الخارج فقط بل تتعمق في وصف نفسياتها، إذن فالكاتبة أيضا لم تغفل التكوين النفسي لشخصياتها بل حاولت أن تتغلغل عمق شخصياتها وتفسر سلوكها ، وترتب نتيجة شبه حتمية على مسلمات بديهية في التكوين النفسي والبيولوجي لشخصياتها ، وكثيرا ما أماطت اللثام عن تكوينهم النفسي من خلال الوصف الحسي الموحى

(1) رواية «كش ملك» ص 11

(2) الشخصية وأثرها في البناء الفني لروايات نجيب محفوظ د/ نصر محمد إبراهيم نصر ص 227

(3) رواية «الاختيار» ص 113

(4) المرجع السابق - ص 113.

ليس وصفها هي فقط للشخصية بل عمدت على أن تضع شخصياتها في مواقف متأزمة لتكشف عن طبيعة تكوينها، مثل انهيار «خديجة» بطله «نبات الصبار» حين فقدت عقلها نتيجة فقدان جنينها عقب عملية الإجهاض التي أجريت لها دون علمها» بعد ساعات من النوم بدأت خديجة تتحرك. بدأت تتحسس بطنها.. وفجأة صرخت صرخة حادة. ألحقوني يا ناس.. ألحقوني.. أنا اتشلت»<sup>(1)</sup>.

فقدت الكاتبة نفسية خديجة من خلال هذا الحدث الذي وضع مدى رقة إحساسها ورهافة حسها فلم تستطع تحمل الصدمة ففقدت عقلها «جينا جنت يا بكري أنا جننتها»<sup>(2)</sup>.

إذن قدمت زينب شخصيات رواياتها ووصفتها بدقة جعلتنا نتخيلها فأوهمتنا بالحقيقة، وهدفها إدخالها في مواقف معينة، ووصفتها دفعة واحدة، فكأننا أمام مسرحية نتطرق فيها لكل شخصية عند ظهورها. ولكن إذا أمعنا النظر في هذا الوصف في روايات الكاتبة نجد أن روايتها الأولى «الاختيار» هي التي حظيت بكثير من هذا الوصف بينما قل في الروايتين التاليتين خاصة روايتها الأخيرة «نبات الصبار» حيث اعتدل فيها الوصف ففي وصف الحسين تروي الكاتبة «اسماه والده الحسين.. وكان اسم على مسمى هادئا ومسالما ودائم الإبتسام ويشبه الملائكة كما يرسمهم الرسامون»<sup>(3)</sup> فنزي كيف اختصرت الكاتبة الوصف، واستعاضت عنه بطرق أخرى في تقديم شخصياتها نفسيا وفكريا واجتماعيا، وهذا يدل على تطور الكاتبة في وصف الشخصية، وطرق تقديمها.

## 2\_ الحوار:

«اللغة في العمل الروائي محور أساسي يعتمد عليه الكاتب ليحدد معالم الشخصية من ناحية وطبيعة الحدث الروائي من ناحية أخرى. كلما كانت اللغة مصاغة بشكل منطقي يساير طبيعة الشخصية والحدث كان الكاتب قادرا على نقل المفاهيم والأفكار والمواقف المتعلقة بالشخصية والواقع وبالتالي يؤثر في المتلقي»<sup>(4)</sup>. والرواية الجيدة لا توظف الحوار لتنمية الحدث العام للرواية فحسب إنما ليكشف عن الملامح الذاتية والنفسية والفكرية لكل شخصية في الرواية، فالحوار المركز الموحى يبرز جوانب أخرى موحية للشخصية. ويمثل عاملا هاما وأساسيا في رسم الشخصية. وللحوار أهمية خاصة في روايات زينب بليل إذ

(1) رواية نبات الصبار - ص 186-187.

(2) المرجع السابق - ص 188.

(3) المرجع السابق - ص 25.

(4) الشخصية واثرها في البناء الفني لروايات نجيب محفوظ / نصر محمد إبراهيم عباس ، ص 262

من خلاله يمكن الوقوف على الشخصية بأبعادها الاجتماعية والنفسية والذهنية والمادية، كما يكشف عن الصراع بين الشخصيات المتحاورة بكل ما تحمله من أفكار، ويقوم كذلك بوظيفة مهمة هي التمييز بين الشخصيات المتحاورة لاختلاف تركيباتهم الاجتماعية والفكرية، فمثلا في «نبات الصبار» حوار البطله مع حبيبها عندما قرر السفر للخارج بحثا عن حياة كريمة وتغييرا لوضعه الاجتماعي اظهر جوانب كثيرة من شخصية البطله وكذلك حبيبها»أحمد» الشخصية الثانوية المهمة في الرواية:

«- أنا أعرفك تماما.

- وتعرف أنني اكره سياسة الأمر الواقع.

- القرار ضد ما تعتقدين ضد مثلك ومبادئك . إذا أخبرتك لن توافقني .

- وأنت؟ متى انسحبت؟ متى غيرت مثلك ومبادئك؟ لم أحس أنك ليس معي»<sup>(1)</sup>.

فهذا الحوار كان طويلا بين الشخصيتين ظهر من خلاله تفكير كل منهما ومبادئه ومثله، فالكاتبة هنا لجأت للحوار لكشف جانب من شخصية البطله وفكرها لم توضحه بالسرد فاستعاضت عنه بالحوار. وحوار الشخصيات كذلك يكشف عن بعض جوانبها الدينية أو الاجتماعية أو الفكرية، فمثلا هنالك كثير من الحوارات التي أجرتها الكاتبة في روايتها «الاختيار» بين الأطراف المختلفة من الشخصيات وضحت من خلالها آراء تلك الشخصيات وميولها الدينية والفكرية بله الاجتماعية، ومن نماذج تلك الحوارات التي توضح الأبعاد المختلفة للشخصيات، الحوار الذي دار بين «الطاهر» و«ليلي» وضح وجهة نظر كل منهما وآراءه:

«- بس تعرفي لو كنا من نفس الطبقة كان أحسن على الأقل ما أحس كأني طفيلي

أو وصولي أو أي حاجة من البقولوه عن الناس الفي ظروفنا دي

\_ طاهر ما تبقى بايخ شيخ قبيلة في السودان حيكون شنو يعني؟مهراجا ولا لورد ولا

شيخ من أرض البترول.....

- ليلي من أقدم الصراعات في العالم الصراع بين الطبقات وأنا لا أريد أن أشقيك

معي....صدقيني يا ليلي..لن تقبلي الكثير من أفكارني ولن تحتملي الكثير من تصرفاتي»<sup>(2)</sup>.

فالكاتبة هنا أطالت كثيرا في الحوار الذي ناقشت من خلاله آراءهما وأفكارهما

وحاولت أن توضح الفارق الطبقي بين الشخصيتين وكيف يمكن أن يقف الفقر حاجزا في

سبيل الحب بين الطاهر وليلي . وأجرت كذلك حوارا طويلا بين حسين وبدرية وضحت من

(1) رواية نبات الصبار ص 89

(2) رواية الاختيار - ص 45

خلاله اتجاهاتهما السياسية وميولهما الفكرية  
”- بدرية أنا ملاحظ حاجة كأنك ما بتتفقي معاي .. ممكن افهم اتجاهك شنو؟....“

- لا اتجاه لي ...

- قلت لا اتجاه لك .. ما هو دينك؟ ما هو هذا الحق الذي تؤمنين به ؟

- حسين لم اقل لأحد غيرك. أنا لا دين لي ”(1).

فالحوار هنا كشف لنا الجوانب الغامضة في الشخصية ،ورفع الحجب عن ما أرادت الشخصية إخفاءه عن الكل ، فوضحت الكاتبة عن طريق الحوار الاختلاف البين بين الشخصيتين في الفكر والمبدأ والعقيدة . ومثل هذا الحوار المتبادل بين الشخصيات يكشف عن الملامح الفكرية المحددة لكل شخصية.

” وقد تتدخل الكاتبة أحيانا في لغة شخصياتها وتنطقها بما لا تحمل من أفكار ورؤى وترى دكتوراة منال أن“ التدخل البارز من قبل المؤلف في لغة شخصياته وانطاقها بما لا تحمل حسب الأبعاد التي وصف بها تلك الشخصية من العيوب الفنية الكبرى للعمل الروائي وللراوي أيضا“(2).

وزينب كثيرا ما تستخدم هذا التدخل لتعبر عن أفكارها وآرائها من خلال شخصياتها وتنطقها بما لا يناسب الشخصية وأبعادها التي رسمتها لها من قبل وهذا ما نلاحظه بصورة ملفتة في جميع رواياتها حيث تبث أفكارها على لسان شخصياتها، فروايتها ”الاختيار“ ضمنتها كثيرا من آرائها السياسية والاجتماعية وكذلك آراءها حول المرأة وعملها على لسان شخصياتها

”- طاهر .. حرام. أنا دخلت كلية العلوم خصيصا حتى يكون لي عمل مهم ..

- لا تخافي ما تنوي عمله سيعمله الشبان اعلمي أنت ما لا يستطيعون عمله ....  
تفرغي أنت للأطفال ...زملأوك بإمكانهم أن يصنعوا الذرة ..لكن ليس بإمكانهم أن يصنعوا طفلا .لا إمكانية لديهم للحمل والولادة...لا يعرفون كيف يرعون طفلا وليس لديهم الصبر ولا الخبرة ..وحرام أن تقومي بعملين في المكتب والمصنع في نفس الوقت“(3).

فمن خلال هذا الحوار ربما وضحت الكاتبة موقفها من عمل المرأة على لسان إحدى شخصياتها. وفي ”نبات الصبار“ روايتها الأخيرة ضمنتها كذلك كثير من آرائها السياسية والاجتماعية حول الأوضاع المتردية في البلاد ونقص الغذاء والدواء وعدم الرعاية الصحية

(1) المرجع السابق - ص 50

(2) صورة الرجل في القصة القصيرة في المملكة العربية السعودية- د/ منال عبد العزيز العيسى - الناوي الأدبي بالرياض1423هـ- 2002م- ص 167

(3) رواية الاختيار ص47

وكذلك سوء الأوضاع الاقتصادية التي أدت بالتالي إلي تردّي الأحوال الاجتماعية، وكل ذلك أجرته على لسان شخصيات لا تتناسب مع مستوى فكرها وثقافتها<sup>(1)</sup>.

ومن الوسائل التي تساعد على تمثيل الشخصية وتمو صورتها في الرواية حديث الآخرين عنها، ووصفهم لها، بحيث يكون كلام الآخرين مكملًا لجوانب الصورة ومنميا للشخصية، ولكن الكاتبة لم تستخدم هذه الوسيلة كثيرا في الكشف عن شخصياتها بل قدمتها عن طريق السرد في أغلب الأحيان. ومن حديث الآخرين في «كش ملك» حديث «البحر» عن «خالد» عندما تحدث مع الملك:

«عشان هارب من جريمة قتل غير اسمه... ما كمل حتى المتوسطة. أكرم من عرفت وأحسن من عرفت...»<sup>(2)</sup>. فالملك هنا لا يعرف شيئا عن خالد فحوار البحر معه وضع له جوانب مهمة من الشخصية أكمل صورتها.

الحوار قد يختلف ما بين حوار خارجي بين الشخصيات أو حوار داخلي «نجوى النفس»، أو ما يعرف بالمنولوج الداخلي وهو من وسائل تنمية الشخصية حين تتحدث لنفسها متأملة حالها، فيزول حينئذ ما بين الوعي واللاوعي من حجب وأستار و ينتفي البعد الزمني بين الماضي والمستقبل بذلك تكشف الشخصية عن نفسها لقارئها وتوضح له خباياها وأسرارها<sup>(3)</sup>. فوقيع الله الملك في «كش ملك» قدمته الكاتبة بوجوه متعددة للشخصية عبر اللغة الحوارية «لغة الأعماق أو المنولوج الداخلي» التي ساعدت في رسم معالم شخصيته وزودتها بدلالات شعورية:

« من قال أنني أحلم بإضافة شيء للإنسانية؟ لم تعطني الإنسانية غير أب ملك بلا عرش أو تاج ولا حتى رعية، وأم تعمل خادمة في المنازل... اينشتاين والإضافة للإنسانية! لن أجهد نفسي أبدا ولن أضيف شيئا. تحترق الإنسانية بأغنيائها وأوغادها»<sup>(4)</sup>. فهذه اللغة أضفت بعدا إضافيا على الشخصية، حيث استطاعت الكاتبة ان تعبر عن خلجات الشخصية ونفسياتها في ذلك الموقف. وهنالك حديث السيد محجوب في «الاختيار» مع نفسه واسترجاع ذكرياته عندما رأى «آسيا» خطيبة ابنه، وابنة حبيته أيام الصبا التي كان يتمنى أن يتزوجها ولم يوفق «تسمر الرجل وهو يمده لآسيا. الملامح التي لم تفارق خياله أبدا.. العيون الندية... وتصارع في نفسه الخير والشر هل يريد القدر أن يعوضه أم يسخر منه؟ وسدت حلقه

(1) رواية نبات الصبار ص 240.

(2) رواية كش ملك ص 182

(3) دراسات في نقد الرواية د/ طه وادي ص 126

(4) رواية كش ملك ، ص 3 .

غصة ابتلعها قبل أكثر من عشرين عاما....وتذكر عاره يوم عودته...هل ينتقم لنفسه في ابنه أم يتصالح مع الأيام؟ وأخيرا استطاع أن يللم نفسه التي تبعثرت عبر نصف قرن من الزمان»<sup>(1)</sup>، المشهد يوضح لنا الإضطراب في الشخصية حيث كشف لنا المنولوج الجوانب النفسية للشخصية التي تبدو متماسكة وقوية أمام الآخرين ولا تظهر ضعفها إبدأ، فالحوار الداخلي هنا كشف عن بعض جوانب الشخصية. وهذه التقنية الفنية التي تكشف عن أبعاد الشخصية لا يستخدمها الكاتب إلا مع الشخصيات المؤثرة بقوة في بناء الرواية .

«ولا يستغنى الكاتب المحايد الذي يحاول أن ينحي نفسه جانبا عن الحوار، وذلك ليترك الشخصيات تمثل حوادث القصة بحرية وانطلاق أمام ناظري القارئ. ولهذا لا يقحم نفسه بتعليق أو تعقيب، بل يؤثر أن يدع الشخصية تتكلم وتبث عواطفها وأحاسيسها، فهذه الوسيلة أوثق صلة بالحياة، واصدق تعبيراً عن النفس الإنسانية»<sup>(2)</sup>، ولكن الكاتبة نجدها تعلق دائما على شخصياتها خاصة عند حديث النفس فلا تترك الشخصية تعبر عن نفسها حسب ما رسمتها بل تعلق على تداعيات الشخصية وتتدخل فيها. فرواية «الاختيار» مثلا حيث تكثر أحاديث النفس عند شخصية البطلة «آسيا» التي يخول لها موقفها في الرواية ظهور هذه الأحاديث تتدخل الكاتبة بالتعليق والتعقيب على تلك التداعيات ص 88،89. فالكاتبة علقت وتدخلت في نجوى الشخصية ولم تترك لها حرية التعبير. وكذلك فعلها ينم عنها ويكشفها بجميع أبعادها من خلال طرق مختلفة، فتبدو أمام القارئ شخصية واضحة المعالم والأبعاد حية تتحرك في الواقع .

### 3\_ الحدث :

الشخصية هي العنصر الأهم في الرواية، وكل ما يحدث من أحداث لابد أن يمسها، ويؤثر في تلوينها بألوان جديدة، ويلقي أضواء كاشفة على مكامن أسرارها وأعماق أغوارها، لذلك فهناك علاقة وثيقة ما بين الحدث والشخصية. فالشخصية لها دور جزئي تسهم به في بناء الحدث الكلي للرواية، و كل حدث يساعد في تطور الشخصية ومهوها، فتتابع الحدث الروائي يكشف جوانب من الشخصية ويظهرها نامية مثيرة ومقنعة، فمثلا «خديجة» في «نبات الصبار» تتابع الأحداث ومهوها عمل على كشف جوانب من شخصيتها، وذلك من خلال عدد من الأحداث. ونذكر منها على سبيل المثال موقفها عندما قص لها زوجها شعرها دون أن تحس» التفتت لتخرج من الباب فلوحت الضفيرة..وفي لمح البصر كان قد اجتث شجرة الشعر في ضربة واحدة ورمائها على الأرض كتعبان ضخم.! نظرت إليه غير مصدقة

(1) رواية الاختيار ، ص 75

(2) انظر الاتجاه الواقعي في الرواية السودانية الحديثة د/بشير عباس بشير ص 118

.....، لم تأخذ شيئاً غير ضفيرتها. جثت على ركبتيها وحملتها كما تحمل أم رضيعاً تخاف إزعاجه.. واتجهت صوب الباب قررت أن تهرب بجلدها ستترك له كل الذهب وفساتين الحرير والعطور الباريسية وتربح نفسها قررت أن تستيقظ.. عاشت معه سنينا كاملنومة طمعا في نجاح مجاني وتحقيقا لحلم حلمته العشيرة، فلم تحقق حلما ولم تنل نجاحا<sup>(1)</sup>. فمن خلال الحدث وضحت لنا جوانب من شخصية البطلة تتمثل في عدم سعادتها مع زوجها ومجاراتها له وتضحيتها في سبيل هدف معين وتكشف الحدث كذلك عن قناعتها وعزة نفسها، فهذه الأبعاد في الشخصية تبلورت من خلال الحدث الذي أظهرها جلية واضحة.

وفي «كش ملك» هنالك بعض الأحداث التي كشفت جوانب من شخصية «الملك» وعمقتها، فالملك كان يبحث عن أبنائه فعندما عثر عليهم لم ينفعل ولم تظهر عليه دلائل الفرح أو الشكر لله أو الاندهاش بل رد ببساطة «مستحيل.. تقدر تقنعهم يجتمعوا بي»<sup>(2)</sup> فهذا الموقف من جانبه يدل على بروده وشخصيته القاسية التي لا تلين حتى في أحلك المواقف، فتتطور الأحداث هنا كشف عن بعدا آخر للشخصية وموهها.

#### 4. البيئة :

هناك علاقة وثيقة بين البيئة والشخصية في العمل الأدبي، فلا بد للشخصية أن تمثل واقع البيئة التي تعيش فيها، فيصورها الكاتب مناسبة لواقعها ولا تحيد عنه، كما أن وصف البيئة الطبيعية يؤثر أحيانا في نفسية الشخصية وتطورها، فيكشف عن عواطفها وأحاسيسها، وبالتالي يؤثر في أحداث الرواية. وقد عمد كثير من الكتاب الروائيين خاصة الواقعيين منهم لوصف تفصيلي للبيئة بوصفها عاملا مهما في الكشف عن الشخصية وأبعادها. وقد تخصص «كتاب الغرب الروائيين الواقعيين أمثال «اميل زولا» و«فولبير»، في وصف البيئة الطبيعية بطريقة مسهبة وتفصيلية لأنها تؤل على الشخصية التي تقيم في هذه البيئة وتتفاعل معها مثل رواية «الخمارة» لزولا ورواية «مدام بوفاري» لفلوبير و«الأب غوربا» لبلزاك<sup>(3)</sup>».

وقد تناسب وصف البيئة عند زينب بليل مع الشخصية وأبعادها، فإذا كانت البيئة بسيطة وفقيرة كانت الشخصية كذلك والعكس إذا وصفت البيئة الغنية خلعت

(1) رواية نبات الصبار - ص 182-183

(2) رواية كش ملك - ص 183

(3) أثير الرواية الواقعية الغربية في الرواية العربية د/ محبة حاج معتوق- دار الفكر اللبناني - كورنيش بشارة الخوري - بيروت - لبنان- بدون تاريخ - ص 37

أوصافاً للشخصية تناسب البيئة من وجهة نظرها ، ففي جميع رواياتها قسمت البيئة إلى غنية وفقيرة وصنفت البشر تبعاً لذلك إلى صنفين أغنياء وفقراء، لذلك تلاءمت شخصياتها مع البيئتين.

فالبيئة البسيطة الفقيرة جاءت تصرفات شخصياتها طبيعية ومعبرة عن بيئتها ذات المستوى المعيشي الواحد فأفعالها وحديثها بل حتى هيئتها تناسب بيئتها . فصورتهم طبيين صادقين بسطاء خيرين ، أما الأغنياء الذين يعيشون في الجزء الآخر من المدينة فتصفهم الكاتبة أوصافاً تناسب بيئتهم وما يتمتعون به من رفاهية وثراء فجاءت شخصياتهم معبرة عن بيئتهم هيئةً وفعلاً بل خلعت عليهم صفات التكبر والعنجهية وبالغت في ذلك وأعطتهم كل الصفات السلبية ، فالغني ظالم ومتعجرف ومحب لنفسه وغيرها من الصفات . وشخصيات روايتها الأخيرة «نبات الصبار» مثلت البيئة التي تقيم فيها خير تمثيل وتفاعلت معها.

عكفت الكاتبة على تقديم نماذج بشرية درستها من واقع ظروفها البيئية وعواملها الوراثية، لذلك شعرنا من خلالها بمدى معاناة الكاتبة وجهدها في تتابع تفاصيل الملامح الداخلية والخارجية لكل شخصية ، ولهذا فهي تقدم نموذجاً كاملاً لشخصياتها في الغالب، فتخضع شخصياتها لمنطق الحتمية الذي يقضى به عامل الوراثة والبيئة ، فتتبع عوامل الوراثة بين «آسيا» ووالدها في «الاختيار» فتوضح اثر العامل الوراثي في الشخصيات وطبعها بطوابع شكلية ونفسية واجتماعية.

وفي «كش ملك» هناك تشابه كامل بين أفراد عائلة «الملك» الذين ورثوا منه الشكل والهيئة، فوقع الله يشبه والده «الملك» وقد نقلت ملامحه وأوصافه لأولاده خالد «الحبيب» واحمد اللذين أخذوا الملامح الجسدية الكاملة دون الأخلاق « أحمد وقيع الله الملك ، إذا رآه الذين حضروا طفولة وقيع الله الملك سيظنون أن وقيع الله لم تمر عليه السنون وتوقف في عمر الخامسة عشر ولم يتخطاها . نفس كل شي ، العيون والإبتسامة .. نفس لون القمح عند الحصاد . والخطوة الواثقة .. نفس القامة المشوقة والذكاء الوقاد . لكن طبعه فرق السماء من الأرض»<sup>(1)</sup>.

فالوراثة هنا عامل مهم لتوضيح معالم الشخصية . أما «زهرة» ابنة وقيع الله فهي شبيهة لعمتها «سيدة» وقد أخذت منها كثير من الصفات الجسدية<sup>(2)</sup> ، فزهرة رغم الشبه الكبير بينها وبين عمها سيدة في الشكل إلا أنها كانت تختلف عنها خلقياً، أما «ياسمين

(1) رواية كش ملك ، ص 100

(2) رواية كش ملك ، ص 118

المملك» فقد جعلتها الكاتبة تراث من صفات جدها «المملك» ووالدها «خالد» وجدها «البحر»، وشخصية «خديجة» في «نبات الصبار» ورثت من والدها «الحسين» صفات كثيرة منها حب الناس والاهتمام بشؤونهم، كما ورثت منه حب الزهور وغير ذلك .

والكاتبة هنا تعلي من شأن الوراثة وتجعلها عاملا حاسما في حياة الشخصية، وتهمل كل المؤثرات الأخرى، وهي بذلك تفصل الشخصية عن محيطها الاجتماعي لا تؤثر فيه ولا تتأثر به فكل شئ كسبته بالوراثة، فالكاتبة تجعل الصفات الوراثية تتحكم في الشخصية.

## 5. تقنية التقابل والتضاد :

لجأت زينب بليل في رسمها للشخصية إلى أكثر من وسيلة للكشف عن جوانب الشخصية- كما رأينا ذلك من خلال التقنيات السابقة - وقد خضعت شخصياتها كذلك إلى تقنية:-

1- التشابه أو«التقابل» فتشابهت شخصياتها بدرجة يصعب في بعض الأحيان التفريق بينها، فشخصياتها تتخذ نفس الأبعاد النفسية والاجتماعية في بعض رواياتها ونجدها تتكرر بنفس أبعادها، فمثلا شخصية «الحسين» في «نبات الصبار» تشابه شخصية «البحر» في «كش ملك» في أكثر صفاتها واهتماماتها، فالحسين زاهد في المال لا يحبه ولا يريد امتلاكه، وكذلك هو محبا للزهور والشتول التي يزرعها وأيضا منسقا جيد للحدائق وعازف بارع للربابة«الحسين لا يملك ولا يريد أن يملك مالا، كل ما يريد تربية الشتول التي يهدي أغلبها والعزف على الربابة ... الحسين لن يكون غنيا»<sup>(1)</sup>، جلست بجانب الحسين الذي كان يعالج نبتة ذابلة بكل الصبر يحاول أن يعيد لها الحياة..<sup>(2)</sup>، فكل هذه الصفات يتشارك فيها «البحر» مع «الحسين»، فالبحر«الطيب» منسق جيد للزهور والحدائق وزراعة الشتول إلى جانب أنه زاهد في المال، أضف إلي ذلك حبه وإتقانه للرقص، وعزفه على المزمار«كانت متعة الطيب القصوى العناية بتلك الحديقة ..صرف الجنائني واعتنى هو بالحديقة ..»<sup>(3)</sup>، «وكانت تطلب منه أن يغني لها أو يعزف على المزمار»<sup>(4)</sup>، فنلاحظ هنا مدى التشابه في الاهتمامات بين الشخصيتين ولا يقف التطابق عند هذا الحد بل نجد تشابه من الناحية النفسية والاجتماعية، فكلاهما تعرض لظروف جعلته فقيرا، وكلاهما اتسم بالطيبة والعفوية وحب الخير للجميع .

(1) رواية نبات الصبار ، ص 70

(2) المرجع السابق ، ص115

(3) رواية كش ملك ، ص 15-16

(4) المرجع السابق ، ص16

كذلك نجد التشابه العميق بين شخصية «ياسمين» في «كش ملك» و شخصية «خديجة» في «نبات الصبار» فالشخصيتين بينهما تقارب وشبه واضح من حيث الفكر والآراء وكذلك التربية التي تلقتهما كل من الشخصيتين واهتمام الأهل بهما.

«فخديجة» والدها علمها حب الزهور والاعتناء بها، وكذلك رباهما على اتخاذ قرارها بنفسها وأعطاهما الحرية الكاملة في جميع أمورهما، وهذا ما أخذته «ياسمين» من جدها «البحر» حب الناس والاهتمام بهم ومساعدة المحتاجين، كما أخذت منه حب الزهور والاعتناء بها، وقد أعطيت حق القرار، والتطابق لا يقف عند هذا الحد بل أن الكاتبة جعلت شكلهما أو صورتها الجسدية متقاربة حيث كانت كل من الشخصيتين على درجة من الجمال والقوام الرشيق والأخلاق الحسنة.

فالتمازج بينهما واضح نحس معه اقترابهما من بعضهما البعض كأنها شخصية واحدة. وهناك شخصيتان متشابهتان كذلك وهي شخصية «الملك» في «كش ملك» وشخصية «خالد» في «نبات الصبار»، فالكاتبة تعطي الشخصيتين نفس الأبعاد النفسية والفكرية بل الاجتماعية كذلك<sup>(1)</sup>. وهناك عدد من الشخصيات المتقاربة فكريا واجتماعيا بل مهنيا مثل شخصية «زهرة الملك» و«مريم التوم» في «نبات الصبار» فمهنة المعلمة تتكرر كثيرا في رواياتها بنفس أبعادها. ولكن رغم هذا التداخل والتطابق بين الشخصيات استطاعت الكاتبة أن تحفظ لكل شخصية طابعها واستقلالها، ويكمن هذا التشابه في أن الكاتبة تُحمّل الشخصية التي تنتمي إلى طبقة معينة بصورة آلية وميكانيكية بكثير من صفات الطبقة، فتحمل الشخصية مجموعة من الصفات الثابتة. أو ربما يرجع هذا التشابه الكبير بين شخصياتها الروائية إلى ضعف المخزون الروائي لدى الكاتبة وضيق افقها الروائي حيث تأخذ نماذجها ممن حولها فقط من الشخصيات.

هذا التطابق والتشابه بين الشخصيات نجده لدى كثير من الكتاب الروائيين العرب من أمثال نجيب محفوظ، حيث لاحظ الكاتب عبد المحسن طه بدر ذلك، فرأى أنها تتشابه في أفعالها وصفاتها ومواقفها لأنها شخصيات اكتسبت صفاتها منذ مولدها<sup>(2)</sup>. ومن الروائيين السودانيين الذين نجد لديهم هذا التطابق والتمازج بين بعض شخصياتهم «الطيب صالح» في رواياته، حيث نجد فيها بعض الشخصيات التي تتشابه وربما تكون امتدادا لشخصيات أخرى مثل روايته «موسم الهجرة إلى الشمال»، التي نجد فيها شخصية «مصطفى سعيد» امتدادا لشخصيات أخرى في رواياته التي تلتها.

(1) نبات الصبار، ص 101، 100- رواية كش ملك، ص 206

(2) أنظر الرؤية والأداة «نجيب محفوظ» - د/ عبد المحسن طه بدر- دار المعارف القاهرة- ط3 - 1986 م - ص 425.

2- المقابلة والتضاد بين شخصية ما وشخصيات أخرى في الروايات، لتكشف من خلالها عن جوانب خفية من الشخصية، ففي هذا المجال نجد كثير من شخصياتها في جميع رواياتها على هذا النحو التالي من التقابل والتضاد، مثل «البحر والملك»، «خديجة وخالد»، «البحر وسعاد»، «آسيا ونعمات»، «آسيا وعلي»، «المسرة وزوجها»، «بدرية وحسين» وهكذا، وهذا التضاد والتقابل يعمق صورة الشخصية ويزيدها وضوحا، ويتضح ذلك من خلال تحليل بعض الشخصيات الروائية التي قامت على أساس الثنائية بين الخير والشر، أو الغنى والفقر، رجالا كانوا أم نساء. حيث ركزت زينب بليل في رواياتها على شخصيات معينة يمكن أن نقسمها إلى قسمين: قسم أول يمثل الشخصيات المأزومة المتصارعة التي تناضل من أجل حقها في الحياة والوجود. أما القسم الثاني فيمثل الشخصيات المعادية أو المناوئة التي تمثل عنصر الشر المقابلة لشخصيات القسم الأول.

ركزت الكاتبة بشدة على القسم الأول من الشخصيات المسحوقة اجتماعيا خاصة في روايتها «نبات الصبار» وهذه الشخصيات تمثل أدنى مستوى اجتماعي في عالم المدينة. ولا شك أن تركيز الكاتبة على هذه الشريحة الاجتماعية المسحوقة يؤكد حرصها على أن تكون صاحبة رؤية واقعية ملتزمة بالتعبير عن هذه الشرائح المظلومة في المجتمع. وعناصر الخير حسب الروايات في «الاختيار» ممثلة في أهل المدينة بصفة عامة وأبناء حمدان بصفة خاصة. وفي «كش ملك» عناصر الخير ممثلة في مريم التوم ووالدها وياسمين والبحر والحبيب الذي يعتبر من الشخصيات المجني عليها مثله مثل زهرة واحمد، وكذلك شخصية «حواء» بائعة الشاي التي ساندت «البحر» في محنه. أما «نبات الصبار» فنجد خديجة والحسين وأمنة وأكثر أهل مدينة النار. أما القسم الثاني الذي تركز عليه الكاتبة في مقابل القسم الأول فهم قوى الشر التي تسلب حق الضعفاء في الحياة والوجود، وهذه الشخصيات المناوئة التي تقف في الجانب الآخر من محور الصراع بين الخير والشر. ويمكن أن نمثل نماذجها حسب الروايات كما يلي: ففي «الاختيار» يمثلهم الإقطاعيون الذين يستغلون المزارعين الفقراء و يسلبوا حقوقهم وعلى رأسهم «السيد محجوب». أما في «كش ملك» فنموذج الشر وأصله هو «الملك» الذي صورته الكاتبة شخصية استغلالية وانتهازية وخائنة في سبيل تحقيق مآربها. أما «نبات الصبار» فقوى الشر تتمثل في أصحاب السلطة الحاكمة أو الفئة الغنية ولم توضحها الكاتبة مباشرة بل أومأت لها، وهكذا نستطيع أن نحدد أهم محورين للشخصية عن زينب بليل وهما الشخصية الخيرة والشخصية الشريرة.

أما نماذج الشخصيات المتقابلة منها في «كش ملك» نموذجان متقابلان تمام التقابل من حيث المستوى الاجتماعي وما يتبعه من ظروف الحياة، لذلك تُحمل المؤلفة البحر «الطيب» كل سلبات الفقر وتفتح كل فرص الحياة والنعيم أمام الملك، بالرغم من أن الملك

كان في البدء فقيراً حُرماً ثروة أبيه بعد تنكر إخوته من أبيه له ثم أصبح ثرياً فاحش الثراء بعد ذلك.

فشخصية الطيب «البحر» تصورها الكاتبة في صورة إنسان خير يبحث عن القيم في عالم مضطرب ، عانى منه الكثير» موت أمه واتهام زوجة أبيه واهانة أبيه له وطرده من البيت وغربته في الخرطوم وتشرده وخديعة سعاد المأمون له ، واشتراكه في الجريمة وسنين الخوف والضياع ، وموت دانا المفجع وموت فاطمة الذي اقتلع جذوره التي بدأت تضرب في العمق وحزنه وهو يحتضن الشئ الصغير التي جاءت للنديا يتيمة وحيرته في كيفية التعامل معها»<sup>(1)</sup>.

فالسليبات تحيط به من كل جانب و تسقط أمامه القيم والمثل «دخل البحر فكره اليوم الذي ولد فيه .كره يوماً خرج فيه يبحث عن مأوى وعن امن مستحيل . وكره الدنيا . لحظة كفر فيها بكل المعتقدات .دخل غرباء بيته وذبحوا زوجته ..فصلوا رأسها عن جسدها وكمموا ابنته وأوثقوها بالحبال بعد أن أرغموها لتشهد ذبح أمها»<sup>(2)</sup>، ولكن رغم هذا تصوره الكاتبة متماسكا واعيا. وعليه يعد البحر من أكثر الشخصيات الممثلة لواقعها الذي عاشت فيه، وتقدمه الرواية منذ البداية موازيا لشخصية وقيع الله «الملك» ومسارها لها وتقرن حركتها بحركته ليبدو كل منهما نقيضا للآخر.

فالمفارقة بينهما شديدة ومقصودة لتثري بناء الرواية وتعمقه فالبحر مؤمن راضي خير واثق ومتفائل والملك فاسق، متطلع ، شرير ، متشائم ، سادر في عواطفه متحكم . لذلك فالبحر كان من ضمن الشخصيات التي سلمت من التمزق ونجت من الأزمة فقد ساعده على ذلك إيمانه بقيم الجماعة ورغبته في أن يحقق شيئاً في حياته ويخرج ثمرة نافعة وصالحة للمجتمع وهي «ياسمين» حفيدته وتمنى أن تطرح هذه الثمرة ثمار أخرى «ثمانية عشر عاما قضاها في أمتع عمل يمارسه إنسان ..وأهدى للنديا أجمل ما يمكن أن يهدى إنسانا بكل ما تعني كلمة إنسان ..وتمنى أن يطول به العمر ويطول ليرى الآلاف من زهور الياسمين ، انتجتها ياسمين الأولى لتملاً الدنيا عطرا وفرحا ومودة»<sup>(3)</sup>.

فقد أدرك حقيقة واقعه ولم يتجاوزها ولم يرفضه كما فعل الملك، وكانت تأملاته الحزينة لا تسلمه لليأس ولكنها توحى بشيء من الصبر والعزاء . والبحر إلى جانب كل ذلك لم يكف عن التفكير في مصير مجتمعه واخذ يغرس في «ياسمين» القيم والمبادئ حتى

(1) رواية كش ملك ، ص 136

(2) المرجع السابق ، ص 90

(3) رواية كش ملك ، ص 136

تطرح جيلا نافعا للوطن، « وتركز عمره في ثمانية عشر عاما عاشها بالدقيقة والثانية مع طفلة تكبر كل يوم ويكبر معها العشم في غد أجمل. ويكبر معها الأمل في أن تكون ياسمين، نواة لقبيلة تضاهي زهر الياسمين»<sup>(1)</sup>. وقد صورته الكاتبة سعيدا بأحلامه هذه و يتمنى أن تتحقق. و يتمنى مجتمعا خيرا من المجتمع الذي يعيش فيه. وهكذا لا تصوغ الشخصية السوية الايجابية علاقتها الخاصة في الرواية بشكل جيد فحسب، بل يصيها التوفيق أيضا. حيث تفكر تفكيرا سلميا في وسيلة لحل أزمة الواقع العام الذي تعيش فيه. و«البحر» يحاول أن يصحح أخطاء «الملك» ويساهم في رجوع الأب إلى أبنائه، وهكذا تستقر حياة البحر وتنتهي نهاية سعيدة متفائلة على جميع المستويات ويكون هو الشخصية الايجابية الواعية المستمرة الوحيدة حسب ما تعمقها الكاتبة وتصورها بحرارة.

أما النموذج الثاني المقابل للطيب فهو «وقيع الله» أو الملك البطل الثاني لرواية «كش ملك» فأزمته تعود إليه هو لا إلى مجتمعه بالدرجة الأولى، فالفروق الشاسعة بين طبقات المجتمع وحياة الهوان والحاجة التي ذاقها هو وأمه وأخته دفعته إلى طريق الرذيلة والنفاق، والطمع والطموح غير الأخلاقي دفعه إلى فعل أي شيء والتضحية بأي شيء - حتى لو كان أبنائه - من أجل تحقيق مكاسب مادية أو مكانة أو سيادة على الآخرين «أحس عقله يكبر ويتسع وقال في نفسه الأوغاد سيأتي يوما يتباهون أن سكرتير الأمم المتحدة كان يلبس بقايا ملابسهم»<sup>(2)</sup>. فهو متطلع انتهازي يريد أن يحقق لنفسه حياة أفضل بطرق غير مشروعة ولكنه خسر نفسه وأهله.

فهو إنسان ضائع في طرقات الحياة، ضاع برغبته، رفضه كل من باعه وتركه في يوم من الأيام لإشباع رغباته وربما كان هذا العقاب الأمثل له «سجل غير الموجود: ليس له أهل ولا أصدقاء ولا حزب سياسي ولا مبدأ يعتنقه ولا زوجة ولا عشيقة ولا حبيبة. ولا حيوان أليف يفرح لعودته ليس له بيت في وطنه ولا جيران»<sup>(3)</sup>. وقد أحس في نهاية الرواية بالوحدة والإحباط والاعتراب أعني «الاعتراب النفسي الذي يشير إلى شعور الشخصية بوجود مسافة بينها وبين المجتمع الذي تعيش فيه»<sup>(4)</sup>. وقد أحس بذلك عندما رفضه جميع أبنائه وشعر بالاعتراب في وطنه الذي افتقر معه إلى تحقيق غاية في حياته «إحساس بالقهر والوحدة يملاه.. نفس إحساسه في الحلم.. يستجدي نظرة ترحيب خير له أن يعيش الغربة في بلاد

(1) المرجع السابق الصفحة نفسها.

(2) رواية كش ملك، ص 3

(3) المرجع السابق، ص 206

(4) انظر صورة الرجل في القصة القصيرة في المملكة العربية السعودية، منال عبد العزيز العيسى ص 90

غريبة .. لكن أن يكون وحيدا وغريبا بين أهله فذاك أمر لن يتحملة»<sup>(1)</sup>.

فهنا شعر بالغرابة والعزلة حيث لم يستطع الاندماج في هذا المجتمع الذي رفضه فانفصل عنه وأثر الرجوع إلى حيث ينتمي بعيدا عن الوطن . واستطاعت الكاتبة هنا الغوص في أعماق الشخصية «الرجل» فرصدت معاناة الملك الذي كان خاضعا لنفسه تقوده كيفما شأت ، ولم تستطيع الكاتبة أن تمنحه عمقا يضفي عليه بعدا إنسانيا يقربه من عالم الواقع، فبالغت في وصمه بكل هذه السلبيات بل وظفت الأحداث والشخصيات لخدمة فكرتها وإظهاره بالشخصية الأكثر شرا .

فشخصياتها رغم أنها في الرواية تتصف بالعطف والتسامح والمحبة إلا أنها لم تستطع أن تسامحه ، وهو العقاب الإلهي له . ولأجل ذلك اختارت المؤلفة أن يكون أولاد وقيع الله خيرين نفوسهم صالحة بالفطرة . ربما لأن هذا إمعانا في تعذيبه وإذلاله حتى لا يجد في النهاية من يقف بجانبه أو ينصفه أو يقل له أنت على صواب، أنت الأذكي ، أنت الرباح دائما، لقد كان هؤلاء الأبناء هم الضمير المفقود عند وقيع الله الملك.

ولهذا كان العقاب على أيديهم ليكون عقابا قاسيا مريرا. ومع كل هذا فقد اختارت له الكاتبة اسم «وقيع الله» الذي يجسد صفاته التي تجعله في أدنى مكانة وهي الأرض. وبناء على ذلك فإن الكاتبة قد أخطأت حين قسمت المجتمع إلى ضحايا وجزارين معا من خلال نظرة سوداوية تشاؤمية، فالعمل الروائي لا يقبل ذلك التقسيم، كما أنه ليس هناك ثبات للطبقة أو القيم أو الشخصية .

هذه الثنائية في الشخصيات عند الكاتبة تتبعها ثنائية في الفكر والعقيدة ، فقد صورت نموذجين مختلفين في الفكر والعقيدة تماما ، بدرية في «الاختيار» تمثل فكرا مخالفا، فهي لا تؤمن بالله ولا تصلي وهي مخالفة للدين بالوراثة كما تقول» ما أصلي مخالفاها بالوراثة ... وضحكتنا من أعماقهما . تذكرتا جدها عندما يثور ويطرده والدها ووالدتها من البيت لأنهما لا يصليان.. وكيف أنه لا يأكل معهما ولا يجلس في فراشهما لأنه نجس .. وكيف كانت هي بدرية ... تصلي عندما تراه .. بغير وضوء وفي غير أوقات الصلاة»<sup>(2)</sup>.

وتحاول الكاتبة إضفاء صفة محددة عليها ، وتلزمها بجانب فكري معين، حيث تمثل التيار الفكري اليساري ، أحد تيارات الفكر التي عايشتها الكاتبة في تلك الفترة من تاريخ السودان ، بينما يمثل «حسين» الفكر المقابل لبدرية وهو الفكر الإسلامي ، فحسين

(1) رواية كش ملك ، ص 200

(2) رواية الاختيار - ص 120

تمسك بدينه الإسلامي «أحبك أكثر من أي شئ في الدنيا ... أحبك بعد الله ورسوله»<sup>(1)</sup>.  
الكاتبة توضح إيمان بدرية بالفكر الاشتراكي الماركسي، الذي عاشت معه في أمان وسلام، ولكن كان هناك صراع داخلها تحاول أن تجد له مخرج، فحبيبها حسين يختلف عنها فكريا. ويحاول كل منهما أن يقنع الآخر ويضمه إلى فكره، ولكن عندما يقرر حسين وبدرية الزواج، هنا تظهر رؤية الكاتبة في إمكانية التوفيق بين الفكرين أو التعايش السلمي مع بعضهما البعض داخل المجتمع الواحد، فتبرز هنا الكاتبة التيارات والقضايا الفكرية في المجتمع السوداني انذاك، وتبدو الشخصيتان أكثر تعميقا للقضايا الفكرية المراد طرحها في الرواية. ولكن بالرغم من ذلك فإن الكاتبة تفتقر إلى ترجيح جانب علي الآخر من جوانب القضية الفكرية المطروحة. وكما شغفت زينب بالثنائية في الشخصيات الرجالية والفكرية شغفت كذلك بالثنائية بالنسبة لصورة المرأة فوجد المرأة الفقيرة والمرأة الارستقراطية، حيث أقامت الكاتبة مقارنة بين الشخصيتين التي أساسها المقارنة بين الغنى والفقر كما وضحت ذلك، فقدمت نماذج للمرأة الفقيرة والمرأة الغنية<sup>(2)</sup>. وهذه الثنائية المتوازنة التي نجدها بكثرة عند الكاتبة سواء في الشخصيات أو المواقف أو الأفكار، تدل على التناقض الحقيقي في الواقع، فهي تؤمن بهذا التناقض وتريد إثباته عن طريق عملها الروائي، فوقيع الله الملك - كما رأينا - يمثل الانتهازي الأناني مقابل البحر بعفته ونزاهته، وكذلك بدرية بشكها وعدم إيمانها تقابل حسين بإيمانه واتزانة. والمرأة الفقيرة بطبيعتها وسذاجتها تقابل المرأة الغنية بتسلطها وعنجهيتها.

## 6. دلالة الأسماء :

ترسم زينب بليل شخصياتها ببراعة ويتضح ذلك من خلال التسمية التي تعكس دورها في الرواية وسيرتها في الحياة، وتعكس في نفس الوقت المدلول الرمزي لها. فالكاتبة لها القدرة الفائقة على اختيار الأسماء التي تناسب الشخصيات وتكشف عن مواقفها واتجاهاتها الاجتماعية والفكرية والنفسية، بحيث تختار الاسم نابعا من تكوين الشخصية ومعبر عنها، ومطابقا لواقعها بحيث يرتبط الاسم بالشخص المسمى ارتباطا عضويا يحدد موقف الشخص من الحياة المحيطة به في الرواية، مثل اسم «وقيع الله» في «كش ملك» الذي دل اسمه عليه دلالة تامة فوقيع تعني بها الكاتبة المكانة المتدنية فأخلاقه وتصرفاته وصفاته جعلته في تلك المكانة وقد علق زملائه علي اسمه ووضحت الكاتبة مكانته من خلال ذلك التعليق « قال الأستاذ : وقع يقع فهو واقع أين تقع يا وقيع الله؟» قال احد: الطلبة واقع على

(1) رواية الاختيار ، ص 53

(2) انظر صورة المرأة في هذا البحث .

صحن الفول. «وقال آخر: واقع على كوب الشاي. وقال ثالث: واقع تحت الجزمة يا أستاذ»<sup>(1)</sup>. فدلالة الاسم هنا تعبر عن حقيقة صاحبها.

وكذلك تربط الكاتبة بين الشخصية بحسبانها رمزاً في الحياة واسمها إلي حد كبير، فمثلاً في «كش ملك» اسم «البنية» - وهي تصغير لابنة على سبيل التمليح - الذي أطلقته الكاتبة على حفيدة البحر عند مولدها بدلاً من علم معين، هنالك ما يبرره وهو الحزن الذي تركته في «البحر» ووالدها «خالد» بعد موت أمها أثناء الولادة. «فذكر الاسم بالنسبة للشخصية الروائية ينقلها على مستوى درس اللغة من النكرة إلى المعرفة لتكون علماً، وعلى المستوى الفني ينقل المحكي عنه من الشخص إلى الشخصية أي من العموم والتسطح وعدم التحقق إلى التخصص والعمق والوضوح الذاتي، وأن للاسم العلم وظيفه فنية في الرواية، لا تقل عن الوظيفة الاجتماعية له في الحياة»<sup>(2)</sup>.

فالبحر في البداية لم يرد أن يطلق علي حفيدته اسم معين وبعد مضي عدة أشهر أطلق عليها اسم ياسمين «ولما دخل الحجر وجد البنية تضحك مع الحبيب كما الزهرات البيضاء وهي تنشر عطرها.. قال للحبيب... رأيك شنو في الياسمين....:شكله جميل وعطره حلو...:نسميها ياسمين...: سميها ياسمين»<sup>(3)</sup>، فإطلاق اسم ياسمين ينقل الشخصية من عدم التحدد إلى التخصص فكان الاسم يحمل معناه والياسمين زهر ذكي الرائحة يؤثر في الآخرين بشذاه ورائحته الجميلة. ومن هنا يتضح تطابق الأسماء مع دورها في الرواية. وهنالك شخصيات استطاعت الكاتبة أن تحدد معالمها وتصورها بمجرد ذكر أسمائها فيستدعيها خيال القارئ حالما ذكر اسم الشخصية، ففي «كش ملك» مثلاً اسم «الطيب» يحمل دلالة اسمه فهو اسم على مسمى كما تذكر الكاتبة، فتصوره طيب القلب ونقى السريرة وكذلك الاسم الآخر له وهو «البحر» الذي يحمل دلالة العمق والغموض في المرحلة الثانية من حياته» وفكر في اسمه «الطيب» اسم عادي ومألوف اسم موصوف.. لكنه...لم يعد طيباً..من المفترض أن يكون اسمه يحمل معنى القدر والخيانة ونظر إلى البحر أمامه شئ ممتد بلا حدود..بلا قرار..بلا أهل..بلا أصدقاء..ويغدر براكبيه وعارفي مضاربه لا أحد يعرف أوله من آخره.. وأحس أنه يشبه هذا الماء المالح المنساب رغماً عنه»<sup>(4)</sup>. فأطلق على نفسه اسم «البحر» ليحمل دلالة معناه.

(1) رواية كش ملك - ص 2

(2) دراسات في نقد الرواية د/ طه وادي ص 11

(3) رواية كش ملك ص 108

(4) رواية كش ملك - ص 53

أما في رواية «الاختيار» فمعظم أسماء شخصياتها تحمل دلالة معناها وتصورها الكاتبة كذلك مثل «المسرة» التي اختارت لها الكاتبة هذا الاسم لتكون فعلا مسرة وبهجة تدخل السرور والفرح إلى أفراد العائلة» ماذا كان سيسميا حمدان غير المسرة؟ هي فعلا مسرة.. شكلا ومضمونا جميلة جدا...»<sup>(1)</sup>. وأيضا نجد غيرها من الأسماء مثل الطاهر والروضة وبدرية والصادق وحسين فكل تلك الأسماء تطلقها الكاتبة على مسماها فجاءت جميعها تحمل دلالاتها. وفي «نبات الصبار» نجد اسم «الحسين» وهو اسم على مسمى كما وصفته الكاتبة كان هادئا ومسالما ودائم الابتسام ويشبه الملائكة كما يرسمهم الرسامون»<sup>(2)</sup>. وهكذا يتضح مناسبة الأسماء لتصرفات أفرادها وسماتهم.

عكست بعض الأسماء لدى الكاتبة شخصيات شريحة معينة من المجتمع تمثل بيئة معينة وتعكس طريقة حياتها في المجتمع وتفاعل أفرادها وتعاملهم فيما بينهم، ونلاحظ تلك الأسماء في «نبات الصبار» حيث عكست أسماء نساء بيوت الخمرور «الأنداية» «فأسماؤهن لها دلالة المكان الذي يوجدن فيه ويعيشن فيه» تلك البيوت تفتح على الخور. بيت عز الأهل وسكرة وتمر الفكي وفضلو ولكل بيت مغنين ومغنيات وراقصات»<sup>(3)</sup>. وواضح من تلك الأسماء دلالتها على المكان خاصة «سكرة» التي تصفها الكاتبة بأنها اسم على مسمى. اهتمت الكاتبة بمسألة الانساب وأسماء العائلات، بالنسبة لتصوير الشخصية وهذه الوسيلة يلجا إليها الكاتب لجعل الشخصية أكثر واقعية، حيث يمكن أن ينسب لكل شخصية عائلتها وأصولها التي انحدرت منها وفروعها التي تنتهي إليها، فهناك عائلات عريقة راسخة الأصول، كما أن هناك أفراد يعيشون على هامش الحياة غير معروفين بالنسب، ومن نماذج العائلات العريقة عائلة سعاد الصائغ في «كش ملك» والدها حاج المأمون تاجر المجوهرات المعروف، وأيضا عائلة الملك من العائلات الغنية التي لها شأن في المجتمع الذي يعيشون فيه، وعائلة «العباسي» في «نبات الصبار» التي يرجع إليها نسب «خالد» وهي عائلة ذات نسب عريق تفاخر بنسبها وغناها، صورتها الكاتبة على هذا النحو من الغنى والعادات والتقاليد التي تقهر ولا تتغير فللعائلة قوانين معينة لا يمكن لأحد من أفرادها خرق تلك القوانين التي تمثل سيوفا على رقاب أبنائها وبناتها «السيدة قمر العباسي لم تدخل مدرسة أبدا، لأن تلك القبيلة تسمى نساءها ربات الخدور لا يخرجن من بيوت الإباء إلا لبيوت الأزواج،... وشرف تلك القبيلة وموقفها المالي تمثله نساؤها ويعكسهن منعمات يلبسن الذهب

(1) كش ملك - ص 64

(2) أنظر رواية نبات الصبار ص 25

(3) المرجع السابق - ص 22

والحرير وكل همهن أن يظهرن جميلات»<sup>(1)</sup>.

أما العائلات الفقيرة فلا تطلق عليها الكاتبة أسماء تميزها حتى لا تجعلها عريقة في النسب والجاه إمعانا في الواقعية ، فكأنما أسماء العائلات تطلق فقط للأغنياء دون الفقراء مثل أسرة حمدان في «الاختيار» التي لم تطلق عليها الكاتبة أي اسم أو لقب، ولم تخصصها بتحديد اسم معين لها بل جعلتها نكرة حتى تعمن في الفقر الذي عاشت فيه هذه الأسرة، بالإضافة إلى كل الأسر الفقيرة في رواياتها التي لم تخصص لها أسماء تميزها .

تختلف أسماء الفتيات من الطبقة الغنية عن الفتيات في الطبقة الفقيرة، ففي «كش ملك» الفتيات اللاتي كان يغدر بهن الملك عدّد أسمائهن وجميعهن من اسر غنية مثل «سارة، سوسن منال، منى، عزة، سلمى ،» ، أما الفقيرات فمعظم أسمائهن هي أسماء جداتهن مثل «زهرة، خديجة» ونجد كذلك مريم وسيدة وحواء فجميعهن أسماء تنتمي للطبقة الفقيرة من وجهة نظر الكاتبة. وتبعاً للتحديد القاطع لأسماء العائلات والشخصيات بتلك الصورة الواقعية الواضحة تصبح الأسماء مرتبطة بالبيئة التي تعيش فيها ارتباطا عميقا ودالة على كل مقوماتها المادية والمعنوية. وهكذا يظهر حرص زينب بليل على تصوير الشخصية في رواياتها كما تعيش واقعها الحقيقي بطريقة تقنع بوجودها الحقيقي في العمل الروائي وفي الحياة . وتبقى قدرتها وحنكتها في خلق شخصية مقنعة بمواقفها وتصرفاتها ، فهذه هي أساس مهمتها . وبهذه الأدوات المختلفة تنمو صورة الشخصية في رواياتها، وتصبح نامية حية ، مقنعة بصدقها الفني. وأخيرا هذه الطرائق المختلفة التي قدمتها الكاتبة في تشكيل شخصياتها أسهمت في إثرائها وتعميقها .

#### رابعا: علاقة الكاتبة بشخصياتها :

يتفاوت كتاب الرواية في علاقتهم بشخصياتهم وأبطالهم والحكم عليهم «فهناك من الكتاب من يقسو علي شخصياته ، فينظر إليها نظرة احتقار أو عداوة فيعاملها بقسوة وعنف، وهنالك من ينظر إلي شخصياته نظرة محبة ، فيعنى برسمها عناية فائقة ، يبرز من خلالها عطفه عليها وإيثاره لها فيحملها آراءه وأفكاره»<sup>(2)</sup>.

وزينب بليل تتعاطف مع بعض شخصياتها وتقسو على البعض الآخر، فالشخصيات التي تتعاطف معها تتعد عن القسوة عليها أو تعريضها لسخريتها الحادة والتي قد تكشف عن كراهيتها وحقدتها عليها أو النفور منها خاصة أبطال رواياتها ، حيث يلاحظ إعجابها بهم فتحاول المبالغة في تصويرهم بصورة حسنة «تحت تأثير خاطئ بأن المبالغة

(1) نبات الصبار - ص 99

(2) فن القصة د/ محمد يوسف نجم ص 96

في تحسينهم هي التي تجعل القارئ يتعاطف مع أبطالها ويعجب بهم، كما أن إعجابها بأبطالها واحتقارها لهم قد يدفعها - أيضا - إلى المبالغة في تصويرهم بصورة سيئة لكي يزيد توتر القارئ منهم، بينما يدرك كتاب آخريين أن المبالغة قد تؤدي إلى نتيجة عكسية فتبعد البطل عن ارض الواقع وتفقده المصدقية، فيلجأ هؤلاء الكتاب إلى الاعتدال في تصوير بطلهم بحيث يبدو شخصية إنسانية حية تخطئ وتصيب، تنجح وتفشل»<sup>(1)</sup>. ولا بد أن ندرك حقيقة مهمة قبل تحليلنا لعلاقة الكاتبة بشخصياتها، وهي أن معظم شخصيات زينب أن لم تكن كلها نتاج للواقع الحي من ناحية، فإن بعضها يطرح أبعاد الكاتبة نفسها ويعبر عن آرائها الذاتية وكذلك أبعاد شخصيات تمت لها بصلة قربي.

تنحاز الكاتبة إلى الشخصيات التي تعبر عن فكرها وثقافتها، مثل «آسيا» بطلة «الاختيار»، و«خديجة» بطلة «نبات الصبار» بالإضافة إلى بعض الشخصيات التي أحببتها الكاتبة ودافعت عنها مثل «ياسمين الملك» و«مريم» في «كش ملك»، حيث عبرت هذه الشخصيات في بعض جوانبها عن الكاتبة نفسها وفكرها وعاداتها وتقاليدها وثقافتها بل معتقداتها. «بالرغم من أنها استخدمت ضمير الغائب في رواياتها والذي يوحي ببعدها عن شخصياتها، إلا أننا نجدها اقرب ما تكون لتلك الشخصيات التي تمثل في الواقع أبعد أعماق ضمير المتكلم حيث تعبر بصوت قوي عن آراء الكاتبة ومعتقداتها، ومعنى ذلك أن ضمير الكاتب ليس دليلا على حيدة الكاتب وبعده عن شخصياته، بل قد يحدث العكس فتكون الرواية مبنية على ضمير المتكلم ولا تتصل بالمؤلف في شيء»<sup>(2)</sup>.

عرضت الكاتبة ملامح شخصياتها عرضا جيدا، لأن منها ما عايشته وعاشت معه، فهي لا تعطينا تفاصيلها وإنما تكتفي بقدر ما تحتاج إبرازه منها ووفقا لظهور شخصياتها على مسرح الأحداث. ومن خلال استعراض الروايات يبدو تعاطف الكاتبة مع أبطالها وبعض شخصياتها واضحا، ففي «الاختيار» و«نبات الصبار» تكاد تكون صورة البطلة جزءاً من حياة الكاتبة لاشتراكها معها في كثير من مواقف حياتها المهمة.

ولو تأملنا ملامح البطلة الأساسية لرواية «الاختيار» لوجدناها تحمل الملامح والصفات بل والمؤهلات الثقافية ذاتها التي تحملها الكاتبة، فحياة البطلة «آسيا» والتحاقها بالمدرسة الابتدائية ثم انتقالها إلى المدرسة الثانوية في العاصمة كل تلك الأحداث والوقائع قريبة الشبه من سيرتها الذاتية، بل حياة أسرة حمدان والد البطلة تحمل ظلالة من حياة أسرة الكاتبة نفسها، فالحياة تشابه حياة أسرتها في مدينة سنجة حسب ما ورد على لسان الكاتبة في

(1) أنظر البطل في الرواية السعودية د/ حسن حجاب الحازمي ص 666

(2) انظر الاتجاه الواقعي في الرواية السودانية الحديثة - د/ بشير عباس بشير - ص 163

كثير من لقاءاتها»<sup>(1)</sup>.

ونضيف إلى ذلك أن «الاختيار» روايتها الأولى ولا بد أن تكن قد سكبت فيها جزءاً كبيراً من حياتها شأنها في ذلك شأن كثير من الكتاب في بداية انتاجهم حيث يجدون سيرتهم الذاتية وحياتهم اقرب للتصوير، ولعل هذا ما أضاف للرواية قدراً كبيراً من الصدق الفني. أما بالنسبة لروايتها «كش ملك» فنجد الكاتبة تتعاطف مع كثير من شخصياتها، ابتداءً من البطل الأول «البحر» الذي حاولت الكاتبة الرفع من قدره وتحيزت له في كثير من المواقف والأحداث، بل نجد أنها قد اقتبست جزءاً كبيراً من صفاته وحياته من الواقع وهو شخصية تكاد تكون حقيقية، والدليل على ذلك ما ذكرته الكاتبة في إهداء الرواية، حيث ذكرت « إلى رزق بحر 00 علني قلت شيئاً عنك وأوفيت بعض الدين»<sup>(2)</sup>.

وهذا اعتراف من الكاتبة على وجود هذه الشخصية في الواقع، وهو أحد أقاربها كما تقول ذلك: «البحر يمثل الإنسان الذي أحب أن يكون عليه الإنسان ولما قرأت الشخصية بعد أن اكتملتها في الرواية وجدت فيها ملامحاً كثيرة من شخص أحبته كثيراً.. هو أبي رزق بحر الذي كان يحملني على كتفه ليوصلني المدرسة في أولى أيام دخولي المدرسة»<sup>(3)</sup>. فهي تنقل الشخصية بكل صفاتها في واقع الحياة، وتضيف إليها جانباً من القص. ونجد كذلك شخصية «ياسمين الملك» التي كانت حياتها قريبة الشبه من حياة الكاتبة نفسها، كما ورد ذلك على لسانها من ذكريات عن حياتها يمكن ربطها بشخصية «ياسمين»، أضف إلى ذلك آراء «ياسمين» التي لا تناسب سنها بل هي آراء الكاتبة نفسها، وهنالك شخصية «مريم التوم» المعلمة وكذلك «زهرة» المعلمة التي تعاطفت معهن، الكاتبة كثيراً ونلاحظ كثير من حياتهن في مجال عملهن وصفاتهن اقتبسها الكاتبة من حياتها نفسها. وشخصية «خديجة» في «نبات الصبار» فيها ظلال من حياة الكاتبة ومراحلها الدراسية، وقد منحها الكاتبة فرصة للتعبير عن ذاتها أكثر من غيرها. فالاتجاه إلى الترجمة واضح في الروايات فالكاتبة تتبع حياة الشخصيات الرئيسية منذ ميلادها استمراراً بمراحل حياتها المختلفة.

إذن فالعلاقة بين الكاتبة وأبطالها وثيقة، إذ أن البطولة في روايتها «الاختيار» كانت لبيئتها التي عاشت فيها طفولتها وصباها وجزءاً من شبابها، فالشوارع والأحياء والبيوت التي تحدثت عنها ووصفتها هي شوارعها التي عاشت فيها أجمل سنين عمرها، والناس

(1) ارجع إلى مبحث الحياة الذاتية للكاتبة ص - ص

(2) رواية كش ملك انظر «الإهداء».

(3) صحيفة راي الشعب الملف الثقافي، الخميس 2008/8/14م، تحت عنوان تجربة إبداعية، ص 9

الذين تحدثت عنهم وخالطتهم هم الناس الذين عاشوا معها وتأثرت بهم. أضف إلى ذلك أن شخصيات زينب بليل النسائية فيها ظلال من حياتها تتوزع من خلال الشخصيات النسائية في رواياتها المختلفة ، وهذا يدل على أن الكاتبة تكتب في مجال تجربتها الحياتية ضمن مجتمعا، ومادتها الروائية تستقيها من واقعها. أما علاقة الكاتبة بالشخصيات التي لا تمت لها بصلة فهي تقسو عليها ولا تتعاطف معها بل تصورها في صورة سيئة وتستخرج كل عيوبها، خاصة الشخصيات الغنية التي تقف في الجانب الآخر من تقسيمها للحياة وفقا لقانون الغنى والفقير- كما أسلفنا - وعليه فإن الكاتبة تشن حربا شعواء على تلك الشخصيات نسائية كانت أم رجالية في كل رواياتها، ومثال لها أسرة السيد محبوب في «الاختيار» وزوجته وابنته نعمات عدا علي ابنه الذي لم تطبق عليه ذاك القانون ، والمملك في «كش ملك» وأخوته من والده، أما أبنائه فينتمون إلى عالم الفقراء الذين تتعاطف معهم الكاتبة. وفيما يتعلق ب «نبات الصبار» فنجد «خالد» الذي صبت الكاتبة عليه شواظاً من نار ووصمته بكل الصفات السيئة ، وقد قست الكاتبة على كل تلك الشخصيات فكشف ذلك عن نفورها منها وكراهيتها لها ولأمثالها في الحياة العامة . وهذا لا يتوافق مع الفن الأصيل إذ «ينبغي على الفنان الأصيل الذي يخلق شخصياته يدعها تتصرف كما تملي عليها الأحداث وتطور حركتها الداخلية ولا يتدخل في عملها ولا في تصرفاتها ولا في أحكامها على الأشياء وكأنها مخلوقات ليس بينها وبينه رابط . فلا يملي عليها ما يراه من الأفكار أو ما يعتقد من الخطأ والصواب»<sup>(1)</sup>. أخيرا فإن الشخصية باعتبارها عنصرا فنيا مهما من عناصر الرواية فهي تلعب دورا مهما بل أساسيا في بلورة فكرة الكاتب الروائي عموما. ولاحظنا من خلال تحليل ونقد الشخصية في أعمال زينب بليل كيف استطاعت الكاتبة إيجاد العلاقة الوطيدة بين عنصر الشخصية وبين باقي عناصر الرواية الفنية للوصول إلى توحيد العمل الروائي .

(1) دراسات في القصة العربية الحديثة د/ محمد زغلول سلام ص 26

## المبحث الثاني

- البيئة المكانية والزمان والحدث عند زينب بليل
- المطلب الأول: البيئة المكانية في روايات زينب بليل.
- المطلب الثاني: الزمان في روايات زينب بليل .
- المطلب الثالث: بناء الحدث الروائي في روايات زينب بليل.



## المطلب الأول

### البيئة المكانية في روايات زينب بليل



دراسة المكان في الأعمال الأدبية عامة وفي الفن القصصي خاصة من الأمور الصعبة، لذلك إذا تتبعنا الدراسات النقدية والأدبية -حول هذا الموضوع- فنجد ظهور بعض تلك الدراسات التي قدمت اتجاهات عديدة لدراسة المكان، يهتم كل منها بتسليط الضوء على جانب من جوانب المكان لبيان دلالاته .

وقد اختلفت الآراء حول ماهية المكان القصصي ودوره في العمل الأدبي ، لذا فلا بد «للباحث وهو يتحدث عن المكان في الرواية أن يأخذ بعين الاعتبار ما يتعلق بهذا المصطلح من أمرين أصبحا ملازمين له هما : غموضه ، وأهميته في العمل الروائي ، حيث تفاوت الباحثون والنقاد فيما بينهم في فهمهم للمكان ، فبعضهم نظر إليه على أنه المكان الجغرافي ، وبعضهم نظر إليه على أنه فضاء الصفحة، وبعضهم نظر إليه من زاوية المدلول الثقافي ، وبعضهم نظر إليه من زاوية المنظور البلاغي ، بالإضافة إلى خلط النقاد بين المكان والفضاء»<sup>(1)</sup>.

وقد حاول دكتور عبد الملك مرتاض في كتابه نظرية الرواية أن يضبط مصطلح المكان فاقترح له مصطلح «الحيز»، بديلا للمصطلحين الآخرين هما الفضاء والمكان، وميز بين الفضاء والحيز والمكان، ووضح أن الفضاء يدل على الخواء أو الفراغ ، بينما المكان يدل على الجغرافي المحدد فقط ، أما الحيز فأوسع من الفضاء وأشمل من المكان لاشتماله على الوزن والثقل والحجم والشكل، كما أنه أشمل من المكان لدخول غير المحدد والخيالي في مدلوله»<sup>(2)</sup>. لن نأخذ بمصطلح الحيز لأنه يدخل فيه الغير محدود والخيالي ، وهذا لا ينطبق على المكان عند زينب بليل فهو محدود وحقيقي .

و«للمكان القصصي ماهيته الخاصة التي قد تتشابه مع غيرها من الأمكنة في شكلها الخارجي ، لكنها تتعد عن تلك الأمكنة باتجاه عالم متخيل يستمد الكثير من تفاصيله من عالم الواقع ، ويختلف عنه اختلافا جوهريا ، وهو مكان نستطيع أن نتخيله ولا نستطيع أن نراه، فهو مكان خيالي وهمي في زمن وهمي كذلك هو زمان ومكان الرواية .

فالمكان القصصي له مقوماته وأبعاده المتميزة التي تخدم بناء الرواية وعناصرها من شخصيات وأزمنة وأحداث ، ويحدد ماهية المكان الأدبي الكتاب الغريبيين بأنه « الذي يذكرنا أو يبعث فينا ذكريات الطفولة»<sup>(3)</sup>. فيُحصر ماهية المكان القصصي باتجاه نفسي

(1) بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي د/ حميد محمداني ، ط 1 ، المركز الثقافي العربي ، بيروت 1991 ، ص 53 وما بعدها .

(2) أنظر نظرية الرواية د/ عبد الملك مرتاض، بحث في تقنيات السرد ، عالم المعرفة الكويت، العدد 240، 1998 م - ص 141 وما بعدها

(3) جماليات المكان-غاستون باشلار - ترجمة غالب هلسا-ط1- بيروت، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر 1987، ص 6

يرتبط بوجودان المؤلف والقارئ معا ، وقد يصور الكاتب مكانا عالقا في ذاكرته من أيام الطفولة أو الصبا ويحور في هذا المكان بالإضافة أو الحذف»<sup>(1)</sup>.

إذن بعد كل هذا يتضح أن «البيئة المكانية لا نقصد بها دلالتها الجغرافية المحدودة بمساحة الأرض ، وإنما يقصد بها دلالتها الرحبية التي تتسع لتشمل البيئة بأرضها وناسها وأحداثها وهمومها وتطلعاتها وتقاليدها وقيمها ، فالمكان بهذا المفهوم كل زاخر بالحياة والحركة يؤثر ويتأثر ، ويتفاعل مع حركة الشخصيات التي تتحرك على أرضه»<sup>(2)</sup>. والمكان بهذا التعريف الشامل نجده متمثلا في روايات الكاتبة زينب بليل .

### أولاً : واقعية المكان في روايات زينب بليل :

يهتم النقاد والدارسون بالأعمال القصصية التي لجأت إلى الواقع واحتفلت برصد مشكلاته والحديث عن تفصيلاته ، فبدأ المكان فيها يرتبط ارتباطا مهما بفكرة العمل الأدبي وبتشكيله معا . حيث «تلعب البيئة دورا في تطور الأحداث والحبكة القصصية وفي حياة الأبطال وصراعهم ضد القوى المختلفة لهذه البيئة ، وتكون البيئة العنصر السائد عند الواقعيين ، فنجد اميل زولا رائد الواقعية في القصة الفرنسية يرى أن العمل الفني قطاع من الحياة أبصر من خلال مزاج خاص ، ويمثل رائه هذا من خلال رواياته»<sup>(3)</sup>.

فالواقعيون يهتمون بتقنية الوصف المكاني عند الكاتب ، «فمن المعروف أن هنالك مدرستين للمنهج الوصفي لدى الواقعيين: الأولى تنهض على الاستقصاء الذي لا يغادر صغيرة ولا كبيرة من تضاريس المكان ، وهو منهج بلزك رائد الواقعية الغربية ، والثانية تقوم على الانتقاء حيث يرى أصحاب هذا المنهج أن الوصف التفصيلي يحد من خيال القارئ ويقتله وهو ما أرتاه ستندال وتولستوي»<sup>(4)</sup>. وقد سلكت زينب بليل منهج الاستقصائيين حيناً والانتقائيين حيناً آخر وفقا للموقف ومقتضياته. فهي تصور البيئة تصويرا دقيقا وتلتقط أدق جزئياتها وترتب هذه الجزئيات ترتيبا عضويا لتصبح البيئة حية في جميع رواياتها ، فتولي الكاتبة المكان أهمية خاصة ، حتى أن القارئ ليحس أن المكان هو البطل الحقيقي في الرواية ، وليس أدل على ذلك من وصف شارع النار في «نبات الصبار» حين وصفت الشارع وصفا استقصائيا دقيقا في عدة صفحات ، فهي لم تترك شيئا في الشارع صغيرا ولا كبيرا إلا أحصته.

(1) صورة الرجل في القصة القصيرة في المملكة العربية السعودية د/ منال عبد العزيز ص 122

(2)3 انظر البطل في الرواية السعودية د/ حسن حجاب الحارثي ص 213

(3)4 دراسات في القصة العربية الحديثة د/ محمد زغلول سلام ص 7

(4)5 فن الرواية في الأدب السعودي د/ محمد صالح الشنطي ص 109

« فهو من أطول الشوارع التي خطها إنسان تلك المدينة، طويل ومعرج ، يبدأ من المشرق وينتهي في المغرب... كأنه نهر من لهب. .... في شارع النار البيوت متلاصقة.. الجيران يسمعون ما يهمس به الجيران ويتبادلون التحايا والسباب والأطعمة وجرادل الماء من فوق الحيطان.. الحمامات ملكية مشاعة.... تظلل الشارع أوراق النيم الوريقة.. يستعملها الأطفال ملاعب ويستعملها الرجال أندية ويستعملها الحلاقون صوالين حلاقة.....»<sup>(1)</sup>.

وصفت الكاتبة الشارع وسكانه وعاداتهم وتقاليدهم وصفا استقصائيا طويلا جدا في ما لا يقل عن إحدى عشرة صفحة، وهذه الدقة في وصف الأشياء لافتة للنظر في رواياتها ، فالأماكن مكتظة بها اكتظاظا واضحا . ففي «الاختيار» أوفت البيئة المكانية حقها من الضبط والتحديد والتفصيل، وقد تختار بعض الأماكن لتصفها وصفا انتقائياً على حسب مقتضى الحدث والموقف الذي ورد فيه الوصف، فتصف حجرة الطبيب «حجرة نظيفة.. فسيحة.. على جانب منها مقاعد وثيرة جلس على أحدها رجل نظيف ووسيم وفي أحد الزوايا مكتب كبير جلس إليه رجل نظيف ووسيم أيضا ، من عنقه تتدلى السماعة كعقد اسود طويل... من السقف تتدلى مروحة تدور في هدوء توزع النسيم ومعه رائحة التبغ والكلونيا»<sup>(2)</sup>.

و«الاتجاه الواقعي يعتمد على الواقعية الحرفية في وصف مظاهر المكان، ويعتمد الوصف التصنيفي فيحاول أن يصف الشيء وصفا موضوعيا يتتبع كل العناصر المكونة له وبالتالي تجسيد الشيء الموصوف بكل حذافيره، ويؤسس مع غيره من الأمكنة الموصوفة فضاء الرواية التي تتحرك فيه الشخصيات والأحداث . وهذه الأماكن تجعل أحداث الرواية بالنسبة للقارئ محتملة الوقوع . ويعكس وصف الأماكن بشكل تفصيلي المستوى الاجتماعي واللغوي للشخصيات. فللمكان دلالة خاصة على الطبقة الاجتماعية التي تنتمي لها الشخصية، وكذلك له ارتباط وثيق بلغة الشخصيات التي تعبر عن انتمائها لذلك المكان»<sup>(3)</sup>.

ووصف المكان بهذه الكيفية نجده في روايات زينب بليل، حيث مثل المكان عندها دلالة خاصة في النص، وعكس الوضع الاجتماعي للأسرة والحالة النفسية للشخصية، فللمكان في رواية «نبات الصبار» دور مهم حيث تتحرك فيه الشخصيات ويحمل كل جزء منه دلالة

(1) رواية نبات الصبار ، ص 13 وما بعدها

(2) رواية الاختيار ، ص 11

(3) انظر صورة الرجل في القصة القصيرة في المملكة العربية السعودية - د/ منال عبد العزيز العيسى ، ص 151 وما بعدها

ارتبطت بالشخصية ووضعتها الاجتماعي، ومن ثم جاءت اللغة مناسبة لتلك الشخصيات وبيئتها المكانية، فمن خلال وصف «شارع النار» تُبرز الكاتبة نموذجاً اجتماعياً معيناً من الناس، يعيشون في تلك البيئة الموصوفة.

وفي مقابل تلك الطبقة الكادحة تقدم الكاتبة طبقة أخرى هي الطبقة الغنية فتصور بيئتها التي تعيش فيها ووضعتها الاجتماعي «المدينة المضيئة ذات العمارات الشاهقة و الشوارع المسفلتة والحدائق الغناء... ثم فضاء واسع.. أوسع من مساحة بيوت الشارع عرضاً، في ذلك الفضاء أنوار كاشفة»<sup>(1)</sup>. فتصف البيئة لتعكس رفاهية تلك الطبقة، إذن تأتي كل بيئة مصورة تماماً للطبقة التي تعيش فيها.

أما في روايتها «الاختيار» و«كش ملك» فنجد الكاتبة لا تعتمد لهذا الوصف التفصيلي الدقيق مباشرة ولكنها تصف البيئة من خلال الأحداث وحركة الشخصيات، ففي «الاختيار» مثلاً تنقل الكاتبة صورة لقرية ما دون تحديد لاسمها أو مكانها ولكن مظاهر الفقر وما يتعرض له صغار المزارعين من اضهاد واضحة، فنستشف المكان من خلال إظهار هذا الفقر ومن خلال وصف المكان المتداخل مع بقية عناصر الرواية «توقيتهم مع الشمس يبدأ يسابقونها شرقاً، وعندما تطل يكونون قد وصلوا... ثم يسابقونها غرباً، قوافل تزحف في إعياء، كلهم نفس الهيكل المتحرك في ثقل وألم، الرجال كلهم في ظهورهم انحناء وعلى أكتافهم فؤوس، ويلبسون نفس الخرق التي لا لون لها، والنساء كلهن ملتفات بثياب صارت كالحبال... يلفنها حول هياكلهن حتى تعصمها من التداعي... الأطفال بلا استثناء عراة...»<sup>(2)</sup>.

فوصف الشخصيات ينم عن الوضع الاجتماعي الذي تعيش فيه. وتتخذ زينب من القرية إطاراً للأحداث ولكنها تنقلها إلى المدينة لتوضح مدى الفارق الاجتماعي والاقتصادي بين المجتمعين «لأول مرة يروا الجانب الآخر من المدينة عن قرب.. لكن هنا البيوت شيء آخر.. الأسوار مسورة بالياسمين وتحنو عليها أشجار باسقة محملة بالثمار.. الأضواء تخجل شمس النهار... و الحجرات لها نوافذ في حجم أبوابهم وعلى النوافذ علققت أقمشة... لم يروا أغناماً أو أبقاراً ولا حتى حمير ولكن على الأبواب ترابض سيارات طويلة»<sup>(3)</sup>.

فيأتي هنا الوصف الدقيق للموجودات ليظهر واقعية المكان والوضع الاجتماعي لساكنيه، ومن ثم وضع الأحداث في إطار الواقع الممكن، وهذا يتعارض مع ما طرحه ثابت

(1) رواية نبات الصبار، ص 13

(2) رواية الاختيار، ص 2

(3) رواية الاختيار، ص 6

ملكاوي حول توظيف المكان عند القاصة الأنثى، فهو يرى أنه ليس لدى القاصة الأنثى مكان واضح تتحرك فيه الشخصية «كما أن حياة الشخصية ذاتها تكون غامضة في حركتها داخل المكان»<sup>(1)</sup>. «ويبرر ذلك بأنه امتداد للاضطهاد الاجتماعي الذي تعيشه المرأة، فهي لا تستطيع أن تحدد الإطار المكاني لشخصياتها، لأن ذلك يعتبر عورة اجتماعية. فهي من وجهة نظره تحتاج إلى مزيد من الوقت والتطور الاجتماعي حتى تستطيع التحرك بحرية في مساحات الأمكنة»<sup>(2)</sup>.

وهذا الرأي لا يمكن أن نعتمده على جميع الإنتاج النسوي، لأن الأوضاع الاجتماعية واختلاف البيئة بالنسبة للمرأة، تسمح لبعضهن بالتطور والنمو في انتاجهن، وأكبر دليل على ذلك ما وجدناه عند كثير من كاتبات القصة أو الرواية سواء في العالم العربي أو السودان، ومنهن زينب بليل حيث توظف المكان كتقنية قصصية ما أصبح له دور بارز في بيان تكوين الشخصية الاجتماعي والنفسي. إذن فالكاتبة الأنثى لم تغيب المكان أو تكلله بالغموض، بل استطاعت أن تتحرك بحرية تامة في مساحات الأمكنة وتثبت ذاتها الإبداعية. ويقوم الوصف الواقعي في روايات زينب بليل واهتمامه بدقائق الموصوف وتفصيلاته بوظيفة إيهامية، حيث «يخلق إيهاما بالواقع الخيالي، ليشعر القارئ بأنه يعيش في عالم الواقع وليس الخيال، وبالتالي يخلق لديه انطبعا بالحقيقة وتأثرا مباشرا بالواقع، وهذا لا شك يخلق متعة لدى القارئ، ويعمق صلته بالنص من خلال قرأته اليومية للمكان المكتوب في النص»<sup>(3)</sup>.

و«نبات الصبار» التي بدأ فيها المكان واقعا سواء كان رئيسيا أو هامشيا، يحس القارئ فيه بالمتعة و يتخيله حقيقيا ويتفاعل معه ويؤثر فيه «بعض أشجار النيم استغلها الخياطون، لكن ترزية النساء لهم دكاكين خاصة محمية من عيون المتطفلين بجولات الفحم، بعض هذه الأشجار تحول إلى أسواق لبيع السجاير والصعوت ومصانع لرتق الأحذية المهترئة.. بعضها اتخذها أصحاب المعرفة. ضاربي الكف والحظ وبائع عروق المحبة.... وبعضها معارض لعرض الفخار المزخرف بكل الألوان.... تخرج النساء بائعات الأطعمة.. على امتداد الشارع يتحلق حولهن الرجال على ضوء فوانيس الكيروسين ليأكلوا.... ويموج البشر.. المنازل مزدحمة والهواء خانق لذا يخرجون كلهم للشارع...»<sup>(4)</sup>.

(1) الشخصية والبيئة في القصة القصيرة - ثابت ملكاوي الشارقة : اتحاد كتاب وأدباء الإمارات 1922 ج 1 ط 1، ص 129

(2) صورة الرجل في القصة القصيرة في المملكة العربية السعودية د/ منال عبد العزيز العيسى ص 150

(3) المرحح السابق ص 153

(4) رواية نبات الصبار ، ص 15

فالمكان هنا تم تخليقه وإبداعه وإسكانه بالألوان والطعوم والروائح الأصلية والموسيقى الهادئة ، ويمثل هذا الوصف وصف مكانا فرعيا هو بيت «خالد» « كان الحفل افتتاحا للفيلا الجديدة حيث ستسكن خديجة . أقيم العشاء في الحديقة الواسعة التي نسقها الحسين بأجمل الشتول والورود ... كانت دهشة سكان الشارع بالغة ..... تعلقت العيون بعناقيد الضوء المتدلّية من السقف والنافورة التي تتوسط المكان والماء الصاعد بألوان الطيف واللوحات التي لم يرسم مثلها رسامو مدينة النار والأزيز الهادئ لأجهزة التكييف والستائر المخملية والكراسي الوثيرة وباقات الورد الطازج الموزعة في المكان والموسيقى المنبعثة من حيث لا يعلمون»<sup>(1)</sup>.

تعمدت الكاتبة هنا الوصف الخارجي والداخلي للمكان لتفاعله مع الشخصية ووضعها الاجتماعي، ووصف المكان بهذه الصورة يقتضي مراقبة الكاتبة للمكان وامتلائها منه قبل الكتابة عنه وهذا ما يمنح الروايات واقعية مميزة . فلا بد للكاتبة أن تكون قد رأت هذه الأماكن وعاشتها. «والقارئ لابد من تهيئته نفسيا حتى يتقبل الأفكار والأحداث ويناقشها ويعرضها ولا يمكن أن يتم الصدق إلا بتهيئة المكان المناسب لذلك.»<sup>(2)</sup>

وصورة أخرى للواقعية عند الكاتبة وهي تصويرها للمدن الساحلية حيث صورت زينب بليل في روايتها «كش ملك» مدينة ساحلية على البحر - المرجح أنها مدينة بورتسودان - التي دلت عليها إشارات كثيرة منها أنها كثيرة الأغرَاب لجا إليها «خالد» و«الطيب» هروبا من العاصمة ، «فالمعروف أن مدن الموانئ ذات طابع خاص مفتوح أكثر من أي مدينة أخرى فهي المدينة «المرسى» التي تستقبل الوافدين والأغرَاب أكثر مما تستقبل أهل المدينة نفسها. والدليل على ذلك لجوء الأغرَاب إليها هربا من القانون أو طلبا للرزق أو التغيير»<sup>(3)</sup>

مثل «خالد» الذي قدم إليها هاربا من العدالة ، أو «دانة» زوجة البحر التي أتت من دول الجوار- ربما تقصد الكاتبة دولة أثيوبيا- هاربة من جريمة قتل «نزلت من إحدى المراكب امرأة غريبة اتجهت إليه وسألته أن يجد لها مأوى .....جلست على صخرة تحمل صرة ملابسها تنظر إليه في رجاء ...من سحتها واضح أنها ليست من أهله ، غريبة ..جاءت من الشواطئ البعيدة»<sup>(4)</sup>.

(1) المرجع السابق ، ص 159

(2) الاتجاه الواقعي في الرواية العربية الحديثة في مصر- د/ حلمي بدير - دار المعارف- القاهرة - ط1 - 1981م - ص 226

(3) السرد الروائي العربي «قراءة في نصوص دالة» - د/ مدحت الجيار - الهيئة المصرية العامة للكتاب - القاهرة ط1 2008م -- ص 203

(4) رواية كش ملك ، ص 53

أما الطيب فقد لجأ إليها طلباً للأمان» ولم يرجع وظل هاربا من مدينة إلى أخرى..... وأخيرا وصل أقصى الشرق واستقر على ساحل البحر في كوخ خشبي صغير يسترزق من الصيد<sup>(1)</sup>. فمدن الموالي تحمل السعة وفرص الرزق المفتوحة مثل مهنة الصيد، التي امتنها «البحر» و«خالد»، «ولكن مدن الميناء يظل أهلها يتسمون بالحدز من الغريب ويحاولون تذويبه ومساعدته على الاستيطان ليشرع عاداتهم وتقاليدهم»<sup>(2)</sup>، كما حدث «للبحر» و«خالد» وكذلك «دانه» زوجته الغربية. والحدز بالنسبة للبحر كان من الغرباء الذين أتوا إلى منزله وتناولوا معه الطعام ولكنهم خانوه وغدروا به وقتلوا زوجته» دخل غرباء بيته وذبحوا زوجته فصلوا رأسها عن جسدها.... واختفوا»<sup>(3)</sup>.

ومدن الشواطئ تتسم بخليط من الأعراق والأجناس، والكاتب عندما تصف المكان فلا بد أن تكون قد زارته حتى تستطيع وصفه لأن «مدن البحر لا يستطيع الكاتب وصفها أو كتابتها من الذاكرة بل من باطن الواقع والكتب والدراسات والآثار. لأن هذه المدن الخاصة بالموانئ ليست مثل كل المدن بل هي مدن عالمية تربط بين المجتمع المحلي والمجتمع الدولي، وهي محط أنظار الأجانب والأغراب»<sup>(4)</sup>.

### ثانياً: المحلية في روايات الكاتبة:

« يتجه بعض الكتاب إلى البيئة المحلية أو اللون المحلي يعنون بإبرازه في الرواية أعظم عناية. ويحاولون أن يعكسوا أثر البيئة الطبيعية التي يحيون فيها وفي نفوسهم وفي تكوين أذواقهم. وقد يتجهون بحكم خبرتهم في الحياة إلى تصوير طبقة معينة من الناس كالطبقة الكادحة في المجتمع»<sup>(5)</sup>، مثل زينب بليل التي تعتبر من الروائيين المحليين الذين انهمكوا في تصوير البيئة المحلية حيث صورت بيئتها سواء كانت البيئة الطبيعية التي عاشت فيها أو الطبقة الكادحة التي انتمت إليها، ومن الطبيعي أن ينشغل الكاتب بتصوير ما حوله خاصة في مرحلة رواياته الأولى، حيث تقول الكاتبة: «لما كتبت الاختيار كنت احمل سنجة في الذاكرة فجاءت عبارة عن أماسينا والزمن الجميل.... وفي الاختيار شكلت

(1) رواية كش ملك، ص 52

(2) السرد الروائي العربي - قراءة في نصوص دالة / مدحت النجار ص 203

(3) رواية كش ملك، ص 90

(4) السرد الروائي العربي - قراءة في نصوص دالة / مدحت النجار ص 212

(5) فن القصة / محمد يوسف نجم ص 109.

النيمة الوارفة مكانا مهما في أسرة حمدان»<sup>(1)</sup>

فالكاتبة تتميز بالاستيعاب الكامل لبيئتها والبيئة التي تصفها، فالبيئة عندها شيء أساسي في جميع رواياتها، ففي «الاختيار» تصف البيئة بالتفصيل فتصف الأرض ونباتاتها وحيواناتها وأسماء البشر فهي تعرف لهجات وعادات شخصياتها مما يضيفي على العمل الفني الحيوية. بعكس البعض من الكتاب الروائيين العرب الذين تناولوا بيئاتهم بشكل عام، «فقد كان إحساسهم ببيئاتهم لا يتعدى المظاهر السطحية حيث لا يتجاوز التعلق بالأماكن وتصويرها، والعادات والتعبير عنها، ولذا تصبح الرواية عندهم مجرد عرض للمجتمع دون رؤية عميقة إلا ما كانت معبرة عن بعض القيم والدعوة للتمسك بها. ويظل التفاعل بين الشخصيات ومحيطها الروائي محدودا»<sup>(2)</sup>، وهذا ما نلمسه في عدد غير قليل من الروايات التي ظهرت في الوطن العربي.

ولا تصور روايات زينب بليل البيئة السودانية فقط، بوصفها مكانا جغرافيا فحسب- سواء أكان مجتمع الريف أو المدينة - بل تعني بالحياة الاجتماعية والروحية للناس، فتعرض لعاداتهم ومعتقداتهم الموروثة وتقاليدهم.

ففي رواية «الاختيار» مثلا حيث تدور أحداثها في قرية ما على ضفاف النيل، تصف الكاتبة من خلالها البيئة الريفية و مجتمع الريف، وهي نفس البيئة التي نشأت فيها الكاتبة وترعرعت حيث تقول «نشأت في مدينة تقف على ضفة الأزرق في شموخ وهدهوء وسلام، مدينة في موسم المطر يمتلئ سماؤها بالصفير الملونة والجراد وشوارعها بالمياه.. مدينة فضاءها اخضر لأن البيوت تظلمها أشجار النيم الوارفة والليمون. واماسيها تضج بأصوات الأبقار والأغنام العائدة من المراعي...»<sup>(3)</sup>.

فنفس هذه البيئة الريفية تعرضها الكاتبة في الرواية وتنقل مجتمعها بكل ما فيه من عادات وتقاليد وموروثات بدءاً باللباس وانتهاء بطقوس الزواج، وتعرض طقوس الختان، ومشاهد الولادة والزار، ففي مشهد الزار مثلا «امتلاً البيت بالنساء ودقت الطبول..وتصاعد دخان المباخر مع الأغنيات المبهمة ودارت الكؤوس المترعة خمرا..وتمايلت الأجساد التي سكنت طويلا، وأطلقت الحناجر...وترنحن وارترجنن وتقمصن وتقمصتهن كل شياطين جهنم وشربن دم الخروف المخلوط بالعطور ورطن انجليزي وحبشي وطياني»<sup>(4)</sup>.

(1) صحيفة رأي الشعب، الملف الثقافي، الخميس 2008/8/14م، ص 9

(2) فن الرواية في الأدب السعودي /محمد صالح الشنطي ص 37

(3) صحيفة رأي الشعب، الملف الثقافي، ص9

(4) رواية الاختيار، ص 13

وعرضت كذلك بعض المعتقدات البالية الخاصة بلحظات المخاض وتعسرهما من خلال أحاديث النساء وثرثرتهن ص 19،20، من الرواية، والكاتبة تقوم بعرض كل ذلك بدافع تعريف القارئ بما يجهله من تلك الحياة الريفية، التي عاشت فيها وعاشت تلك الأحداث، و نجد ظللا من تلك البيئة في روايتها الاخرين، فجاء أدبها محليا، وقد أصبح للمحلية معنىً خاصا حيث صار للمكان خصوصية في بناء الحدث ورسم الشخصيات وأفكارها التي تدور داخلها والحوار الذي يجري على ألسنتها والعقائد والتقاليد واللغة التي استخدمتها الشخصيات، حيث نجد فيها بعض الألفاظ العامية .

وبهذا أصبح المكان عنصرا ايجابيا في الروايات، لأنه اكتسب معنىً جديدا. بعكس البيئة الريفية عند بعض كتاب الرواية العرب المحدثين«الذين اتخذوا منها موضوعات حية لقصصهم، على أن بعض هؤلاء الكتاب قد لا يوفقون في كل ما يصورونه من جوانب البيئة الريفية، فيشذ منهم بعض الخطوط التي يرسمونها متأثرين في ذلك بما يقرءون من القصص الأجنبية»<sup>(1)</sup>.

تنظر الكاتبة إلى القرية السودانية نظرة إعلاء وتمجيد وإخلاص خاصة مدينتها «سنجه» ومن دلائل إخلاصها لها، أنها نقلت صور القرية من الواقع المعاش إلى جوء من النقاء والصفاء، قد تبالغ الكاتبة فتحيلها صورا مثالية وردية « حيث الحب بلا ثمن والعطاء بلا مقابل. وعد بالرجوع حلق بها في سمائمهم فاستنشقت رائحة الأشجار الحبلى بالخير..... »<sup>(2)</sup>.

فهي ترى بيئتها مختلفة وجميلة حيث «تستيقظ على صياح الديكة ..وعلى صوت أبيها يصلي الفجر ويطلب من الله الستر والعافية ..وعلى حليب الشاة، لحنا صباحيا طروبا...وفي المساء فاطمة السمحة وود النمير»<sup>(3)</sup>.

وترى فيها كل شيء جميل حتى انها لتذهب مع أهلها فيما يذهبون إليه من عقائد مختلفة وعادات بالية، وتحس كأنها تؤمن بها وتعتقد بها، بل ويبدو كأنها تريد أن تقنع القارئ بصحتها وسلامتها.

ففي «نبات الصبار» حينما تم التحاق البطلة «خديجة» بالمرحلة الثانوية أعطاهها الشيخ «حجاب» تلبسه من العين كما يعتقدون«اخرج من جيبه ورقة مطبقة بعناية ناولها لخديجة : هاك البسي الحجاب ده ....همس الفكي هارون منها : الحجاب ما يسرقوه

(1) انظر دراسات في القصة العربية الحديثة د/ محمد زغلول سلام ص 5-8

(2) رواية الاختيار ، ص 111

(3) المرجع السابق ، ص 24

منك»<sup>(1)</sup>، وفي «كش ملك نجد أيضا ظلالات من هذه المعتقدات عندما مرض بطل الرواية «الطيب» فعالجه الفكي صالح « امشي جيبي عسل نحل صافي ورطلين حليب وغنماية زرقاء وديك احمر سويه شوربة ثقيلة .... وجلس الفكي يكتب ويحكي... »<sup>(2)</sup>. فتسرد الكاتبة هنا وفي رواياتها الأخرى مختلف الاعتقادات والعادات البالية دون التعليق عليها سلبا أو إيجابا . وقد عبرت زينب بلليل عن المكان الأصيل والقديم في رواياتها، وشكلت لوحات عديدة من الأمكنة التي عبر من خلالها أبطال رواياتها عن حنينهم إلى الماضي ، وتمسكهم بالمرور، فمثال لجماليات المكان القديم «بيت حمدان» البيت الذي تملؤه الألفة والمحبة ، «فالحنين إلى البيت القديم، من قبل الحنين إلى تلك اللحظات السعيدة في حياتنا، كما يرى غاستون باشلار الذي يقول : ان المكان القديم هو المكان الأليف ويعلل انجذابنا إليه بما يبعثه فينا من مشاعر الحماية والطمأنينة والأمان ، ويرى أن المكان القديم يتشبه بساكنيه ويصبح الرحم للجسد بجدرانها التي تتقارب»<sup>(3)</sup>.

وتصف الكاتبة بيت حمدان « لياؤوا إلى أسرة بلا فراش أو غطاء هل ما زال كل شيء كما تعودت أن تراه؟... حمدان تحت الشجرة الوريقة..مفترشا الأرض متوسدا جلبابه.... الشوق الطويل بالعودة والحلم الذي لا ينتهي بالعودة...تبيع عمرها كله بيوم من أيامهم تلك..كلهم تحت الشجرة الوريقة..يشوون دره أو يسلقون لوبيا أو يأكلون قصب....هل تعود لموضع قد تهون الأرض إلا هو»<sup>(4)</sup>.

واستنادا لكلام باشلار ، نستطيع أن نفسر وصف الكاتبة «بيت حمدان» والقرية بتلك الحميمية ، وهذا الوصف من الكاتبة ليس مجرد ارتداد عفوي وعاطفي إلى الماضي ، وليس مجرد حنين إلى فترة مضت فحسب، «وإنما خطة تهدف لوضع الأرجل في منطقة مغيبة تكاد تندثر من تراث قرية نائية في احد منحنيات النيل ، والوقوفات العديدة التي تقفها الكاتبة في الوصف المتكرر للقرية والمنازل يضع بين أيدينا دليل على ما يمكن اعتباره حقبة من الحياة عاشتها تلك القرى على ضفاف النيل ، فترة يلفها النسيان وتلح الكاتبة على استرجاعها وإدخالها من جديد إلى الذاكرة»<sup>(5)</sup>.

(1) رواية نبات الصبار ، ص 64 ، 65.

(2) رواية الاختيار ، ص 34

(3) انظر جماليات المكان غاستون باشلار -ترجمة غالب هلسا - ص 31-67 .

(4) رواية الاختيار ، 111.114.

(5) انظر توظيف التراث في الرواية العربية - د/محمد رياض وتار - من منشورات اتحاد الكتاب العرب- دمشق 2002م ، ص 235

والحنين إلى البيت القديم نجده كذلك في رواية «كش ملك» عند «الملك» الذي تمنى أن يسكن مرة أخرى في بيته القديم ليعيد ذكرياته فهو يحن إليه كثيرا «سيشتري بيتهم القديم في الحي الشعبي لن يهده لبينيه من جديد..القديم فيه رائحة أمه' وربما يجد في أركانه المهملّة شيئا له ..أو لها..قميصا أو فردة حذاء أو كوبه الذي كانت تحتفظ به زهرة منذ أن كان في المدرسة الأولية»<sup>(1)</sup> فنلاحظ هنا الحنين إلى الماضي الذي يمثل الطمأنينة والأمان. وتنتقل عدسة زينب بليل من البيئة الريفية إلى المدينة التي بدأت وصفها منذ روايتها الأولى «الاختيار» التي ركزت فيها على العلاقة بين المدينة والقرية ، وما يمثله الريف من براءة ونقاء بعكس المدينة التي يلوّثها النفاق الاجتماعي ، فصورت حياة المدينة وما فيها من ازدحام :

«رأت نفسها في الخرطوم كالذي انتقل لدار الآخرة دون أن يمارس الموت ..في رأيها من يتفرج على الخرطوم في نهار صيف ، في الثانية بعد الظهر . حتما سيعتقد أنه في الدار الآخرة ...الكل يجري في هلع وفي كل اتجاه ..الكل يقاتل من اجل موضع قدم واحد في البص الذي يسير متكئا على جانبه ..أطفال وشيوخ ونساء حوامل ..من يتوّكا على عصاه ومن يتوّكا على صاحبه ومن تحمل رضيعا على كتفها ...ومن يحمل بطيخا ..ومن يحمل قرطاسا فيه اللحم والخضار ومن يحمل كتبه في كيس قماش ومن يحملها تحت إبطه ، كلهم يقاتلون ... كل حسب قدرته.....»<sup>(2)</sup> .

تنقل الكاتبة وصفا صادقا وحييا للمدينة في وقت الذروة . ويمائل هذه الصورة للمدينة وصفا في روايتها «كش ملك» حيث تعرض صورة كاملة للمدينة وتعقد مقارنة بينها وبين القرية شأنها في جميع روايتها<sup>(3)</sup> ، ثم تصور مجتمع المدينة وما فيه من آفات اجتماعية من سرقة وقتل ونفاق ورياء .

أما في «نبات الصبار» حيث تُعد البيئة من أهم عناصر الرواية ، فقد كان للمكان خصوصية عند زينب ، حين صورت عدستها المدينة 'ولكنها اختارت قطاعا معيناً من المجتمع واختزلته . هو قطاع المهمشين في المجتمع فصورت هذه الطبقة الكادحة وبيئتها خير تصوير، وهي لا تختلف كثيرا عن بيئة الريف وحياتهم ، فكلتا البيئتين يعيش فيها أناس بسطاء يعيشون على الكفاف يعملون طول يومهم من اجل كسب رزقهم ، لهم مشكلاتهم التي تؤرقهم وأشواقهم وأحلامهم ، يحبون الحياة ، يتزوجون وينجبون .

(1) رواية كش ملك ، ص 206

(2) رواية الاختيار ، ص 37، 38

(3) رواية كش ملك ، ص 13

فالمكان رغم خصوصيته في «نبات الصبار» إلا أنه أصبح ذا طابع إنساني عام . حيث شاركت الطبقة الكادحة في حركة المجتمع وأثرت فيه ، فقد نقلت الكاتبة عادات وتقاليدها شعبي في العاصمة الخرطوم .

وهذا الحي ليس مثل القرية جميع سكانها أقرباء ، بل يضم أجناس وسحنات مختلفة ، ولكن هذا الاختلاف يتمزج مع بعضه البعض ليكون مجتمع تتشابه فيه كثير من معطيات الحياة المادية . وقد قدمت الكاتبة «شارع النار» داخل إطاره الطبيعي فأبرزت تلاحم سكانه ، مهما كانت ثقافتهم وتوجهاتهم .

فعايشنا جو السلام والمحبة بين سكانه. وتصوير الكاتبة لمجتمع «شارع النار» بما يحفل به من كائنات بشرية وعلاقات اجتماعية ، لم يكن تصويراً فوتوغرافياً أو حرفياً كما قد يخيل للقارئ ، بل استطاعت الكاتبة أن تقدم لنا «عالماً مختلفاً زاخر بالحرارة . ومتماسك تغلب عليه النظرة الشاملة الكلية التي تجمع الأشتات والجزئيات والتضاريس والعلائق في إطار شامل نموذجي ينفذ إلى جوهر الحياة الإنسانية فيه ، وبالتالي يمكن القارئ من التعرف على دوائله. إن الترابط والشمول أفضى إلى تكوين عالم روائي متميز ومنتم إلى خصوصية محلية»<sup>(1)</sup>.

فعند حدوث حدث ما في الشارع نجد السكان جميعهم متكاتفون ومتعاونون على فعل هذا الحدث ، مثل مرافقة اغلب السكان لخديجة عند دخولها للمدرسة المتوسطة ، كل يتمنى لها النجاح وأن تصبح طبيبة ، وتصور الكاتبة العلاقات الاجتماعية بين سكان الشارع واشتراكهم جميعاً في حل المشكلات الخاصة .

فجميعهم أخوة « امتحانات خديجة وإصرار الحسين أن يستمر جدول سقي الشتول كما هو حتى في يوم الامتحان نفسه . وعصيبة أمينة بت الخزين وقلقها وإشعالها للمنزل وتوتر الأجواء ..... عرفت الجارات المشكلة القائمة في منزل أمينة فجئن يتوسطن . وعرف الرجال أيضاً ، فجاءوا يناصرون صديقهم ضد تسلط النساء»<sup>(2)</sup>. والكاتبة في هذه الرواية واقعية في وصفها للأحياء الشعبية ومجتمعها.

وإذا القينا نظرة على أسماء الأمكنة نجد أن الكاتبة لم تهتم بذكر الأسماء، ولم تورد أي اسم من أسماء الأمكنة سواء كانت في القرية أو المدينة ، فهي لم تذكر اسم القرية في «الاختيار» أو اسم بلد الغربة التي ذهبت إليه البطلة ، ولم تذكر كذلك اسم المدينة الساحلية في «كش ملك» التي ذهب إليها البحر والحبيب . ذكرت فقط اسم «شارع النار»

(1) فن الرواية في الأدب السعودي د/ ممد صالح الشنطي ص 153 .

(2) رواية نبات الصبار ، ص 59

أو «مدينة» النار في «نبات الصبار» لوجود دلالة لها عند الكاتبة ، بالرغم من أن المكان قد توزع في القرية والمدينة وبلاد الغربية . وكان لكل من الأمكنة أثر مباشر في سير الأحداث وبالتالي في الشخصية. ولا أجد أي مسوغ لعدم ذكر أسماء الأمكنة إلا إذا أرادت الكاتبة جعلها أمكنة نكرات لا وجود لها ، أو لربما يكون ذلك مؤشرا على عدم وعي الكاتبة بدور المكان في العمل القصصي كما لاحظنا ذلك عند بعض كتاب الرواية التقليدية «الملحمية» في السودان مثل ملكة الدار محمد في روايتها «الفرغ العريض» .

### ثالثاً : علاقة المكان بالعناصر الأخرى :

مما لاشك فيه أن عنصر المكان تكون له أهمية أساسية في تحديد أبعاد العمل الروائي إذا استطاع الكاتب أن يوجد توحدا واتصالا وثيقا بينه وبين باقي عناصر العمل كلها . فللمكان وظائف جوهرية في العمل القصصي تهتم بالكشف عن ملامح الشخصية وتنظيم الأحداث وتوضح الزمن. إذ تتأق أهمية المكان في الرواية من كونه العنصر الذي لا يمكن الاستغناء عنه لتداخله مع المكونات الروائية الأخرى كالشخصيات والحدث والزمان التي يتحدد وجودها بوجود المكان .

### المكان والشخصية والحدث :

هنالك علاقة حتمية بين عنصري العمل الروائي الشخصية والمكان باعتبار تلك العلاقة عاملا أساسيا لتحديد معالم الحدث الروائي ، واتصالها بالواقع، وفعاليته في بلورة فكرة الكاتب الأساسية<sup>(1)</sup> .

وللمكان دور كبير في بناء الحدث وتصوير الشخصية، فضلاً عن كونه محورا أساسياً في المعالجة النقدية ، لأنه يمثل مساحة واسعة في الرواية، ويبدو ضرورياً لتعرف على الرؤيا، لا سيما وأن الوصف في الرواية الواقعية ملمح مميز، ولكنه موظف للكشف عن الشخصية . تهتم زينب بليل بالمكان، ولعلها قد تأثرت بالواقعيين خاصة في مصر عند نجيب محفوظ الذي اهتم اهتماماً بالغاً بالوصف خاصة المكاني ، وربطت بينه وبين الشخصية والاحداث. ففي «الاختيار» و«نبات الصبار» يصبح المكان عاملا مؤثرا وفاعلا في مجريات الأحداث ومؤثرا في الشخصية .

فالمكان هو البطل الحقيقي عند الكاتبة ، خاصة في روايتها «نبات الصبار»-كما ذكرنا سابقا- حيث اهتمت بتفاصيل المكان وأكدت عليه منذ بداية الأحداث وربطته بالشخصية ، فقدمت «شارع النار» بكل محتوياته وعلاقته بسكانه، فوجدنا علاقة حميمة بين الشخصيات التي عاشت فيه، فلذلك نستطيع أن نقول أن الرواية قد رصدت لنا علاقة فريدة بين

(1) الشخصية وأثرها في البناء الفني لروايات نجيب محفوظ /د/نصر محمد إبراهيم عباس ص 325

الإنسان والمكان ، وما يدل على ذلك أن البطلة «خديجة» حين اضطرت إلى مغادرة حياها إلى بيتها الجديد بصحبة زوجها ، احست أنها اقتلعت من جذورها وفارقت أحب الناس إليها ، ونلمس ذلك من خلال الحوار الذي دار بينها وبين زوجها:

«- أنا بحاول أنقلك لبيئة نظيفة.

لو كنت جنائني يا أستاذ ، كنت فهمت أنه النبتة لما يقلعوها من بيئتها بتدبل وموت حتى لو كانت بيئتها مستنقعا»<sup>(1)</sup>.

وكذلك نرى المشاركة الوجدانية لخديجة تنصب في جميع سكان الشارع . ونرى كذلك العلاقات الحميمة بين سكان الشارع ودفاعهم عنه مثال « أحاطت بهم الجرافات والرجال المدججين بالسلاح ، أنذروهم بمكبرات الصوت ثلاث مرات ، لم يتحرك أحد .في المرة الرابعة سارت العجلات الضخمة فوق الحيطان الهشة وساووها بالأرض لم يتركوا غير المسجد»<sup>(2)</sup> .  
ومن الطبيعي أن يدافع السكان عن هذا الشارع بحيث يقفوا ضد تدميره أو نقله إلى مكان آخر، فينعكس هنا إحساس الجميع بالمكان وبالمأساة التي يعيشونها، فرد الفعل الذي تحدثه البيئة في الشخصيات قوي للغاية، ويصبح الحدث الروائي عامل اتصال وثيق بين الشخصية والمكان .

يأخذ المكان دوره في تحديد معالم الشخصية الخارجية والداخلية ، وتتخذ الكاتبة من المكان طريقا لتصوير حيوات الشخص ومفاهيمهم وإيجابياتهم . فتصف الكاتبة المهن اليدوية أو التجارة في «شارع النار» «بعد صلاة الفجر يفتح البقالون بقالاتهم ويفتح الخياطون دكاكينهم ويفتح النجارون ورشهم وتأتي البكاسي محملة بالخضر واللحوم ويطون الحيوانات ويتزاحم المشترون ..ومع بزوغ الشمس ترى الطاولات على امتداد الشارع ..قد امتلأت برئات الحيوانات والمعد ..ورؤوس الثيران والأظلاف ....وامتدت في الأرض خرق امتلأت بالخضار الذابل والخبز من الدرجة الثالثة والفاكهة من ما يصنف تالفا»<sup>(3)</sup> .

إذن فهناك علاقة وطيدة بين البيئة المكانية وبين الشخص في «نبات الصبار»، حيث تتحرك الأحداث والشخوص في بيئة مكانية وحيز زمني وظروف اقتصادية ومحلية ودولية لا تنحيزها الكاتبة جانبا أبداً.

« لقد ظفر المكان بدور مهم في تصوير الإطار الذي تبدو فيه الفكرة الجوهرية أو الحدث الرئيسي في الأدب الشعبي أو في القصص الخيالي «الرومانسي» حيث ظهر المكان عنصرا

(1) رواية نبات الصبار ، ص 180

(2) رواية نبات الصبار ، ص 38

(3) المرجع السابق ، ص 16

مهما في تحقيق الإيهام والهروب من عالم الواقع والحياة المضنية، من شظف العيش وقسوة الواقع إلى الغابات والعوالم المسحورة والقصور، ومن عالم الفقر الكافر والجوع الفتاك، والكدح المذل إلى عالم اللذات والمتع والترف والنعيم<sup>(1)</sup>. والكاتبة زينب لبليل تنتقل إلى تلك العوالم الخيالية، باستخدامها للأسطورة في «نبات الصبار» لتحقيق ذلك الإيهام، وفي الوقت نفسه استخدمتها لتدل على توحيد الإنسان مع المكان وتصويره، فانطلقت إلى تلك العوالم الأسطورية مستمدة تفاصيلها من الخيال الشعبي، الذي نسجته منذ بداية الرواية، وهذا الجو المفعم بالأسطورة والخيال نلمسه في ولادة الطفل الأسطوري الذي ولدته إحدى النساء في شارع النار» الذي خرج من بطن فتحية شيء عجيب.. شيء في حجم الحمل... ويشبه الحمل.. له قرنان وعين واحدة كأنها جوهرة وكأنها لؤلؤة وكأنها ياقوت.. في وسط جبينه.. وله فم مثل فم البشر... باقي الجسد خروف بأربع أظلاف وله ذنب.. ثعبان! طوله أمتار! <sup>(2)</sup>. ولتعمق الكاتبة هذا الجو الأسطوري استخدمت الخيال وعالم الجن الذي أسندت إليه القيام بأفعال كثيرة عجز عنها البشر لترمز إلى أن الإنسان لا يمكن أن يغير واقعه إلا بمعجزة أو خيال» ليعرفوا أنهم في حاجة للتغيير ولكنه لا يملك غير صوته والربابة<sup>(3)</sup>.

فربابة «الحسين» فعلت الكثير من المعجزات وقد وصفت الكاتبة صوتها بأنه مفتاح للعوالم المغلقة «دون مفتاح ولا سر ظهر هذا أمامه... لا شيء غير صوت الربابة... ربما هي المفتاح للعوالم المغلقة.. ربما عوالم لا نعرفها يفتحها النغم»<sup>(4)</sup>.

ربطت الكاتبة المكان بالمجتمع الذي يعيش فيه الأشخاص فجاء المكان معبرا عن الوضع الاجتماعي والفكري للشخصيات، سواء كان مجتمع القرية البدائي في «الاختيار» الذي نفيت عنه العلم والمعرفة أو مجتمع «شارع النار» في «نبات الصبار» الذي تميز بالبساطة والفقر وكذلك الجهل. فقد رسخ في تلك المخيلة الشعبية لأولئك الناس ما تتمتع به القوى الخفية من قدرات هائلة، فعلى سبيل المثال الأولياء والشيوخ في جميع رواياتها، وكذلك الربابة في «نبات الصبار». فالمجتمع البسيط والبدائي لا بد لسكانه أن يفسروا الظواهر الطبيعية تفسيراً خرافياً ولا بد أيضاً أن يسندوا إلى القوى الخارقة القيام بأفعال كثيرة.

وربطت الكاتبة المكان بالوضع الفكري للشخصية ربطته كذلك بالوضع الاجتماعي للشخصية، فبالغت في تصوير البيئة لتحديد الطبقة الاجتماعية التي تنتمي لها الشخصية،

(1) تحولات السرد، دراسات في الرواية العربية د/ إبراهيم السعافين ص 166

(2) رواية نبات الصبار، ص 8

(3) المرجع السابق، ص 37

(4) المرجع السابق، ص 1.

فصورت البيئة الفقيرة والغنية وربطتها بالشخصية وملامحها، فجاءت البيئة مؤكدة للطبقة التي تنتمي لها الشخصية.

ونلاحظ ذلك كثيرا في رواياتها إذ تفرق الكاتبة بين البيئتين وتعد مقارنة دائمة بينهما. خاصة مجتمع القرية والمدينة الذي تعرض من خلاله لوحات شتى للعادات والتقاليد، فلوحة العرس في المدينة تختلف عن لوحة العرس في القرية مثال لذلك عرس «الطاهر» في «الاختيار» يمثل مراسم الزواج في القرية أو الاحياء الشعبية ص98، حيث صورت الكاتبة لوحة العرس مناسبة للبيئة في ذلك الوقت. عكس لوحة عرس «خديجة» في «نبات الصبار» ص «149» الذي بالغت في تصويرها .

فبالرغم من البيئة الفقيرة التي تعيش فيها «خديجة» إلا أنها صورتها مناسبة لمراسم الزواج في الطبقة الارستقراطية وقد جاءت كثير من تفاصيلها غير مناسبة لبيئة «شارع النار» بل غير مناسبة للبيئة السودانية في ذلك الوقت، وربما هي انعكاس لمؤثرات خارجية على الكاتبة من تأثر بالرحلات أو قراءتها للروايات العربية أو الأجنبية .

وللمكان وتغيره عند زينب تأثير بالغ في مجرى الأحداث ، ففي رواية «كش ملك» مثلا تنقل البطل «الطيب» من مكان إلى آخر كان له أثر في تطور أحداث الرواية وتسلسلها ، «فقد انتقل أولا من قريته مسقط رأسه بعد طرد والده له إلى العاصمة وكان هذا له أثر كبير في مسار حياته ، ثم هروبه من الخرطوم إلى مدينة ساحلية بعد مشكلته مع سعاد الصائخ في محاولة يائسة لينسى عذابه وذكرى سعاد وشيح الرجل المقتول الذي اتهم بقتله وهو لم يفعل ذلك ، وظل هائما في البحر يحاول النسيان بأرض هذه المدينة ، ويبدأ حياة جديدة ويغير اسمه إلى «البحر» ويتزوج من امرأة غريبة من أحد دول الجوار، وتتغير حياته بعد أن رزقه الله بابنة من تلك المرأة الغريبة وتضيف للبحر بعدا جديدا في شخصيته وتؤثر في مسار الأحداث ، ثم يلتقي بخالد- ابن الملك البطل الثاني للرواية -في هذه المدينة ويتخذها ابنا له ومساعدة في عمليات الصيد، ولكن تنقلب حياة البحر إلى جحيم بعد قتل زوجته على أيدي من اخذوا الثار لوالدهم وينتقل إلى العاصمة مرة أخرى، وينتقل معه خالد أو «الحبيب» ويتزوج من ابنته ولكنها تتوفى أثناء وضعها لمولودة أنثى. ويستقر البحر والحبيب في العاصمة ، ويعملان سويا على تربية ياسمين ابنة خالد . وتمر بعد ذلك أحداث الرواية إلى أن تصل إلى النهاية»<sup>(1)</sup> .

ومن خلال سرد تلك الأحداث نلاحظ أهمية المكان وتعدده وأثره على تسارع الأحداث في الرواية . وكذلك في رواية «الاختيار» نجد تنقل البطلة «آسيا» مابين القرية والعاصمة وبلد الغربة أثر كثيرا في مجرى الأحداث والشخصية ، فالتنقل عبر تلك الأماكن

(1) راجع رواية كش ملك

أضاف تجارب وأبعادا جديدة للبطل. ومهما يكن من أمر المكان «فإن القصة لابد أن ترتبط به بشكل من الأشكال على الاختلاف في قيمة المكان ودوره في بنية العمل الأدبي فالمكان وعاء للحدث والشخصية أو إطار لها ولغيرها من عناصر القصة أو هو مجرد خلفية واضحة أو باهته على السواء. مثلما هو أيضا بمثابة بعد معين يتسع لحركة الشخصية أو مسيرة الحدث على نحو ما نلاحظ من قصص الموروث الشعبي بخاصة»<sup>(1)</sup>.

## الزمان والمكان :

لم تول الكتابة الزمان أهمية كبرى في رواياتها بالرغم من أن «كلا من الزمان والمكان يساعدان على تحديد معالم الخطوط الدرامية للعمل كله . وتحديد صراع الشخص مع واقعها في الوقت نفسه ، وكلما بدت العلاقة وطيدة والصلة قوية بين هذين العنصرين وبين الشخصية استطاع الكاتب معها تجسيد الواقع بكل جزئياته وبدت الصورة للأحداث أكثر منطقية»<sup>(2)</sup>.

يتصل المكان بعنصر الزمان في روايات الكاتبة ، ولكنها لا تحدده قطعيا . وتظهر لا محدوديته من خلال التحرك الفني للكاتبة خارج إطار أسر الأبطال والانتقال إلى أمكنة متعددة ، ففي روايتها «الاختيار» تتعدد الأمكنة من القرية إلى المدينة ثم إلى القرية مرة أخرى ثم تنتقل البطل إلى دول الخارج وهكذا ، أما في «كش ملك» فنسبة لزدواجية أو ثنائية حبكة فإن الأمكنة متعددة التي تحرك فيها الكاتبة الأبطال والشخصيات الأخرى، وكذلك «نبات الصبار» حيث انتقلت الكاتبة من شارع النار إلى أحياء كثيرة ثم إلى القرى والمسجد فتعددت الأمكنة وبالتالي تعددت الأزمنة . إذن فالزمان مطلق وغير محدود في روايات الكاتبة .

دلالة المكان في هذا المبحث غير مقتصرة على المكان الذي تتحرك فيه الشخصيات، وبالتالي فإن دلالاته غير محدودة في إطار المكان الذي تدور فيه أحداث الروايات. وبذلك يكون مصطلح البيئة الروائية اعم واشمل - في روايات الكاتبة - من مجرد الوقوف على المكان وخصوصا بعلاقتها بالشخصيات . فلبينة أبعاد متنوعة داخل الروايات فهناك البعد الإقليمي وهو المنطقة التي حددتها الكاتبة في رواياتها ، مثل المدن المتنوعة التي دارت فيها أحداث جميع رواياتها في أقاليم السودان المختلفة ، وكذلك البعد الاجتماعي وهي العادات والتقاليد التي نقلتها لنا الكاتبة عبر رواياتها المختلفة ، ونجد أيضا البعد اللغوي وهو اللهجة المحلية التي احتشدت بها جميع رواياتها وأصبحت سمة من سمات رواياتها،

(1) تحولات السرد، دراسات في الرواية العربية د/ إبراهيم السعافين ص 166

(2) الشخصية وأثرها في البناء الفني لروايات نجيب محفوظ د/ نصر محمد إبراهيم عباس، ص 313

وأخيراً نجد البعد الدلالي وهو الأسماء والأعلام ودلالاتها داخل رواياتها . والمكان يشمل البعد الإقليمي فقط . وقد خلطت العديد من الدراسات النقدية بين البيئة والمكان وجعلت البيئة ملاحقة للمكان»<sup>(1)</sup> .

ويمكن أن نوجز جميع ما سبق ، بقولنا أن الكاتبة وصفت المكان بكل جوانبه، ووصفته بدقة وإسهاب . وكان لوصفه هدف معين هو دراسة الشخصيات وتطورها. فكل ما رآته الشخصيات وسمعته، وصفته الكاتبة وعالجت مدلوله النفسي، شأنها شأن الكتاب الواقعيين الغربيين ، أمثال «بلزاك» و«زولا» وغيره. ويتضح من ذلك أن الشخصية هي أكثر التصاقاً بالمكان عند الكاتبة أكثر من العناصر الأخرى .

(1) صورة الرجل في القصة القصيرة في المملكة العربية السعودية د/ منال عبد العزيز العيسى، ص 131

## المطلب الثاني

### الزمان في روايات زينب بليل



يقصد بالبيئة الزمانية الفترات التي كانت مزامنة للأحداث في العمل الروائي. وقد اختلف الباحثون حول معنى الزمان كما اختلفوا من قبل حول معنى المكان، فقد وضحو له معاني مختلفة ومنهم من ربطه بعناصر الرواية الأخرى، والكثير منهم ربطه بالحدث قائلاً: أنه «ضابط الفعل و به يتم وعلى نبضاته يُسجل الحدث ووقائعه»<sup>(1)</sup>، ونحن وان كنا لا نستطيع أن نفصل بين الزمن والحدث إلا أننا نتبين اثر الزمن عاملاً فعالاً في كثير من الروايات .

«هنالك مفهومان لمعنى الزمان، المفهوم العام الموضوعي الشائع الذي يعني الوقت كما يحدده علم الفيزياء والذي عن طريقه تحدد الساعات والتقاويم، وهذا الزمن يكون مستقلاً عن خبرات الشخصية وهو ما نقصده بالزمن الخارجي حيث يكون موضوعياً موجوداً في الطبيعة وليس نابعا من خبرة الشخصية، أما المفهوم الثاني وهو الزمن النفسي الذي يشكل جزءاً من خبرة الشخصية ويصبح هنا خاصاً وذاتياً وإنسانياً، والزمن في الأدب عموماً هو الزمن الإنساني وهو وعي الذات بجزء من الخبرة الإنسانية الغامضة للذات»<sup>(2)</sup>.  
«قضية الزمن من اعقد القضايا التي يواجهها الكاتب والناقد معا، ويقاس الزمن الروائي بعدة طرق منها، أنه يقاس بمدة القراءة، ويقاس بزمن الكتابة، أو بزمن الحدث الروائي، وهذا الأخير يطلق عليه مصطلح الزمن الروائي، وهو الزمن الحقيقي الذي قد يمتد ليشمل عدة أجيال كما في روايات الأجيال عموماً وقد يقصر حتى يكون يوماً، وكتاب الرواية في السودان عموماً لا يهتمون بقضية الزمن»<sup>(3)</sup>. استخدام الكاتبة للزمان :

استخدمت الكاتبة الزمان وفقاً للتعريف السابق حيث نجد الزمان في روايات الكاتبة يرتبط ارتباطاً وثيقاً بالحدث، فنلمس هنالك طريقتين تتخذهما الكاتبة للتعامل مع الزمان :  
1. الزمان التاريخي (التقليدي) : «وهو الممتد طويلاً في اتجاه واحد حيث نجد أن معظم الكتاب الأوائل كانوا يحركون الأحداث في زمن رتيب متسلسل، أي أنهم يحافظون على المسار الطبيعي للزمان»<sup>(4)</sup>، كما نجد في رواية «نبات الصبار»، حيث نجد «خديجة» تنمو وتكبر في «شارع النار» وتحب شاباً فقيراً مثلها «احمد» ولكنها تتزوج من رجل آخر «خالد» ثم تمر الرواية إلى أن تنفصل عن «خالد» وتحدث لها مأساة عاطفية. أما رواية «كش ملك» فقد سارت كذلك

(1) دراسات في القصة العربية الحديثة د/ محمد زغلول سلام ، ص 13

(2) الاتجاه الواقعي في الرواية الحديثة د/ بشير عباس ، ص 51

(3) المرجع السابق ، ص 99 .

(4) دراسات في نقد الرواية د/ طه وادي ، ص 33

وفق زمن رتيب متسلسل تحرك فيه الكاتبة الأحداث ، سواء كانت حياة الملك وأبنائه أو الطيب وأبنائه. وما يهمننا في ذلك هو أن الزمان يمضي بالأحداث مع الرواية في اتجاه طولي رتيب مألوف ، أي أنها حافظت على السياق التاريخي .

2. الزمن النفسي المستدير..أو المتقطع : « يميل كثير من المعاصرين إلى كسر سياق الزمن التاريخي في الرواية ، ويلجئون إلى ما يسمى بـ «الزمن النفسي» ، لأنهم أصبحوا يهتمون بالعالم الداخلي للشخصية ، بعد أن كان أسلافهم يهتمون بالحركة الخارجية لها.أيًا ما كانت المبررات فإن أنواع القصص المعاصرة تركت الزمان التاريخي وانحازت بقوة نحو الزمان النفسي ، حيث لا تُعرف أحداث الرواية دفعة واحدة وإنما من خلال فترات وعلى مراحل مختلفة حيث يسير الزمان أحيانا إلى الأمام وأخرى إلى الخلف عن طريق عملية «الاسترجاع»<sup>(1)</sup> وهكذا يتداخل الماضي مع الحاضر. وأحيانا يأتي « التنبؤ»<sup>(2)</sup> بالمستقبل»<sup>(3)</sup>، بالإضافة إلى هاتين الوسيلتين الفنيتين اللتين تتصلبان بالزمان النفسي «الاسترجاع» والتنبؤ». نجد كذلك الحلم أو«الرؤيا» الذي يلعب دوراً كبيراً في عملية التنبؤ، وهي أداة قصصية قديمة، نجدها في قصة النبي يوسف عليه السلام»<sup>(4)</sup> .

ونجد عند زينب بليل ملامح للزمن النفسي المستدير في رواياتها، حيث استخدمت عملية الاسترجاع ، فتجعل الزمن يسير إلى الخلف أحياناً عن طريق الاسترجاع "Flash back" و يستخدمه الكاتب ليملاً الفراغ الزمني الذي يساعد على فهم الحدث»<sup>(5)</sup>. واستخدمته الكاتبة أحيانا لتكشف عن الماضي بالنسبة للشخصيات والأحداث، وقد أسهم في تعميق الزمن الروائي ، وأثرى روايتها بتفصيلات عديدة، والاسترجاع في رواياتها كان عن طريق الذكريات التي تحكيها الشخصية لشخصية أخرى أو عن طريق تذكرها في عقل الشخصية، وحديثها مع نفسها. ومن أمثلة حكي الشخصية لغيرها ما استرجعته خالة «خديجة» بطة «نبات الصبار» من ذكرياتها وقصته لخديجة، وقد أطالت الكاتبة فيه وعرضت من خلاله

(1) الاسترجاع هو ان تستدعي أو تسترجع إحدى الشخصيات في موقف معين حادثة سابقة لها علاقة بطبيعة الموقف الذي تعيشه داخل الرواية، من دراسات في نقد الرواية ، د/ طه وادي، ص 33.

(2) التنبؤ هو ان تتخيل شخصية ما ان ثمة شيئاً سوف يحدث. وقد تتخيل الشخصية -وهي مدركة- هذه الخاطرة عن طريق ما يسمى في علم النفس بأحلام اليقظة ، من كتاب دراسات في نقد الرواية ، د/ طه وادي ، ص 33.

(3) انظر دراسات في نقد الرواية - د/ طه وادي ، ص 33 .

(4)1 انظر دراسات في نقد الرواية د/ طه وادي ، ص 34، 35

(5) ارجع إلى مبحث الزمن من هذه الدراسة .

مأساة امرأة، واستغرقت قص هذه الذكريات واسترجاعها تسع صفحات من الرواية، ومن أمثله :

« - أنا فتحت في الدنيا يتيمة، ما عندي غير آمنة أختي وأبوي، أبوي عرس امرأة وقاعدین معها في بيتها...هو ما عنده بيت ، المرأة عندها أولاد وبنات عاوزه راجل يساعدها في ربائهم وهو عاوز امرأة تربى ليه البنات ، كان عمري سبعة سنة وآمنة أختي أربعة سنة . كنت بعمل كل المفروض تعمله المرأة في بيتها ، يعني أنا كنت خدامة في بيت فيه سبعة أنفار...

-معليش يا بخيئة..ده كله فات»<sup>(1)</sup>.

فالعودة إلى ماضي الشخصية لم يثري الرواية في شيء بقدر ما هو تسليط من قبل الكاتبة على عرض ما تعانیه المرأة من قهر وذل بسبب الرجل أو عدم التعليم ، وقد كانت اللغة السردية في هذه الذكريات عبارة عن مقاطع تحكي من خلالها الكاتبة تجارب واقعية في المجتمع السوداني .

ورواية «الاختيار» هي أكثر رواياتها التي استخدمت فيها تقنية الاسترجاع أكثر من مرة ، خاصة عند البطلة «آسيا» ، فدائماً ما كانت تسترجع ذكرياتها مع حبيبها «علي» خاصة بعد زواجها من غيره ، فتسرح بخيالها في ذكريات تأتي من خلالها الكاتبة بأحداث سابقة مثال لذلك «وسرحت مع خيالها - عارفة يا آسيا أسطورة الشاطر حسن لما طلب يد بروق من أبيها ووافق يزوجها ليهو كان ملك الكنوز الخمس.

- شنو الكنوز الخمس؟.....أحس مصطفى أنها ليست معه»<sup>(2)</sup> .

فالكاتبة استخدمت الاسترجاع أو «الFLASH باك» كثيراً مع هذه الشخصية التي كانت في حالة استرجاع دائم لذكرياتها . كما نجد هذه التقنية في مواضع أخرى من الرواية، فمثلاً هنالك زمان طويل مضى لم تذكره الكاتبة إلا من خلال هذه التقنية ، وهو الزمن الذي كانت فيه هناك علاقة حميمة بين «حمدان» وأصدقائه «محجوب» و«إسماعيل» وهما من أهم شخصيات الرواية ، فذكرت هذا الزمن الماضي..« ووجد ذهنه فراغاً يمرح فيه ويسافر عبر الماضي القلق والحاضر الحزين . في يوم ما ...في سنة ما...جلس الأصدقاء الثلاثة يتسامرون في ضوء القمر المطمئن والرياح الهادئة تلفهم برائحة المحاصيل التي بدأت تبشر بخير وفير.....وقفت سيارة فارهة أمام منزل حمدان أرجعته من رحلته عبر الماضي

(1) رواية نبات الصبار ، ص 14..

(2) رواية الاختيار ، ص 89

لبعيد»<sup>(1)</sup>، فتسترجع الكاتبة هنا الزمن إلى الوراء إلى سنين طويلة مضت . ونجد كذلك الاسترجاع في موضع آخر من الرواية ص «75» رجعت الكاتبة فيه بالزمن عبر تلك الذكريات. «ينبغي على الكاتب ألا يجعل الزمان ولا المكان مطلقين بلا خصوصية حياديين لا يوظفان خلف خلفية للحدث ولا يؤثران على طبيعة الشخصية ، وسوء استغلال الزمان والمكان عند الكاتب ربما يرجع إلى مؤلف السيرة الشعبية حيث تنتفي عنده الحدود بين الأزمنة والأمكنة.»<sup>(2)</sup>

ويبدو موقف الكاتبة في تعاملها مع الزمان والمكان اقرب ما يكون إلى موقف مؤلف السيرة الشعبية. حيث لم تهتم في رواياتها بالزمان وهي في حالة انعدام شبه مطلق بالزمان، وربما يكن هذا من تأثير الحكايات الشعبية التي لا تهتم بالزمان والتي تأثرت الكاتبة بها كثيراً. فلا يتحدد زمان الروايات عندها على وجه الدقة بسنوات معينة ، فالروايات تنطلق من جيل إلى جيل دون التوقف على الأعمار أو التواريخ الزمنية لحيوات الشخص، فلا تهتم بالزمان بقدر اهتمامها بتحريك الأحداث وعرض شرائح من المجتمع بكل ثقافته وتطلعاته وآرائه ومعتقداته.

فمثلا في رواية «الاختيار» انتقلت من جيل الآباء إلى الأبناء دون ذكر زمن وكذلك في «كش ملك» انتقلت من جيل إلى جيل إلى جيل دون ذكر الزمان . فللرواية أنواع مختلفة تتصل بطولها إذ أن «الحياة الروائية حياة ممتدة في الزمان إلى حد ما، فقد تمتد سنه أو عدة سنوات. ولاشك أن هذا الامتداد الزمني يؤدي إلى توسع في التصوير وبالتالي إلى اتساع في حجم الرواية، التي تعد أطول الأشكال القصصية حجما»<sup>(3)</sup>.

ورواية «الاختيار» بالرغم من أنها بها اتساع زمني طويل يمتد إلى أجيال إلا أننا لا يمكن أن نعدّها نموذجاً للرواية التي يكون اتساع الفترة الزمنية المصورة فيها سبباً في طول الرواية ، لأن حجم الرواية صغير، فقد لجأت الكاتبة إلى التلخيص والتركيز والاختزال في الأحداث.

ومن أهم نماذج الرواية التي تعيش في الزمن وتمتد نتيجة طولها ، هو ما يسمى برواية «الأجيال» التي تعمد في المقام الأول إلى تجسيد التطور الاجتماعي لشعب من الشعوب، ونجد مثالا لها «عند أميل زولا في روايته «راجان كومار» التي صورت تاريخ حياة أسرة «كومار»، وقد كانت روايات الأجيال قديماً تصور قضية الاضمحلال والهبوط كما في

(1) المرجع السابق ، ص 31، 32

(2)5 انظر أثر الرواية الواقعية الغربية في الرواية العربية - د/ محبة حاج معتوق - ص 276

(3) دراسات في نقد الرواية / د/ طه وادي ، ص 17

الروايات الروسية ، أما في القرن العشرين فتغيرت روايات الأجيال ونحت منحاً آخرًا مختلف حيث الأجيال الصاعدة ، أجيال بناءة ملتزمة تحاول تغيير المجتمع، كما في روايات نجيب محفوظ «الثلاثية» وروايات الطيب صالح. حيث تكون الأجيال الجديدة بناءة وفعالة، تجنح نحو التغيير، وهي تصور انتصار الأجيال الجديدة وتقهر الأجيال القديمة»<sup>(1)</sup>.

وروايات زينب بليل «الاختيار» و«كش ملك» و«نبات الصبار» جميعها بها امتداد زمني عن طريق تتابع الأجيال في كل رواية. واعتقد أنه يمكن أن نعتبرها روايات أجيال نسبة لامتداد الزمن الروائي فيها منذ الجد والأبناء والأحفاد.

هنالك نوع آخر من الروايات يتصل بالطول ، حيث «يميل بعض كتاب الرواية- أحيانا- إلى أن يستعوضوا بتطويل المرحلة الزمنية المتخيلة إلى تطويل عرض القضية ، التي تصورها الرواية، لأنهم يصورون الحدث الواحد نفسه من أكثر من زاوية، ويرصدون تأثيره النفسي والفكري والعاطفي والاجتماعي في أكثر من شخصية ، أي أن امتداد الرواية قد يكون امتدادا «طويلا» عن طريق اتساع المدة الزمنية المصورة .. وقد يكون امتدادا «عرضيا» عن طريق مزيد من العمق والتفصيل في تصوير الحدث الذي تدور حوله الرواية»<sup>(2)</sup>.

وتتابع الأجيال عند زينب بليل في كل رواياتها يُلاحظ من خلال مروية الأحداث لكي تصل إلى نقطه معينه هي حياة شخصية عندها . مثال «ياسمين» في «كش ملك» و«خديجة» في «نبات الصبار» و«آسيا» في «الاختيار» .

فهي لا تركز على حدث واحد تنمو من خلاله الرواية . لذلك فإننا لا يمكن أن نعتبر رواياتها من هذا النوع الثاني من الروايات ، الذي يكون التعمق في عرض القضية المصورة هو سبب في طولها لأن هذا النوع يهتم بالحدث الواحد الذي يصور من أكثر من زاوية ، وروايات الكاتبة أحداثها كثيرة ومتنوعة. بالإضافة إلى أن روايات الكاتبة «الاختيار» و«كش ملك» ليس طويلة بما يكفي حتى نصفها من روايات هذا النوع . أما «نبات الصبار» والتي تعد طويلة-نوعا ما- فلا تدور حول حدث أساسي .

لا تفصح روايات زينب بليل عن زمان بذاته جرت فيه أحداث رواياتها، بالرغم من أنها حاولت في كل رواياتها أن تقدم شخصيات أبطالها وفق زمن أفقي متتابع يبدأ من زمن الطفولة إلى الشباب أو الشيخوخة ، ولكنها لم تفلح في ربط هذا الزمن بزمن تاريخي مثل الأحداث الجسيمة التي مرت بها البلاد، ودعت القارئ أن يستنتج الزمن الروائي من خلال بعض الإشارات للأحداث التي يستخرجها استخراجا من السياق ويقيس عليها، فنفهم

(1) الاتجاه الواقعي في الرواية الحديثة د/ بشير عباس ، ص 115

(2)3 دراسات في نقد الرواية - د/ طه وادي ، ص 17

من حدوث الانتخابات في «الاختيار» أن الزمن يمكن أن يكون في الانتخابات التي عقبته فترة الاستقلال، أي في 1957م. أما «كش ملك» فتشير الأحداث إلى فترة الثمانيات، وكذلك في «نبات الصبار» الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية المتردية تشير إلى أواخر القرن الماضي وبداية القرن الحالي، ولا أدري أهذا مقصود أم أن الكاتبة لم تهتم بالزمن شأنها شأن كثير من الكتاب السودانيين والعرب .

والجدير بالذكر أن روايات زينب بلييل قد صدرت وطبعت في فترة مغايرة لأحداث الروايات نفسها- ما عدا «نبات الصبار» التي طبعت حديثا- «فالاختيار» مثلا كتبت في الخمسينيات ولكنها لم تنشر إلا في السبعينيات، أما «كش ملك» فقد كتبت في الثمانيات ولم تنشر إلا في عام 2000م و«نبات الصبار» كتبت في بداية هذا القرن وطبعت بعد كتابتها بعشر اعوام تقريبا، وبالمقارنة بين أحداث الروايات وصدورها نجد فرقا شاسعا، ونحن نتساءل هل يرجع ذلك إلى صعوبة النشر في السودان وارتفاع تكاليفه وعدم اهتمام مؤسسات الدولة به، أم قصدت الكاتبة أن تغلف تجربتها بما يوهم ببعدها الزمني. ولكن بالرغم من أن الكاتبة لم توضح الزمن الفعلي للروايات - كما ذكرنا سابقا - إلا أننا إذا راجعنا حالة المجتمع السوداني في تلك الحقب سلمنا بأن الروايات شاهدة على طبيعة الفترة التي صورتها. فقد «سجلت في رواياتها تاريخ السودان خلال مرحلة معينة بكل ما فيها من تغيرات سياسية واجتماعية. فصورت الواقع الاجتماعي من خلال رواياتها الثلاث، فقد حوت هذه الروايات الفترة ما بين الستينات إلى التسعينات حسب أحداث الروايات التي وضحت فيها تلك الفترة»<sup>(1)</sup>.

وتعامل الكاتبة مع الزمن الروائي ظل يفتقر إلى التخصيص بعكس ما فعلته مع المكان، الذي اهتمت به كثيرا - كما رأينا ذلك- ومن المعروف أن الزمان والمكان متلازمان في أدبيات النقد الروائي. فتكنيك زينب بلييل تلعب فيه بعنصر الزمن فتختلط فيه الأزمنة بصورة يصعب معها التعرف على زمن وقوع الحدث- بالسنة أو الشهر- إلا بصعوبة وطول تأمل. وتختصر الكاتبة الزمن والأحداث داخله، فلا يظهر الزمان في الروايات إلا من خلال مجرى الأحداث أو حوار الشخصيات عن الزمن الماضي أو الحاضر أو من خلال السرد .

ونجد أمثلة كثيرة لذلك من خلال رواياتها، «بدأ موسم الحصاد. وبدأت المباريات. من يجمع أكثر يكسب أكثر»<sup>(2)</sup>، وكذلك «لحقت البنات بالأولاد في الجامعة»<sup>(3)</sup>

(1) انظر الشمعة والظلام د/ محمد المهدي البشري ، ص 46

(2) رواية الاختيار ، ص 4

(3) المرجع السابق ، ص 44

، وأيضا «في يوم جاء طالب بوظيفة أحسن بكثير من وظيفته»<sup>(1)</sup>، وكذلك « قبل امتحان الدخول للجامعة بشهور»<sup>(2)</sup>، وكذلك «أسبوع كامل وخديجة بين الوعي وألا وعي كانت تراعيها الميترون»<sup>(3)</sup> وغيرها من الأحداث التي لم تحدد فيها الزمن بالتحديد.

فلاحظ ذكر الأحداث التي تدل على مرور الزمن دون ذكره بالتحديد ، وكما وردت بعض العبارات التي تدل على عدم اهتمام الكاتبة بالزمن» في ذات ليلة ، بعد فترة ، في إحدى الإجازات ، في يوم ما في سنة ما ، في يوم بعيد ، في يوم من الأيام». وهذا يدل على عدم اهتمام الكاتبة بالزمن إلا من خلال الأحداث ، فتختصر الزمن ولا تذكره صراحة عدا الذي يرتبط بالحدث، أو يكون له دلالة في القصة ففي رواية «كش ملك» تذكر السنين بالتحديد لأن ذلك له علاقة بأحداث القصة وهو غياب «الملك» عن أبنائه ووطنه الذي حددته بثلاثين عاماً «ما يقارب الثلاثين عاماً قضاها يتجول في عواصم العالم كما تمنى»<sup>(4)</sup>، فقد ذكرت الكاتبة هنا الزمن لتوضح طول المدة التي ابتعد فيها «الملك» عن أبنائه ولم يسأل فيها عنهم أو عن أخبارهم ، وبذلك تبعد المسافة بينهم وتزداد العلاقة سوءاً. فكأنما الزمان عند الكاتبة إذا ذكر بالسنين فلا قيمة له إنما هو مجرد رقم يوحي بطول الفراق أو البعد .

لا تذكر زينب بليل الزمن الذي تدور فيه أحداث رواياتها بصورة مباشرة-كما ذكرنا- بل تحدد الزمن بصورة أكثر فنية واجد عن المباشرة ، فتصور الكاتبة الزمان من خلال ذكرها للأوقات المختلفة ليلاً أو نهاراً أو من خلال ذكر أسماء الأيام ، لأن بعض ما يقع في الليل أو النهار أو اليوم يكون له غالباً دلالة رمزية خاصة عند الكاتبة.

فمثلاً في رواية «نبات الصبار» ذكرت الليل كثيرا لأن كثير من الأحداث لابد أن تحدث ليلاً ، خاصة التي تتعلق بالحسين ومعجزاته «صار الحسین ينهض في جوف الليل وصعد فوق الجدار ويعزف فيستيقظ السكان»<sup>(5)</sup>، وكذلك « كان الوقت ليلا والظلمة حالكة ، جلس الحسین على جسر في القنال وامسك الربابة وبدأ العزف فاستيقظت كل النساء وجئن مهرولات ..لابد لن في الأمر شيء . طلب منهن أن يرجعن ويواصلن النوم ولكنهن اصررن على

(1) رواية كش ملك ، ص 10

(2) المرجع السابق ، ص 11

(3) رواية نبات الصبار ، ص 187

(4) رواية كش ملك ، ص 123

(5) رواية نبات الصبار ، ص 48

الوقوف بجانبه... لا يردن أن يفوتهن الحدث المثير»<sup>(1)</sup>.

فالكاتبة هنا تذكر الليل وتقرنه بالحسين وربابته إمعاناً في الخيال والوهم لأن ظلمة الليل تناسب ذلك . واستخدمت كذلك الكاتبة الليل عندما فقدت «خديجة» عقلها وخرجت ليلاً في هيئة مخيفة حتى يصاب بالهلع من يراها«الساعة منتصف الليل والقمر مضيء جدا للحد الذي يمكن معه معرفة تفاصيل الحجارة الملقاة في الشارع ..الهدوء مخيم.. كل الأبواب موصدة ولا أحد يتجول ..فجأة ظهر رجل من أحد المنعطفات ..لما مر بجانبها تسمر في مكانه.....

- بسم الله الرحمن الرحيم « وجعلنا من بين أيديهم سدا ومن خلفهم سدا»<sup>(2)</sup> .

ونجد ذكرها لاماكن الخمور« الأنديات» وما يحدث فيها ليلاً من شرب للخمر ورقص وغناء ص « 22نبات الصبار»، وهذه الأحداث يجب أن تدور ليلاً، فالكاتبة استخدمت هنا الليل خلفية للحدث، وقد تكرر ذلك في جميع رواياتها . أما بقية الأوقات سواء كانت النهار أو الصباح أو المغرب، فإنها تستخدمها مناسبة للحدث ، مثال لذلك وقت الفجر الذي ارتبط عندها بالصلاة وبداية اليوم والعناء ، من مثل ذلك « توقيتهم مع الشمس يبدأ ..يسبقونها شرقا وعندما تطل يكونون قد وصلوا»<sup>(3)</sup>، وكذلك«استيقظت مع الفجر كعادتها . اغتسلت ، صلت ومشطت شعرها...»<sup>(4)</sup>. أما وقت المغرب فارتبط عندها ببداية الليل والهدوء والأحاجي« فرح المساء ثم ينطلق الصغار للعب إذا كان القمر رائقا يضحكهم أو يلتفون حول الكبار ويحكون الحواديت»<sup>(5)</sup>، فتاتي الكاتبة بالأوقات التي تناسب الأحداث . أم بالنسبة للأيام فكان يومي الجمعة والأربعاء لهما وقع خاص في روايات الكاتبة خاصة في «نبات الصبار»، فيوم الجمعة ارتبط بالمسيد وشيوخه والأولياء الصالحين «كان ظهر جمعة، كان المسيد يضيق بالمريدين ..نساء ورجالا..... باقي المصلين الذين تزاحموا لدرجة العراك»<sup>(6)</sup>، وكذلك «ص 122». أما يوم الأربعاء فكان له وقع في «نبات الصبار» إذ أنهم لا يحبون هذا اليوم «<sup>(7)</sup>، وقد تكرر عندها كثيرا يوم الأربعاء في الرواية.

(1) المرجع السابق ، ص 249

(2) نبات الصبار ، ص 191

(3) رواية الاختيار ، ص 2

(4) رواية كش ملك ، ص 79

(5) رواية الاختيار ، 2

(6) رواية نبات الصبار ، ص 30

(7) المرجع السابق ، ص 53

## المطلب الثالث

### بناء الحدث الروائي في روايات زينب بليل



الحدث أو الحادثة في العمل الروائي هو» تلك السلسلة من الوقائع المسرودة سرداً فنياً، والتي يضمها إطار خارجي»<sup>(1)</sup>، والسرد الفني نعني به إلى أي مدى استطاع الكاتب أن يتخيل حدثاً ما أو ظاهرة ما واقعية كانت أو مادية أو نفسية، فيعبر عنها بالكلمات، «وقد يهتم الروائي في المقام الأول بحادثة ما، فيتحرك من خلالها، وعبر إطارها العام، ليسرد باقي الحوادث الجزئية المفككة، والمسيرة للحدث الرئيسي وهذا النوع من الروايات يسمى روايات الحدث»<sup>(2)</sup>.

والكاتب الفذ هو الذي يستطيع أن يبتكر الأحداث الواقعية، «لأن هذا الابتكار هو محل الإبداع. وإذا كانت الكلمة هي الوحدة الأساسية للشعر، فإن الحدث هو الوحدة الأساسية في بناء الرواية لأن الكاتب لا يعتمد على الكلمات في رسم شخصياته بقدر ما يعتمد على حركة الحدث»<sup>(3)</sup>. ومن خلال الحدث الروائي نستطيع أن نحكم على جودة الحبكة ووضوح الإطار العام للرواية في شكل واقعي أو قريب من الواقع.

«إن أحداث الحياة الواقعية بكل ما فيها من تناقضات مختلفة فهي مضطربة ومشوشة غير واضحة المعالم، لهذا فإن دور الروائي يبدو أكثر أهمية وخطورة في تناول مشكلات الحياة بصورتها تلك، وعلى الكاتب أن يطرح تلك التناقضات في قالب منطقي معقول يحاول فيه بناء الواقع بكل حذافيره، ويراه من وجهة نظر الفنان الخاصة ويعيد ذلك البناء المضطرب بشكل أكثر وضوحاً وتماماً»<sup>(4)</sup>. والحقيقة أننا نطالب دائماً كاتب القصة بأن يترك في نفوسنا أثراً نحس معه واقعية الحياة.

وقد تطور مفهوم الحدث في الرواية حديثاً؛ «إذ كان مفهومه قديماً عبارة عن تنظيم للأفعال حسب ترتيبها الزمني كل حدث يأتي بعد الآخر في تسلسل طبيعي وفق قانون السببية. ثم تطور مفهوم الحدث وفقاً لتطور أساليب السرد المختلفة، ثم تغير مفهوم الحدث بعد ذلك نتيجة لتأثر الرواية بالعلوم الأخرى التي أصبحت متداخلة في سياق العمل الأدبي مثل علم النفس والعلوم الطبيعية، كما أفادت الرواية من التطورات التكنولوجية في صناعة السينما والمسرح. التي استعانت الرواية بكثير من وسائلها في التغلب على مشكلات البناء الفني فيها، فقد «استخدم الروائيون المونتاج» «Montage» أو تقنية الاسترجاع "Flash Back" وغير ذلك من تقنيات السينما. التي اعتمد عليها الكاتب لتفادي

(1) الأدب وفنونه د/ عز الدين إسماعيل-دار الفكر العربي، ط 5، 1973 م-القاهرة، ص 186

(2) الشخصية وأثرها في البناء الروائي لروايات نجيب محفوظ د/ نصر محمد إبراهيم، ص 173

(3) الاتجاه الواقعي في الرواية السودانية الحديثة د/ بشير عباس بشير، ص 41

(4) الشخصية وأثرها في البناء الفني لروايات نجيب محفوظ، د/ نصر محمد إبراهيم، ص 173

الوقوع في ميكانيكية الشكل. ويرمي الكاتب من وراء ذلك إلى جعل الشخصية في حضور مستمر ، وذلك لا يأتي إلا من خلال العرض الدرامي القائم على بناء المشهد التام، الذي تتبعه عدة مشاهد تكون مترابطة بصورة عضوية كاملة تعطي في النهاية حدثاً تاماً متكاملًا<sup>(1)</sup>.

## بناء الحدث وتطوره :

قبل الولوج في كيفية بناء الحدث عند زينب بلييل ، لابد أن نمر مروراً سريعاً على موضوعات رواياتها الثلاث ، مستعرضين من خلالها ملخص لأهم أحداث تلك الروايات ، حتى نقف على العلاقات بين الأحداث والموضوعات .

**المضمون العام لروايات زينب بلييل** مضمون اجتماعي ، تصور من خلاله الكاتبة المجتمع السوداني ومشاكله الاقتصادية والاجتماعية والسياسية . وترتكز الروايات على الحياة الاجتماعية في السودان والفروق الشاسعة بين الطبقات ، فتدور كل روايات الكاتبة في فلك عالم الفقراء. فتقدم من خلال عوالم رواياتها جميعها مجموعة من البشر الذين طحتهم الحياة وقسوة الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية والسياسية ، فاضطرتهم لسلك سلوك معين في حياتهم ، فمنهم من ارتفع وسما بهذا السلوك ومنهم من سقط إلى الهاوية. وكل شخصيات الكاتبة رغم ما بينها من اختلاف من حيث الحياة والفكر إلا أنهم جميعاً في أعماقهم يعيشون مآسى متماثلة . وتقدم زينب بلييل عوالم رواياتها ومشاكلها من خلال الصراع ، الذي يظهر جلياً في رواياتها ، وهو في طبيعته صراع بين الخير والشر، صراع مستمر بين الرغبة في الحياة التي تقوم بها الشخصيات المسحوقة في الحياة ضد المستغلين من الإقطاعيين أو الأغنياء أو أصحاب السلطة ، إذن هو صراع اجتماعي في جوهره بين «الغنى والفقير» أساسه الصراع من اجل لقمة العيش.

وباستعراض عوالم الروايات وأحداثها يظهر لنا ذلك الصراع . فرواية «الاختيار» مثلاً تصور فيها الكاتبة قصة حياة أسرة بسيطة ، هي أسرة «حمدان» وأبنائه والتي لا تختلف عن الآف الأسر التي عاشت في تلك الحقبة الزمنية . وتقدم أوضاعهم الاجتماعية السيئة ومعاناتهم من اجل تغيير تلك الأوضاع . ومن هنا كان الاختيار، اختيار أن يظلوا كما هم ينتمون لهذه الطبقة المطحونة أو يغيروا أوضاعهم. لينتموا إلى طبقة أخرى تنال الرفاهية والاحترام . ثم تقدم الرواية صراع المزارعين ضد استيلاء الإقطاعي على أراضيهم ، وهو صراع ضد القهر والاستعباد، وأثناء هذا الصراع تصور الرواية بعض ما يتصل بالواقع الفردي من قيم وعادات وعلاقات ، وترتكز على علاقات أسرة حمدان ببعضها البعض أو مع الآخرين ،

(1) انظر الاتجاه الواقعي في الرواية السودانية د/ بشير عباس بشير ، ص 41 وما بعدها

وتتعرض لكثير من الأحداث الجانبية والنماذج البشرية المتباينة التي تتعاطف مع بعضها البعض.

ومن ضمن الأحداث تعرض الكاتبة جانباً من قصص الحب الرومانسية التي كان لها دور في تسيير أحداث الرواية، ولعبت دوراً كبيراً في إبراز الصراع الطبقي في الرواية. فالفكرة المحورية للرواية هي الإنسان بكل ما يحمل من معاني الإنسانية، وما يتعرض له هذا الإنسان من ظلم وقهر وفقر، ولكن رغم ذلك كان لهذا الإنسان دور في التغيير الذي أصاب المجتمع من خلال أسرة حمدان وأبناء قريته.

أما رواية «كش ملك» فتقدم الكاتبة من خلالها مجموعة عجيبة من المخلوقات الذين طحتهم عجلة الحياة وقسوة الأوضاع الاجتماعية والسياسية فحولتهم إلى كائنات تعيش حياة غريبة مليئة بالانحرافات والمتاعب، والرواية تدور حول شخصيتين رئيسيتين واحدة ممثلة للشر والأخرى للخير- كما رأينا ذلك من خلال دراسة الشخصية- هما «البحر» و«الملك».

وفي فلك هاتين الشخصيتين تدور كل أحداث الرواية. ويمكن أن نقول إن هاتين الشخصيتين هما اللتان تلعبان على رقعة الشطرنج، وتصوير الحياة برقعة الشطرنج معادل موضوعي وتصوير جميل له إحياءاته فالخير ممثلاً في البحر، والشر ممثلاً في وقيع الله وهو أكثر الشخصيات شراً، وقد كان سبباً في تغيير حياة كثير من الشخصيات. إذن هذه الرواية تقوم على صراع بين عناصر الخير والشر. ومن نماذج عناصر الشر سعاد ابنة الصائغ وزوجة والد البحر «الطيب» ووقيع الله، وكلها عناصر يعمل فيها الشر ويتسلل من خلالها للمجتمع. أما نماذج عناصر الخير فممثلة في البحر ومريم التوم ووالدها والحبيب وأخوته وياسمين. والفكرة المحورية لرواية «كش ملك» ربما هي صورة الطمع والطموح اللاخاقي عندما يتمكن من الإنسان ويدفعه إلى فعل أي شيء، ويدفعه إلى التضحية بأي شيء، حتى لو كان أولاده، من أجل تحقيق مكاسب مادية أو مكانة أو سيادة على الآخرين. فتصور الكاتبة هنا إلى أي مدى يمكن أن يطيح الطمع والأنانية بصاحبه، وبأناس آخرين لا ذنب لهم، وإلى أي مدى يمكن أن يظل الإنسان مصمماً على السير في طريق السراب الطريق الخالي من المحبة الحقيقية والود والإخلاص، مثلما فعل «وقيع الله».

أما رواية «نبات الصبار»، فتروي فيها الكاتبة قصة قطاع من المجتمع يعيش في «شارع النار»، ويعيش حياة بسيطة، هي حياة المهمشين في المجتمع، وتجعل الكاتبة هذا الشارع الصغير نموذجاً لشريحة من المجتمع، بكل ما فيه من جهل وفقر وتخلف بسبب سوء الأوضاع الاجتماعية، فتعرض صوراً شتى من حياة الشارع وساكنيه، وتقدم الإنسان مهزوماً أمام قهر الواقع الاجتماعي ومحاولته دائماً لتغيير هذا الواقع.

الفقر والحاجة تشكّلان المحور الأول من محاور الرواية، فالحدث الروائي الذي يجسد مضمون الرواية الاجتماعي موزع على كافة الشخصيات، وتتشرك معظمها في الحركة والفعل والأداء الدرامي على طول صفحات الرواية. فكل الشخصيات تريد التغيير والتطلع لحياة أفضل، وقد حدث معظم هذا التغيير عن طريق الشباب والعلم، فجدت الكاتبة الصراع في الرواية بين أولئك الشباب والسلطات الحاكمة التي حاولت قمعهم باستمرار، فشريحة الأطباء في الشارع ومن بينهم «خديجة» بطلة الرواية، هم الذين ساهموا مساهمة فعالة في التغيير، وتحاول الكاتبة في هذه الرواية تصوير كثير من أمراض المجتمع وسلبياته، وتعرض لكثير من الأفكار والمعتقدات التي تؤمن بها.

وبالرجوع إلى الصراع نجد أن الروايات تتصارع فيها قوى الخير والشر، وهذه القوى يرتكز عليها المجتمع الإنساني، فالصراع في جميع رواياتها بين الخير والشر وبين الغنى والفقر، ففي «الاختيار» الصراع بين سكان القرية وبين الثري الانتهازي الذي أراد أن يستولى على أراضيهم، فالصراع هنا قائم بين القوى الفقيرة وقوى الإقطاع. وفي «كش ملك» الصراع بين الغنى والفقر. أما في نبات الصبار فالصراع بين أهل «شارع النار» وبين السلطات الحكومية. ومما لاشك فيه هو أن أحداث الروايات الثلاث وكذلك شخصياتها إنما تعكس الأحداث العامة التي يعيشها المجتمع في فترة معينة من تاريخ السودان، خاصة طبقة معينة منه، أرادت الكاتبة تصوير معاناتها، فكل حدث روائي طرحته الكاتبة قصدت به تحقيق هدف ذاتي لها، أرادت طرحه أمام القارئ.

## بناء الحدث :

الناظر لروايات زينب بليل يجدها تدور في إطار درامي خافت بدرجة تبدو فيها أقرب للحكاية الشعبية منها إلى الرواية الفنية، «ذلك أننا في الحكاية الشعبية نتساءل منذ مطلع الأحداث وتتابعها ماذا حدث بعد ذلك؟ أما في الرواية فإننا نريد أن نعرف العلة وراء الأحداث؟»<sup>(1)</sup>، ومن هنا يبدو أن البناء الفني للروايات لا يكشف ما يبرر الأحداث، فالكاتبة تورد الأحداث وتسهب في عرضها دون أن تعلل لها.

وليس هناك في جميع رواياتها حادثة رئيسية أساسية تجذب إليها سائر الأحداث الثانوية، بل هناك مجموعة من الأحداث أو الحكايات، فالكاتبة تستعرض معلوماتها وثقافتها من خلال رواياتها. حيث تصب الكاتبة عددا من الحكايات والنوادر والذكريات والملاحظات التي لا يمكن أن تتجمع في ذاكرة واحدة لأي إنسان فرد. إن الكاتبة تختزل حياة المجتمع السوداني بأكملها أمام أعيننا، فتصور تلك الحياة في أوضاعها المقلوبة التي يعتمد

(1) صورة المرأة في الرواية العربية المعاصرة - د/ طه وادي - دار المعارف - القاهرة - ط4 1994م - ص 121، 122

الناس إخفاءها والسكوت عنها ، لتصبح الروايات موسوعة ضخمة لمساوئ المجتمع السوداني القديم والحديث .وتستقي زينب بليل من حياتها موضوعاً لرواياتها ، فكثير من أحداث رواياتها مستوحاة من حياتها خاصة روايتها الأولى «الاختيار»، حيث يقوم بناء الحدث في الرواية على أساس حكاية بسيطة هي قصة حياة أسرة بسيطة في بيئة اجتماعية معينة في ستينيات القرن الماضي - كما تشير الأحداث - من خلال قرية من قرى السودان ، وتحكي عن حياة هذه القرية بكل ما تحمله مظاهر تلك الحياة داخل نظام الأسرة وخارجها من عادات وتقاليد وتفصيل حياتها اليومية ومشاكلها وتفاعلها وانفعالها بحركة المجتمع ، فتقدم الرواية صورة حية تبدأ من شروق الشمس حتى ما قبل الغروب عندما يرجع «حمدان» رب الأسرة من العمل، مصورة حركة الأب خلال هذه الفترة ، وحركة الأم التي تتولى شؤون مملكتها وتدير أمورها . ثم تواصل أحداث الرواية إلى المساء . ومعظم أحداث الرواية تشابه حياة الكاتبة ، فتصبح الرواية كأنها هي سيرة ذاتية للكاتبة ، أما بقية الروايات فتفصيل كثير من أحداثها مشابه لأحداث حياة الكاتبة .

لجأت الكاتبة في بناء الحدث في رواياتها إلى الشكل التقليدي والحدوتة ذات البداية والوسط والنهاية ، ولكنها استندت إلى تقنيات الفن القصصي . فروايتها الأولى والثانية «الاختيار» و«كش ملك» ربما كتبتا بعد الاستقلال -أي ما قبل الستينات إلى الثمانينات- وهذه الروايات تتبع للروايات السودانية الأولى ذات النمط التقليدي الذي يتبع النسق الملحمي. أما روايتها الأخيرة «نبات الصبار» فكتبت بعد الثمانينات لذلك فهي تتبع لروايات الفترة الثانية التي يغلب عليها الاتجاه التجديدي شبه الدرامي. والروايات التي تتبع النمط التقليدي تعتمد أساليب السرد التقليدية في بناء الحكمة التي يقوم فيها الكاتب بتقديم الحدث من خلال سياق زمني خارجي يتتبع فيه سير الأحداث من البداية إلى النهاية. بنفس الطريقة التي يبنى بها الحدث في الملحمة ، متخذاً السرد والوصف وسيلة لذلك، وتخضع الحكمة فيها إلى التطور الثلاثي ، البداية والوسط ثم النهاية، أو البداية والذروة ثم الحل»<sup>(1)</sup> . ولكن رواية الكاتبة الأولى «الاختيار» بالرغم من أنها تتبع لفترة الستينيات ، يمكن أن نلاحظ فيها بعض التطور التقني للرواية الحديثة مثل الاسترجاع والمونولوج ، إذن يمكن القول إنها أخذت النسق التقليدي وأضافت إليه بعض متطلبات الرواية الجديدة.

## الحبكة :

يطالب القارئ الكاتب دائماً بتقديم الواقع ، لذا فإن من «واجب الكاتب أن يخلق من فوضى الحياة نظاماً متسقاً في قصته ، وأن ما نسميه بالحبكة القصصية ما هو إلا عملية

(1) انظر الاتجاه الواقعي في الرواية السودانية الحديثة د/ بشير عباس بشير ، ص 80

اختيار وتقديم وتأخير للحوادث»<sup>(1)</sup>. فحبكة الرواية تعتمد على طريقة الكاتب «الاسلوب» التي يختارها في عرض حوادث الرواية وتطويرها . والحبكة نوعان:

1. متماسكة «مترابطة» لا انفصام بين حوادثها ويأخذ بعضها برقاب بعض ، وتؤدي كل حادثة إلى الأخرى .

2. الحبكة البسيطة «المفككة» وتبنى على حكاية واحدة ، ومنها الحبكة المركبة

التي تبنى على عدة حكايات يربطها القاص برباط خفي.

وروايات زينب بليل أحداثها غير مترابطة ، ويمكن أن نعدّها ذات حبكة مفككة ،

«حيث تبنى على سلسلة من الحوادث أو المواقف المنفصلة التي لا تكاد ترتبط برباط ما ، ووحدّة العمل القصصي فيها لا يعتمد على تسلسل الحوادث ، ولكن على البيئة التي تتحرك فيها القصة ، أو على الشخصية الأولى فيها ، أو على النتيجة العامة التي تنتظم الحوادث والشخصيات جميعاً.

وهكذا يستطيع الكاتب أن يقدم لنا مجموعة من الحوادث الممتعة ، التي تقع

على شكل حلقات متتابعة لا تنحدر الواحدة منها على الأخرى»<sup>(2)</sup>. فمثال لذلك روايتها

«نبات الصبار» التي استطاعت فيها أن تقص حكايات كثيرة ومتنوعة ، إلا أنها استطاعت أن

تربطها جميعاً برباط خفي ، هو «شارع النار» نفسه ، حيث هدفت كل الأحداث في الرواية

واختصرتها الكاتبة إلى هدف واحد ، هو رفع مستوى شارعهم شارع النار إلى مكانة تسمو

به وتجعله معترفاً به من جانب المجتمع ، وترفع البشر الذين يسكنون فيه إلى مكانة من

الاحترام والإنسانية ، كما تقول الرواية .

أما رواية «كش ملك» فلعل القارئ قد تنبه منذ بدايتها إلى أنها تقوم على

حبكة مزدوجة ، وتقدم نموذجين لشخصيتين مختلفتين وكذلك بيئتين مختلفتين ، فالحبكة

الأولى تتعلق «بوقوع الله الملك» وبحثه عن المال ، والثانية تتعلق «بالبحر» وبحثه عن

الاستقرار والأمان .

والرابط بين القستين هو البطل «الملك» عن طريق أبنائه وحفيدته. وتعني الكاتبة

في المقام الأول بتوازيهما ، وبإظهار تأثير إحداهما على الأخرى . وعلى كل حال فإن المؤلفة

تري بهاتين الحبكتين تأكيد الفكرة التي انطلقت منها ، وهي الصراع بين الخير والشر وأن

الحياة قائمة على السوء ولكن تؤكد أن الخير حتماً سوف ينتصر . إذن البنية الفنية للرواية

غير متماسكة ، فالكاتبة فصلها بالعناوين ابيض واسود الذي رمزت بهما للخير والشر أو

(1)2 دراسات في القصة العربية الحديثة د/ محمد زغلول سلام ، ص 13، 12.

(2) فن القصة د/ محمد يوسف نجم ، ص 73

شخصية «البحر» و«الملك»، جعلتهما قصتين منفصلتين تمضي كل واحدة إلى غايتها، ثم أتت وجمعت بينهما عن طريق «الملك»، مما جعلت القارئ يوزع انتباهه بين القصتين .  
أما رواية «الاختيار» فتبدو الأحداث فيها أكثر منطقية في سيرها وتطورها، ذلك باعتماد الكاتبة طريقة السرد المباشر للأحداث«وهذه الطريقة إنما تساعد مساعدة مهمة وواضحة على تجسيد أهمية الأحداث ومدى تأثيرها في القارئ وإقناعه بها، وان كانت تفتقد في الوقت ذاته لسمة الدرامية التي تولد الصراع المتوتر الذي تتنامى الأحداث معه بشكل يرتبط كلياً مع بقية عناصر العمل الروائي كله»<sup>(1)</sup>.

والرواية لا تبدو فيها الحبكة واضحة، ولكنها حية بما فيها من شخصيات وحوار وإيقاع يحسه القارئ بالقراءة والمعاشية للأبطال في أفراحهم وانتصاراتهم وانكساراتهم وأحزانهم. وإيقاع الرواية في البداية كان بطيئاً ولكنه يزداد، ويزداد معه انفعال القارئ واندماجه ومشاركته الأبطال في الأحداث التي يرون بها .  
وبصورة عامة يمكن أن نقول ان زينب بليل في هذه الروايات قد امتلكت قلب القارئ ومشاعره أكثر من امتلاكها عقله، وهو يتابع أحداث وأبطال الروايات . ولهذا فإن الكاتبة وان كان ينقصها الإحكام من الناحية الفنية أو لنقل حرفية الصناعة لكنها تمتلك حرفية تحريك المشاعر لدى القارئ .

**تسلسل الأحداث :** يدخل في نطاق الحبكة «العقدة وهي حوادث الصراع المصور والمعروض كما تنتظم في وحدة فنية . وتكون في الوسط الذي يفترض وجود الحدث السابق والحدث اللاحق معا، ووحدة العقدة إذن هي نتيجة العلاقة والترتيب اللازمين بين الحوادث وليس التركيز على شخصية واحدة»<sup>(2)</sup>. ثم البداية التي تفترض الغموض في الحدث. ثم النهاية التي تتطلب الحوادث السابقة ولكنها لا تتطلب حدثاً لاحقاً .

بناءً على ما سبق علينا أن نتساءل هل استطاعت الكاتبة أن تسرد رواياتها دون أن تفسد تسلسلها بالحشد والإسهاب في بعض المواضع، وبالحذف والإيجاز في المواضع الأخرى؟ أي هل حافظت على التناسب والتناسق أثناء السرد؟ هل كانت الحوادث تتابع مناسبة دون تكلف معتمداً اللاحق منها على السابق؟

وللإجابة على تلك الأسئلة لابد أن نوضح «أن الأحداث في الفن الروائي -بصورة عامة- يجب أن تنساب متصلة متواصلة في تطورها السياقي العام للرواية . بل لابد أن تتصل الأحداث جميعها في تسلسل منطقي لا خلل فيه ولا اضطراب، ومعنى هذا أن الروائي لا

(1) الشخصية وأثرها في البناء الفني لروايات نجيب محفوظ د/نصر محمد إبراهيم، ص 189

(2) في عالم القصة - د/ علي شلش - مطبوعات الشعب-مصر ط 1 1978م - ص 187

يجب أن يقحم كثيرا من الأحداث اللاواقعية، والتي لا تمت للمنطقية والقبول بأدنى صلة، بدعوى أن يصبح السياق أكثر إشراقا وفنية في التعبير، فإن هذا من معائب العمل الروائي، فالروائي من هذه الناحية لابد أن يعالج أحداث الواقع ذاتها وما كان قريبا منها، ويقبله العقل والمنطق والذوق<sup>(1)</sup>. وبناء على ما سبق نجد أن الكاتبة قد أدخلت في رواياتها كثير من الوصف المسهب للأحداث، وكذلك حشدت الكثير من الأحداث الجانبية التي أفسدت التسلسل المنطقي للحدث، مما خلق فيه نوع من الخلل والاضطراب، كما أنها عمدت لكثير من الطرق، والتقنيات التي جعلت بعض أحداثها غير واقعية مثل القدر والصدفة. وكل ذلك جعل أحداث رواياتها غير مترابطة.

فالكاتبة تقدم أحداثها أحيانا بطريقة وصفية تثبت لها القدرة على الوصف الانشائي، ولكن لا علاقة لها بما تمهد له، مما جعل الأحداث في الروايات ليست مترابطة على نحو جيد، ومثل لذلك الوصف بالأحداث الجانبية التي حدثت في المقابر في روايتها «نبات الصبار» بعد أن فقدت البطلة «خديجة» عقلها، فذهبت إلى المقابر لتبحث عن نفسها وتدفنها، وهنالك وجدت جثمان يدفن وظنتها جدتها «خديجة»، وتدخل البطلة في حوار نفسي طويل، تستعرض فيه الكاتبة حياة البطلة وما حدث لها «جلست تفكر من أين الطريق للمقابر؟ أنه بعيد لكنها تعرفه. قررت أن تجد نفسها أو تجد قبرها. تأكدت أنها ميتة ومن العيب أن يظل الموتي بين الأحياء يزعمونهم برائحهم غير المحتملة. واستغربت كيف يترك الحسين الجثة في العراء... هي فقط لا تعرف أين القبر. ستبحث عنه بين القبور وحتما ستجده. قبر عليه شاهد مكتوب عليه، هنا ترقد خديجة الحسين أحمد الشريف<sup>(2)</sup>». وتستعرض الكاتبة في الحوار النفسي الطويل من خلال هذا المشهد، وذلك عندما تجد البطلة قبراً مفتوحاً جلس بجانبه أصحابه وذهب البقية لجلب الجثمان، فترقد لترتاح فيه، وعندما يراها الرجال يفزعون، ويولون الأدبار، ثم يأتي الرجال الآخرون حاملين الجثمان لدفنه، وتحدث هنا كثير من الأحداث في المقابر وفي بيت العزاء، وتسهب الكاتبة في وصف الحادثة أو المشهد الذي يمتد طوله إلى خمس وعشرين صفحة.

وهذا الوصف للحدث يمكن أن يدل على قدرة المؤلفة في الوصف والحوار ولكنه لا يخدم الحدث الروائي ولا يكشف أبعاد الشخصية. فهذا الوصف المسهب الذي عمدت إليه الكاتبة يكاد المرء أن ينسى معه أنه بصدد قصة أو رواية، فقد توغلت في الوصف أو الكتابة المرسلة الأمر الذي أثر على ترابط الأحداث، وبدا فيها نوع من الافتعال، ولا يحمل بناء

(1) انظر الشخصية وأثرها في البناء الفني لروايات نجيب محفوظ، د/نصر محمد إبراهيم، ص 173

(2) رواية نبات الصبار، ص 191، 192

الرواية ما يسوغ وجود هذه الأحداث على هذه الطريقة وبالتالي تفقد منطقيتها .  
ويعدّ الاهتمام بحشد كثير من الحكايات الجانبية من عيوب التكنيك المكررة في  
«نبات الصبار» فهي لا تنمي سير الأحداث. إذ نجد بالإضافة لقصة «خديجة» مع المقابر،  
حكاية خالة «خديجة» التي استغرقت من الكاتبة قرابة تسع صفحات ، شرحت فيها كثير  
من الأحداث التي مرت بخالتها وصورت من خلالها مأساة امرأة .

فهذا الكم الكبير من الصفحات التي حشدتها الكاتبة في الرواية لا تساهم بصورة  
مباشرة في سير الأحداث ولا تثرى الرواية، ومن دونها كان يمكن أن تختصر صفحات الرواية  
- التي يبلغ عددها مائتين وخمسة وخمسين صفحة- إلى مئة صفحة لا أكثر، عندما يحذف  
منها الوصف المبالغ فيه أو تكرر أشياء لم يكن مسار الأحداث يحتاج إليها.  
ولا يخفى علينا أن بقية رواياتها قد حظيت بعدد من مثل هذه المشاهد  
التي بلغت الكاتبة في تصويرها . حيث نجد أحداث في الروايات مقحمة ولا تؤدي غرضاً  
في الرواية، بل أدخلتها الكاتبة على سبيل المعلومات العامة أو الثقافة العامة .«فالكاتب ذو  
الحس الفني يختار من الحقائق ما يجده في حاجة للتقديم والإظهار ، وينتقي من الأحداث  
ما يخدم هدفه الأساسي وهو واقع الحياة التي أراد الكاتب تصويرها»<sup>(1)</sup>.

## تطور الأحداث :

ليطور الحدث لابد أن يمر عبر مراحل منها 1- العقدة . 2- البداية . 3- النهاية .

### 1. العقدة :

تداخل الأحداث مع بعضها وتشابكها يؤدي إلى انفعال القارئ، وبالتالي ازدياد متعته  
وشوقه لمعرفة الحل، وهذا ما يسمى بالعقدة. وزينب بليل لتحقيق التشويق في رواياتها  
عمدت إلى كثير من الحيل واستخدمت تقنيات عديدة، وطورت أحداثها لكي تشد القارئ  
إليها ، وتجذبه لمواصلة أحداث الرواية بنهم ، وعنصر التشويق «مهم في القصة ولكن يجب  
على الكاتب ألا يفتعله افتعالاً فيبدو على القصة التكلف»<sup>(2)</sup>. فبعض الكتاب يفتعل الأحداث  
«بأن يدخل عليها عناصر غير طبيعية ، لزيادة المفاجأة والإغراب ، وتضخيم الحدث مثل  
تدخل الجن أو المردة في ألف ليلة وليلة والمصادفات والقضاء والقدر، والمناسب أن تسير  
الأحداث طبيعية أو كالتطبيعية»<sup>(3)</sup>.

وزينب كي تحقق التشويق والمتعة ، اعتمدت في تحريك أحداثها والسير بها إلى

(1) انظر الشخصية وأثرها في البناء الروائي لروايات نجيب محفوظ / د/ نصر محمد ابراهيم ، ص 111

(2) دراسات في القصة العربية الحديثة / د/ محمد زغلول سلام ، ص 28-29

(3) المرجع السابق ، ص 11-12

الأزمة أو العقدة ، على عناصر من العادات الاجتماعية والقيم السائدة، التي تحرك الناس وتدفع بهم إلى مصائرهم، كما اعتمدت كذلك على القدر عاملاً من عوامل الأحداث لأنه يعمل في الحياة ويؤمن به الناس وخاصة في البيئة السودانية التي صورتها . وتتصل القدرية في رواياتها بالمصادفة والمفاجأة التي تقلب الأحداث وتغير مسارها .

## القدر والصدفة :

« هنالك فرق كبير بين استخدام «القدر» واللجوء إلى عامل الصدفة، الذي كثيراً ما يتكئ عليه الكاتب لينشله من هوة ترددي فيها . أو لينقذه من ورطة وقع فيها. فالصدفة عامل عفوي دخيل لا يتقيد بقيود المعقولية ، بينما القدر عامل معترف به يخضع لقوانين ملزمة ، كما تخضع الشخصيات الأخرى في القصة»<sup>(1)</sup> . مثل الموت فهو قدر لأنه معترف به وخاضع لقوانين ملزمة .

## أولاً القدر :

والكاتبة لجأت إلى عنصر «القدر» وابت به قوة خارجية لتقنع القارئ بأن تطور الأحداث عندها لا يخرج عن نطاق المعقولية والاحتمال . مثل الموت أو الانتحار الذي جعلته قدراً لبعض شخصياتها التي تضع حداً لحياتها وتتهيأ عندما لا تجد لها حلاً آخر ، ففي «الاختيار» مثلاً نجد الانتحار كان مصيراً لشخصية «المسرة» ، وهو الحل الأمثل لتخلص من حياة الذل والهوان التي وجدتها مع زوجها الغني الذي أحبته ، والذي أذاقها ألوان من العذاب هو وأهله ، وتوضح الرواية ذلك « لماذا أنا جارية تحت أرجل الجميع ؟ لأنني في يوم أحببت رجلاً..المأساة...الفارق الطبقي والحب...ما هذه الحياة التي تمنيتها . أردت رجلاً يحبني... أرى في عينيه اللهفة والشوق لا التبرم والازدراء.....تعبت آسيا فقدت الرغبة في الاستمرار. حتى نفسي ما عدت اعرف ماذا افعل بها. صديقي ..أنا لا أعرف بالضبط ماذا أريد ؟ هل أفضل الحياة على الموت ، أم الموت على الحياة؟.لا أعرف»<sup>(2)</sup>.

فأقدمت على الانتحار مع بناتها الثلاثة ، لتكون هذه النتيجة الحتمية التي أرادتتها الكاتبة ، لتوضح هدفها منه وهي عدم إمكانية التعايش بين الطبقتين الغنية والفقيرة، فاختارت الشخصية الموت على حياة الذل . والانتحار أيضاً كان قدراً لشخصية «آسيا» بطلة الرواية الذي اختارته لتغتسل من عارها ، بفعل الخطأ الذي ارتكبه مع حبيبها الأول «علي» فكانت تعاشر الرجلين زوجها وحبيبها ، ونتيجة لذلك ثمت ثمرة في أحشائها ولكنها تحتار ولا تعرف لمن هذه الثمرة» يا رب ..استحي أن ألقاك بعاري هذا الكبير . طهرني وارحمني يا رب...

(1) فن القصة د/ محمد يوسف نجم ، ص 49

(2) رواية الاختيار ، ص 129

يا رب..الذي احمله فوق طاقتي..»<sup>(1)</sup>.

وتختار «آسيا» الانتحار نهاية لأحزانها وحيرتها ، لتتطهر من هذا الذنب. وإلى جانب هاتين الشخصيتين في الرواية ، هناك نماذج أخرى من الشخصيات التي أقدمت على الانتحار لظروف اجتماعية أو اقتصادية ص « 116-119 من الرواية».

أما رواية «كش ملك» و«نبات الصبار» فوجد فيهما أيضا عدد من الشخصيات التي لجأت للانتحار ووضعت حدا لحياتها . وأكثر تلك الشخصيات من النساء ، فقد وضعت الكاتبة حدا لحياتهن عن طريق الانتحار الذي عدته إما تطهرا من الذنوب أو تخلصا من حياة الذل والهوان أو هروبا من مشكلة ما .

ويلعب القدر كذلك بمصائر الشخصيات في الروايات ويسير حياتها . مثل ما حدث لعلي في «الاختيار» فقد تدخل القدر ومنع زواجه من «آسيا» التي أحبها بكل ما يملك من حب وغير مصيره، وذلك حينما رفض والده هذا الحب ومباركة الزواج . وقد وظفت الكاتبة هذا القدر لخدمة هدفها، وهو أن الفارق الطبقي يمكن أن يقف في طريق السعادة وأن الغنى والفقير لا يمكن أن يجتمعا.

وفي «كش ملك» نجد القدر أحد العوامل التي تتحكم في تسيير الفعل البشري وتحديد أبعاد الحدث الروائي ، إذ أن الكاتبة جاءت بالقدر لتحدث تغييرا كبيرا في موقف الملك«وقيع الله» من أبنائه ووطنه ، بعد تسلمه للخطاب الذي أرسلته له «زهرة» ابنته وأخوها «أحمد» وضاع في الطريق ما يقارب ثلاثين عاما ، فقرر فور تسلمه الخطاب الرجوع إلى السودان وإلى أبنائه ، والخطاب يحمل في محتواه مأساة زوجته وأبنائه الذين جار عليهم الزمن وقست عليهم الحياة ، ويطلبون منه العودة فورا ، ليكفيهم والدهم شر الزمن والناس وليرجعوا إلى بيتهم وحياتهم. فهذا الأمر خيالي أن يصل الخطاب للملك بعد كل هذه السنوات فيقرر الرجوع إلى أبنائه بعد مرور كل هذه المدة . كأنما الكاتبة لم تجد حدثا غير هذا الحدث الغير مبرر لتغيير من مسار الشخصية والأحداث .

وربما تكون الكاتبة قد وظفت هذا الحدث من أجل خدمة فكرتها وهي أن القدر أراد «لوقيع الله» العذاب، وأراد أن ينتقم منه. ربما لو كان هذا الخطاب قد وصل في وقته، ربما كانت الأمور ستتغير ، ولكن القدر لم يرد ذلك . لقد أراد القدر أن يزداد وقيع بعدا وغلظة وقسوة، ليزداد الأبناء رفضاً وكراهية وعدم قدرة على التسامح معه . وهي في كل هذا تخدم الفكرة التي تقوم عليها الرواية . والكاتبة في عرضها للأحداث ، توضح أن الإنسان مهما امتلك قدرة على الاختيار الواعي إلا أن القدر يلعب دورا كبيرا ويرسم لحياتنا ألوانا ربما لو استطعنا لرفضناها ومحوناها من حياتنا .

(1) رواية الاختيار ، ص 153

## ثانياً : الصدفة :

ان أحدا لا يستطيع أن ينكر دور الصدفة في حياتنا ، ولكن الاعتماد على الصدفة وحدها في تشكيل الأحداث وصنعها هو هروب من الكاتب في مواجهة الحقائق الواقعية ، ورسم المشاهد المتماسكة ، ولجوء إلى القوى الغيبية التي تقدم له الحل المريح للمعضلات الفنية التي يواجهها في بناء الحكمة . ومن ثم فلا مجال للصدفة القدرية في توجيهها للأحداث ، وحسمها للنهاية، لأن الصدفة البحتة تصيب البناء الروائي بالضعف والترهل والتفكك وتفقد أهم خصائصه وهي التبرير والإقناع<sup>(1)</sup> . ومن الملامح الفنية لروايات زينب بليلى أنها تقوم على القص أو الحكى دون تطوير لفنية الحدث ؛ ما جعلها مبنية على سلسلة من المصادفات القدرية التي تصوغ شكل الرواية، وتشكل للناس حياتهم ، فالصدفة كما ذكرنا موجودة في حياة البشر في الواقع وكذلك في الفن المعبر عنه ، ولكنها موجودة بقدر ينبغي أن يخضع لإرادة الإنسان في الواقع وفي الرواية ، وأن يكون مصوغاً له دون افتعال . والحدث عند كاتبنا نما عن طريق هذه المصادفات المفاجئة التي حولت مجرى الأحداث، ونجد مثال لذلك في «كش ملك» ، فالصدفة وحدها هي التي خلقت اللقاء بين «الملك» وأبنائه عن طريق المكان وهو فندق «الهيلتون» ، حيث كان يقيم فيه الملك بعد عودته من الخارج ، وفي وقت اقامته قررت «ياسمين» حفيدة «الملك» إقامة حفل عيد ميلادها في المكان نفسه ، فكان هنا اللقاء وتعرف الأبناء على والدهم الذي لم يروه لسنوات طويلة عن طريق هذه الصدفة . والصدفة أيضا هي التي جمعت بين «البحر» و«خالد» ابن «الملك» في مدينة ساحلية بشرق السودان ، وكأنها الكاتبة جعلت المصادفة القدرية هي التي تجمع بين الشخصيتين ، فتنمو الأحداث بعد ذلك لتصبح هذه المصادفة هي الرابط بين الأبيض«البحر»وبين الأسود«الملك» .

وهذه المصادفات القدرية عند الكاتبة ، تقابلها مصادفات فلسفية، فانحراف «الملك» ووقوعه في الإثم بالاعتداء على أعراض الفتيات ، أوقع أخته في السقوط فكانت إحدى ضحايا أخيها ، فهنا نرى دلالة عميقة وواضحة ، «فمثل ما تدين تدان» ، فهذه المصادفات الساذجة لعبت دورا في صياغة أحداث الرواية وتشكيل حركة الشخصيات ، وبالتالي أثرت في البناء الفني للروايات فأصبح هشاً يفتقد كثيراً من المنطقية التي تربط بين أجزاءه خاصة الأحداث .

ويتصل بالقدر والمصادفات العجيبة، الأحداث الغريبة في الروايات ، حيث نلمس هناك بعض المواقف والأحداث المفتعلة البعيدة عن الواقع . وخاصة في «نبات الصبار» حيث

(1) البطل في الرواية السعودية د/ حسن حجاب الحازمي ، ص 608

بنت الكاتبة جانباً كبيراً من الرواية على الخيال ، فقدمت زينب ليل عالمياً غامضاً غير مفهوم ، وذلك باستخدامها للخيال والأسطورة ، ولا ادري لماذا استخدمت زينب ليل هذا العالم الخيالي ؟ هل أرادت به التغيير في رواياتها ؟ أم قصدت أن الوضع الاقتصادي والاجتماعي والسياسي لا يمكن أن يتغير إلا بالخيال ؟!!! وهنالك العديد من المواقف والمشاهد التي بالغت الكاتبة في أحداثها ، خاصة ما يتعلق بربابة «الحسين» وما يمكن أن تفعله من أحداث خارقة لا تمت للواقع بأدنى صلة ، والرواية مليئة بتلك المشاهد التي لا يسع المجال لذكرها هنا . على أن أقوى هذه المشاهد الانفجارية واحفلها بالدلالة حيث تكثف الأسطورة، هو عندما حارب جيش «الحسين» المكون من الجن، الحكومة وجيشها وانتصر عليها ، ولكنه قُتل في المعركة لأن الكاتبة صورتها هو الأُنس الوحيد في جيشه فصعدت روحه إلى السماء محاطا بهالته النورانية «كان الحسين غاضبا .. يحس ذلا وهوانا منذ أن حشروهم داخل الأسوار..... كان الوقت ليلا والظلمة حالكة . جلس الحسين على جسر في القنال وامسك بالربابة وبدأ العزف ... ضرب على وتر ثاني فسطع ضوء بهر الأنظار. ضرب على الوتر الثالث فخرج من بين الموج جيش مدجج بالسلاح . لكل جندي عين واحدة في وسط جبينه كأنها جوهرة وكأنها لؤلؤة و..... ويلبسون خوذة لها قرنان وعلى كل قرن شعلة يتطاير منها الشرر. ... فاصطف الجيش العجيب . كان النصف الأسفل منهم أحسنه ..»<sup>(1)</sup>. وربما هذه المواقف الخيالية ، والأحداث الغير مقبولة عقليا ، أضفت على الرواية دلالتها المركزة الأخيرة بحسبانها تشير إلى التغيير . وأخيراً يتضح أن المعالجة الفنية للروايات متوسطة، لأن الكاتبة عمدت إلى المصادفات العجيبة والمبالغات والمواقف المفتعلة ما أساء إلى جماليات الروايات. و«هذا الاسلوب في التعامل مع الأزمت من سمات الرواية ذات الحكمة الشعبية ، فالمصادفات لا تنبع من طبيعة الوقائع والأحداث ، بل تبدو مفتعلة ومفروضة من خارج السياق ، وان كان لها ما يبررها على المستوى المنطقي المحض ، ولكن منطلق الفن غير محكوم بمثل هذه المفاجآت إذ يفترض أن يتم البناء وفق رؤية متماسكة»<sup>(2)</sup>.

## الإيقاع :

عني بعض الكتاب بالإيقاع وعُدوه جزءاً مهماً من التصميم القصصي . «فلكل قصة إيقاع معين وهو التغيير التموجي في القصة ، وقد يبدو وفي بعض الأحيان خافتا غامضا ، وفي البعض الآخر متحفزا متسارعا، ولكنه في أحسن حالته يجمع بين صفات مختلفة في ان

(1) رواية نبات الصبار ، ص 249-250

(2) فن الرواية في الأدب العربي السعودي المعاصر د/ محمد صالح الشنطي ، ص 217

واحد»<sup>(1)</sup>. فالإيقاع إذن مرتبط بالأحداث وسيرها، فتغير الأحداث يستدعي الحركة، التي قد تكون سريعة أو بطيئة تبعا لطبيعة الأحداث التي تسوقها.

والإيقاع في روايات الكاتبة يختلف من رواية إلى أخرى على حسب الأحداث، فرواية «الاختيار» مثلا سريعة الإيقاع لأن أحداث الرواية مرت سريعا، فعندما تحكي الكاتبة الأحداث التي تستلزم التغيير الإيقاع يكون سريعا، أما عندما تحكي أحداث لها دلالتها وهدفها في الرواية أو عندما تريد نقل معلومات أو ثقافة معينة فالإيقاع يكون بطيئا، ففي بداية الرواية عندما كان أبناء «حمدان» صغارا كان الإيقاع سريعا وحزينا، وتسارع الإيقاع في طور الشباب ودخول الجامعة واتسم بالرتابة.

ويتضح الإيقاع من خلال حياة البطلة «آسيا»، ويتلون بالوان حياتها حسب الإيقاعات السابقة، ففي طور المدرسة كان بطيئا وخافتا، أما في طور الجامعة وعلاقة الحب فقد كان الإيقاع متسارعا وسعيدا، أما عندما تزوجت «مصطفى» وعانت معه في الغربة فقد كان بطيئا ورتيبا ومضطربا، ثم حدثت سعادتها بقاء حبيبها الأول فتسارع الإيقاع حتى أدى إلى النهاية المأسوية.

أما رواية «كش ملك» فقد كان إيقاعها متموجا ومختلفا على حسب سير الأحداث، وقد تشكل بما يتناسب مع هدف الرواية. ففي بداية الرواية كان الإيقاع سريعا وممرت الكاتبة على الأحداث سريعا حتى تنجلي الفترة الأولى لحياة «الملك» و«البحر» طرقي الصراع في الرواية، ويستقر الوضع الذي هو محك القصة، أما عندما كبرا وأصبحا في سن الشيخوخة، انخفض الإيقاع ومر هادئا، لأن هذه الفترة هي التي ركزت الكاتبة عليها معظم أحداثها. وظل رتيبا هادئا إلى أن وصل إلى النهاية المتوقعة للقصة.

أما «نبات الصبار» فقد تلون الإيقاع بألوان حياة البطلة «خديجة»، فعندما تكن طفلة يمر الإيقاع سريعا ومتتابعا، وعندما تكن حبيبة، يكن منتظما رئيسيا، يدق دقات متصلة من الحزن والألم، وعندما أصبحت طبيبة، وتمتعت بحظ كبير من الحرية، سارت حياتها في هدوء واتزان، ثم حدثت أزمة الزواج واضطربت حياتها اضطرابا شديدا. وعقب ذلك فترة من الألم المحض، وأخيرا تأتي فترة ما بعد العلاج والأزمة وتمضي بحركة بطيئة لينة ويئدة، تعكس لنا الهدوء الذي عقب العاصفة، أو النهاية التي تموج بكثير من التغيرات والإصلاحات. ولا تخلو الأحداث في كل روايات زينب بليل من ظاهرتين تساعدان على بقاء الحركة وضعفها، وهما ظاهرتا الحرص على التفاصيل الدقيقة والخروج إلى مناقشات وعظية جانبية، ومن اغرب الأمثلة على عناية المؤلفة الشديدة بالتفاصيل وصفها «لشارع النار» في «نبات الصبار» ص 99 وكذلك وصفها المطول لبعض الأحداث الغريبة التي ذكرناه سابقا،

(1) فن القصة د/ محمد يوسف نجم، ص 88

وقد استغرقت منها صفحات عديدة . أما الموضوعات الجانبية التي تفرضها الكاتبة لتقديم أفكارها ، فنجد مثال لها في «نبات الصبار» في مشهد الفصل الذي كثرت فيه المناقشات بين الطالبات في المدرسة، فالمشهد برمته ليس هنالك ضرورة لذكره ولا يخدم الرواية في شيء ، بل عبارة عن تعبير عن آراء الكاتبة وكذلك مخزون ثقافي في ذكرتها أرادت إخراجها . كما تتمثل المناقشات الجانبية الوعظية بوضوح في جميع رواياتها على لسان شخصياتها، مثل الحسّين وأحمد وبخيتة في «نبات الصبار» ، والبحر والملك في «كش ملك» ، وأيضاً على لسان مصطفى وآسيا، وبدرية وحسين ، وطاهر وليلى ، وكذلك على لسان حمدان في «الاختيار» . فكل هذه التفاصيل والحوارات المطولة أدت إلى بطء حركة الروايات وخروجها عن مسارها الحقيقي .ومما يزيد من رتابة الحركة الروائية عند زينب لبيل لجوءها إلى عرض الحدث ليس في صورة حاضرة. ولكن في صيغة تقرير عنه أو وضعه في صيغة الماضي، وهو أسلوب الحكاية الشعبية، حيث تقدم الحدث بأسلوب الفعل الماضي، أو كان ، أو كنت أو كانت، والروايات مكتظة بمثل هذه الأحداث الماضية . والكاتبة لا تكتفي بتقديم تقارير عن الفعل، ولكنها كثيراً ما تقطع السرد لتعلق على الحدث تعليقا طويلا. ونجد ذلك متمثلا في روايتها «نبات الصبار» التي سمح طول صفحاتها لتقديم تلك التقارير التي كان معظمها عبارة عن نقد عام للواقع الاجتماعي أو الاقتصادي، أو نقل لأفكار الكاتبة ولو«استغل كاتب الرواية كل عاطفة أو فعل بشري يشعر أنه هام للتعليق عليه بهذه الصورة . ثم الخروج عن إطار الحدث الروائي بتقديم مقال مستقل في الموضوع . لما أمكن لرواية من الروايات أن تتم»<sup>(1)</sup>. وتنوع الإيقاع بهذه الصورة سرعة وبطء في روايات الكاتبة ، يدرجها ضمن الروايات الواقعية ، لأن«سرعة الإيقاع وبطأه في الرواية يعد من مميزات الرواية الواقعية، فالإيقاع السريع يرتبط بالرواية التقليدية التي تعتمد على التلخيص والوصف، حيث يمر الكاتب مروراً سريعاً على بعض الأحداث التي لا يراها هامة من وجهة نظره ولا تهتم القارئ ، أما بطء الإيقاع فيرتبط بالرواية الدرامية حيث يقوم الكاتب بتصوير المشهد»<sup>(2)</sup>.

## 2. البداية:

يجتهد القاص فيها لجذب انتباه القارئ عن طريق وصف أجواء غريبة أو حالات مثيرة ، إلى جانب تصوير الزمان والمكان»<sup>(3)</sup>، أو تصوير الشخصيات ، وهذا ما اعتمدت عليه زينب لبيل في رواياتها ، حيث تنوعت البداية عندها واتخذت مناحي مختلفة، ففي

(1) فن الرواية في الأدب السعودي /محمد صالح الشنطي ، ص 292

(2) الاتجاه الواقعي في الرواية السودانية الحديثة /د/ بشير عباس بشير ، ص 89

(3) بحث مخطوط مقدم لنيل درجة الدكتوراه - بعنوان الفن الروائي عند تيمور عمر على عمر 1430هـ-2009م ، ص 167

«الاختيار»- روايتها الأولى - تبدأ الكاتبة بحوار بين الأبناء والجددة، حيث تحكي الجددة قصة «فاطنة السمحة»، أحد قصص التراث الشعبي السوداني، فبدأت الرواية هكذا:

- حبوبة، أنا دايره ابقى زي فاطنة السمحة .
- شوف دي قالت دايره تبقى زي فاطنة السمحة . فاطنة السمحة قالوا ليك محزمة بشعرها حزيم، وأنت شوف شعراتك الطائرات ديل ؟
- أنت ما قلت داير تبقى زي ود النمير ؟
- ود النمير شنو وحصان
- أبيض شنو ؟ علي اليمين أنا إلا اشترى عربية .
- الصادق ، ما تشتري عربية اشترى طيارة.
- حسن لو اشترى طيارة البسوقها ليه منو؟
- قالت الجددة في نفاذ صبر:
- تشتري طيارة؟ أول أكلوا واشبعوا واشتروا ليكم هدوم يسترنكم ، بعدين اشتروا الطائرات .اللماسة وقلعة الأدب..»<sup>(1)</sup>.

فبدأت الكاتبة الرواية بالحوار دون أي تدخل من الراوي ، ويمتد الحوار الذي تظهر من خلاله الحالة المادية للأسرة، وكذلك تظهر فيه الشخصيات التي يدور الحوار بينها، ومن ثم يتضح عنم تتحدث الرواية، حيث يأتي بعد الحوار سرد سريع تعرض فيه الكاتبة نمط حياة القرية التي تمثلها تلك الأسرة والتي تعتمد على الزراعة كمصدر رئيسي لدخلها اليومي .

فبداية الرواية لم يكن فيها تقديم للحدث الأول أو الشخصيات، وكذلك لم يكن هناك أي عنوان لهذا المشهد ، بل بدأت مباشرة بذلك الحوار، ولكن الفصل الثاني الذي عرفته الكاتبة جاء بعد ذلك المشهد مباشرة يدل على أن مشهد الحكاية السابق يمثل الفصل الأول حسب تقسيم الرواية، ولكنه لم يكتب ربما سقط من الطابع . وهذه البداية الحوارية هي نفس البداية التي بدأت بها «نبات الصبار» ، حيث بدأت بهذا المشهد الحوارية :

- «خبر السواد والرماد !
  - مالك يا سكينه؟ في شنو ؟
  - ارحك يا عشة...خلي شايك في فجتو دي وارحك»<sup>(2)</sup>.
- فهذا الحوار الذي بدأت به الكاتبة روايتها يماثل الحوار الذي بدأت به «الاختيار»

(1) رواية الاختيار ، ص 1

(2) رواية نبات الصبار ، ص 7

من حيث عدم تقديم الحدث أو ذكر الشخصيات، وكذلك عدم بداية المشهد الحوارى بعنوان. ولكن بعد نهاية المشهد وأحداثه، عنونت الكاتبة الرواية بعنوانها الرئيس، كأنها هذه البداية كانت هي المقدمة للرواية، ثم استمرت الرواية بعد ذلك دون أي فواصل أو عناوين.

فهذا البناء الروائي من حيث البداية والمشاهد والفصول المتعددة، التي بنت عليه رواياتها جميعها، بالإضافة للحوار الذي سيطر على الروايات سيطرة تامة، جعلها تقترب من مشاهد المسلسلات التلفزيونية أو الأفلام السينمائية أو المشاهد المسرحية، المعروفة باسم السيناريو، ومن ثم فإن الروايات تصلح صلاحية كاملة للتلفزيون أو السينما أو المسرح، ويمكن من خلالها تقديم عمل أدبي. وهذا يوضح لنا تأثير الكاتبة بدراساتها الأكاديمية وهي الإخراج المسرحي. ولكن «الروائي الناجح هو الذي يستطيع أن يجمع بين الأسلوب السردى القائم على الأخبار والوصف والأسلوب الدرامى القائم على العرض، فيحفظ التوازن المطلوب الذي يجعل للرواية شكلها المميز لها عن المسرحية وغيرها من الأشكال الأدبية»<sup>(1)</sup>. و بعد الحوار الذي بدأت به «نبات الصبار» انتقلت زينب لحدث غريب، مما جعل البداية مثيرة وغريبة تستدعي الدهشة وتشد الانتباه، فقد بدأتها بما لم يستين للقارئ إن كان نوعا من الخرافة أو الأسطورة أو الحكايات الشعبية، وربما مخزون لدى الكاتبة تريد استعراضه، وعلى كل حال فقد نجحت في لفت الانتباه وشد القارئ من خلال هذه البداية المخيفة والمثيرة التي جذبت القارئ وجعلته يواصل الرواية بنهم وانتباه، حيث تبدأ أحداث الرواية بعد ذلك الحوار- الذي دار بين النساء بشأن المرأة التي تعاني آلام المخاض- بأخذ المرأة إلى القابلة التي تمت عندها عملية الولادة واستخراج الجنين الذي كان شكله عجيبا افزع النساء. «الذي خرج من بطن فتحة شيء عجيب.. شيء في حجم الحمل... ويشبه الحمل.. له قرنان وعين واحدة كأنها جوهرة... وله فم مثل فم البشر هذا كل ما في الرأس... باقى الجسد خروف بأربع أظلاف وله ذنب.. ثعبان! طوله أمتار! لما تلقت الداية الوليد وبدأت تسحبه من بطن أمه أغمي عليها من الخوف فتركته يقع على الأرض... مشى الشيء العجيب حتى خلص كل الثعبان من بطن الأم، تسلق فوق الداية حتى جاء لوجهها، ورأس الثعبان متدل من قرنه.. حدثها في أذنها:

لو قلت كلمة واحدة عني أو عن أمي بحرقك حية أنت والمعاك»<sup>(2)</sup>.

وتضخم الحدث بعد ذلك، فقامت النساء بلف الشيء العجيب ووضعها في أحد انية الخمور، وأتى الحسين بربابته التي عزف عليها كثيرا حتى خرج الشيء العجيب من

(1) الاتجاه الواقعي في الرواية السودانية الحديثة د/ بشير عباس بشير، ص 94

(2) رواية نبات الصبار، ص 9,8

مكانه ، وبدأ يرقص على إيقاع الرابطة وهو مخمور، في رقص شيطاني مجنون ، واتجه إلى القنال مختفياً هناك»<sup>(1)</sup>.

وتلت هذه البداية المثيرة ، وصف «شارع النار» وصفا تفصيليا ، يدل على أنه هو البداية، وليس هذه القصة الخرافية ، فكأنما تلك البداية كانت مجرد تشويق وإثارة للقارئ. وإذا أمعنا النظر في أحداث الرواية ، وعلاقتها بالبداية نجد أنها بدأت بما يمكن أن يكن حدث في وسط الرواية، وهي ولادة الشيء العجيب الذي توضح الكاتبة أنه ابن من أبناء الجن حملت به امرأة من الأنس ، وما يدل على ذلك أنها وضحت في الأحداث قبيل نهاية الرواية أن جيش من الجن خرج من المستنقعات له نفس مواصفات ذلك الشيء العجيب. « الجيش يعرف الحسين. التقى به زمان..عندما سلمهم وليدهم الذي أنجبته فتحية بنت الخياط»<sup>(2)</sup> . كما أشارت في أحداث الرواية أنه هناك نساء عاشرن الجن في ذاك المكان الذي اختفى فيه ذلك الشيء العجيب.

أما رواية«كش ملك» فبدايتها جاءت مشابهة للحكاية الشعبية أو لقصص الف ليلة وليلة وقصص الأساطير، حيث بدأت بعبارة «كان يا ما كان» ثم سردت الكاتبة أحداث الرواية متسلسلة . وعنوانت البداية بعنوان بدأت الجولة ، فالبداية هي « كان يا ما كان في قديم الزمان وسالف العصر والأوان رجل اسمه الملك له سبعة من الأبناء الذكور ، ولما كبر في السن وكبرت مصانعه وأملاكه تزوج من امرأة ثانية اسمها زهرة ، فتاة صغيرة وفقيرة وجميلة جدا ، فأنجبت له ولدا اسماه وقيع الله على والده ثم أنجبت بنتا فرح بها غاية الفرح..»<sup>(3)</sup>.

ومن هذه البداية يتضح التشابه بينها وبين الحكاية الشعبية التي لجأت إلى صيغتها الكاتبة، وان اتفقت الصيغة في الشكل لا في الجوهر فتقول « كان يا ما كان في سالف العصر والأوان» و«في يوم من الأيام»، فهذه البداية ربما تكن الكاتبة قد تأثرت بها من قصص «الجدات» التي كانت تستمع إليها كثيرا في طفولتها ورسخت في ذهنها . ولكن لجوء الكاتبة لهذه «التييمات الشعبية» أفقدها وهجها وسحرها في السياقات التي استعملتها الكاتبة بالرغم من قدرة هذه التييمات على أن تأخذ العقول إلى عوالم طالما حلمت بها . فالقارئ يظن بعد هذه العبارة أن هناك عوالم من الأسطورة والسحر سوف تلي هذه العبارات ، ولكنه يصطدم بأن الأحداث التي جاءت بعدها لا تحمل شيئا مما كان يتوقعه .

(1) المرجع السابق ، ص 10

(2) رواية نبات الصبار ، ص 250

(3) رواية كش ملك ، ص 1

ولكن رغم هذه البدايات ، نلاحظ أن الحدث يمر ثم يتطور شيئاً فشيئاً ، إلى أن يصل الذروة ثم يبدأ في التفكك شيئاً فشيئاً إلى أن يصل إلى الحل أو النهاية على حسب ما نجده في الروايات أو القصص المعاصر ، وعليه فأن بداياتها الروائية تعد منطقية مسببة الى حد ما ، وليس بداية مفتعلة مثل الحكايات الشعبية .

### 3. النهاية :

هي النتيجة الحتمية أو الخاتمة التي تظهر وتكشف مصير الشخصيات ، وتنجلي الأحداث من خلالها. «نهاية القصة هي التي تحدد الأثر الأخير في نفس القارئ، ولذلك شدد النقاد على ضرورة العناية بالنهاية، التي ينبغي ألا تعتمد على المصادفات الضخمة التي قد تثير سخرية القارئ»<sup>(1)</sup>.

و زينب بليل تخطط لنهاية الرواية مسبقاً، وكل رواية من رواياتها لها نهاية محددة تناسبها. ففي رواية «الاختيار» مثلاً الانحراف الاخلاقي كان النتيجة الحتمية لسوء السلوك الناجم عن البعد عن الدين والعادات والتقاليد. الذي جسده الكاتبة في شخصية البطلة «آسيا» فقد ذكرنا من قبل أن «آسيا» ارتكبت فاحشة، واحتارت كيف تتصرف بعدها ، فكانت عاقبتها هي الانتحار الذي اختارته لها الكاتبة لتغتسل وتطهر من العار وكانت النهاية:

« اغتسلت ولبست القميص الجديد.

وكما يصلي أهلها للمطر في خريف شحيح ، صلاة استسقاء،

وكما يصلون في استجمامة المساء ،...وكما...وكما.....

....صلت

يا رب ...استحي أن ألقاك بعاري هذا الكبير.طهرني وارحمي يا رب .

لا استطيع أن اخذل علي ولا قدرة لي على تركه لأني أحبه ولا استطيع أن اخذل

مصطفى لأنه يحبني !

اعرف أن ذنبي عظيم ولكن عفوك أعظم. سامحني يا رب .

عندما ابتلعت كل ما في الزجاجة ، تمددت في السرير، تراءت لها المسرة وهي تحتضن

زهراتها الثلاث...رأتها مقبلة نحوها فاتحة ذراعها لتعانقها»<sup>(2)</sup> .

وهذه النهاية نلاحظ فيها الخشوع والتبتل الشديد لله سبحانه وتعالى، حتى يعفو

عنها ويسامحها ، فالتكرار المستمر لنوعية الصلاة والدعاء ، تؤكد ندم البطلة على ما اقترفت

(1) البطل في الرواية السعودية ، د/ حسن حجاب الحازمي ، ص 598

(2) رواية الاختيار ، ص 153

من فاحشة ويقينها بعفو الله عنها ورحمته بها ، على الرغم من أنها ارتكبت ذنبا آخر بانتحارها وقتلت النفس التي حرم الله قتلها . فالنهاية هنا مفتعلة أكثر من كونها نابعة من تطور أحداث الرواية ، فكان يمكن أن تنفصل البطلة عن زوجها أو تتجه الأحداث أي اتجاه آخر غير ذلك . وهذه الرواية إذا اعتبرناها ضمن الروايات الرومانسية ، فإن هذه النهاية المأسوية بموت البطلة تليق بها حتى تثير التعاطف أو الشفقة عليها ، أكثر من السخط والتذمر مما فعلته البطلة خاصة بعد ذلك التبتل والاستغفار الذي يجعل القارئ مشفقا عليها .

أما رواية «كش ملك» فقد شبهتها الكاتبة بلعبة الشطرنج ، فجعلت لها طرفي صراع الخير ويمثله البحر وأبناء الملك، والشر ويمثله الملك، الذي يعد من أقوى عناصر الصراع في اللعبة. فعبارة «كش ملك» تطلق في نهاية لعبة الشطرنج على الملك عندما يخرج منهزما ، وبخروجه تنتهي اللعبة . أما نهاية الرواية فوقيع الله «الملك» انهزم أمام قوى الخير التي رفضته ولم تسامحه وطرده من عالمها فانسحب مهزوما مرفوضا، والمنظر الأخير في الرواية يوضح ذلك ، وهو حفل زفاف خالد بن الملك ، وقد دُعي «وقيع الله» الملك للحفل ولكنه جلس وحيدا ولم يهتم به أحد ، فالكل مشغول عنه :

«تلفت البحر باحثا عن ضيفه، فرآه بعيدا ينظر للمشهد المثير ، ذهب إليه فمد الملك يده مودعا ..وبالقرب من الباب ، ناوله مفتاح المخزن ..ولما أسرع مريم التوم لتودعه ناولها الملك المفتاح قائلا لها :

تصرفي يا مارتا ..وسلمي على ياسمين»<sup>(1)</sup>.

فالملك هنا عندما أحس أنه غريب في بلده وغريب كذلك بالنسبة لأولاده، وليس له مكانا بينهم انسحب وآسر الرجوع إلى بلاد الغربة مرة أخرى .

وقد وقعت الكاتبة نهاية الرواية بعبارة «انتهت الجولة» ، لتدل على أن نهاية الرواية هي نهاية لعبة الشطرنج في الواقع ، وهذه النهاية للرواية توضح أن «وقيع الله» رغم جبروته وثروته ومكانته يمضي منكسرا مهزوما ، فعودته حيث الجاه والسلطة والسلطان لن تسعده، فهو إنسان ضائع في طرقات الحياة، ضاع برغبته، وحين أراد العودة برغبته، رفضه كل من باعه وتركه في يوم من الأيام لإشباع رغباته. وربما كان هذا هو العقاب الأمثل له . وأن كنا نرى انها قست نوعا على الملك بما حملته من جزاء وعقاب .وعبارة «كش ملك» وان كانت هي نهاية لعبة الشطرنج دائما، فالكاتبة ترى من وجهة نظرها أنها أيضا نهاية كل شر في عالمنا الواقعي.

وأرى أن نهاية «كش ملك» مناسبة للرواية، لأنها نابعة أساسا من التطور المنطقي

(1) رواية كش ملك ، ص 217

للحدث الروائي والنتيجة الحتمية لما سبق أن خططت له الكاتبة بعناية فائقة، فجاءت النهاية طبيعية لا تكلف فيها، حيث استمرت الأحداث متلاحقة ثم توقفت عند نقطة النهاية دون أن نشعر بتدخل الكاتبة ولا بتأثيرها في شخصياتها. فالملك لا بد أن يرحل ويترك وطنه وأولاده بعدما تنكروا له ورفضوه، فهو لا يحس بالانتماء لهذا المكان الذي لفظه، وهذه النهاية المنطقية هي «نهاية الرواية الواقعية التي تعكس صدق الواقع من ناحية وتبدو نتيجة طبيعية لتطور أحداثها من ناحية أخرى»<sup>(1)</sup>.

رواية «نبات الصبار» تبدو لها نهايتان، كما كان لها بدايتان، النهاية الأولى موت الحَسين البطل الأسطوري في الرواية، والذي دارت حوله كثير من الأحداث، فموت الحَسين الذي صاحبه كثير من الأحداث الخيالية والأسطورية، كان يمكن أن يكن نهاية الرواية. وبذا تكون قد بدأت بالأسطورة وانتهت بالأسطورة فشابهت بذلك الحكاية الشعبية الخرافية. ولكن الكاتبة أرادت أن تنقذ الرواية من رخاوة الحكايات الشعبية وتضمن لها بنية صلبة. فأظهرت مهارتها المتقنة من خلال صياغة النهاية، فكانت النهاية الثانية التي وضحت فيها هدفها من الرواية، وهو التغيير الذي حدث في «مدينة النار» وذلك بناء المستشفى وخلق بيئة صحية ومنتورة، تتوفر فيها كل سبل العيش الكريم وهي ما تحلم به الكاتبة دائماً. وكذلك جاءت النهاية الثانية لتوضح مصير البطلة النهائي الذي كان يمكن أن لا يظهر إذا انتهت الرواية في النهاية الأولى. حيث نهت الكاتبة الرواية بمشهد سكان «شارع النار» أو «مدينة النار» وهم فرحون بالبئر والمستشفى ومينر المدينة الذي تغيرت أحوالها وتبدلت وأصبحت تشابه أنظف مدن العالم وأكثرها بهجة وحيوية. والمشهد الأخير في الرواية يوضح وجود عدد من الأطباء في غرفة العمليات في مستشفى فاهم ومن بينهم البطلة «خديجة» وهي تمارس مهنتها وتخطط الجرح بعد العملية. وخارج المستشفى الكل سعيد:

« كان صالح صاحب الكارو في سطوح المستشفى ينظر للمدينة من عل.. رأى المدينة كلها كأنها لوحة رسمها واحد من رسامي شارع النار قبل عام المحنة. قيل لهم ارسموا مناظرا من الجنة .....»<sup>(2)</sup>.

فالنهاية هنا سعيدة وخيالية، حققت فيها الكاتبة كل ما تمنت، وذلك ببناء مدينة فاضلة خرافية. ولكن هنالك ملاحظة بشأن هذه النهاية، إذ نرى فيها كثير من الاضطراب، وخاصة فيما يتعلق بما ألم بالبطلة من أزمة نفسية إثر فقدانها لحمها، والعودة لحالتها الطبيعية عن طريق «الطب الشعبي» وليس العلاج الطبي، بالرغم من كون البطلة طبيبة

(1) صورة المرأة في الرواية المعاصرة - د/ طه وادي- دار المعارف القاهرة - ط 4 1994م - ص 293

(2) رواية نبات الصبار ، ص 255.254

والمجتمع كافح من اجل بناء مستشفى إيماناً من أبناء المجتمع بدور الطب علماً ، فكيف بعد ذلك تؤمن الكاتبة بالطب الشعبي بديلاً له وهذا فيه نوعاً من الاضطراب !!؟  
ونهاية «نبات الصبار» من النهايات المفتوحة التي تجعل القارئ يسرح بخياله وينهي الرواية كما يشاء، «فكثير من الكتاب يميلون إلى ما يسمى «بالنهاية المفتوحة» غير المحددة ، التي تجعل القارئ يشارك المؤلف في تخيل نهاية الحدث»<sup>(1)</sup>. فيتساءل القارئ عن مصير البطلة خديجة وحبها لأحمد حبيبها الأول، ماذا سوف يحدث ؟ هل سترجع إليه ويتم الزواج أم ستتخلى عنه ؟ فهذه النهاية المفتوحة تتيح للقارئ حرية التخيل والتفكير، بناءً على خبرته في الحياة، ومعرفته لشخصية «خديجة» التي هيأتها الكاتبة فعلاً للتغيير إلى الأحسن. ولكن بالرغم من ما ذكرت من ملاحظات على هذه النهاية إلا أنني اجدتها الأنسب للرواية لأن القارئ يمكن أن يشارك في صنعها بناءً على فهمه للشخصية وسيره معها ، وبهذا تكون للرواية أكثر من نهاية تبعاً لتعدد القراء، واختلاف فهمهم للحياة والشخصية . ونهايات الروايات عند زينب بليل تستخلص منها العبرة حيناً والتنبيه والتحذير حيناً آخر .

### علاقة الحدث بالشخصية :

«يبدو الحدث مرتبطاً بالشخصية ارتباطاً وثيقاً سواء أكان من حيث بناؤه المتناسك أو من حيث تفككه وانفصاله عن طبيعة الشخصية»<sup>(2)</sup>. فارتباط الحدث بالشخصية هو «ارتباط العلة بالمعلول، وعلى هذا فإن الرواية فعل «حدث» + فاعل «شخصية». فالحدث إذن شيء هلامي إلى أن تشكله الشخصية - بحسب حركتها - نحو مسار محدد يهدف إليه الكاتب»<sup>(3)</sup>.  
طرقت زينب بليل في رواياتها كثير من القضايا والموضوعات التي أرادت مناقشتها من خلال الشخصيات ، فتحكمت في الحدث الروائي والفعل البشري حسب ما يخدم قضاياها. فهي تراعي في رواياتها أن يكون هناك رابط وثيق يربطها بواقع الإنسان والمجتمع من حوله، لتعبر عن إحساسات هذا الإنسان وتعايش مشكلاته فيه، وبحثه عن خلاص وحل لمشكلاته . فهي لذلك تستمد شخصياتها وأحداثها من البيئة الاجتماعية وواقعها الاجتماعي. ويبدو أن الفكرة التي تركز عليها الكاتبة في كل أعمالها هي فكرة النقد الاجتماعي واجتياز الواقع بكل مآسيه وسلبياته . فركزت على الشخصية أكثر من الحدث ، فلا تعتمد على مفهوم الصراع الدرامي الفني للعمل الروائي بقدر اهتمامها بمفهوم الصراع الواقعي الاجتماعي ، لذا فإن الأحداث والشخوص تبدو مفصلة ودقيقة تعكس فكرة الكاتبة الأساسية ، التي

(1) دراسات في نقد الرواية ، د/ طه وادي ، ص 29

(2) الشخصية وأثرها في البناء الفني لروايات نجيب محفوظ ، د/ إبراهيم نصر ، ص 186

(3) دراسات في نقد الرواية ، د/ طه وادي ، ص 28

أرادت من خلالها رسم أبعاد شخصيتها وأحداثها ، وهذا الجانب جعل الكاتبة تعتمد اعتماداً مباشراً وكلياً على رصد أحداث الحياة اليومية خاصة في «الاختيار» و «نبات الصبار»، فبدأ الحدث الروائي معهما أكثر بساطة وتصوراً ورسداً لما جاء في جزئيات الحياة الواقعية . فهي تصور أحداث الحياة اليومية ، وما يفعله الفرد في اليوم ، ففي «الاختيار» صورت ما يفعله «حمدان» أو زوجته «الروضة» منذ الفجر إلى غروب الشمس. وفي «نبات الصبار» رصدت حركة الحياة اليومية في «شارع النار» فجاء الحدث صادقاً ومنطقياً ومعبراً عن الشخصية ، فإن منطقية الحدث الروائي تنشأ أساساً من صدق التعبير الفني الذي تصوره ، وأن مراعاة الكاتب لمنطق الحدث ووعيه بمتطلباته الفكرية والفنية يفرضان عليه أيضاً أن يعي منطق الشخصية الروائية»<sup>(1)</sup>.

وكما ذكرنا فإن الحدث عند الكاتبة يرتبط ارتباطاً وثيقاً بالشخصية ، وقد استطاعت الكاتبة في بعض المواقف أن توظف الحدث لخدمة الشخصية ، بل حاولت أن تجعل الحدث يعبر عن مكان الشخصية. فمثلاً في «نبات الصبار» نجد جنون البطلة «خديجة» وظفته الكاتبة لخدمة الشخصية وكشف دواخلها ، فقد أدهشتنا الكاتبة بهذا الجنون الغير مبرر، الذي أصيبت به البطلة ، وهذا الجنون المفاجئ ، جعلته المؤلفة حدثاً مفاجئاً بصورة كاملة ، فالإجهاض الذي تعرضت له البطلة دون علمها، ليس مسوغاً للجنون ولا سبب من أسبابه ، «فالإجهاض يمكن أن يدخل المرأة في حالة اكتئاب أو اضطراب نفسي ما بعد الصدمة ، كما ذكر ذلك «بابكر» احد الأطباء في الرواية، رداً على حديث خالد بأن خديجة قد أصيبت بالجنون .

«أبدأ يا خالد . كل الأمهات لما يجهضن بدون سبب بتأزمن نفسياً وبدخلن في حالة من الاكتئاب شديدة...حالة مؤقتة وحتزول...يوميّن ثلاثة ما أكثر»<sup>(2)</sup>.

فالكاتبة جعلتها اقرب إلى الجنون الكامل الذي جعل البطلة اقرب إلى الجمود أو الموت ؛ مما أدى إلى انقلاب في حياة البطلة. فكل هذا حدث مفاجئاً . ثم أدهشتنا الكاتبة مرة ثانية بادعاء أن المجنونة قد شفيت من جنونها . والغريب في ذلك الأمر كيف تعالج «بالطب الشعبي» وهي طبيبة ، وكيف يمكن أن تمارس مهنتها ويقبل بها مرة أخرى طبيبة بعد حالتها تلك ؟ أي يمكن أن تعود بعد شفائها من جنونها إلى حياتها الطبيعية المألوفة وقد زالت نهائياً وبشكل كامل آثار التجربة المريرة التي خاضتها . إذن فهذا من المفارقات العجيبة والمفاجآت غير المعللة، فهي لم تبرر الفعل ولم تفسره وهذا ما يجعل الحدث غير مألوف وغير منطقي، لتتحقق الكاتبة من خلاله دهشة القارئ التي لا تحدث مع المألوف

(1) صورة المرأة في الرواية المعاصرة ، د/طه وادي ، ص 307

(2) رواية نبات الصبار ، ص 188 .

والمنطقي والعادي. «فالقصة عندما تهدف إلى المفارقة والمفاجأة لا يعتمد الكاتب إلى التعمق في تحليل الشخصيات، أو تبرير فعلها أو تفسيره، بل يقدم الشخصية كنموذج لا خصوصية له بالتحديد»<sup>(1)</sup>. وعندما تقدم الكاتبة تقارير كاملة ومفصلة لحياة شخصية ما في ماضيها وحاضرها، «تبدو موضوعة في زاوية منفصلة عن زوايا العمل الروائي، ولعل هذا ما يحد من ديناميكية الحدث»<sup>(2)</sup>، فمثلا الكاتبة في رواياتها تصف الشخصية - خاصة البطل أو البطلة - وصفا دقيقا وتتبع تفاصيل حياة الشخصية منذ مولدها حتى وفاتها أو حتى نهاية الرواية، مما لا يدع مجالاً للحدث أن يعبر عن الشخصية بل هي التي تعبر عن نفسها»<sup>(3)</sup>. ولكن نلاحظ أحيانا في بعض الروايات أن للشخصية دورها في ترابط الأحداث مع بعضها البعض، وذلك من خلال رواية «كش ملك»، التي بنتها الكاتبة على قصتين منفصلتين يجمع بينهما «الملك وأولاده». ويبدو الفصل بين الإحداث واضحا لا يربطها إلا الشخصية «الملك»، وهذا ما يؤكد ما ذهب إليه النقاد من أن أكثر أنواع الأحداث خلخلة يمكن أن يكون مترابطا عن طريق الشخصية، ولهذا دعا «هنري جيمس» إلى الربط بين الحدث والشخصية»<sup>(4)</sup>. حيث توظف الكاتبة في «كش ملك» الحدث لخدمة الشخصية، وتصور النفس وما يضرم داخلها من خلال الحدث، وذلك عندما تقوم بدور الراوي العليم بكل شيء، «وهذا الدور عندما يقوم به الكاتب يتنبأ بالأحداث القادمة ومصير الشخصيات، فتكون معلوماته أكثر من معلومات شخصياته، بل يعرف ما لا تعرفه الشخصية نفسها، ومن هنا يمكن أن يتنبأ بمصير تلك الشخصية، وهو بذلك يستبق الأحداث، ومعنى ذلك أن الاستباق يعني القفز إلى الأمام»<sup>(5)</sup>. ونجد هذه الظاهرة في الرواية، حين تكشف الكاتبة عن مصير «الملك» عن طريق الحلم. ثم تأتي الأحداث التالية مطابقة لما جاء في الحلم، وتذكر في الحلم: «يرى خيولا ثلاثة لم ير أجمل ولا أضخم منها... ويتابع السير.. حتى يجد نفسه قد ترك كل العالم ورآه ووقف على حافة البحر الذي تحول إلى دماء.. وحيدا.. وأحس ظمأ يحرق حلقه والماء أمامه.. وفجأة استيقظ... لم يصدق أن ذلك كان حلما.. كل التفاصيل عاشها بالتأكيد»<sup>(6)</sup>. فالكاتبة هنا تعمل على توظيف الحلم من أجل الإرهاص به إلى ما سيلبي من

(1) الرؤية والأداة - نجيب محفوظ د/ عبد المحسن طه بدر ، ص 109

(2) الشخصية وأثرها في البناء الروائي لروايات نجيب محفوظ ، د/ نصر محمد إبراهيم ، ص 186

(3) ارجع إلى الشخصية والحدث في هذا البحث ، ص ..

(4) الاتجاه الواقعي في الرواية السودانية الحديثة د/ بشير عباس بشير ، ص 89

(5) انظر المرجع السابق ، ص 96

(6) رواية كش ملك ، ص 150-151

أحداث، فتفقد الأحداث بذلك تأثيرها المطلوب ويقل عنصر المفاجأة والتشويق، ولكن على الرغم مما يؤخذ على ذلك من وضوح ومباشرة من تحقق الحلم بحذافيره، فإن الكاتبة استطاعت من خلاله أن تكثف الحالة النفسية المتأزمة لدى «الملك» وتهيي القارئ لما يستجد من أحداث. كما أن الحلم جاء ملائماً لحالة الملك وتفكيره إذ أن «الحلم لا يكون إلا انعكاساً لخبرات الإنسان الحالم وأيضاً رغباته، يعني أن مصادر الحلم التي تمثل رموزه والتي يمكن تفسيره في ضوئها إنما تعبر عن الخبرات المخترنة والرغبات المكبوتة»<sup>(1)</sup>. وقد ركزت الكاتبة جل اهتمامها في استبطان مجرى التفكير وتصوير هواجس النفوس، وما تضطرب به الأحاسيس والمشاعر، فعنايتها منصبة على الداخل أكثر من احتفالها بالخارج. واتخاذ موقف الراوي العارف بكل شيء من قبل الكاتبة، جعل رواية الحدث دوماً عندها بضمير الغائب، ومن ثم الحكم على أفعال البشر وتقديم أوصافهم حسب تقيمها هي، حتى الأفعال التي يقوم بها مريض الهذيان - التي تقدمها بطلة رواية «نبات الصبار» والمريضة نفسياً- لا نلتقي فيها إلا بأفعال محكوم عليها تماماً واضحة الدلالة مسيطرة ومختصرة. فكل الأفعال التي قامت بها «خديجة» هي أفعال مسيرة من قبل الكاتبة توظفها لخدمة فكرها وهدفها الروائي. والكاتبة في رسمها لبعض شخصياتها الاجتماعية قد ابتعدت عن الفصل الحاد بين الشخصية والحدث، فقد بالغت في تصوير بعض شخصياتها وتحميلها أكثر مما تتحمله، وهذا بالتالي يؤدي إلى المبالغة في تصوير بعض الحقائق التي تتصل بعالم «مدينة النار» في «نبات الصبار»، حيث تصور الكاتبة «أحمد» الذي أتى من بلاد الغربية محملاً بالآمال العريضة لتغيير واقع المدينة، يصر على زرع الفاكهة في المقابر عندما لم يدرك موت أمه وجاراه أهل المدينة في ذلك، فزرعوا المقابر بالفاكهة...«وفكر أن يزرع على رأس قبرها شجرتي ليمون وبرتقال ... وطراً على ذهنه سؤال لماذا لا يزرعون المقابر بأشجار ترمي ظلاً وتعطي ثمراً؟ سي طرح الفكرة على أهل مدينة النار ربما تغير حال المدينة إذا استطلت وتغير اسمها»<sup>(2)</sup>. وهذا الحدث في حد ذاته مبالغة من الكاتبة، ولكنها تهدف من ورائه للتغيير، لأن الانتقال من حدث إلى آخر في الرواية يمثل تمهيداً لتغيير في مصير الشخصيات أو تمثل حدوث التغيير، أو تنتهي بتصوير نتيجة هذا التغيير ومحصلة.

وخلاصة القول حول هذا الجانب أن الكاتبة أوجدت العلاقة الحتمية بين شخوص الواقع وأحداثه واستطاعت أن توجه الأنظار إلى كثير من خبايا المجتمع ومساوئه، وأن تحدد من خلال ذلك مواقفها الذاتية تجاه المجتمع والإنسان. واستطاعت كذلك أن تجسد معالم

(1) فن القصة، د/ محمد نجم، ص 297

(2) رواية نبات الصبار، ص 229-232.

المجتمع والواقع، وبينت مكان الفساد والسقوط فيه في جميع رواياتها، وحاولت كذلك أن ترسم الحدث الروائي مسايرا لطبيعة الشخصية، وحركت هذا وذاك داخل إطار الصراع البشري والواقعي ضد الظلم والقهر والفقير.

## المبحث الثالث

### اللغة والاسلوب عند زينب بليل



عندما نتوقف للحديث عن أي نوع أدبي ، فلا بد بالضرورة التصدي لجانب اللغة والاسلوب. حتى نتعرف على كيفية معالجة الكاتب لقضاياها ، فدراسة اللغة والاسلوب في أي عمل أدبي ، تواجهها بعض العقبات ، فالمصطلحان متشابكان بعضهما مع بعض ، وكل مصطلح يتضمن الآخر في معناه .

## تعريف اللغة :

لقد تشابهت الآراء حول مفهوم اللغة في الجنس الأدبي عموماً وفي جنس الرواية أو القصة خصوصاً . وكل أديب أو ناقد تناولها حسب مفهومه لها وحسب علاقتها بعناصر العمل الأخرى . وقد عرفها بعض النقاد بأنها الأداة التي يوصل بها الكاتب أفكاره إلى القارئ الذي يتأثر بها عبر إيحاءاتها ورموزها الدلالية؛ وهنالك من الأدباء من تناولها من حيث جودتها ودقتها والاعتناء بها لتوصيل الفكرة أو المغزى الذي من أجله كتبت القصة، وقد عول على جودة القصة بجودة لغتها ومدى تعبيرها عن الواقع والأفكار والمشاعر؛ فيرى بعضهم أنه «لابد أن يعتني الكاتب بالكلمة لأن دورها خطير في البناء الروائي، فليس هناك رواية جيدة بغير لغة جيدة ، ولا يقصد بالجودة اللغوية أن يكون للروائي أسلوباً بارعاً ، وإنما المقصود أن تكون لغة الرواية معبرة لأقصى درجات التعبير اللغوي عن الأفكار والمشاعر والمواقف التي يصورها الكاتب، وقيمة أسلوب الكاتب تأتي من دقته في اختيار كلماته وقدرته على تصوير الواقع»<sup>(1)</sup>. وقد أضاف آخر إلى جانب هذه الدقة والتعبيرية ربطها بالعناصر الروائية الأخرى من حدث وشخصية ، فيقول ان «اللغة تلعب دوراً مهماً وأساسياً في نقل الفكرة الروائية للقارئ بشكل أكثر عمقا، ولا بد للروائي من استخدام لغته في السرد والحوار بكثير من الدقة والإتقان، وإتباع الوسائل الفنية المختلفة في المعالجة الروائية. ولا بد له من أن ينقل للقارئ مضمون العمل الروائي من خلال تحركات الشخصية والأحداث عن طريق الإيحاء، وأن تبدو الرواية حلقة وصل بالواقع، بحيث لا تبدو شخصية الراوي معها بل يختفي كلياً»<sup>(2)</sup>. ومن خلال تناول بعض هذه الآراء يتضح لنا معنى اللغة وعلاقتها بالنص الروائي .

## 2. تعريف الاسلوب :

أما الاسلوب فقد تضاربت الآراء حول مفهومه وعلاقته بالنص الروائي واللغة ، ولكن معظم الآراء اتفقت على أن الاسلوب هو الطريقة التي يتبعها الكاتب للتعبير عن أفكاره بدقة ووضوح. والدكتور محمد نجم يتفق على ذلك ويضيف علاقة الاسلوب بالعناصر

(1) الاتجاه الواقعي في الرواية السودانية الحديثة ، د/بشير عباس بشير ، ص 295

(2) الشخصية واثرها في البناء الفني لروايات نجيب محفوظ د/ نصر محمد ابراهيم ، ص 261

الروائية الأخرى بقوله: ان «الاسلوب هو الطريقة التي يستطيع الكاتب أن يصطنع الوسائل التي بين يديه، لتحقيق أهدافه الفنية ، والوسائل التي يمتلكها الكاتب هي الشخصيات والحوادث والبيئة وفي النهاية يأتي جمع هذه الوسائل في عمل فني كامل»<sup>(1)</sup>. وهنالك من النقاد من تعرض للإسلوب وعلاقته بنقل الواقع ، والطرق التقنية الحديثة التي يصور بها هذا الواقع عبر التطور الذي حدث من خلال العالم الغربي واستفادة الرواة العرب منه ، فيوضح ذلك ذاكرا: «إذا كانت غاية الكاتب عرض نماذج بشرية وتحليل بعض نسخ الواقع ، والتفاعل مع هذا الواقع بصورة ايجابية متطورة ، فإن الكاتب يلجأ إلى طرق متعددة ومتباينة بغية تحقيق هذا الهدف الأسمى ومن هنا اختلفت طريقة المعالجة باختلاف الفكرة والغرض المعبر عنه ، بيد أن كثير من التطور والتجديد ظهر في هذا المضمار خاصة في القرنين التاسع عشر والعشرين نتيجة للتطور الذي لحق بالحياة الفكرية والنفسية ، نتيجة لتلك الدراسات المتعددة والمهمة التي استخدمها العالم في المضمار السيكلوجي بعد «فرويد» و«يونج» ومن تبعهما.

فظهرت طرق جديدة للتعبير الروائي بطريقة تيار الوعي والمنلوج الداخلي والمناجاة الذاتية والتحليل النفسي واستخدام الاسلوب الرمزي. ولذلك كاتب الرواية لابد أن يجد وسيلة للتعبير وطريقة مناسبة للمعالجة والتأثير المباشر وإثارة اكبر شحنة عاطفية لدى القارئ حتى يتم التفاعل المطلوب . وتتعدد الطرق الفنية في التعبير كطريقة السرد المباشر أو الرسائل أو المذكرات إلى جانب الطرق الحديثة التي اشرنا إليها»<sup>(2)</sup>. فيوضح الناقد هنا الطرق الحديثة المتبعة في الاسلوب الروائي الحديث ، وسوف نتعرض لها الدراسة فيما بعد. وبناء على ما سبق من تعريف اللغة والاسلوب. يتضح الترابط الوثيق بينهما، وحتى تتمكن من دراسة اللغة والاسلوب في روايات زينب بليل، سوف ندرسها تحت مسمى السمات الاسلوبية ؛ التي يندرج تحتها الظواهر اللغوية والبلاغية والرموز، والأسلوب وما يشتمل عليه من سرد وحوار.

## أولاً : السمات الاسلوبية :

### 1. الظواهر اللغوية :

لابد للكاتب أن يختار الفاظه، ويتوخى الحذر والحيطه في اختيارها حتى تتناسب مع العمل الأدبي، فلا نحس نشازا فيها . ولكننا اذا أمعنا النظر في روايات زينب بليل نجد هذا النشاز. ونحس بوجود مشكلة كبيرة ، من ناحية البناء اللغوي لرواياتها ، يتحتم معه إعادة صياغة أجزاء كثيرة من رواياتها سواء كان على المستوى السردى أو الحوارى، فقد

(1) فن القصة، د/ محمد يوسف نجم ص 117

(2) الشخصية واثرها في البناء الفني لروايات نجيب محفوظ د/ نصر محمد ابراهيم ، ص 207

اتسم البناء اللغوي لزينب بليل بالضعف والركاكة في بعض مواضعه. وربما نتج ذلك عن التأثر بالعامية، حيث تترجم الكاتبة العامية وتصوغها في تراكيب تشبه التراكيب الفصيحة، بالإضافة إلى إدخال كثير من الألفاظ العامية في لغة السرد. وقد كثرت هذه الظاهرة في رواياتها كثرة مفرطة جعلت حصرها من الصعوبة بمكان، فرواياتها امتلأت بهذه الألفاظ العامية في مواضع يتحتم فيها الفصحى. وكذلك ألفاظ فصيحة في عبارات تتحتم العامية. ومن نماذجها في الروايات الالفاظ الفصحى ، لفظة «ادفقوا» ووسط ، وأيضا «لومت» و«اتنشل»، و«لما» ... الخ من ألفاظ التي سقطت منها نتيجة الخلط بين العامية والفصحى. و يلاحظ بالإضافة لذلك بعض الأخطاء اللغوية والنحوية، من نماذجها استخدام الضمير مع وجود الفاعل الظاهر مثل لغة «أكلوني البراغيث» .

على الاستمرار، في جمل تستدعي استخدام الفعل الماضي الذي يدل على انتهاء الفعل، ومن نماذج ذلك «وفي البيت تشعل آسيا النار.. ويحلب الطاهر البقرة ويحلب حسن العنزة ويذهب حسين للدكان... وتحضر المسرة ماء الوضوء...»<sup>(1)</sup> وربما تدل الكاتبة على استمرار هذا الفعل يوميا أو إلى أن يتغير الحال ، لذلك استخدمت الفعل المضارع . وغير ذلك من النماذج داخل الروايات . كما استخدمت الكاتبة الفعل كان يا ما كان دون مسوغ مقنع. وما يلاحظ على لغة الروايات كذلك استخدام الجمل مع علامات الحذف أو دون روابط نحوية ، وقد احتشدت بها الروايات، خاصة روايتها الأولى «الاختيار»، التي كثرت فيها مثل هذه الأساليب، وهذا الأسلوب من المفترض أن يتعلق بالشخصية وحوارها لأنه يمثل الحالة النفسية المطلقة، والمتوترة التي تعيشها الشخصية، ولكن الكاتبة استخدمته في السرد والحوار. وقد تطورت لغة الكاتبة بعد روايتها الأولى، حيث اتبعت أسلوب الجمل القصيرة واختفت الفواصل، واستغنت عن كان يا ما كان بالحضور. ومن الظواهر اللغوية في روايات الكاتبة لغة المهمن، مثل الزراعة والطب. فالاعتناء بالحدائق وتنسيق الزهور كان له دور خاص في رواية «كش ملك» و«نبات الصبار»، فمعظم الشخصيات المهمة والأبطال امتهنوا هذه المهنة . فلغة المهنة «الزراعة» قد تركت بصماتها على جماليات الرواية ، مثل ما نجد ذلك في رواية «نبات الصبار» عند الحَسين واهتمامه بالأشجار والزهور «جلست خديجة بجانب الحسين الذي كان يعالج نبتة ذابلة بكل الصبر يحاول أن يعيد لها الحياة كما يفعل مع شتوله دائما. قالت له بعد فترة صمت طويلة كان يعرف أنها تعاني من شيء تريد الحديث إليه.....استمر الحَسين في معالجة النبتة»<sup>(2)</sup> . ونجد كذلك معالجة الأشجار

(1) رواية الاختيار ، ص 7

(2) رواية نبات الصبار ، ص 115-116

في «كش ملك» عند البحر، فهذه اللغة توظفها الكاتبة لتبين معرفتها بعالم الزراعة والخبرة المتوارثة عن الآباء والأجداد في معالجة الأشجار المريضة. وربما تكون هذه المعالجة معادلاً فنياً لمعالجة الفساد أو ما تعانیه خديجة من أزمة نفسية. ولغة الزراعة تكثُر عند الكاتبة في عبارات عديدة مثل رواية «كش ملك» عندما ذكرت أن «الطيب» «جاء بفسيلة نخل واختار ركناً قصياً... وزرعها»<sup>(1)</sup>.

وقد ذكرت الكاتبة أيضاً كثيراً من أسماء الأشجار أو الزهور، وأحياناً تحدد شجرة بعينها أو زهرة بعينها مثل زهر الياسمين الذي لعب دوراً كبيراً في رواية «كش ملك» سواء على مستوى الاسم أو الصفات. مثل ص 108، 112، 136، 176، 208.

وقد ركزت الكاتبة على ثمار بعينها مثل المانجو والليمون، خاصة في «نبات الصبار»، ربما كانت تعني لها أهمية كبرى في حياتها. وشجرة النخل في «الاختيار» لها أهميتها في الرواية دون سائر الأشجار ولها منزلة سامية في قلب الكاتبة. وترى أنها تدل على الأصالة والتجذر والقوة والعطاء، فقد اختارها الطيب وزرعها «لأنها أصيلة وطويلة وجذورها ضاربة في الأعماق وتعطي أطيب الثمار، واختار النخلة لترمز لحبه لسعاد وتمنى أن يكون حبا في علو النخلة وعمقها وعطائها الوفير»<sup>(2)</sup> وهي معادل فني «لصمود السوداني، وتعلقه بأرضه وصلابته لمواجهة المصاعب، وعطائه اللامحدود.

وقد لعب شجر النيم دوراً في «نبات الصبار» حيث نما بكثرة في «شارع النار» وأصبح الظل الظليل لأهل الشارع، فهو ملاعب للأطفال، وأندية للكبار، وصالين للحلاقة، ومشغل للخياطة، ومتاجر لجميع أنواع البضاعة، ومصانع لرتق الأحذية، وقد جعلته الكاتبة ملجأً السوداني، فهي تقيه الدنيا ومتاعبها.

أما لغة الطب، فنجدها في «نبات الصبار» حيث تعرضت الكاتبة لشريحة من الأطباء الفقراء الصغار ومعاناتهم. فظهرت عندها هذه اللغة التي أضفت جواً من الحيوية والواقعية في الرواية. فقد ذكرت العديد من الألفاظ والمعدات الطبية، وكذلك الأمراض، بل نجدها تناقش بعض العمليات الجراحية والمسائل الطبية وأدواتها. ونجد نماذج لذلك في ص 178، 181، 180، 157، 154، 224، 185، 177، 188، 225، 254 من الرواية.

وهناك جانب من الظواهر اللغوية، التي نلاحظها في الخطاب الروائي النسوي عند الكاتبة حيث نلمس فيه بعض التطور، فيما يتعلق بخصوصية المعاناة لدى المرأة من خلال، الحياة، الزواج، الأمومة، التي نعيشها عبر لغة الاعتراف، خاصة في «الاختيار» في حوار

(1) رواية كش ملك ، ص 16

(2) انظر رواية كش ملك ، ص 17، 16

المسرة مع أختها آسيا ص125-132 ، فلمس هنا حرية التعبير عن الأعماق، وحرارة التجربة وعمقها عبر هذه اللغة الموحية والمعبرة ، ولا غرو في ذلك فقد اعتمدت الكاتبة أحيانا على السيرة الذاتية ، والتجارب المعاشة في رواياتها.

ونلمس كذلك في رواية «الاختيار» جرأة في تقديم لغة الحب التي تجسد علاقة المرأة بالرجل مثال ص147،145،143،97،95،92،78،89،85،42،41،148،151 فهي لم تذكر ألفاظاً بعينها ولكنها وصفت كل ما يوحي بها، لهذا لن نستغرب جرأة البطلة «آسيا».

وهناك أيضا ظاهرة لغوية ملفتة للنظر في روايات الكاتبة، وهي كثرة استخدام الألفاظ الأجنبية«اللغة الإنجليزية» كثرة مفردة ، خاصة في روايتها الأخيرة «نبات الصبار»، أما روايتها «الاختيار» و«كش ملك» فنجد فيها هذه الألفاظ، ولكن ليست بصورة واسعة، ربما لأن «نبات الصبار» احتوت على عدد كبير من الشخصيات المتعلمة تعليما عاليا، بالإضافة إلى وجود شخصيات تعلمت خارج وطنها.

وهذه الألفاظ قد تأتي بصورتها باللغة الإنجليزية أو قد تأتي مكتوبة باللغة العربية . مثال لذلك «الاتيكييت، بور ، اون فير، و اوف كورس، اند مور ، نفر فور كيف هار،انقلش كيك، ميك أ بقر بارتى، اتس اوو كي..اوو كي . دونت وري» . وهذه الكثرة في الألفاظ الإنجليزية ربما تدل على حب الكاتبة لهذه اللغة ومعرفتها الجيدة بها، وكثير منها ليس لها علاقة بالشخصيات التي تنطق بها أو المواقف التي تقال فيها .

وهناك نقطة أخيرة في لغة الكاتبة ينبغي أن نلتفت لها وهي البساطة في اللغة، و«حين نطلق لفظة البساطة على لغة العمل الروائي لا نعني اللغة السطحية والمسفة، والسوقية بقدر ما نعني الإتيان باللغة على السليقة والطبع ، وبشكل يساير طبيعة الشخصية التي تتحدث بها دواما تكلف»<sup>(1)</sup>.

ففي جميع رواياتها خاصة «نبات الصبار» تبدو اللغة التي تستخدمها الكاتبة في سرد أحداث الروايات اقرب إلى البساطة، ولا تعتمد الكاتبة اختيار الفاظ صعبة في فهمها أو الفاظ قاموسية خاصة بل هي لغة طبيعية تنساب بشكل مقبول وتعبّر بصورة مباشرة عن الحدث، فوصف «شارع النار» رغم فقره يضح بالحركة ، فقد وصفته وصفا سرديا بسيطا من ص12- 32 ، وإسلوب الكاتبة في هذا الوصف اتسم بالبساطة، فهو لا يرقى إلى الاسلوب الأدبي ، بل في بعض الأحيان يقارب الاسلوب الصحفي .

**الرمز:** من الظواهر اللغوية في لغة الكاتبة، الرموز حيث عملت على توظيفها توظيفا يجعل منها جزء أصيلاً في نسيج البناء الروائي في الشكل والمضمون. «فالتعبير الرمزي يقصد إليه الكاتب للكشف عن بعض القيم الأخلاقية والمثل أو الجوانب الإسلامية الصافية التي لم

(1) الشخصية وأثرها في البناء الفني لروايات نجيب محفوظ ، د/ نصر محمد ابراهيم ، ص 289

تلوثها المادة، كالتضامن والكفاح في سبيل هدف معين، وتناسي الأفراد في سبيل المجموع، أو التعاطف والتلاؤم بين الكائنات، والتعايش دون اضطراع في سبيل الحياة، لواحد دون الآخرين ومثل هذه الموضوعات تتناسب مع شكل الرمز الذي اختاره كثير من الكتاب العرب عامة والكتاب السوداني خاصة، وان كانت المعالجة قاصرة أو ساذجة أحيانا<sup>(1)</sup>.

استخدمت زينب بليل الرمز كثيرا وقد التحم مع نسيجها الروائي، وان كانت لم توظفه جيدا في بعض مواضعه. فقد استخدمت الرمزية في العنوان وفي الموضوعات وفي الأسماء والأحداث وكذلك الرمزية في العبارات، وسنفصلها كما يلي:-

**العنوان** : تحمل عناوين الروايات عند الكاتبة دلالة، مما يدل على ذكائها، حيث لم تستخدم عناوين عامة، بل تراوحت عناوينها على حسب رؤيتها ووجهة نظرها، فجاءت عناوينها ما بين تشويقي مثل «كش ملك» أو إخباري مثل «نبات الصبار» أو تلخيص لمحتوى الرواية مثل «الاختيار»، وقد كان لكل عنوان هدف وغرض ترمي اليه الكاتبة.

فلفظة «الاختيار» تطرحها الكاتبة من عدة نواحي داخل الرواية. أولا اختيار البطل وأختها «للانتحار» حلاً لفضيتهما، فأى اختيار هذا؟؟ اختيار الرحيل ام اختيار قتل النفس وسيلة للتطهير؟؟!! أم هو عقاب للنفس على الاختيار الخاطئ بالزواج من مصطفى أو زوج المسرة؟؟ فانتحار الأختين، ربما لجميع هذه الأسباب بالإضافة إلى أنه يمكن أن يكون بسبب الفشل في تكييف العلاقات بالجنس الآخر. ثانيا الاختيار من اجل تغيير قسوة الأوضاع السياسية والاجتماعية والاقتصادية، والذي يأتي من جانب الشعب أو الناس الذين يسكنون تلك المدينة، ومن هنا كان الاختيار، اختيار أن يظلوا كما هم ينتمون لهذه الطبقة المطحونة، والفقيرة، أم يغيروا أوضاعهم لينتموا إلى طبقة أخرى تنال الغنى والرفاية، ولكن هل التغيير سهل وسريع؟ سؤال تطرحه الكاتبة، وبدلا من مناقشته جعلت الرد في جملة واحدة «فاز حسين حمدان ضد السيد محبوب»<sup>(2)</sup> الإقطاعي الكبير في الانتخابات. فهل حسين في نظر الكاتبة هو حلم الشعب حتى يتم اختياره أم لأنه من الطبقة الفقيرة التي تناسب المنتخبين؟ إذن فالاختيار يعني أنه أصبح للناس قدرة أكثر على الاختيار بسبب أن الحرية أصبحت أكثر.

أما «كش ملك»، فجميعها رموز حيث رمزت الكاتبة للحياة برقعة الشطرنج، والأبيض رمزت به للخير والأسود رمزت به للشر، والجولات بينهما هي الصراع الأزلي بين الخير والشر. إذن هناك خليط بين الخير والشر في الحياة والصراع الدائم بينهما، فعرضت

(1) انظر دراسات في القصة العربية الحديثة، د/ محمد زغلول سلام، ص392

(2) رواية الاختيار، ص 71.

الرواية هذا الصراع من وجهة نظر الكاتبة»<sup>(1)</sup>. و«نبات الصبار» رمزت به لعالم «شارع النار» و«مدينة النار» بعد ذلك، ورمزت به أيضا للبطلة لأن نبات الصبار يعيش في ظروف صعبة جدا ولكن يظل حيا، فسكان شارع النار عانوا ظروف قاسية وأحداث صعبة ولكنهم ظلوا أقوياء وأحياء، وكذلك البطلة«خديجة»، وقد ذكرت الكاتبة ذلك في روايتها في عدة أماكن ، ومثل لها بهذا المقطع في رسالة «أحمد» لأصدقائه من بلاد الغربية :

«معنا كل الأطباء الجدد..الخارجين من أرض المستنقعات..الآتون من وراء الجدار.. الأقوياء مثل نبات الصبار الذي تزيده الظروف القاسية قوة»<sup>(2)</sup>.

وكذلك قول أحمد عن هذا النبات وتشبيه حاله وأهل شارع النار به :

« حفر حفرة وغرس الصبارة ونظر إليها.قوية رغم قسوة الظروف . لا تكف عن المقاومة لتعيش . ربما لأنها مثل الحنظل لا يأكلها آكل . شوكتها القاسية تبعد عنها اللامسين ..وفكر ..لبتنا مثلها ..أو ربما نحن فعلا مثلها . نولد وموت دون أن يحس بنا أحد ...نحنزن ونقاوم . نغضب ونقاوم ...ثمشي في الرمضاء حفاة وفي الزمهرير عراة ونستمر نمشي..تماما مثل نبات الصبار»<sup>(3)</sup>.

إذن فالرمزية واضحة لهذه الطبقة الفقيرة«المهمشة» في المجتمع .

## 2. الأحداث والشخصيات :

استخدمت زينب بليل الاسلوب الرمزي في«نبات الصبار»، في أحداثها وبعض أشخاصها، فالحسين شخصية رمزية ، تحمل معاني أخرى خارج وجودها الفردي، فهو يفكر «في إسعاد البشر ، ويحمل عذابات الآخرين وأحلامهم..ويحمل روحا نفخ فيه الله أكثر من الآخرين»<sup>(4)</sup>. وكذلك الرمزية في ربابته التي تحدث المعجزات كأنها هدية من السماء لصبي غير عادي ،يشبه الملائكة»<sup>(5)</sup>، وكذلك جنود الحسين فيها رمزية. إذن الحسين وربابته وجنوده، جميعهم رمزت بهم الكاتبة للتغيير، والرمز يبدو واضحاً فالحالة لن تتغير ولن تتبدل إلا إذا وجدت من يخلص لها، فوضحت أن الله لا يغير ما يقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم ، ولا يمكن أن يتم هذا التغيير إلا بمعجزة وهي «الربابة» فانتقلت الكاتبة من المستوى الواقعي إلى المستوى الرمزي عن طريق الأحداث الروحية التي يمر بها الحسين، أو عن طريق الربابة ، ومثال

(1) راجع مبحث النهاية في هذا البحث .

(2) رواية نبات الصبار ، ص 96

(3) رواية نبات الصبار ، ص 230

(4) السابق ، ص 28

(5) السابق ، ص 28

لذلك ص 39، 50، 249، 250... الخ. والرمزية تكمن كذلك في «شارع النار» واسمه الذي يحمل معنى المعاناة، فقد رصدت الكاتبة أحداث الشارع وحياته اليومية، و حياة أهله، وتسجيل حركات الأفراد والغوص في أعماقهم، فكل هذا ربما هو إحياء رمزي للمجتمع السوداني كله، وبيان الحالة الاقتصادية والضغط الذي يمكن أن يشعر به كل فرد من أفراد السودان، لا أفراد الشارع، وأملهم في التخلص من هذه الحالة. ومما يدل على رمزية الاسم أن الكاتبة وقفت على نماذج متعددة متباينة الأفكار والمشاعر والتطلعات والآراء، فهذا الرسم الدقيق ينم عن وضوح في الدلالة الرمزية على أن هؤلاء يشكلون بنية مجتمع برمته.

3- الأسماء : استخدمت الكاتبة دلالات الأسماء استخداما فنيا إذ اختارت الاسم على المسمى، مثل بدرية، والمسرة، والطاهر، البحر، ياسمين، وقيع الله، زهرة. سيدة، الحسن، الحسين. وتحدد أسماء هذه الشخصيات بإحياءاتها الرمزية فكرة الكاتبة عن الحياة»<sup>(1)</sup>.

وهناك أسماء بعض شخوص رواياتها تحمل كثيرا من الدلالات غير المباشرة، مثل بخيطة و أمنة اللتين لم تكونا آمنتين أو سعيدتين في حياتهما. وقد ربطت الكاتبة بين بعض أسماء الشخصيات والقضية التي تتناولها، ففي «الاختيار» ربطت بين اسم حسين وقضيتها، وهي الانتماء للإسلام وما يحمل هذا الاسم من دلالة معنوية عند المسلمين حيث ارتبط اسمه عندهم بالحسين حفيد الرسول صلى الله عليه وسلم. والحسين اسمه مشتق من الحسن والقوة والعزة.

#### 4. العبارات :

ظهرت الرمزية في بعض العبارات، في «نبات الصبار» مثل عبارة « الكل يحمل صليبه ويبحث عن الخلاص»<sup>(2)</sup> وتدل هذه العبارة على الهروب من وضع لوضع آخر بغية التغيير والخلاص من ذلك الوضع. وأيضا عبارة « حاملا النار المقدسة الأبدية»<sup>(3)</sup>، وترمز العبارة للتغيير كذلك، إذ أحدثت النار تغييرا كبيرا في حياة الإنسان عند اكتشافه لها. وكل هذه العبارات اقتبسها الكاتبة من الروايات الأجنبية التي تأثرت بها.

#### 2. الظواهر البلاغية :

«إمكانية الكاتب تظهر في مدى قدرته على تسيير الأحداث والشخوص بشكل طبيعي وسلمي بعيد عن الصنعة اللفظية المتكلفة، إلا ما جاء عفوا الخاطر وبشكل طبيعي

(1) انظر دلالة الأسماء في هذا البحث .

(2) رواية نبات الصبار ، ص32

(3) المرجع السابق ، ص 37

ومنطقي يساير الشخوص والأحداث، وعليه فقدرة الكاتب تكمن في اختيار الألفاظ المناسبة التي تخدم السرد والحوار وتضفي عليه منطقيّة وموضوعية وتجعل العمل الروائي اقرب للواقع الذي تصوره»<sup>(1)</sup>.

ومن الملاحظ أن أسلوب زينب بليل اللغوي، لا يعتمد كثيرا على الصنعة اللفظية، فقد ركزت على أن تجعل بناءها الروائي أقرب إلى الواقع، ولكن هذا لا يمنع أنها احتفت في لغة سردها ببلاغة العبارة حفاوة بالغة، وأكثر من توظيف أسلوب التكرار والتشبيه، الذي استمدت بعض صورته من الأدب الشعبي.

## 1. استخدام التكرار :

وقد أتى التكرار في رواياتها بأنواع مختلفة، فمنه تكرار عبارات كاملة أو جمل قصيرة، وهناك تكرار التشبيه . وقد يقع التكرار داخل الرواية الواحدة أو قد يتكرر في الروايات الأخرى، ومن أمثلة تكرار عبارات في نفس الموضوع من الرواية. في الاختيار» اشتاقت إليه ..اشتاقت للنظرة التي تفرحها وتربكها ...اشتاقت جدا»<sup>(2)</sup>، فتكرار العبارات هنا يدل على ما تعانیه الشخصية من حب وهيام. وأيضا تكرار عبارة « النظرة التي أحبها ولا أفهمها»<sup>(3)</sup>. تكررت أكثر من مرة. وعبارة «يأكلون حتى الشبع»<sup>(4)</sup>، تكررت في جميع رواياتها، والعبارات«كل ما فيها كما يجب أن يكون. كانت تصلح لأن تكون دعاية لكوافير أو لصانع فساتين عرائس أو لشركة معجون أسنان أو كريمات للبشرة»<sup>(5)</sup>، تكررت في رواية «كش ملك»، وعبارة «حماما باردا وثوبا نظيفا وعطرا أحبه»<sup>(6)</sup>.

أما في «كش ملك» فنجد كثير من الألفاظ والعبارات والجمل التي تكررت، مثال لتكرار اللفظة «الياسمين» أو «ياسمين» التي تكررت أكثر من 1.مرات في الرواية، ومن أمثلة تكرار ألفاظ بعينها، لفظة «البنية» التي تكررت مرات عديدة في كل الروايات. ومن أمثلة تكرار العبارات عبارة «كوبا مليئا بالحليب» ساخنا كان أو دافئا تكررت العديد من المرات في الرواية. وكلمة الحليب كانت قاسما مشتركا في جميع رواياتها، وتكررت كثيرا، ربما

(1) الشخصية واثرها في البناء الفني لروايات نجيب محفوظ ، د/ نصر محمد ابراهيم ، ص 285

(2) رواية الاختيار ، ص 26

(3) السابق - ص 27

(4) السابق - ص 52

(5) السابق - ص 65

(6) السابق - ص 121

لها وقع خاص في نفس الكاتبة، وهذا التكرار المتعدد للألفاظ والعبارات يجعلها كأنما هي مصطلحات ثابتة لا تتغير.

أما «نبات الصبار» فنجد كثير من العبارات والجمل التي تكررت، مثل عبارة «مشاويرا مشوها فوق الرمل تحت القمر»<sup>(1)</sup>، تكررت بعبارة «يحنون لمشاوير مشوها سويًا»<sup>(2)</sup>. وعبارة «سياسة الأمر الواقع» وردت أكثر من مرة في الرواية كما وردت كذلك في «الاختيار»، كأنما الكاتبة هي نفسها لا تقبل هذه السياسة، وهنالك أيضا عبارة «مثل نبات الصبار تزيده الظروف القاسية قوة»، تكررت هذه العبارة في الرواية بصيغ مختلفة، أما عبارة «صبرا سيعرفون من أنا» التي وردت على لسان «خالد» فقد تكررت 3 مرات في صفحة واحدة، وتكرار العبارة يدل على نوايا خالد السيئة. وهذا التكرار السابق لم يكن له دور كبير في إحداث إيقاع موسيقي بقدر ما كان له دلالة معنوية عند الكاتبة.

أما تكرار التشبيه فنجده كثيرا عند الكاتبة، حيث كان له دور في إحداث إيقاع موسيقي داخل النص الروائي، وله أيضا دور في بروز الروح الشعرية داخل النص النثري. ففي «الاختيار» التشبيه «كما يصلون»<sup>(3)</sup> تكرر 8 مرات متتالية، وهذا التكرار أعطى بعدا موسيقيا للفقرة، كما أعطى دلالة موضوعية، وهي الخشوع والتذلل لله سبحانه وتعالى والتوبة.

وهنالك تكرار التشبيه «العيون الضاحكة الندية واللون الذي يضاها لون العسل المصفى»<sup>(4)</sup> كررته الكاتبة ثلاث مرات في الرواية. أما تشبيه الأبناء أو البنات «قيد الهوان»<sup>(5)</sup>، فقد تكرر مرتين في الرواية. وفي «كش ملك» تكرر التشبيه الذي يصف أطفال الأغنياء بأنهم أكثر «عافية واستبشارا»<sup>(6)</sup> تكرر مرتين في الرواية. وكذلك في «نبات الصبار»، مما يدل على إيمانها بهذا التشبيه.

أما رواية «نبات الصبار» فقد احتفت فيها الكاتبة بلغتها، وقد مثلت طورا متقدما من كتابات الكاتبة، فظهرت فيها العديد من التشبيهات. ومن نماذجها تكرار تشبيه

(1) رواية نبات الصبار ، ص20

(2) السابق ، ص33

(3) رواية الاختيار ، ص 153

(4) السابق ، ص 75

(5) السابق ، ص 132

(6) رواية كش ملك 123

عين جنود الحسين بأنها « كأنها جوهرة وكأنها لؤلؤة وكأنها كشافة قطار»<sup>(1)</sup>. وكذلك تشبيهه لحن ربابة الحسين بأنه « لحن كأنه الآذان وكأنه أجراس الكنائس وكأنه أجراس المدارس وكأنه نشيد يردد»<sup>(2)</sup>. وكذلك تشبيه لون الأشجار ونقاؤها « فصار الأخضر اخضرا والأصفر اصفرا والأحمر احمرًا»<sup>(3)</sup> وهذا التشبيه تقصد به الكاتبة النظافة والنقاء، حيث تغتسل الأشجار بعد المطر أو الجو الصافي. وكل هذه التشبيهات السابقة أحدثت إيقاعا سجعيا، يحدثه تكرار حروف بعينها في نهاية اللفظة. وتشبيه عمق الاختراق للنظرة أو غيرها كأنها سهام «يستفزه حتى النخاع وتخرق حتى النخاع» مكررة عند الكاتبة في رواياتها. وكذلك تكرار التشبيه «جميلة مثل الحقيقة وعميقة مثل الانتماء»<sup>(4)</sup> فهذا التشبيه مكرر عند الكاتبة تشبه به الطفلة.

وهنالک ما يلفت النظر بالنسبة للتكرار. وهو تكرار هويات بعينها في جميع الروايات، مما جعلها قاسما مشتركا بين شخصياتها، مثل «حلب الشياه وزراعة الشتول وتعلم السباحة، وتنسيق الزهور، والرقص»، فجميع أبطال رواياتها يمارسون تلك الهويات. مما يؤكد وقعها في نفس الكاتبة واهتمامها بها. والتكرار بكل صوره السابقة عند الكاتبة ربما يدل على ضعف معجمها اللغوي وقلته .

## 2. استخدام الصور الوصفية :

يتميز أسلوب زينب بليل بالوصف والتصوير. حيث تهتم الكاتبة كثيرا بالتفصيلات في الوصف والوقوف أمام الجزئيات. وهذا الاهتمام بالتفصيلات يؤدي في اغلب الأحيان إلي ما تريده الروائية من تهيئة الجو أو المساعدة في البناء الفني للقصة. من نماذج وصفها، تصويرها لشارع النار في «نبات الصبار» من ص12-23 فهي تصف الشارع وصفا دقيقا فتصف معالمه وحركة سكانه. فتحشد صورا وصفية كثيرة لكل جزء من الشارع في أوقاته المختلفة، فلنأخذ نموذج من ذلك التصوير الوصفي لحركة الشارع في الصباح الباكر:

«وفي هذا الوقت من الفجر الباكر يكون الشارع ممتلئا حتى ليكاد سيتفرغ، إذ أنه المخرج الوحيد للفضاء البعيد...، يخرج العمال مسرعين نساء ورجالا. ويخرج طلبة الجامعات أولاد وبنات ويخرج..... بعضهم على درجات وبعضهم راجلا. وتخرج البنات في كل الأزياء

(1) رواية نبات الصبار ، ص 250

(2) المرجع السابق ، ص251

(3) المرجع السابق ، ص 253

(4) المرجع السابق ، ص 201، 203.

الممكنة . تتزاحم الكاروات المخصصة لنقل البشر وتمتلئ البكاسي التي أفرغت الخضار واللحم بالخارجين من الشارع قاصدين المدينة ..... في ذلك الوقت من اليوم يتصايح الباعة بأعلى أصواتهم .....تختلط الأصوات أصوات الباعة مع المغنين مع القارئيين مع صياح الباعة مع نهيق الحمير مع أصوات النسوة يحيين بعضهن من على البعد مع أصوات ماكينات العربات المتعطله»<sup>(1)</sup>.

وتواصل الكاتبة في نقل هذه الصور الكاملة ، فنحس بها كأننا نراها، حيث تقوم الكاتبة هنا بدور شاهد العيان الذي يري ما يحدث الان. فنرى صور حية بكل أبعادها من حركة وصوت وتشتك فيها كل الحواس، فتبدو الصور حقيقية وصادقة . ونرى كذلك صدق الصورة في «الاختيار» (ص 37)عندما تصف الكاتبة مدينة الخرطوم . فننقل الكاتبة ما تراه عيناها فهي تقوم بدور الكاميرا العاكسة التي تعكس صدق الصورة وجودتها. وتتخطى المظاهر المادية التي يقف عندها المصور الفوتوغرافي إلى أعماق الشيء الموصوف حين تحاول تجسيد تلك الأشياء غير المرئية التي لا تستطيع الكاميرا إبرازها.

وما يلاحظ على صور الكاتبة أنها تجيد وصف الأماكن وما تحتوي عليه أكثر من إجادتها وصف الشخصيات وما تفعله. فهي في وصف الشخصيات وأفعالها تلجأ إلى التشبيه أكثر من نقل الصورة الحسية . ونثبت ذلك من خلال بعض النماذج لنلاحظ الفرق بينها. ومن ذلك الوصف في «نبات الصبار» وصف الكاتبة لصورة خديجة عندما ترقص :

« عندما ترقص لا يستطيع أحد تحويل عينيه عنها ..كأنها قطعة من الحرير تطوى وتنشر وتتصاعد مع النغم ! كأنها قطعة حرير ناعمة وقوية.....تجاوبت مع اللحن وأطلقت العنان لكل شيء كي ينطلق وانحلت ضفائرها..كتلة من الحرير المتموج»<sup>(2)</sup> .

ولنأخذ كذلك مثلا لوصفها «العريس الذي كان مثل ذهب مجمر... كانت العروس في لون الذهب ولون القمر ولون الليل ولون الحليب ونعومة الحرير كانت جميلة مثل بنات الحور»<sup>(3)</sup>.

فالصور هنا جميعها تشبيهي لا تتعمق الكاتبة في وصف الشخصية وحالتها بل تقوم بتشبيها تشبيهات مختلفة، ومن ذلك التشبيه أيضا على سبيل المثال في «نبات الصبار» ص21 في «كش ملك» ص3، 6، 7، 11، 133. أما «الاختيار» ص26، 124 وغيرها كثير من الصور. ومن خلال النماذج السابقة، تبدو الكاتبة في صورها الروائية تعتمد على التفصيل

(1) رواية نبات الصبار ، ص 17

(2) رواية نبات الصبار ، ص 161، 162

(3) المرجع السابق ، ص 137

الدقيق لعناصر الصورة، اعتماد شبه كلي خاصة في «نبات الصبار» حيث جاء الوصف موعلا ومسهبا في بعض الأحيان لدرجة أن القارئ ينسى معه أنه أمام رواية أو قصة - خاصة في وصفها للمكان- فيؤثر في ترابط الأحداث. فهي تصور الموقف الواحد أو الحدث الواحد بكل جزئياته مهما كانت دقيقة، ولعلها بهذا أرادت أن تكون اقرب إلى الواقع والمنطقية. ولعل هذا أيضا يعكس تأثرها بالاتجاه الواقعي والطبيعي عند كتاب الروس الواقعيين من أمثال تشيكوف وجوركي أو كتاب الغرب أمثال «تشارلز دكينز خاصة في مجال التصوير، فهو يتصور ثم يرى ما تصوره، وأخيرا يصور ما رآه، فيجعل القارئ يرى ما كان هو قد رآه بالوضوح ذاته، فيصنع في رواياته صورا ناطقة أمام القارئ تعج بالحياة وتنبض بالحس مثل روايته» دافيد كوبر فيلد«وروايته» أوليفر توست»، حيث يصف الكاتب أوصافا حيوية ودقيقة للشخصيات وحركاتها، وكذلك يتجه كتاب الغرب للوصف المكاني الدقيق، مثل توماس هاردي، وجورج اليوت وغيرهما من الكتاب اللذين أجادوا الوصف التصويري»<sup>(1)</sup>.

3- **الاسلوب الشعاري** يأتي في المرتبة الثانية بعد الاسلوب الوصفي في روايات زينب بليل، وهو«الاسلوب الذي يعتمد الصور الشعرية القائمة على التشبيهات والاستعارات بهدف الوصول إلى استخدام جديد للمفردة في السياق. وهو اقرب إلى الذات المبدعة في تعبيرها عن نفسها وفي تصويرها للآخر»<sup>(2)</sup>، وللإسلوب الشعاري مظاهر لغوية تظهر في الألفاظ والإيقاع والمعاني، ومن ابرز مظاهر الاسلوب الشعاري في روايات الكاتبة كثرة استخدام الصور البيانية والتكرار واستخدام الجمل مع علامات الحذف دون روابط نحوية.

وقد اهتمت زينب بليل بالصور البيانية. سواء كانت تشبيها أو استعارة أو كناية، ولكن التشبيه كثر عندها كثرة مفرطة، وهذه الصور لها قدرة لجذب استجابة القارئ، واستمالة تعاطفه مع الرواية أو مع الشخصيات. وقد تخلصت من السجع والجناس والطباق والمحسنات البديعية الأخرى، إلا ما جاء عفوا لذلك جاءت لغتها سهلة وحوارها مقبول. استخدمت الكاتبة التشبيه كثيرا، الذي تراوح ما بين التشبيه البسيط والصور التشبيهية المعقدة، ويلاحظ على تشبيهاتها البسيطة أنها اعتمدت على الصور القديمة المألوفة من مثل «واقفا كسيف - جالسا كملك- ضاحكا كطفل- غاضبا كجهنم- رشيقا كشجرة التيك»، وكل هذه النماذج السابقة بسيطة واضح فيها المشبه والمشبه به كما اتضحت فيها الأداة، وهنالك تشبيهات أخرى استخدمتها الكاتبة لا تتضح فيها عناصر التشبيه السابقة من مثل تشبيهاتها الآتية « واللون الذي يضاهاى لون العسل» و«اسنان في لون الحليب» و«لونه لون

(1) وقفات مع فن الرواية د/ ياسر الفهد، ص 54

(2) انظر صورة الرجل في القصة القصيرة في المملكة العربية السعودية، د/منال عبد العزيز العيسى، ص 174

النيل في شهر اغسطس» فكل هذه التشبيهات عادية وبسيطة تراوحت ما بين التشبيه المجمل والمفصل والمرسل. ويلاحظ عندها كذلك التشبيهات البسيطة التي يتعدد فيها المشبه به مثل «بنية مثل الرضى والاكتفاء والانتشاء...بنية مثل الصباح ومثل القمر ومثل ثمرة المانجو الناضجة» فهنا تشبه البنية بكل هذه التشبيهات التي تدل على جمالها وأهميتها، ومن نماذج التشبيه السابق تشبيه عين الثعبان الأسطوري بالآتي: «كأنها جوهرة وكأنها لؤلؤة وكأنها كسافة» وتكرار التشبيه يدل على عظمة هذا الكائن ورهبته. وإلى جانب هذه الصور التعبيرية القديمة المألوفة نجد كذلك الصور الحديثة من مثل «بسمة اشفاق» حيث أضافة الاشفاق إلى البسمة لتوحي بمدى التألم. كما استخدمت الكاتبة في أسلوبها الشعري التشبيهات المعقدة التي تعتمد على الصور التعبيرية والبيانية مثل وصفها لصورة حرق محصول القطن في رواية «الاختيار» « كان مارس وكانت جبال الثلج التي انحنوا طويلا ليرفعوها ترى من بعد أميال ..وفي لحظات حول الغاضبون الثلج براكين لا يجرؤ أحد على الاقتراب منها...تحول سماء المدينة إلى لهب ودخان اسود»<sup>(1)</sup>. فرسمت الكاتبة هنا صورة تعبيرية مؤثرة لثورة الغضب التي فجرت بركانا داخل نفوس المزارعين لما تملك نفوسهم من مشاعر الظلم والقهر من جانب الاقطاعيين، فانهى بهم الحال إلى حرق حصاد عام كامل من القطن في دقائق، وقد استطاعت الكاتبة أن تعبر عن ذلك خير تعبير باستخدام الصور المؤثرة التي تحرك وجدان ومشاعر المتلقي نحو هذا المشهد الحزين المؤلم، ومما زاد جمال الصورة هنا تشبيه القطن بالثلج، والنار الحارقة لهذا المحصول بالبركان، كما أن المفارقة اللفظية المتمثلة في الجمع بين النقيضين «الثلج، البركان» قامت بدورها في التعميق من الايحاء المعنوي ببشاعة وهول هذا الموقف. ومن الصور التعبيرية المؤثرة كذلك تعبيرها في «الاختيار» عن مأساة «المسرة» وضياعها ويأسها وذلك في الصورة الأتية « أحسست كأني برميل افرغ حتى من الهواء»<sup>(2)</sup>، فالكاتبة استخدمت هنا أسلوب مؤثر من خلال تشبيه يثير في النفس كل مشاعر الحزن والأسى، فتحدثت عن مأساة المسرة من خلال تشبيه مشاعرها الداخلية بالبرميل الفارغ، وقد زادت قوة هذا التشبيه أنها جعلته فارغا حتى من الهواء نفسه وفي هذا دليل على الخواء النفسي، كما أن استخدام «البرميل» في هذا التشبيه دلالة على عظم حجم هذا الحزن والهم الذي جعلته يتساوى مع البرميل في حجمه.

ومن الصور البيانية المعبرة في «نبات الصبار» تصويرها للحرب الباردة بين الأطباء الصغار وبين المسؤولين من الدولة والأطباء ذو المناصب العليا الذين يهضمون حقوق

(1) رواية الاختيار ص 68، 69.

(2) رواية الاختيار ص 132.

الغير» تقاتلون الريح بسيوف من ورق»<sup>(1)</sup>، الكاتبة هنا تصور معركة شرسة تدور مع هؤلاء الأطباء الضعاف المبتدئين حيث جعلتهم يحاربون الريح ، وفي استخدام لفظ «الريح» ما يوحي بمدى ضعف المقاتل -هؤلاء الأطباء- لعدم وجود شخص معين يقاتله ، فإنما هي معركة مجهولة رحابها ممتدة إلى أجل غير معلوم، وقد زادت الكاتبة من عمق هذه الصورة بتحديد نوعية السيوف حيث جعلت مادتها الورق وماذا يفعل الورق في مواجهة هذه الريح العاتية .

ومن الصور التعبيرية الجميلة في «كش ملك» تصوير حالة الخوف والرعب التي وصل إليها «الطيب» بعد دفنه لزوج «سعاد» حيث وصفته بقولها «ما زال يرتجف مثل عشبة في مهب الريح»<sup>(2)</sup>، أبدعت الكاتبة في هذا التشبيه حيث يشعر القارئ بأنه أمام تشبيه جديد على الرغم من أنه من التشبيهات المألوفة، فقد تراكمت الصور التعبيرية التي تعبر عن معنى الخوف ، ولكن هنا تستخدم الفعل «يرتجف» الذي يوحي وحده بمعنى الخوف والرعب ، ثم أتت وشبهته في هذه الحالة بالعشبة الهشة التي تسبح في الهواء لختها وسرعان ما تضيف إلى هذه العشبة صورة أخرى حيث جعلتها في مهب الريح، وفي هذا وحده ما يكفي للتعبير عن مدى ضعفها وعدم قدرتها على المقاومة والمواجهة تماما . وقد استخدمت الكاتبة الكناية ولكنها كانت بسيطة ونادرة لتقريب الصورة فقط من مثل «بكي حتى أفرغ مآقيه من الدموع»<sup>(3)</sup> كناية عن شدة الحزن ، وكذلك عبارة «العيون الضاحكة الندية»<sup>(4)</sup> كناية عن البراءة ، وأيضاً عبارة «نثروا فوق جماجمهم كميات من حب الفلفل»<sup>(5)</sup> كناية عن خشونة الشعر، أما عبارة « بلاد تمطر سماواتها حليبا وعسلاً»<sup>(6)</sup> فهي كناية عن الخير . وندرة الكناية في أسلوب الكاتبة ربما يرجع إلى رغبتها في أن يكون أسلوبها سهلا وبسيطا .

اعتمدت الكاتبة في أسلوبها البياني كذلك على الاستعارات التي لونها بالصور التجسيدية والتشخيصية التي تعطي الصورة جمالا وروعة ، من مثل تعبيرها عن المزارعين

(1) رواية نبات الصبار ، ص 94 .

(2) رواية كش ملك ، ص 24 .

(3) رواية الاختيار ، ص 31 .

(4) المرجع السابق ، ص 75 .

(5) رواية كش ملك ، ص 6 .

(6) رواية نبات الصبار ، ص 34 .

المتعبين بعد يوم طويل مجهد « تعود اسراب المنهكين حاملين فوؤسهم وهمومهم والآمهم»<sup>(1)</sup>، فالكاتبة هنا جمعت بين المادي والمعنوي حيث شبهت الهموم والآلام بالأشياء التي تحمل، وفي هذا التجسيد احياء بمدى المعاناة والشقاء الذي يلاقيه هؤلاء البشر الكادحون . ونلاحظ كذلك جمال الصورة في وصفها للبسمة « تبتسم تلك البسمة التي تزرع الأرض قمحا وبرتقالا»<sup>(2)</sup>، فالكاتبة هنا عبرت عن روعة الابتسامة من خلال استخدام الإستعارة حيث جعلت البسمة مثل المزارع الذي يزرع الأرض ، وقد حددت أنواع المزروعات من حبوب وفواكه للدلالة على أثر فعل ابتسامتها في النفوس حيث تحرك فيها كل أنواع السعادة والفرح.

ويلاحظ من خلال الصور البيانية السابقة وخاصة التشبيهات، أن تشبيهاتها متنوعة من حيث الاسلوب ، وأكثر ما يميز تشبيهات الكاتبة ما وجدناه في وجه الشبه من حيث أنه كان متعددًا ويوحى بالكثير من المعاني والإحياءات اضافة إلى الدلالات الواسعة التي تستحوذ على وجدان القارئ وعقله معا ليعيش في معالم الصورة التي رسمتها هذه التشبيهات العميقة، كما يلاحظ جدة التشبيهات والصور البيانية التي عبرت الكاتبة من خلالها عن معانيها .

## ثانياً: السرد :

السرد هو الكلام المحكي الذي يجري به نقل الأحداث التي تجري في الرواية ، وتتبع حركة الشخصيات ونقل أفعالها عن طريق السارد . وقد غلب على أسلوب زينب بليل طريقة أسلوب السرد المباشر في رواياتها أو الطريقة الملحمية وهي أكثر الطرق شيوعاً عند الكتاب، لإتاحتها الفرصة لهم كي يعرضوا شخصياتهم وأحداثهم ، كما تطلق لهم العنان ليصفوا ويصوروا كما يحلو لهم من منظار خارجي.

ويبدو اعتماد الكاتبة على هذه الطريقة في معالجتها الروائية في جميع أعمالها لأنها تساعدها في تلمس أبعاد الحدث والشخوص من منظار خارجي ذاتي ترصد فيه الكاتبة بصورة محددة أبعاد الحركة الخارجية والداخلية للفعل البشري ، وتستطيع الكاتبة كذلك أن تدقق النظر في عوالم الشخصيات الداخلية من وجهة نظرها، ويتسع لها التعبير بشكل فني منطلق مستخدمة عنصري الخيال والواقع»<sup>(3)</sup> . واعتمدت الكاتبة على هذه الطريقة في معالجتها للأحداث في الروايات ، التي فتحت لها المجال للاعتماد على الحوار والتعبير المباشر

(1) رواية الاختيار ، ص 111.

(2) رواية كش ملك ، ص 51 .

(3) انظر الشخصية وأثرها في البناء الفني لروايات نجيب محفوظ ، د/ نصر محمد إبراهيم ، ص 209

على لسان الشخصيات بما يساير الأحداث ويطباقها، ويعبر عن وجهة نظر الكاتبة، كما أن هذه الطريقة في معالجة الأحداث دفعت الكاتبة للوقوف على جزئيات الحدث الروائي، فاهتمام الكاتبة بالتفصيلات المسرودة الهدف منها إيهام القارئ بأن ما يقرأه في الرواية هو واقع الحياة ومطابق لها.

والكاتبة تسهب في وصف الحدث لدرجة تجعل القارئ ينسى أنه أمام رواية وينسى أحداثها بعد السرد الطويل، ونجد مثالا لذلك في روايتها «نبات الصبار» في وصفها للأحداث التي حدثت في القبور والتي استعرضتها من خلال شخصية البطلة «خديجة»، حيث أسهبت في الوصف الذي تناول ما يقارب ستاً وعشرين صفحة، سكبت من خلاله معلوماتها وثقافتها. ونجد أيضا مثالا لهذا الاسلوب المباشر التي تقف فيه على جزئيات الحدث، وصف الأحداث التي أعقبت هدم الجدار الذي منع المياه من أهل شارع النار وما حدث بعده :

« قال سكان مدينة النار: لن نخضع مرة أخرى. لن نقبل أن نعيش من جديد في مستنقع مع الأفاعي والباعوض سنذهب للحاكم وارتفع صوت الرابطة متوجها نحو المدينة قائدا الشباب الذين كانوا في كثرة النمل...بعدهم وقف سكان المدينة كلهم بلا استثناء ثم... ثم...ثم..تحرك الموكب العجيب : كان وقع خطأهم مثل الزلازل ولصوتهم دوي الرعد..تنهق الحمير وتخور الأبقار وتثغو الأغنام وتنوق الإبل ويصيح الدجاج وتشقشق العصفير وخاف أهل المدينة وقالوا انها القيامة..واختبئوا داخل المنازل وأوصدوا الأبواب والنوافذ، وكتموا أنفاسهم»<sup>(1)</sup>.

فلاحظ هنا هذا الوصف التعبيري، الذي أتيح للكاتبة من خلال طريقة السرد المباشر، التي أفادتها في إطلاق عنان التعبير التصويري. ومن هنا كان الوصف الخارجي المتقن أحد علامات الفن المميّزة في هذه الطريقة. وقد أكد بعض النقاد على أهمية الوصف للسرد واشتراطوا لذلك شروطا من أهمها إلا يقضي الوصف على السرد وإلا أساء إلى بناء الرواية»<sup>(2)</sup>. وقد لا حظنا في روايات زينب بليل مقاطع وصفية كاملة لم تكن موظفة لخدمة الحدث الرئيسي، بقدر ما كانت مقاطع يمكن الاستغناء عنها دون أن يخل ذلك بتكنيك الرواية ومن ذلك وصف «شارع النار» حيث طال هذا المشهد بصورة لافتة للنظر. وتستعين الكاتبة بالسرد المباشر في حركة الشخصيات وتاريخ حياتها، فهي تحركها كما تشاء، وتتبع حياتها منذ الميلاد، فعندما تقدم نماذجها الشخصية تفرد لكل منها فقرة كاملة

(1) نبات الصبار ، ص 51

(2) انظر تحليل الخطاب السردى /د/ عبد الملك مرتاض ص 265.

وتتحدث من خلالها بما يحلو لها، أو بالطريقة التي تتناسب مع الشخصية . ونجد لها أمثلة في جميع رواياتها . ومن نماذجها :

« الطيب في الثامنة عشر ... مربوع القامة ، قوي البنية وأقوى ما فيه يداه ..قويتان بشكل واضح .. لونه...وأسنانه.....إذا نظرت إليه لا تملك إلا أن تحبه . لا يمشي بل يخب خبا....الطيب يعرف كل شيء يسوق سيارة والده ويفصل ويخيط الملابس ويذبح الخراف ويرفع الصيوان ويحفر القبور ويدفن الموتى وفي مناسبات الأعراس إذا تغيب الفنان يمسك الميكرفون ويغني . في فريقه هو رأس الحربة الدائم الحضور وهو البستاني الذي على يديه تفتح الزهور وتثمر الأشجار . ماتت أمه وهو في الحادية عشر فتولى أمر والده . يغسل الملابس وينظف البيت ويطبخ الطعام ولمل يرجع من المدرسة يقف هو في الدكان ليرتاح والده»<sup>(1)</sup> .

فالكاتبة هنا تلجأ للسرد الطويل فتصف الشخصية و تتحدث عنها ، لأن الطيب شخصية محورية وذات تأثير فعلي في أحداث الرواية لذلك فهي تتحدث عنها في تقريرية خالصة. فكل هذه الصفات تمهد لها الكاتبة لأنها جزء من أحداث الرواية فيما بعد، ومن نماذجه كذلك وصف ياسمين الملك ص 132 ، كما لها نماذج عديدة في رواياتها.»ومن نتائج هذا الاسلوب السردى المباشر، اتاحة الفرصة لظهور الكاتب بنفسه في بعض الأحيان، ومخاطبة القارئ مباشرة أو تدخله وتوجيهه للحدث بصورة يتوهم أنها ترضي ذوق القارئ ، وقد أتاح التدخل للكاتب أن يشرح ويعلق على الأحداث والمواقف والشخصيات، حتى ان الحركة تتوقف في بعض الأحيان لتستمع إلى صوت الكاتب ، ومن هنا جاءت الدعوة إلى اختفاء الكاتب ليكون غير مرئي ، وقد ألح كثير من النقاد على ذلك. وقد شبه بعضهم الكاتب بمحرك العرائس الذي يختفي وراء خشبة العرض ، ونرى نتائج فعله لكن لا نحس بوجوده أمامنا»<sup>(2)</sup>. وقد أتاح هذا الاسلوب للكاتبة زينب مخاطبة القارئ ، كما أتاح لها التدخل المباشر في جميع رواياتها، مثال لذلك:

« كانت صغيرة نظرت لأمها وهي تتصرف في ظرف كهذا. لم تأبه الأم لنظرات الطفلة المحملقة فيها ..لربما قصدت أن تختزن الطفلة معلومة قد تحتاج لاستدعائها في يوم ما . ومارست حياتها في ذاك اليوم وكان شيئاً لم يكن . زهرة لا يدهشها شيء أبدا . كأنها عاشت عمرها مرتين . كأنها ماتت وبعثت من . جديد .... لا شيء يجعلها ترفع حاجبيها دهشة ..كل ما يحدث لها ممكن الحدوث»<sup>(3)</sup> . فيتوقف الحدث هنا لنستمع لصوت الكاتبة تعلق على الشخصية.

(1) رواية كش ملك ، ص 11

(2) انظر الاتجاه الواقعي في الرواية السودانية الحديثة، د/ بشير عباس بشير ، ص 95

(3) رواية كش ملك ، ص 82

ومن نتائج هذا الأسلوب المباشر كذلك، استخدام الكاتبة لثقافتها الشخصية التي تطل من خلالها على أبطالها، بل تدفع بفكرها الخاص نحوهم. وتنقل على لسانهم فلسفتها<sup>(1)</sup>. ولها نماذج عديدة في جميع رواياتها. وقد استغلت الكاتبة تجربتها وخبرتها في الحياة، وصبت خلاصة تلك التجربة في رواياتها، ونجد نماذج كثيرة لها في رواياتها على شكل تقارير، ومن أمثلتها هذا التقرير الوافي الذي تخاطب فيه القارئ مباشرة:

« ينقصنا المال.. بالتالي ماضينا ناقص وحاضرنا يتناقص ومستقبلنا صار عند الفكي هارون وكريمة شيخة الزار .....لقد صحنوا من النوم ..وما عادت أحلام الرعاة تكدر صحنوا ....نحن ما زلنا نحاول ... لنحاول من جديد لنكون أو لا نكون ...وفي اعتقادي سنكون أحسن ما دمننا عرفنا أين نحن من العالم ..لقد تكلمنا كثيرا...وتأكدنا أن الفقراء عليهم أن يحلموا والأغنياء عليهم التنفيذ»<sup>(2)</sup>.

وهذا التدخل المباشر من قبل الكاتبة، يلون أسلوبها السردي، بالتقريرية وأحيانا بالخطابية وأحيانا بالوصفية. ومن أمثلة سردها الروائي في صورة تقرير:

« هي إحساس مرهف...إحساس بالجميع..إحساس بالجمال في أي صورة كان..وإحساس بأن الحياة رحلة ممتعة وعلينا أن نختار الطريق المثير والرفاق الذين تتفق مشاربهم معنا. إحساس بأن الدنيا بخير وأن الجميع خيرون ما لم تسئ إليهم..إحساس بالانتماء لكل الناس..كل الأشياء..انتماء للب الحياة»<sup>(3)</sup>.

ومن أمثلة سردها التي تغلب عليه لهجة خطابية:« عليهم أن يشحذوا كل الذكاء وحكمة الأجداد ليفهم أهلهم أهمية الاختيار وأهمية التغيير»<sup>(4)</sup>. فهي تتكلم هنا بروح الداعية السياسية. أما من نماذج سردها الوصفية التي تظهر فيها التقريرية:

« جرد حمدان الدكان بعد موت العم ..الحصيلة لم تكن تقبل القسمة أولاد العم يطالبون بنصيبهم ..»<sup>(5)</sup>.

ونلاحظ من خلال هذا السرد الوصفي للأحداث استخدام الكاتبة لضمير الغائب وصيغة الزمن الماضي، التي تساعد في تحريك الأحداث من وجهة نظرها. كما أن هذا الاهتمام بالتفاصيل المسهبة أدخل الكاتبة في لغة تقريرية ظهرت من خلال رواياتها الثلاث.

(1) رواية نبات الصبار ، ص 146

(2) المرجع السابق ، ص 98

(3) رواية الاختيار ، ص 65

(4) المرجع السابق ، ص 7.

(5) المرجع السابق، ص 31

وقد أدت اللغة التقريرية التي تسود وتسيطر على أسلوب الروايات ، إلى وصف المؤلف للفاعل والتعليق عليه والحكم بدلا من تصويره. كما لاحظنا ذلك من خلال الأمثلة السابقة. وهذه اللغة التقريرية لم تستطع الكاتبة التخلص منها ومن تأثيرها في رواياتها، بالرغم من أنها أعدت أعداء البناء الفني الروائي<sup>(1)</sup>. وقد انتقد كثير من النقاد التقريرية في الأسلوب واعتبروها مما ينقص من فنية الشكل وتكنيحه ، وهي مرفوضة أصلا عند الواقعيين كمنهج أدبي ، ولهذا عمد الواقعيين إلى حركة الحدث وفعل الشخصية وهو ما يؤكد ارتباط الفنية بالمذهبية<sup>(2)</sup>.

ومقارنة لغة السرد في روايات الكاتبة، نلاحظ أنها تتطور نحو الأفضل في كل رواية ، حتى وصلت في «نبات الصبار» للغة تقترب من الشاعرية وأحيانا لا تخلو من قدر من الإيقاع ، الذي يحقق لها قدرا من الموسيقية في التعبير.

وخلاصة القول أن لغة الكاتبة الروائية في السرد والحوار، رغم الثنائية المسيطرة عليها موظفة- إلى حد ما- بشكل جيد ومعبرة عن المواقف والشخصيات وكل وما يتصل بخصائص عالمها الروائي. واللغة عندها اقرب إلى «لغة الصحافة اليومية» تجمع بين السلامة واليسر إلى حد كبير .

### ثالثا : الحوار :

في أثناء السرد يتوقف الراوي عن عمله ويترك الشخصية تعبر عن ذاتها وينقل لنا كلامها . وهذا ما يسمى بالحوار الذي يعدّ من أهم الوسائل التي يعتمدها الكاتب في رسم الشخصيات وإحيائها، ويكشف الحوار كذلك الكثير عن الأحداث ، ويعدّ الحوار من أهم عناصر البناء الروائي. وقد يستخدم الحوار أحيانا في تطوير الأحداث، واستحضار الحلقات المفقودة منها ، إلا أن عمله الحقيقي في القصة هو رفع الحجب عن عوطف الشخصية ، وأحاسيسها المختلفة ، وشعورها الباطن تجاه الحوادث أو الشخصيات الأخرى، وهو ما يسمى عادة بالبوح أو الاعتراف على أنه يكون بطريقة تلقائية . تخلو من التعمد والصنعة والرهق والافتعال<sup>(3)</sup>.

ويطغى الحوار على السرد من حيث الحجم في روايات الكاتبة ، حيث تستخدمه بصورة كبيرة في فصول رواياتها، مما يجعل الأمر غير متعادل عندها ، فالحوار يمثل الجزء الأكبر من لغتها، لأنها تعالج به قضايا موضع جدل، كما تنقل من خلاله الوضع الاقتصادي

(1) الاتجاه الواقعي في الرواية العربية الحديثة في مصر ، د/ حلمي بدير - ص 192

(2) انظر المرجع السابق ، ص 194

(3) فن القصة د/ محمد يوسف نجم ص 118

والاجتماعي والسياسي داخل المجتمع السوداني، وما يلزمه من تغيير. والتشبه بالحوار من جانب الكاتبة ينم عما «يضطرب في أعماق المجتمع من تحول وانطلاق نحو أفاق جديدة، ومسارات تساهم في تغيير المصير»<sup>(1)</sup>. ثم ان كثرة الحوار يحمدها لأنها تضيف إلى البناء الفني حيوية وواقعية. وسوف يدرس البحث الحوار من منظور لغوي، فيقوم أولاً بدراسة علاقة اللغة بالشخصيات المختلفة، وثانياً: دراسة مستويات اللغة «الفصح والعامي».

## علاقة لغة الحوار بالشخصيات :

للحوار أقسام داخل النص الروائي ، فهناك الحوار الثنائي الذي يكون بين شخصيتين، وهنالك الحوار الجماعي الذي يشارك فيه أكثر من شخص ، وهنالك الحوار الأحادي الذي تحدث فيه الشخصية مع نفسها وهو ما يطلق عليه المنولوج الداخلي «المناجاة الذاتية» كما أطلق عليه بعض النقاد«تيار الوعي». ونسبة لطغيان الحوار في روايات الكاتبة، فسوف يتناول البحث دراسة كل قسم من هذه الأقسام منفرداً حتى يقف البحث على تعدد وجهات النظر داخل الروايات، والصراعات الخفية التي نشأت عنها. وكذلك يقف على مواطن الجودة والضعف داخل الحوار، ومدى علاقته بالشخصية والتعبير عنها.

## 1. الحوار الثنائي :

وهذا الحوار يكون بين متحاورين. وقد يكون مباشراً بين الشخصيتين وجه لوجه دون تدخل من الراوي «السارد»، وهنا يكتشف القارئ ظروف الحوار وملابساته ويحكم على شخصية قائله. وقد يتدخل السارد ويكون هو الطرف الثالث الذي ينقل الحوار ويعلق عليه، أو على بداية المشهد الحواري، ويحدد الراوي هنا الوضع النفسي لشخصية قائله، ويقرر صورته الشخصية .

ومن نماذج هذا الحوار الثنائي في رواية «الاختيار» حديث المسرة مع أختها آسيا بطلة الرواية، ويعد هذا المشهد الحواري من أطول المشاهد الحوارية داخل الرواية، حيث اتخذ حوالي سبع صفحات تقريباً . ناقشت فيه الكاتبة معاناة المرأة مع الآخر، ودور الآخر في تلوين الحياة بمآسي عديدة، من خلال التفاوت الاجتماعي . فلنأخذ جزئية من هذا المشهد الحواري الطويل الذي يوضح هذه المعاناة:

« اعذريني آسيا..أمتك بمأساتي..لكن لمن أقول كل هذا؟ أحس أنني سأنفجر ، استهلكت طاقتي أخذت فوق احتمالها ... صار يعتمد أن افهم أنه على علاقة بأخرى ..يعتمد أن افهم أنه خارج للقاء امرأة يسعده لقاؤها..يعتمد أن افهم أنه راجع من لقاء امرأة أسعده لقاؤها..وبداً عقلي يخرج وراءه ويقضي ساعاته السعيدة...وصارت عيوني تتبعه...احتار آسيا

(1) فن الرواية في الأدب العربي السعودي المعاصر، د/ محمد صالح الشنطي ، ص 38

حياتي صارت رحلة شاقة في صحراء لا أعرف لها حدوداً أو اتجاه وأنا بلا بوصلة ولا رفقة أو زاد»<sup>(1)</sup>.

اعتقد أن حرارة المعاناة التي قد تكون حقيقية أو متخيلة، قد شكلت مصدراً أساسياً لهذه اللغة الحساسة، إلى درجة يتساءل معها المرء هل تكتب زينب بليل تجربة قريبة منها؟، أم أنها تكتب معاناة كل امرأة يخونها زوجها، فليس من الضروري أن تكون هذه المعاناة حقيقية بل قد تكون متخيلة، ولكن المهم أن يستطيع «الكاتب تحويل هذه التجربة الخاصة تحويلاً إبداعياً، أي تتحول من إطارها الخاص الذي يدور حول الذات، إلى تجربة عامة تخفق بهم إنساني يحرك الوجدان في أي زمان ومكان، عندئذ تكسب الرواية مشروعيتها الفنية لدى المتلقي»<sup>(2)</sup>.

والحوار بين آسيا والمسرة رغم طولها إلا أن الكاتبة وظفته توظيفاً جيداً بحيث لا يحس القارئ معه بالملل، فقد عبرت من خلاله عن هذه المعاناة التي جعلت القارئ يتعاطف مع الشخصية. فإحياناً الإطالة في الحوار غير الموظف التي لا تعكس بشكل أو بآخر أحداث الرواية أو الكشف عن الشخصيات، قد تضعف من فنية الرواية وتعدّ حشواً حوارياً. وتلجأ زينب بليل إلى المشاهد الحوارية الطويلة أحياناً، خاصة عندما تعرض مشكلة أو تناقش قضية ما، كما في «نبات الصبار» حيث نلاحظ هذه الحوارات الطويلة التي تبث أفكارها من خلالها، ومن نماذجها الحوار الذي دار بين خديجة البطلة وأحمد ص 86-89 والذي ناقشت من خلاله الأوضاع المتردية للأطباء والمحسوبة، وبعض القضايا من وجهة نظرها، وقد اتسمت لغة الحوار بينهما بالتقريرية والخطابية، وهذا مما يسوء للرواية، لأن الحوار «يجب ألا يطول أكثر من اللازم حتى لا يصبح كله ذا نبرة إعلامية خطابية، فهذا الأمر غير مقبول في العمل الروائي ولا يتناسب معه فمكانه الصحافة، لأن الحوار يجب أن يكون خفيفاً ومعبراً وتلقائياً بعيداً عن الطول والثقل اللذين يجلبان الملل»<sup>(3)</sup>.

وهنالكَ أمثلة كذلك للحوار الثنائي الطويل الذي يبرز مناقشة الكاتبة لقضية فكرية وسياسية اختلفت وجهات النظر حولها، وهو الحوار الذي دار بين بدرية وحسين في «الاختيار»:

« - بدرية ..أنا اتفق معك في كل أمانيك وأرجو أن نحققها ونعيشها سوياً .فقط نحن نختلف في أمور سياسية .

(1) رواية الاختيار ، ص 131

(2) الخطاب القصصي د/ماجدة حمود - ص 141 .

(3) صورة الرجل في القصة القصيرة في المملكة العربية السعودية ، د/ منال عبد العزيز العيسى ، ص 451 .

- لكن «اختلاف الرأي لا يفسد للود قضية».....
- أخاف ألا يكون اختلافنا في الرأي فقط .. يبدو أننا نختلف في ما هو أهم من ذلك. اختلافنا يبدو في الفكر والمبدأ والعقيدة. هل من الممكن أن تعيدي النظر؟ وتحاولي في هدوء وموضوعية أن تري جوانب السلب؟.....
- لماذا تعتقد أنني مخطئة لماذا لا تحترم مبدئي كما احترم مبدئك؟
- حتى الآن لا اعرف ما هو بالضبط مبدئك . ألا تعرفين الله يا بدرية؟
- ليس كما تعرفه أنت.
- كيف تعرفينه؟
- اعرفه في الخير عندما يعم .. في العدل عندما يسود .....
- افهم أنك غير مسلمة .
- هذه أنا وعليك أن تضعني في ما انتمي حسب علمك»<sup>(1)</sup>.

نلمس من خلال هذا الحوار الجدل بين فكرين، فاللغة الحوارية ناضجة تمثل لغة الكاتبة المثقفة وفكرها، والتي تقدمها لكي يستطيع المتلقي الاطلاع على أهم الأفكار والمفاهيم التي عرفتها الكاتبة، وقد أسقطت الكاتبة وعبها السياسي والديني والاجتماعي على شخصياتها، من خلال المقاطع الحوارية في رواياتها. وهذه النماذج السابقة، توضح الحوار الثنائي الذي لا يتدخل فيه السارد بالتعليق أو السرد، بل يكون الحوار مباشر بين الشخصيتين. أما من نماذج الحوار الذي يتدخل فيه السارد هذا الحوار:

«رد حمدان وكأنه يبكي :

- نان هي كل يوم بتساقق بتشوف منو؟
- قالت المرأة في زهو المدرك لبواطن الأمور:
- لالا يا حمدان اخوي.....
- سأل حمدان وابتسامة على جانب فمه:
- وده بيدخلوا ليه كيفن؟»<sup>(2)</sup>.

ونلاحظ هنا تدخل الكاتبة وتعليقها على وضع الشخصية وحالتها النفسية في الرد على الحوار وتبادلها بين المتحاورين. وفي هذا النوع من الحوار، يتضح رسم المشهد الحوارى بعناية من جانب الكاتبة ، خاصة في التمهيد له من اجل إبراز الحالة النفسية للمحاور مثال التقديم قبل الحوار السابق بالعبارات « كأنه يبكي- وابتسامة على جانب فمه- قالت

(1) رواية الاختيار ، ص 52.51.

(2) رواية الاختيار ، ص 10

في زهو» أو غيرها من العبارات التي تقدم بها حواراتها مثل «تنظر إليه بعينين ذابلتين، يضيف والألم يملأه، نظر إليها باسماء.. الخ» فالعناية بالمشاهد الحوارية التي تشكل محور الرواية الهدف منها إضفاء المصدقية الواقعية على الفضاء الروائي. كما أن استخدام الكاتبة لكلمة «قال» أو «يقول» قبل بعض المقاطع الحوارية يعتبر من لوازم القصة الشعبي.

## 2. الحوار الجماعي :

هو الحوار الذي ينشأ بين شخصيات عديدة. تتعدد فيه وجهات النظر، وتورد من خلاله الأفكار المختلفة، وهو يماثل الحوار الثنائي من حيث إمكانية وجوده منفردا، أي تحاور الشخصيات مع بعضها البعض، دون تدخل من السارد، أو بوجوده مع تعليق السارد عليه. ونجد أمثلة كثيرة للحوار الجماعي داخل الروايات، وقد يكون ذلك الحوار موظفا لخدمة الرواية وأحداثها، «وقد يكون مفروضا على الحدث فرضا لأن الكاتب يريد أن يخبر بأشياء لا يتطلبها الحدث، بل يخبر عن معلومات أراد توصيلها»<sup>(1)</sup>. ومن نماذج الحوار الجماعي الموظف في «الاختيار»، الحوار الذي دار بين مجموعة من الشباب أبان الانتخابات، بعد مشاهدتهم أفلاما لمدين متطورة توجد فيها جميع سبل الراحة والعيش الكريم، والحوار يناقشون من خلاله كيفية التغيير للأحسن، حتى يواكبون العالم المتحضر:

«وبدؤوا يتساءلون:

لماذا نحن؟

- لكن الأصابع ليست متساوية .

الكفار جنتهم الدنيا .

لكن الله قال تمتعوا ولم يأمر بالجوع ولا الانكسار.

لكنه قال (فضلنا بعضكم على بعض).

أمعقول أن يفضل الكفار؟ نحن فقط لم نفكر.

لمن الآية الكريمة (كلوا من طيبات ما رزقناكم).

لكن للصابرين جنات تجري من تحتها الأنهار.

ليس الصابرين على الذل بلا مبرر.

السماء لا تمطر ذهبا ولا فضة.

لا يغير الله ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم»<sup>(2)</sup>.

فالحوار الجماعي هنا يوضح وجهات النظر المختلفة، والافتناع في النهاية، وقد

(1) الاتجاه الواقعي في الرواية السودانية الحديثة، د/ بشير عباس بشير، ص 285

(2) رواية الاختيار، ص 71.

راعت الكاتبة هنا تركيز الحوار وتكثيفه عبر إيراد الأفكار المختلفة فيه، ووجود لغة للتناقض أو الصراع بين الأفكار المختلفة. وقد وظفت الكاتبة هذا الحوار لطرح أفكارها ومناقشتها، على لسان شخصياتها. وهنالك نماذج من الحوار الذي لا يقوم بدور في تطوير الحدث ونموه، وهو الحوار الذي دار بين أولاد الملك، وهم على صينية الإفطار في «كش ملك» وكثير من هذا الحوار غير موظف بل هو أثرية عادية كالتالي نجدها في الحياة اليومية :

«- والله شيء خارب الدنيا غير النسوان ما في.

يا ولد...امشي جيب عصيدة ثاني وملاح.

ما الخاربات الدنيا ديل هن البسون العصيدة والملاح.

يا أخي ما يسونها.. ما عاوزنها. نأكل من السوق .....

ما بدري يا أخي ..ولا زي ما بقول المثل«السمح مو أكال».

الحمد لله.. شبعت والله. اللهم زدها نعمة وأحفظها من الزوال»<sup>(1)</sup>.

فالحوار هنا لا يكشف شيئاً عن طبيعة الشخصيات ولا ينمي الحدث أو يطوره. «فالحوار ليس تبادل كلمات بين الشخصيات، وإنما هو أسلوب له وظائفه الفنية، ومن أجل الحرص على فنية الحوار وجودته لأبد من الانتقاء بحيث يتفادى الكاتب الوقوع والانسياق وراء الحوار السهل اليومي»<sup>(2)</sup>. كما أن الحوار هنا أتي مثقلاً بنقل تفاصيل الواقع، فالكاتبة تحكي الشيء كما حدث في الواقع بتفصيلاته الدقيقة، وهذا يعد من عيوب الحوار، لأن «واقعية الحوار لا تعني نقل الواقع كما هو، وليس من معاني الواقعية النقل الحرفي للواقع ومحاكاته، بهذه الصورة، التي يصبح معها الحوار عملاً مملاً»<sup>(3)</sup>. فهو لا يخدم الرواية في شيء.

### 3. الحوار الّ حادبي :

هو الحوار الذي تتحدث فيه الشخصية مع نفسها، فيترك الكاتب الشخصية تعبر عن ذاتها وأفكارها. من دون أن يتدخل، وذلك من خلال الخطاب غير المباشر. وتستعين الشخصية بهذا الخطاب حين لا تعلن مباشرة إظهار الحقيقة. وقد ظهر هذا الحوار عبر أسلوب التداعي الحر أو أسلوب تيار الوعي الذي حوي أساليب سردية حديثة ، منها المنولوج الداخلي والحلم والاسترجاع»<sup>(4)</sup>.

(1) كش ملك ، ص 74،75.

(2) الاتجاه الواقعي في الرواية السودانية الحديثة ، د/ بشير عباس بشير ، ص 281.

(3) انظر المرجع السابق ، ص 261

(4) وسوف نتناولها بالتفصيل في عناصر الرواية الفنية ضمن التقنيات الحديثة .

## أولاً : النزاع حول لغة الحوار:

أن التركيب اللغوي أمر أساسي في الرواية ، فمضمون العمل القصصي لا ينفصل عن لغته، فالرواية كما نعلم هي «اللغة»، والكاتب في عمله الأدبي يتوجه إلى الناس عموماً، فيعالج قضاياهم ويستمد من الحياة معرفة بجانب من أسرارها. ويستعين بكل الفاظ اللغة ليعبر عن عمله الأدبي. واللغة لا تكتفي بالقول والتعبير بل تهدف إلى التأثير في القارئ، لذلك لا بد أن تناسب اللغة القراء. ولكن كيف يكون هذا التناسب هل باللغة العامية أم الفصحى، وهل العامية في جميع لغة الرواية سرداً وحواراً أم حواراً فقط.

ونسبة لكل ذلك فقد نشأ نزاع حاد بين «الأدباء والنقاد حول الكتابة بالعامية في القصة والمسرحية، بل وكتابة الأدب عامة، واستقر النزاع أو أوشك أن ينتهي إلى إقرار العامية في المسرحيات المحلية وحوار القصص الواقعية، واتخذت الكتابة بالعامية اتجاهات مختلفة. أما الاتجاه الأول فهو أن يبني المؤلف قصته باللغة الفصحى ويجري بها حواراً بالعامية، لكي يعبر عن اللهجة الطبيعية للأشخاص، والاتجاه الثاني أن يبني الكاتب قصته ويجري حواراً باللغة الفصحى.

ويرى النقاد أن عيوب هذا الاتجاه أن الحوار يبدو أحياناً وكأنه غير مقنع على لسان الشخصيات التي تجريه، خاصة إذا كانت لغة الحوار تسمو بأفكار وعبارات لا تناسب الشخصية وليست من واقعها ، ويخيل للقارئ أن الذي يتحدث هو المؤلف نفسه ، وأن الشخصيات ليست إلا دمي ببغاوية تنطق بما تلقن ولا تدري ما تقول، وهنا يبدو التكلف والتصنع. والاتجاه الثالث يميل إلى إنشاء لغة وسط بين العامية والفصحى فهي عامية مفصحة أو فصحى مبسطة»<sup>(1)</sup>.

ظاهرة استخدام الحوار العامي في الأدب ليس جديدة، بل نجد لها جذور في العصور الماضية، حيث ظهرت قديماً عند «كتاب القرن التاسع عشر أمثال دكينز وغيره ، ولكن ازداد استخدام الحوار العامي في العصر الحديث زيادة كبيرة، وذلك لسببين أولهما : ما طرأ على بناء القصة نفسها من تطور، حيث أصبح الحوار أكثر تعبيراً عن الخواطر والانفعالات التي تدور في نفوس الأشخاص، أما السبب الثاني: وهو ما طرأ على المجتمعات من تطور اجتماعي كبير، جعل للفرد العادي والمجتمعات الدنيا شأناً كبيراً ، فإزداد الاهتمام بتصوير مشكلات هذه الطبقات، وتحليل مستويات أفرادها، وكان من الطبيعي لذلك أن يكثر من الحوار العامي لأن هؤلاء الأفراد عادة يعرفون أسلوباً متميزاً من الحديث يعين القارئ على

(1) دراسات في القصة العربية الحديثة د/محمد زغلول سلام ، ص 159

استحضار صورهم المادية والنفسية. وبناء على ذلك ينتفي الصراع بين العامية والفصحى لأن الدافع الفني هو الأساس في استخدام الحوار، أو تحديد لغته»<sup>(1)</sup>.

ومن المفترض أن لا تدخل العامية في الأسلوب القصصي، إلا في المواقف الحوارية، لأن أساليب السرد المختلفة التي يلجأ إليها الكاتب، في عرض قصته ووصف أحداثها وشخصياتها لا تحتاج منه أن يحدث قراءه بلغة عامية. وإذا اضطر لذلك فيمكن أن يضع الكلمة العامية في السرد بين قوسين. أما في مجال الحوار فنجد أكثر الكتاب يلجئون إلى اللغة العامية إمعاناً في مزيد من الصدق والواقعية. «ولكن اجمع كثير من النقاد على أن بعض الروائيين اللذين يديرون حواراتهم بالعامية، لا يحترمون كثيراً قواعد النحو ولا يراعون مبادئ البلاغة»<sup>(2)</sup>.

ولكن بالرغم من ارتضاء العامية لغة للحوار، لدى أغلب النقاد والكتاب، إلا أن هناك كثيراً من المشكلات التي تواجه هذا الحوار. فالمشكلة الأهم تكمن في عدم إمكانية فهمه خارج حدود البيئة التي جاء بلهجتها، ومن ثم يعطل جزءاً مهماً من أجزاء الرواية عن العمل، ويفقد أهميته ودوره بالنسبة للقارئ، الذي لا يفهمه، وربما اعرض عن الرواية كلها. خصوصاً إذا كان مثل هذا الحوار يشغل مساحة كبيرة منها، ويؤدي دوراً في تطوير الأحداث. لذلك فإن كتابة الحوار بالفصحى تجعله قادراً على تجاوز الحدود الإقليمية. كما أن استخدام الحوار بالفصحى يتيح للكاتب تناول القضايا العربية والقومية والسياسية والاقتصادية، ولا يقتصر على القضايا الاجتماعية فقط. ولكن رغم ذلك فإن كثير من الروائيين العرب، مقتنعون بأن الحوار العامي أقرب إلى الواقعية من الحوار بالفصحى»<sup>(3)</sup>. ولعل أهم ما يميز الرواية الواقعية أساليب الروائي التي تحتوي على أساليب التعبير العامية.

ومن أهم المشكلات التي تواجه الحوار العامي كذلك طبقات القراء وبيئاتهم التي تمنع بعض الكتاب من اصطناع مثل هذا الحوار. لاختلاف العامية في الوطن العربي عامة، وفي الوطن الواحد بصفة خاصة. حيث تتعدد اللهجات داخل الوطن الواحد، مثل السودان، الذي تتباين فيه اللهجات وتختلف، ويؤدي الحوار العامي في مثل تلك الحالات، إلى بلبلة وسوء فهم للقصة أو الرواية.

## ثانياً : مستويات لغة الحوار :-

«تبدو مهمة الروائي صعبة في اختيار مستويات مختلفة للغة التي يعالج بها مواقفه وشخصياته، فلا بد أن يلتزم الروائي طبيعة الشخصية والموقف الذي يصوره ويعبر عنه، حتى

(1) انظر الاتجاه الواقعي في الرواية السودانية الحديثة، د / بشير عباس بشير، ص 281، 282.

(2) دراسات في القصة العربية الحديثة /د/محمد زغلول سلام، ص 107

(3) انظر البطل في الرواية السعودية، د/ حسن حجاب الحازمي، ص 459

تظهر اللغة أكثر مسaire لطبيعة الشخصية والتعبير عنها»<sup>(1)</sup>.

وإذا أردنا أن نوضح لغة الرواية عند زينب بليل نجدها تقوم على ثنائية وازدواج، حيث نجد مستويين لغويين: مستوى أدبي فصيح. ومستوى عامي خاصة في الحوار. والمستوى العامي نجده عندها على ثلاث مستويات:  
الأول: العامية.

الثاني: العامية الممزوجة بالفصيحة.

الثالث: الفصيحة الممزوجة بالعامية.

ولكن هذه المستويات متداخلة مع بعضها البعض ولا يمكن الفصل بينها كل على حدا. وسوف تتناول الدراسة تلك المستويات بالشرح والمناقشة، وتقف على أهم استخدام تلك المستويات .  
**أولا : العامية:** حيث يختلف المستوى اللغوي في الحوار عادة باختلاف الأشخاص، فلكل شخصية حسب ثقافتها مستوى لغوي يتناسب معها. وهذا ما يميز روايات زينب بليل، إذ تقدم كل شخصية حسب اللغة التي تناسبها، فتتنوع عندها الرواية، والتنوع في الرواية يعني به «التعدد في اللغة وفي أصوات الشخصية الروائية، فيصبح لكل شخصية لغتها الخاصة التي تتناسب مع عمرها الزمني ووضعها الثقافي والاجتماعي. كما أن من حق أي شخصية أن تقدم وجهة نظرها الخاصة التي تدافع عنها وتقيم عليها أسس حياتها»<sup>(2)</sup>.  
والتنوع اللغوي في روايات الكاتبة، يؤكد أنها تحاول أن تتقمص في كل مشهد من مشاهد الرواية الشخصية فهي تتكلم بلسان الجدة والام في «الاختيار» مثال لذلك:

« قالت الجدة بنفاذ صبر:- تشتري طيارة؟ أول أكلوا واشبعوا واشتروا ليكم هدوم يسترنكم، بعدين اشتروا الطيارات. اللماضة وقلعة الأدب . الله يعلکم وينعل مدرستكم يا قليلين الأدب. كفى اسكتوا»<sup>(3)</sup>. والحوار هنا بالعامية المستوى الأول الذي يناسب شخصية الجدة في مفرداته التي لا تبعد أن تكون متداولة، اقرب إلى الشعبية ، وهي لا تصدر عن الكاتبة بل تنطلق بسهولة من الشخصية. وغودج آخر لحوار الأم :

«- الله قادر، دحين دي مغصة بتنحمل ؟ والله الواحدة كان راجله يموت في التراب ..أحسن ليها ألف مرة من يعرس فيها. الواحدة تقولي رشيتها بجاز وحرقتها وهي واقفة على طولها ..الضر ؟ الله لا وراك ليه»<sup>(4)</sup>.

(1) الشخصية وأثرها في البناء الفني لروايات نجيب محفوظ ، د/ نصر محمد ابراهيم ، ص 262

(2) الخطاب القصصي النسوي، د/ ماجدة حمود ، ص 143

(3) رواية الاختيار ، ص 1

(4) المرجع السابق ، ص 117 .

فاللغة هنا تناسب الشخصية ، وتناسب مع وضعها الثقافي، فزينب بليلى يمكن أن نعدّها من الكتاب اللذين انطقوا شخصياتهم في أغلب مواقف الحوار والمناقشة بلهجتهم الطبيعية الخاصة . فتعددت اللغة عندها حسب الشخصيات. ولكن هذا لا يمنع أن تكون للكاتبة كبوات في هذا الجانب، مثل لغة «ياسمين» في «كش ملك» والتي لا تناسب عمرها المبكر في بعض الأحيان مثال لذلك حوار ياسمين مع جدها البحر»<sup>(1)</sup>.

فاللغة فيه لا تناسب طور الشباب، بل هي لغة حكيمة تناسب الشيخوخ. لذا لا نستغرب لغة المواعظ التي لاحظناها في ثنايا رواياتها على لسان ياسمين أو عثمان خطيبها في «كش ملك» أو المسرة وإخوتها في «الاختيار»، أو خديجة وأصدقائها في «نبات الصبار». ومثال لذلك، الحوار الذي دار بين خديجة وصديقتها سوسن :

- أحمد ما غبي يا خديجة .

- أكيد ما غبي .

كيف يبيع بيتهم ويترك أمه بلا مأوى من أجل وظيفة غير مضمونة؟ يبحث عن الأمان عن الأفضل والأكرم ونحن واقعنا قاهر يا سوسن وغدنا مجهول ووسائلنا بدائية في عالم يطير بأجنحة من فولاذ.

غلطان . لمتين نحتمي بالآخرين ومنتظرهم يحققوا لنا أحلامنا.

أحمد مسكين هزيمته مبررة..لم يجد أمامه مثلاً يحتذي به، لم يعلمه أحد بأنه يلزمنا أن نؤمن بأننا أقوى من العثرات التي تعترض طريقنا»<sup>(2)</sup>.

فهذه اللغة هي لغة الكاتبة نفسها. حملتها شخصياتها وبثت من خلالها آرائها وأفكارها «والكاتب في الحوار لابد أن يوفق بينه وبين شخصياته من ناحية، وبينه وبين أفكاره من ناحية ثانية ، كما يجب على الكاتب تحميل الشخصيات أفكاره في أسلوب يتناسب مع واقعها، بحيث لا يصبح ناشزاً لا يعبر عن إمكانياتها الفكرية»<sup>(3)</sup>. وهذه الشخصيات السابقة جميعها على قدر كبير من العلم والفكر، وحوارها يناسبها، ولكنه لا يتناسب مع عمرها .

## ثانياً: العامية الممزوجة بالفصيحة:

إن هذا التعمد في المستوى الحوارى من قبل الكاتبة، ينم على أن الروايات تقوم على تعدد الأصوات ، وبالتالي تعدد وجهات النظر، التي تنشئ بدورها نوعاً من الصراعات الخفية والعلنية التي تضيء الحيوية وتشد القارئ على تتبع الرواية. وغالباً ما تكون

(1) رواية كش ملك ، ص 135 .

(2) رواية نبات الصبار ، ص 113، 114 .

(3) الاتجاه الواقعي في الرواية العربية الحديثة في مصر ، د/ حلمي بدير ، ص 142

هذه الصراعات باللغة العامية الممزوجة بالفصحى. فالكاتبة لا تصطنع منهجا واحدا في لغة الحوار، فهو فصيح ينافس لغة السرد في فصاحته وجزالته وقوته تارة، وهو عامي يمثل الحديث اليومي المعتاد في اعتاقه من كافة القیود اللغوية تارة أخرى. فتختار الكاتبة الفصحى حينما يكون الحوار حول قضايا فكرية أو سياسية بين شخصيات مثقفة، مثل الحوارات التي دارت في «الاختيار» بين «الطاهر وليلى» حول قضية «التفارق الطبقي» و بين «حسين وبدرية» حول «الانتماء الديني والسياسي». أو الحوارات التي دارت في «نبات الصبار» بين «احمد وخديجة» أو «خديجة» وأصدقائها حول الأوضاع الاجتماعية المتردية. وقد دار النقاش بين تلك الشخصيات بلغة فصیحة راقية - لغة الكاتبة- تعكس ثقافة الشخصية ووعيتها وقدرتها على النقاش والإفناع إلا أن الحوار في بعض الأحيان طال حتى استغرق عدداً من الصفحات. ومن الملاحظ على هذه الشخصيات التي تتكلم بهذه اللغة الفصحى، هي نفسها التي سبق وتحدثت بالعامية في مواضع أخرى، وأمثلة هذا الحوار كثيرة في الروايات. ومن نماذجه في «الاختيار» الحوار الذي جرى بين الطاهر وليلى :

«- عماذا تتكلم؟»

- ليلى ..أنت ابنة وحيدة لرجل غني جدا ..أب أعطاك في سخاء..وأنا ابن بين سبعة أخوة..نشأت في بيت كبير يضم اثني عشر شخصا..نجتمع كلنا حول صحن واحد نأكل منه.. سأظل طوال عمري مرتبطا بهؤلاء الذين أكلت معهم من ذاك الصحن،ارتباطي بهم ليس هو العلاقة العادية التي تربط الإنسان بأهله..شعوري نحوهم هو الانتماء الحقيقي»<sup>(1)</sup>.  
نلاحظ على اللغة هنا أنها فصیحة، لأن الشخصيتين في مستوى ثقافي وفكري واحد. ثم أن الحوار يناقش قضية الغنى والفقر، والصراع بين الطبقات، فالموقف يستلزم أن يكون الحوار فصیحا. بخلاف مواقف أخرى لنفس الشخصيات مع شخصيات أخرى، تتحدث باللغة العامية. مثال لذلك الحوار الذي جرى بين الطاهر وأخواته:

«- الطاهر جبت لبنا معاك فواكه؟»

- الطاهر بتاكلوا شنو هناك؟

- الأكل هناك ما لذیذ؟

- كيف ياخ ما بتاكلوا رغيف؟

- ايوه ..لكن..هه..والله عصيدة أمي باللبن ما في أحسن منها.....»<sup>(2)</sup>.

فهذا الحوار اجري بالعامية، لأنه استخدم في الأجواء الأسرية بالرغم من أن المتحاورين

(1) رواية الاختيار ، ص 45 .

(2) المرجع السابق ، ص 13

جميعهم متعلمون. فالكاتبة إذن لا تلتزم أسلوبا واحدا في كتابة الحوار بالنسبة للشخصية الواحدة، فهي تارة تجعلها تنطق بحوار فصيح وتارة تجعلها تتحدث بلغة عامية. إذ تنطق الشخصية بالعامية عندما تكون مع أسرتها» أمها، أختها، وأبيها» أو مع شخصية مستواها الثقافي منخفض، أما عندما تتحدث بالفصحى فإن الحديث يكون مع زملائها في الجامعة أو في نفس المجال أو مع شخصية ذات مستوى ثقافي عال.

ونستعرض نموذج آخر من نماذج ذلك الحوار المتنوع، وهو حوار خديجة بطة «نبات الصبار» فمرة أجرت الكاتبة الحوار باللغة الفصحى بين خديجة و أحمد خطيبها وزميلها في مهنة الطب، ومرة أجرته باللغة العامية بين خديجة وخالتها الأمية «بخيتة»، ومثال للأول:

« أحمد منذ أول لقاء لنا في الكلية، لم نفترق منذ ذاك اللقاء..حتى في الإجازات..فكرنا في كل شيء معا وقررنا تحقيق الحلم معا.....وكم كان جميلا ومثيرا ومشرقاً ما كنا نتحدث فيه»<sup>(1)</sup>.

أما مثال للحوار العامي حوار خديجة وخالتها :

« قالت خديجة أنا عندي مشكلة يا بخيتة وما عارفة ليها حل ..احكي لي عن حياتك كلها البتتذكيره كلو أمكن من حياتك القى حاجة تشبه حياتي والقى الحل، أمكن الشفتيه في عمرك يكون درس مفيد لي»<sup>(2)</sup>.

فنلاحظ هنا الفرق بين الحوارين، ومناسبة كل حوار لموقفه والشخصية المتحدث معها، فالكاتبة تفعل الحوار على حسب المناسبة التي قيلت فيه، لأنه في بعض المناسبات يكون استخدام العامية أكثر دلالة على الشخصية والبيئة والمناسبة، وأكثر تأثيراً في نفس القارئ، ولكن ليس بهذه الصورة من الارتباك. ويبدو قصر الحوار العامي على الأسرة والفئات غير المتعلمة - من قبل الكاتبة- حرصاً على الواقعية، لأن لا أحد يتكلم مع أسرته بالفصحى. ولكن الواقعية ليست نقلاً حرفياً للواقع، ولو كان الأمر كذلك لم تكلم أحد مع زملائه بالفصحى أيضاً، فلماذا اختارت الكاتبة لهؤلاء الحديث بالفصحى ولؤلئك الحديث بالعامية، هل لأن الزملاء مثقفون؟ فالأخت أيضاً مثقفة، والأخوان مثقفون. وهذا لا ينطبق على الرواية الواقعية «الروائي الواقعي حواره أكثر ملاءمة مع طبيعة الموقف من ناحية ونفسية المتحاورين من ناحية أخرى، وكذلك نجد أسلوبه يميل نحو التركيز والتحديد في

(1) رواية نبات الصبار ، ص 87 ،

(2) المرجع السابق ، ص 139 .

التعبير، فهو يعبر عن طبيعة الموقف ومنطق الشخصية»<sup>(1)</sup>. وليس مثل الارتباك اللغوي الذي حدث عند كثير من الشخصيات، فهو ينم عن عدم تخطيط وتناسق للغة الحوار، التي تأرجحت بين العامية والفصيحة.

وهذا الارتباك اللغوي أثناء الحوار لا يقتصر على الشخصيات المثقفة بل نلاحظه أحيانا أثناء الحوار الذي نسمعه من الشخصيات «الأمية» كذلك فهو تارة بالعامية وتارة باللغة الفصيحة « لغة الكاتبة» أو القريبة منها، ونجده بصورة كبيرة في «نبات الصبار» عند «الحسين»، أو في «الاختيار» عند «البحر». فهي تقحم أفكارها على الشخصيات التي لا تفهم هذه الأفكار ولا تعيها، فيبدو مضمون حديث الشخصية ارفع من مستواها. وهذا الارتباك الحواري لم ينتف حتى مع الشخصيات المثقفة وعلى قدر كبير من التعليم العالي، مثل دكتور «خالد» في «نبات الصبار». و«علي وحسين» في «الاختيار» و«أحمد والمملك» في «كش ملك».

فالحوار عند هذه الشخصيات يأتي أحيانا عاميا أو قريب من العامية حتى ان كانت الشخصيات المثقفة تتحاور مع بعضها البعض، مثال لذلك حوار دكتور خالد وخديجة في «نبات الصبار»<sup>(2)</sup>. حيث اجري حوار الشخصيتين بالعامية أو القريبة منها بالرغم من أنها شخصيات مثقفة، والملاحظ أن اللغة عند دكتور خالد دائما اقرب إلى العامية منها إلى الفصحى خاصة حديثه مع زوجته خديجة. وهنالك بعض الشخصيات المثقفة أتى الحوار عندها بلغة فصيحة حتى المثل الشعبي يأتي على لسانها بالفصحى وخاصة أثناء حوارها مع بعضها البعض، أما عندما يكون الحوار من شخصية مثقفة مع أمية فتتزل الكاتبة بالحوار ليتناسب مع الشخصية الأمية. فالكاتبة اقرب إلى «المزاجية» في لغة حوارها، وكل هذا يعد من سلبيات الحوار عند زينب بليل، فهي لم تنجح في الالتزام الكامل في لغة الشخصيات. ووقعت في ازدواجية لا مسوغ لها في كثير من المقاطع الحوارية، وفي بعض الأحيان تمزج بين العامية والفصحى في الجملة الحوارية الواحدة. ومثل هذه الازدواجية تفسد الحوار، وتشتت القارئ خاصة إذا كانت في حوارات متباعدة في أثناء الرواية.

### ثالثا: العامية الممزوجة بالفصيحة:

بالرغم من شيوع اللغة ذات المستوى الواحد، وهي اللغة العامية المفصحة في لغة الحوار في مختلف روايات الكاتبة، إلا أننا نلاحظ مستوى عامياً موعلاً في العامية، بل قد تنزل في بعض حواراتها إلى لغة عامية هابطة تحتوي على مفردات عارية ومكشوفة خاصة في

(1) دراسات في القصة العربية الحديثة د/محمد زغلول سلام، ص 253

(2) رواية نبات الصبار، ص 180، 181.

روايتها «نبات الصبار» في مواقف الشتم والسب ص«134،135،146»، حيث نجد هوة كبيرة في مستوى الحوار وكأن القارئ لا يقرأ في عمل واحد، بل يفاجأ بمثل هذه الألفاظ، ولست أجد مسوغاً لذكر مثل هذه الحوارات، فالكاتبة كان يمكن أن تستغني عن تلك الحوارات العامية الهابطة التي لم تضيف شيئاً إلى العمل، ولم تؤثر على سير الأحداث، وكان بإمكان الكاتبة تحويلها إلى ألفاظ أخرى أكثر لطفاً وتأديباً فتحفظ للعمل تماسكه. وربما قصدت الكاتبة جعل الموقف الذي قيل فيه أكثر واقعية.

ويبدو أن زينب بليل قد ركزت على العامية في لغة الحوار، حتى تتناسب مع شخصياتها البسيطة والمسحوقة غير المتعلمة. وهذه الفئة هي التي ناقشت قضاياها وحاولت أن تحل مشاكلها في جميع رواياتها. وربما اهتمامها بالحوار العامي كذلك، يرجع لرغبة منها في الاقتراب من الواقع السوداني، وتصويره والخروج به إلى جو الحياة الأدبية، باعتبار هذا الحوار صبغاً محلياً يكسب الأدب السوداني ذاتيته وشخصيته المميزة في الآداب العربية الحديثة. لذلك فإن الكاتبة أغرقت في لغة القريّة، واستعارت منها ما يساعد نماذجها البشرية ومعاشتها لمنطقها وفكرها، «وهو أمر قد يبدو سهلاً هيناً في نظر البعض، إذ لا يحتاج إلى قواعد أو العودة إلى أصول الكلمات واشتقاقاتها، ولكن صعوبته بالنسبة للكاتب تظهر في عملية الانتقاء التي تعترضه عندما يدير حواراً بين نماذج. فإنه مطالب بينه وبين نفسه والثقافة والذوق والمعاشية والملاحظة الدقيقة، ودلالة الكلمات وإحيائها دائماً بأن يبرر ما يختار ويدافع عما يدع. مستخدماً المعرفة والخبرة وعمقها أو سطحيها ومدى تأثيرها ومعناها»<sup>(1)</sup>.

إذن مخطئ من يظن ان اللجوء للعامية في الحوار أمر سهلاً وميسراً، «وذلك أن الكاتب يعتمد في معجمه على محصلته الفردية، لا على معاجم موضوعية يستطيع الاسترشاد بها وقتما شاء»<sup>(2)</sup>. ولقد استطاعت زينب بليل ان تُحمّل شخصياتها القدر الذي يناسبها من اللغة والحوار والكلمات، بحيث تصبح في النهاية جزءاً لا يتجزأ من تكوينها النفسي الداخلي، ويدل عليها دلالة واضحة.

وإذا أمعنا النظر في الأدب الروائي العربي بصورة عامة والمصري بصورة خاصة، نجد هناك كثيراً من الكتاب الذين اصطنعوا لغة العامية للحوار في رواياتهم وقصصهم. ولعل يوسف إدريس مثلاً يعد من أكثر كتاب القصة القصيرة والرواية ولوعاً باصطناع العامية ليس في الحوار فقط بل يتجاوزها إلى السرد، «فيحلو له ان يكتب فقرات من السرد بالفصيحة

(1) الاتجاه الواقعي في الرواية العربية الحديثة في مصر، د/ حلمي بدير، ص 279

(2) المرجع السابق الصفحة نفسها.

الممزوجة بالعامية ، وهذا ما يميز أسلوب يوسف إدريس في سرد قصصه»<sup>(1)</sup>، ونموذج من روايته « قصة حب» تؤكد ذلك» ومضى الشاب إلى وابور غاز برجلين اثنين. وكوز صفيح وابريق فخار كبير مملؤ بالماء. وعلبة سكر. واخرج من جيب بنطلونه باكو شاي نصف أوقية؟؟ وبينما كان يشعل الوابور سأله حمزة:

حد شجه؟..

ولا نفاخ النار..

فيه واحد كان مواعدي الساعة اثنين ودلوقتي وربع.. ما جاش يا حسن.

ما جاش.....

أنا موش مصدق..

ايه يا حسن...

أن هنعملو معسكر تدريب»<sup>(2)</sup>.

ونلاحظ هنا أن السرد يأتي بالفصحى الممزوجة بالعامية ونلاحظ كذلك عامية الحوار.

ونجد عند زينب كذلك مقاطع من سردها بالفصيحة الممزوجة بالعامية، ومن

نماذجها:

« في كل يوم لما يقطع الرجال الخور لأي سبب..... ويتبادلون التحايا والأطعمة وجرادل الماء من فوق الحيطان»<sup>(3)</sup>.

ونجد غير هذا النموذج استخدامها لبعض الألفاظ التي تدل على مدلولات معينة في اللغة العامية، مثل «فكي» التي تدل على الشيخ، «بنية» التي تدل على بنت وهي تصغير على سبيل التمليح. أما يوسف إدريس فقد اصطنع الحوار بالعامي كما لاحظنا من خلال النموذج السابق «ولعل حجته في ذلك أنه يضيف لمسة من الواقعية على حوار لاسيما فيما يتصل ببعض التعبيرات ذات الوظيفة الاجتماعية مثل لفظة «ماماتي» ودلالاتها على الطبقة الراقية»<sup>(4)</sup>. وزينب بلييل ويوسف إدريس، رغم ما يملكان من قدرة فنية وخيال وسعة تصور، إلا أن استخدامهما لإسلوب العامية المختلطة بالفصحى، أو الفصحى الممزوجة

(1) تحولات السرد دراسات في الرواية العربية د/ ابراهيم السعافين ص 81

(2) رواية قصة حب صدرت الطبعة الأولى في سلسلة الكتاب الذهبي ضمن مجموعة جمهورية فرحات ط الأولى روز اليوسف، القاهرة يناير 1956م ، ص 51

(3) رواية نبات الصبار ، ص 14.

(4) تحولات السرد -دراسات في الرواية العربية ، د/ ابراهيم السعافين ص 81

بالعامية، «يضيع علي القارئ أحيانا نعمة المتعة بجمال القصة. ويهدك فيها ويحط بك من علياء الفن إلى أرض العامية وليس اللغة فقط بل العبارة والفكرة»<sup>(1)</sup>. وقد عاب كثير من النقاد على يوسف إدريس استخدامه لهذا الأسلوب وعدوه من الضعف اللغوي، ومن أوائلك النقاد محمد زغلول سلام الذي عذره بقوله: «وقد نعذره لقلته محصوله في الأدب العربي القديم، الذي منعه أن ينمي قدرته التعبيرية، وذلك لا يعفيه من الذنب تماما، فإن كاتباً بالعربية لا يصح أن يختل أسلوبه، وقد اتفق نقاد القصة على أنه لا يمكن أن تكون القصة جيدة مهما كان مضمونها قويا أو جذابا إذا كان أسلوبها ضعيفا أو مهلهلا»<sup>(2)</sup>.

ونقطة أخرى نود الحديث عنها تتعلق بلغة الحوار في روايات الكاتبة، ألا وهي إيجابياته وسلبياته، وإن كان الجانب الإيجابي أكثر من السلبي، حيث بدأ الحوار في مجمله - سواء كان فصيحاً أم عامياً - خفيفاً وقريب الشبه إلى الحوار اليومي المعتاد، مما جعله يبدو طبيعياً وسط الرواية وغير متكلف. يضاف إلى ذلك أنه يركز على البساطة، وإن لم يخل في نفس الوقت من مسحة بلاغية لكنها بلاغة لم تأت لإضفاء مسحة الجمال التعبيري الآخاذ على الشكل فحسب، بل هي تخدم اللغة بغية توصيل إichاءات الألفاظ، ومن أمثلته في «نبات الصبار» الحوار الذي دار بين متحاورين بعد أن رقص «الفكي هارون» وهو أحد المريدين في «المسيد»:

« همس أستاذ إبراهيم لسالم الجزائر: هؤلاء الناس يعيشون الحياة. عندما تمر بهم. يسكونها ويستمتعون بها.. يعيشون كما خلقهم الله.. لا دساتير على المشاعر.. لا قوانين للفرح»<sup>(3)</sup>.

الحوار هنا يتسم بالجمال التعبيري و بساطة الألفاظ، وفي نفس الوقت يبدو نقطة مهمة لنقل أبعاد الفكرة الرمزية.

وقد وضع النقاد شروطاً للحوار لكي يتسم بالنجاح داخل الأعمال الأدبية، لعل أبرزها الإيجاز والتركيز، وذلك بالبعد عن العبارات الحشوية الزخرفية التي لا تفيد، ونجد بعض النماذج لتلك الحوارات في «نبات الصبار» ص 48، 44، 159. وفي «الاختيار» ص 71. فقد تخلصت الحوارات فيها من الثقل والطول فبدت زاخرة بالحيوية لما تحمله من بساطة وتلقائية، وربما يتكون الحوار فيها من كلمة واحدة أو كلمتين، وقد واكبت تلك الحوارات مستوى الشخصيات التي تحاورت بها وراعت إبعادها الفكرية والاجتماعية والثقافية، مؤدية

(1) دراسات في القصة العربية الحديثة د/محمد زغلول سلام، ص 368

(2) المرجع السابق الصفحة نفسها.

(3) رواية نبات الصبار، ص 36.

بذلك الدور الفني المطلوب في العمل الروائي. وقد استخدمت زينب الحوار هنا وفي كثير من المواضيع التي يقصر فيها الحوار، ببراعة المسرحي الذي كانت تسيطر عليه هيئة خشبة المسرح وحركات شخصياته وخلفياتهم ، ويشكل حوارها نوعاً من «الديالوج» المطول. ومثال لهذا الحوار:

« ذاك الجو غير المعروف لديهم جعل كلا منهم يعقد مقارنة سريعة بين واقعين.. وقارنوا سريعاً بين الجحور حيث يسكنون وهذا البراح..وتساءل بعضهم: لماذا لا يكون هذا مسكنهم.

وقال بعضهم:«يرزق من يشاء بغير حساب».

وقال المؤمنون منهم:«وتجعلون رزقكم أنكم تكذبون»

وقال الجاهلون: حرامية أكلوا حقنا!

وقالت البنات: خديجة أحسن منا بشنو عشان تلقى ده كلو؟ يعني عشان دكتورة؟

وقالت النسوان:« سعدت بالمنى، ال أبوها دفعها والمولى رفعها»<sup>(1)</sup>.

فهذا الحوار فيه البساطة وفيه التلقائية، ولكن هذه الازدواجية بين العامية والفصحى أفسدته وأخلت بمستوى سيره.

أما بالنسبة إلى سلبيات الحوار- ما ذكرناه سابقاً- في أن زينب بليل لم تفلح في بعض الأحيان في تقديم حوار فني، إذ أن لغة حوارها تعاني من خلل أحياناً. فهي لم تلتزم بلغة معينة للشخصية، بحيث تراعي ثقافتها ووعيها الفكري. «فالحوار يجب أن يكون متفرداً يستطيع القارئ معه أن يفرق بين الشخصيات المتحدثة بمجرد قراءة كلماتها. فيصبح اختلاف الشخصيات أمراً حيويًا بحيث يكون ذلك واضحاً في إيقاع الجمل وطرق التعبير، وذلك بإبراز العادات التعبيرية التي تساعد على تلوين وتمييز الشخصيات سواء كانت رئيسة أو ثانوية»<sup>(2)</sup>.

ومن سلبيات الحوار كذلك الطول الشديد الذي ظهر في بعض حواراتها، خاصة إذا كانت تناقش فيه قضية أو تعرض فكرة من وجهة نظرها. فيطول الحوار لدرجة أن ينسى القارئ معه أنه يقرأ رواية، فيشغله ذلك الأسلوب التقرييري أو الخطابي. وربما يرجع كل ذلك إلى عدم توفر حرفة الكتابة عند زينب بليل فهي موهوبة أكثر منها محترفة ، شأنها في ذلك شأن كثير من كتاب الرواية السودانيين، والعرب الناشئين. وفي الختام الوسيلة التي استخدمتها زينب بليل لتنقل عبرها أفكارها، وتساعد القارئ على تمثيل صورها ونماذجها

(1) رواية تبات الصبار ، ص 159 .

(2) لاتجاه الواقعي في الرواية السودانية الحديثة ، د/ بشير عباس بشير ، ص 283 .

تمثلا حيويًا وواقعيًا، كانت هي الأسلوب المتنوع بين السرد والوصف والحوار، وإن كان الحوار هو الأغلب والأكثر حجمًا، الذي عالجته من خلاله قضاياها، فتنقلت مابين المدينة في أحيائها الفقيرة، بل المقدعة في الفقر، وما بين القرية التي وصفت أجواءها وحياتها وإسلوب تفكير ومنطق شخصياتها، وكل هذا لا يتحقق بالواقع المطلوب إلا إذا حرصت الكاتبة على اللغة العامية، لغة أبناء القرية الحقيقيين، والفئة الفقيرة والبسيطة في المجتمع، لا لغة عربية فصحة بدعوى الحفاظ على التراث، «فليكن للتراث مجالاته التي يحافظ عليها من خلال الشعر والمقال والبحث الأدبي ونثر الرسائل والخطب، إلى غيرها من فنون القول»<sup>(1)</sup>.

## المنظور الروائي:

هو الزاوية التي ينظر الروائي من خلالها للأحداث والشخصيات، وقد يستخدم ضمير الغائب أو المتكلم. والذي يتأمل أسلوب السرد السابق في روايات زينب بليل يلاحظ أن المواقف تبنت طريقة السرد الملحمي أو ضمير الغائب، «وهي من أكثر الطرق انتشارا وطبيعية، إذ يفترض معظم الروائيين أنها تمنحهم إجازة العلم بكل شيء فعلا»<sup>(2)</sup>. وروايات الكاتبة -كما ذكرنا- في الغالب تُروى بضمير الغائب «هو» واستخدام هذا الضمير يتيح للروائي حرية أكبر في الخلق والإبداع، فيوزع أضواءه على كل الشخصيات كل على قدر مساهمتها في الحدث، وذلك بعكس الروائي الذي يستخدم ضمير المتكلم «أنا» الذي يجعل الروائي ينحاز لشخصية البطلة أو البطل ويسلط عليها الأضواء ولا يحرك الأحداث إلا في إطارها، لذلك فإن روايته تحمل ثقافته أو انفعالاته وآراءه الخاصة وتجعل الروائي يتقمص شخصيات رواياته رجالا ونساء، ويحملهم أفكاره التي قد لا تتناسب وطبيعة الشخصية ومنطقها في الرواية، مما يفقد الحوار منطقيته وواقعيته، وتجعل الشخصيات متساوية من حيث الأفكار والانفعالات»<sup>(3)</sup>. ونماذج هذا المنظور منتشر في جميع رواياتها، وأمثلته لا تعد ولا تحصى، ومن نماذجها في «الاختيار»:

«وقفنا أمام المكتب كمن ينتظر حكما من قاضي لا يثق في عدالته، أدار الدكتور كرسيه دورتين قبل أن يثبته في اتجاههما، ثم تمطى ورجع في كرسيه للوراء قليلا.. نقر بقلمه على أسنانه.. وتكشفت أسنانه اعتقدت آسيا أنه يتسم..»<sup>(4)</sup>.

تحدثت الكاتبة هنا بضمير الغائب وليس المتكلم «أنا»، فهي تستخدم طريقة

(1) الاتجاه الواقعي في الرواية السودانية الحديثة، د/ بشير عباس بشير، ص 279

(2) تحولات السرد في الرواية العربية، د/ ابراهيم السعافين، ص 251

(3) انظر دراسات في نقد الرواية، د/ طه وادي، ص 120

(4) رواية الاختيار، ص 11

القناع الذي ترتديه عبر شخصياتها، وتحكي الأحداث من بعيد ، وتشرحها ...ومن نماذجه كذلك في «كش ملك» :

« استيقظت مع الفجر كعادتها .اغتسلت ، صلت ومشطت شعرها ، أيقظت احمد ليغتسل ويصلي ثم ذهبت إلى المطبخ وحضرت الشاي للجميع الذين ما زالوا نائمين..... »<sup>(1)</sup>. هنا نجد صوت واحد يهيمن على السرد كله، فهو الذي يحكي الحكاية من وجهة نظره ، لا يكاد الراوي يبرز بجانبه بل يكتفي -كما يزعم- بتمثيل دور المتلقي الذي سيصبح قارئاً. والكاتبة هنا تتدخل في الفعل والشخصية و«حين يتدخل المؤلف بنفسه لتقييم هذا العمل أو الفعل أو التعليق عليه يظهر الاسلوب التقريري، أما حين يبتعد المؤلف في فرض شخصيته على الشخصيات والحكم عليها تمارس الشخصية الفعل والحركة والحوار وتبدو على قدر كبير من الحيوية»<sup>(2)</sup>.

وفي «نبات الصبار» يظهر ضمير الغائب من خلال هذا النص: « صار يقف أمام المرأة وقتاً أطول وأعطى عناية أكبر لما يلبس . ذهب واشترى عطرا رجاليا غاليا وأعجبته ربطة عنق اشتراها لتناسب البدلة الأنيقة التي يلبسها كثيرا»<sup>(3)</sup>.

فالكاتبة هنا تقدم وصف للشخصية وفعلها، وتحركها كيف شاءت، وهذا الاسلوب لا يناسب الواقعيين، حيث أن «الاتجاه السائد عند نقاد الواقعية هو ضرورة اختفاء الكاتب لدرجة لا يزيد فيها عن دور محرك العرائس على خشبة المسرح»<sup>(4)</sup>.

ومنظور زينب بليل يتغير داخل رواياتها، فنتنقل من ضمير الغائب إلى ضمير المتكلم، «وعندما يستخدم الكاتب ضمير الغائب ينتقل من المنظور الموضوعي الخارجي إلى المنظور الذاتي، أي تشعر بالانتقال من حديث الراوي إلى حديث الشخصية، وذلك عبر الهاء... الخ عبارات للغائب..ثم يتطور المنظور باستخدام علامات التزييم والفواصل والنقط وغيرها التي ترشد القارئ إلى انتقال الحديث من منظور إلى منظور آخر»<sup>(5)</sup>. ونلاحظ ذلك من خلال هذا النموذج:

« لم يلق الرجل التحية..دخل يتبختر مثل فرعون..وقف متكئا على عصاه كما يفعل ملك متفرجا على منظر يزدرية ..» اسمع يا ابن آدم..أنا سكت ليك كثير خالص..أنت راجل

(1) رواية كش ملك ، ص 79

(2) الرؤية والأداة نجيب محفوظ ، د/ طه وادي ، ص 349

(3) رواية نبات الصبار ، ص 110

(4) الاتجاه الواقعي في الرواية السودانية الحديثة، د/ بشير عباس بشير ، ص 286

(5) المرجع السابق ،الصفحة نفسها .

ما عندك شرف... أنتو ناس ما بتخجلوا مش كفاية عشتو علي لما بقيتوا ناس?... وخرج تاركا الجميع في ذهول»<sup>(1)</sup>.

فالضمير تغير هنا من ضمير الغائب إلى ضمير المتكلم عبر الفواصل وعلامات الترقيم، التي عرفنا من خلالها تغير المنظور.

وقد تروي زينب بليل رواياتها من منظور الأنثى، عندما تكون الساردة شخصية نسائية، فيغرق النسيج السردى في الطابع الأنثوي، وتدلف الكاتبة إلى أعماق المرأة، فتستخدم كل ما يتعلق بالمرأة وتؤمن به مثل «الودع - السحر - خلطات الشعر والجسم- الزار»، فكل المفردات التي تستخدمها الكاتبة تخص المرأة، فنجد كثير من المشاهد السردية والحوارية في الروايات تتعلق بالمرأة وتلتصق بها. ففي رواياتها نجد مشهد الولادة ومعتقدات النساء فيها، ومشهد الإجهاض، ومشهد البلوغ، ومشهد الزار، كما نجد مشاهد لنواح النساء في المآتم، وكذلك نلاحظ كثير من المشاهد التي تتعلق بالثرثرة النسائية والنميمة. فأيقاع الأنوثة واضح في كتابة زينب بليل، حيث تتخلل مفرداته السرد وتمتزج معه، لتكشف عن الشعور الداخلي للمرأة، الذي لم تصل إليه عين الرجل الكاتب من قبل، وذلك عندما تصف الكاتبة منطقة الجسد الأنثوي بأبان الحمل فتقول الكاتبة في «نبات الصبار»:

«لحظتها أحست بشيء يرتعش في أعماقها.. وبلا وعي مسكت بطنها.. برعشة خفيفة مثل عصفور خائف كان ذاك الذي تحرك يقول لها لا بأس»<sup>(2)</sup>.

فالسرد هنا وصف اللحظات الأولى لتكوين الجنين وحركته الأولى وإحساس المرأة به، فهذا الوصف والإحساس لا يمكن أن يحس به الرجل أو يصفه، فهذه المنطقة لا لا يخوض فيها الرجل.

وطريقة زينب بليل في السرد تشابه طريقة القص الشعبي، من حيث استخدامها لضمير الغائب التي ربما تكن مستوحاة من «الراوي الشعبي» الذي يروي السير الشعبية على المستويين الفصيح والشعبي، ويعد نموذج قديم في التراث العربي، ومن حيث استخدامها كذلك لطريقة القص الشعبي «كان يا ما كان- في ذات يوم - وفي يوم من الأيام».

ونتيجة لما سبق يتضح أن زينب بليل برغم كونها كاتبة وروائية حديثة، إلا أنها لم تبعد كثيرا عن الموروث القصصي الذي تشبعت به منذ صغرها واثرت فيها، ولم تستطع التخلص من عباءة الراوي الشعبي أو الحكواتي.

**الشكل السردى لروايات الكاتبة : اقصد بالشكل السردى هنا البناء السردى الذي**

(1) رواية الاختيار ، ص 80.79.

(2) رواية نبات الصبار ، ص 182

قامت عليه الروايات، سواء كانت فصولاً أم أبواباً أم مشاهد، أو غير ذلك. فقد كانت الكاتبة من الذكاء، حين أعلنت إستراتيجيتها في بناء الشكل السردي لرواياتها، «فنبات الصبار»، لم تكن فصولاً ولا أبواباً، فقد أعدت الكاتبة الرواية على أنها مقولة واحدة، لا فصل بين وحدة ووحدة، أو مشهد ومشهد، إنما أتت في حالة قول وفي حالة تداخل باستمرار، بين وحدة وثانية وثالثة حتى النهاية. ولكنها حين تقسم هذه الوحدات تقسمها تقسيماً خاصاً فترسم كل مشهد وحده، أو كل صورة وحدها.

مثال في بداية الرواية بعد وصف «شارع النار» وساكنيه، انتقلت إلى حكاية «الحسين» وميلاده وأنهت الوصف بفقرة ونهاية صفحة ثم انتقلت إلى صفحة أخرى وبدأت السرد مباشرة دون عنوان، وهكذا تفعل دائماً في كل أجزاء الرواية. وهذه الإستراتيجية لا تنطبق على «الاختيار» التي قسمتها لفصول عددها واحد وعشرون فصلاً، ولكنها ليس كل فصل له حادثة معينة بل متداخلة مع بعضها البعض، داخل الفصل الواحد، وتتعدد المشاهد داخل الفصل الواحد، وتفصل بينها بتغيير المنظور أو وضع نقاط بينها، ومثال لذلك الفصل الأخير:

« وتأكدت أن لا شيء سيؤذيها أبداً ما دام كل ذلك الحب يثرها.

.....

- الو؟

- ازيك يا آسيا؟<sup>(1)</sup>

وهكذا شكل السرد في الرواية والانتقال من مشهد إلى آخر داخل الفصول. أما «كش ملك» فقد قسمتها الكاتبة لمشاهد «جولات» حسب اللعب أو الدور، وكل مشهد يحمل اسم أبيض يلعب أو أسود يلعب حسب الشخصية المرموز لها بالاسم. وهذا الشكل في البناء السرد لروايات الكاتبة، يشبه المشاهد أو الفصول المسرحية، وربما يشبه جنس من الأجناس الأدبية الحديثة يسمى «المسراوية». وهي كما قال بعض النقاد عنها أنها «رواية تجمع بين الرواية والمسرحية، وهي نوع من الرواية يستفد من أسلوب المسرح في الحوار والتكثيف اللغوي والإقناع، والمقصود منها هو كسر الملل ورتابة الحوار الدرامي، والاستفادة من السرد الروائي أو لغة المؤلف في مساحة أكبر مما يعطيها النص الدرامي، وبذلك يخرج المؤلف إلى رحابة السرد والوصف إلى جانب الحوار مع ملاحظة توظيف هذه العناصر مجتمعة في خلق وحدة وتجانس داخل المسراوية»<sup>(2)</sup>.

(1) رواية الاختيار ، ص 151

(2) السرد الروائي العربي، د/ مدحت النجار ، ص 267

وتلتقي لغة الرواية مع المسرحية في جانب من جوانبها، وهي حين يلجا الكاتب إلى أسلوب الحوار الذي يعد من أهم مميزات لغة المسرحية. والكاتبة زينب تجمع في رواياتها بين السرد والحوار، ولكن رواياتها تعد حوارية أكثر منها سردية خاصة «الاختيار» و«كش ملك» أما «نبات الصبار» ففيها وصف وسرد أكثر من الحوار، وميلها للحوار بصورة أكثر ربما يرجع إلى أنها درست إخراج مسرحي. وقد علق أحد النقاد والصحفيين السودانيين بأنها ملكة الرواية الحوارية السودانية دون منازع<sup>(1)</sup>.

(1) صحيفة الوسط - العدد 365-الأربعاء 19 نوفمبر 2008م، الموافق 22 ذي القعدة 1429 هـ، ص 8



## الفصل الثاني

عناصر الرواية الفنية في روايات زينب بليل  
المبحث الأول: التقنيات الحديثة (تيار الوعي).  
المبحث الثاني: توظيف التراث.



## المبحث الأول التقنيات الحديثة (تيار الوعي).



هنالك «أساليب سردية حديثة يمكن الاستفادة منها بصورة فعالة في البناء الروائي؛ إذ يمكن بإسلوب الوعي تحطيم التسلسل التقليدي للزمان والمكان، واستغلال الحلم والهذيان والمنولوج الداخلي والاسترجاع لوضعنا في جو نفسي وعقلي أقرب إلى الحالة العقلية والنفسية للشخصية»<sup>(1)</sup>. وقد استخدمت زينب بليل هذه الأساليب التقنية الحديثة، بالإضافة إلى طرق التعبير الفنية السابقة في معالجة بعض أحداث رواياتها. فاستخدمت مثلاً «تيار الوعي» أو «المناجاة الذاتية» لتعميق رؤيتها، كما وظفت العناصر الأخرى من المنولوج الداخلي والاسترجاع والحلم لإثراء لغتها السردية. وقد نفذت من خلال تلك الأساليب إلى أعماق شخصياتها الروائية، وحياتها الداخلية. فانتجت ذلك الفيض العارم من التدايعات الحرة والمناجيات الداخلية وأحلام اليقظة.

### طريقة تيار الشعور أو الوعي "Stream Of Conscience":

وهو جريان الذهن الذي يفترض فيه عدم الانتهاء وعدم الاستواء، ويسمى بالتدايع الحر، واهتمام الروائي هنا يكون بالتأمل في الحياة أكثر من اهتمامه بالحوادث كما ينصب على جانب البوح»<sup>(2)</sup>. «وهذا التيار يركز على عقل الإنسان والعمليات السيكلوجية، إذ أنه يغوص عميقاً داخل تلافيف النفس البشرية بدلا من الاهتمام بالحوادث الخارجية»<sup>(3)</sup>، واستخدام هذه الطريقة داخل الأعمال الروائية، تثبت حقيقة مهمة، مضمونها أن الأدب ذو علاقة وطيدة بمفاهيم علم النفس ونظرياته وأبعاده. و«قد فتحت الدراسات النفسية والتحليل النفسي آفاقاً واسعة عريضة للقصة الحديثة وأرعى من عنان الكاتب للتجول والبحث والكشف في خبايا النفوس»<sup>(4)</sup>. وطريقة تيار الوعي من الطرق الفنية التي أبدعها بعض الفنانين والأدباء محاولة منهم تحديد العلاقة بين الشخصيات بصورة عامة، وتحديد كنه العلاقة بين دوافع الفعل البشري وما يؤول إليه هذا الفعل ومصدره وتحديد كنهه الطبيعي»<sup>(5)</sup>. وهذه الطريقة ظهرت أولاً عند كتاب الغرب، حيث ظهرت بوضوح عند جيمس جويس وفرجينيا وولف. ويعتمد الكاتب على أحلام اليقظة وقوامها الذكريات والأفكار وتعبر الشخصية عن نفسها بطريق اللاوعي أو السرد غير المنظم للذكريات دون التقيد بالنظام

(1) نجيب محفوظ - الرؤية والاداءة ، د/ عبدالمحسن طه بدر ، ص 299

(2) في عالم القصة د/ علي شلش ص 193

(3) وقفات نقدية مع فن الرواية ، ياسر الفهد ص 33

(4) دراسات في القصة العربية الحديثة ، د/ محمد زغلول سلام ، ص 47

(5) الشخصية وأثرها في البناء الروائي لروايات نجيب محفوظ ، د / نصر محمد ابراهيم ، ص 218

المنطقي للأحداث»<sup>(1)</sup>. وللتعبير بطريقة تيار الوعي لابد أن يلجا الكاتب إلى ضمير المتكلم باعتبار هذا الجانب أحد العوامل الأساسية والمهمة لتجسيد أبعاد نفس البطل أو الراوي، وعامله الباطني، «عن طريق الصدق في التعبير والصراحة والمباشرة، فتبدو وجدانيات البطل هي المحور الأساسي الذي تدور حوله كل الأحداث، وتبدو للقارئ كل هذه الأحداث في مجملها خيوطاً فرعية ترتبط فقط - بشكل مباشر وواضح - بما يدور بخلد البطل في لحظات الرجوع إلى الماضي وربطه بواقع الشخصية الحالي»<sup>(2)</sup>. وإسلوب تيار الوعي يحمل داخله كل التقنيات الحديثة من مناجاة النفس والمنولوج والحلم. والكاتبة زينب بليل استفادت وهضمت الأدوات التعبيرية الحديثة في العالم الأوربي، وبالذات الرواية الإنجليزية والفرنسية، فاستخدمت طريقة تيار الوعي في رواياتها، لتوجد ذلك التلاحم والصلة بين عالمي الشخصية - ماضيها وحاضرها - وربطها بكل إحساسات الشخصية بكل العالمين.

### 1. مناجاة النفس :

اعتمدت الكاتبة عليها طريقة من طرق المعالجة الفنية، فدخلت في أعماق نفس «آسيا» بطله «الاختيار»، ورصدت ما يدور بخلدتها في لحظات الرجوع إلى الماضي وربطه بحاضرها، وقد ناسبت هذه الطريقة البطلة، لأنها وضحت الاضطراب النفسي والقلق الذي تعيشه الشخصية، بعد تركها لحبيبها الأول «علي» وزواجها من رجل آخر لا تحبه «مصطفى». وقد عبرت الكاتبة عن هذه اللحظات في مواضع كثيرة من الرواية، ومثال لذلك:

«فكرت طويلاً واستعرضت في خيالها كل الشباب ..لم تجد أحداً يستحق أن تتنازل عن قرارها من أجله... والأهم..هل يمكن أن تنسى علي؟ علي يفهمها ككتاب درسه لينال جائزة، وتقرأ خواتمه قبل أن تنضج. هل يوجد شاب يعرف ذلك الأسلوب؟ التلقائية في المعاملة»<sup>(3)</sup>.

فالكاتبة هنا تتحدث في لغة سليمة، خالية من التقطيع. لذلك تعد مناجاة النفس أقل عشوائية من المنولوج الداخلي، حيث أن طبقة الوعي المقدمة فيها تكون قريبة من سطح الوعي، وهي تكنيك رغم أن الشخصية تتحدث فيه على انفراد، إلا أنه يقوم على أساس من التسليم بوجود مستمع وهذا ما يفرق بين مناجاة النفس وبين المنولوج الداخلي حيث لا يفترض وجود مثل هذا السامع»<sup>(4)</sup>. ونموذج آخر في نفس الرواية يوضح ذلك :

(1) انظر دراسات في القصة العربية الحديثة د/محمد زغلول سلام ، ص 24-26

(2) الشخصية وأثرها في البناء الفني لروايات نجيب محفوظ ، د / نصر محمد إبراهيم ، ص 217

(3) رواية الاختيار ، ص 82 .

(4) الاتجاه الواقعي في الرواية السودانية الحديثة ، د/ بشير عباس بشير ، ص 263

« مصطفى يشبهها في كل شيء...كم تعذبت لأنها لم تستطيع التخلص من سلطة علي لتعيش معه الحياة كما يجب...كانت تفكر طويلا عليها تجد حلا.. تفكر في وضعها ذاك الغريب . أهي مديرة منزل؟ طبخة؟ خادمة؟ لأنها تبذل كل طاقتها في ترتيب أموره..تغسل ملابسه وتكويها..تبخ له ما يحب....هل يتطلب ما تقوم به تحديات ومدارس واستذكار وتخرج وابتعاد عن الأهل والديار؟»<sup>(1)</sup>.

تقدم الكاتبة هنا نفسية البطلة «آسيا» وتتدخل في تفكيرها، ولا تترك الشخصية تتحدث عن نفسها، وهذا ما يفرق بين تيار الوعي والمنولوج الداخلي، فالشخصية هنا في كامل وعيها تناقش وتحلل وتقبل وترفض عن طريق استخدام المنطق . بناء على ذلك فإن اللغة في مناجاة النفس تكون أكثر تماسكا واتصالا بخلاف لغة المنولوج التي من طبيعتها التفكك وعدم الترابط، حيث تفقد اللغة نظامها المنطقي المؤلف من الناحية التنظيمية<sup>(2)</sup>. وفي «كش ملك» كذلك استخدمت الكاتبة أسلوب المناجاة، خاصة مع شخصية الملك والطيب بطلي الرواية. فعكست من خلال هذا الأسلوب الحالة الاقتصادية والاجتماعية للبلطين. كما رسمت مظاهر القلق والاكتئاب، التي تمر بها الشخصيتين، فكلاهما كان مهتدا بأمنه واستقراره، ومصيره وحريته . ومما ذج هذا الأسلوب، عديدة في الرواية، منها على سبيل المثال :

« ويتذكر أصحابه...رفاق الدراسة والمشاور ويتذكر احتفالهم به... واحتواءهم له وثقتهم فيه ويتذكر يوم باعهم بمنزل وسيارة صادرتهم منه الحكومة، ويتذكر وجوههم المملوءة دهشة وغضبا....وتسيل من عينيه دموع حري»<sup>(3)</sup>.

ومن أمثلتها كذلك: « انزعج وقيع الله . في ذاك الوقت كان يمتلك الدار في هذا الحي ..أ يكون البحر عارفا سره؟ ونظر إليه بتمعن أكثر ليقراً دواخله ، لكنه لم ير غير رجل يتسم بالأطفال....وتمنى أن يكون له صديق...وهو يحتاج لمثل هذا الإنسان.....»<sup>(4)</sup>.

فالكاتبة في النموذجين السابقين ترسم قطاع داخلي لحياة الملك العقلية الطبيعية. وتعريها من الداخل، وتقلبها على كل وجوها، فنحس بها أكثر ونفهم تناقضاتها أكثر. فالكاتبة تستخدم مع شخصية الملك أسلوب المناجاة الذاتية الذي «يقلب الشخصية في عدة أمكنة وعدة أزمنة، وعدة حالات نفسية، وعدة مواقع اجتماعية، فندخل إليها ونحل الغازها

(1) رواية الاختيار ، ص 89.88.

(2) الاتجاه الواقعي في الرواية السودانية الحديثة ، د/ بشير عباس بشير ، ص 263

(3) رواية كش ملك ، ص 124 .

(4) المرجع السابق ، ص 177.176 .

وتناقضاتها، ونفهم ما لم يتمكن الحوار من كشفه، ولكن هذا «التيار التقني النفسي» أضاف عبئا ثقيلا على قلم الكاتب وإسلوبه، إذ أنه يتداخل مع السرد أحيانا ومع الحوار أحيانا، مما ضاعف مسؤولية الكاتب نحو بيان استقلال السرد عن الحوار عن المناجاة»<sup>(1)</sup>. وله نماذج في «نبات الصبار» ص 79 يتضح فيها القلق النفسي الذي تعيشه الشخصية.

## المنولوج الداخلي "Internal Monologue":

وهو عبارة عن الكلمات التي تستخدمها الشخصية في حديثها مع نفسها والتعبير عما يجول داخلها ويعتمل في أعماقها. بطريقة مخاطبة الذات»<sup>(2)</sup>. وهو يصور الحياة النفسية للشخصيات بطريقة تلقائية وعفوية. والمنولوج ليس تقنية حديثة في الرواية بل كان موجودا في أعمال كثيرة تنتمي لعصور سابقة»<sup>(3)</sup>، ولكن أكثر من استخدمه الرواة المحدثون، خاصة كتاب روايات «تيار الوعي»، نسبة لدوره الفعال في تقديم الحياة الذهنية للشخصيات وبطريقة أكثر موضوعية من المناجاة، «حيث يوظف من خلال موقف أدبي يتطلبه إثراء ذلك الموقف، وتعميق إطار الشخصية التي تحاور نفسها»<sup>(4)</sup>. وقد استخدمت زينب بليل المنولوج في كل رواياتها، وعبرت به عن الموقف النفسي والفكري للشخصيات، خاصة شخصياتها الرئيسية، واستغلته في لحظات التأزم النفسي عندما تشعر الشخصية بالأزمة والتوتر، على نحو ما نجده يدور في وعي «وقيع الله الملك» في «كش ملك»، فحديث الملك الدائم مع نفسه يعبر عن حالته النفسية وما يعانيه من قلق، ووحدة نتيجة تركه لأبنائه وأهله والوطن، من أمثله حديثه مع نفسه:

« هل بإمكانك أن تغيريني يا مارتا؟؟ أن تقتلي شهواتي العارمة وتبعثيني أخرا يحب الأهل والجيران ويحب الأصدقاء ويحب الانتماء ويحب الوطن، ويحب الخير للجميع ويحب الإنسان؟ أنا واثق أنك تستطيعين لأنك امرأة صمدت في قلب رجل رغم اختلاف الفصول والظروف..رجل عرف الفقر والغنى وعرف الفسق والذل والسلطان والخوف والفشل والنجاح»<sup>(5)</sup>.

الملك هنا يعبر عن أفكاره المكنونة، «أي اقرب إلى اللاوعي»، ويخاطب مريم محبوبه الصبا، وحديث النفس هنا يغلب عليه طابع القلق والحيرة ويرتسم على شكل

(1) السرد الروائي العربي د/ مدحت النجار ، ص 246,247

(2) وقفات نقدية مع فن الرواية ، ياسر الفهد ، ص 33

(3) الاتجاه الواقعي في الرواية السودانية الحديثة ، د/ بشير عباس بشير ، ص 261

(4) انظر دراسات في نقد الرواية ، د/ طه وادي ص 47

(5) رواية كش ملك ، ص 208

أسئلة. ويلاحظ على اللغة هنا أنها غير متنوعة، بل تصدر بالفصحى نفس لغة السرد. كما يلاحظ على الحديث التابع المنطقي. وهذا لا ينطبق على لغة المنولوج الداخلي، التي يفترض ان تكون غير متقيدة بالتنظيم المنطقي، فسييل الشخصية إلى هذا التعبير، «الكلام المباشر الذي يكتفي بالحد الأدنى من قواعد اللغة، على نحو يدل أن الخواطر قد سجلت كما ترد إلى الذهن تماما، فهذه الخواطر التي يحدث بها الإنسان نفسه والمنولوج الداخلي الصامت، لا يرد إلى الذهن في صورة مرتبة ومتتابعة مثل الكلام، ولكنه يرد متقطعا ومضطربا، فهو خال من التابع المنطقي متوقف على التابع العاطفي، وفي عالم الذكريات يتداخل الماضي والحاضر والمستقبل ويفقد الزمن معناه»<sup>(1)</sup>. والكاتبة استخدمت المنولوج كثيرا في رواية «الاختيار»، خاصة مع شخصية آسيا، ص، 95، 96، 97، 105، 112، 113، 114، 115، 123، 130، 137، 153، 93، 94، 89، 82، 25، 26 ومن نماذجه :

« حولت كل طاقتها لكراهية علي... تزوج وأنجب ويعيش سعيدا؟ ما ظننته يستطيع... وأنا التي أنفقت عمري راحة في محراب حبه.. لكن حقا... ماذا في غير عادي حتى يجعل حبه لي غير عادي فلا ينساني ويتزوج ويعيش سعيدا مع أخرى من اختيار أمه وأبيه ومن نفس الطبقة الراقية؟ الكاذب.. اقسام لي مرارا أن امرأة غيري لن تسمع دقات قلبه أبدا.. أين وعوده الكاذبة؟»<sup>(2)</sup>. وتواصل آسيا ذكرياتها ولحظاتها الجميلة مع علي، فالكاتبة هنا تترك الشخصية تتكلم مع نفسها، وتستسلم لذكرياتها تصورها بخيرها وشرها، بحبها وقلقها انسجاما مع الواقع في الإيحاء به ، فتقدم عن طريق التداخي ما يمر بها من خلجات وأفكار، وتأملات وأحلام وآمال، تختلف حسب الظروف والمواقف. وتعد الكاتبة أكثر جرأة في استخدام المنولوج الداخلي في روايتها الأخيرة «نبات الصبار» حيث تبدو الرواية كأنها من « روايات تيار الوعي» أو تيار الشعور» حسب جيمس جويس أو ويليم جيمس، بما تتميز به من لغة الأعماق، التي نجدها من خلال شخصياتها مثل خديجة ، خالد ، الحسين. ومن أمثلة هذا الحوار الذي دار بخلد «خالد» الذي كان يعاني من اضطراب في حياته الزوجية:

« ويكلم نفسه في صمت: كم سيستمر هذا الجو المشحون بالكهرباء ؟ إلى متى ستظل هذه المرأة السمينة تشحنني بالحقد والغبن حتى انفجر ! ليتني انفجر لارتاح منها ومن شياطينها السبعة ومن نفسي التي لا تعرف القناعة ولا الحب ولا الفرح»<sup>(3)</sup>.

(1) فن القصة د/ محمد يوسف نجم ، ص 78

(2) رواية الاختيار ، ص 94 .

(3) رواية نبات الصبار ، ص 104 .

الملاحظ على لغة المنولوج هنا عدم وجود التقطيع اللفظي، الذي يعد دلالة لغوية مهمة للوصول إلى نفس الشخصية، وتحديد مأساتها الذاتية، و«يساعد على كشف إichات ورموز الأشياء التي يعبر عنها»<sup>(1)</sup>، كما يحاول التقطيع اللفظي نقل كل مظاهر الشخصية وسلوكها وربطها بواقعها الحي، وخاصة في هذا الحوار الذي يتحدث عن النفس ويناجيها. وعليه فإن عدم وجود التقطيع في الجمل عند زينب بليل في بعض مشاهد ذات الحوار الداخلي، يوضح أنها ربما لم تتقن هذه التقنية تماما التي تحتم وجود ذلك التقطيع للتعبير عن مكامن النفس.

وإذا تتبعنا «نبات الصبار» نجد الكثير من هذه المنولوجات الداخلية التي استغرقت صفحات في الرواية، ومن أمثلتها المنولوجات التي تعبر عن شخصية البطلة «خديجة» وما أصابها من اضطراب نفسي. وتبث هذه المنولوجات من ص 191 إلى ص 215:

« الكل يخافون مني ! لا اعرف لماذا؟ سأبحث لوحدي لكن قبل أن ابدأ البحث.. سأرتاح قليلا، سأرقد في هذا القبر لاستجم ..آه..تعبت..احتاج شيئا من الاستجمام ..شيئا من السلام ..هؤلاء الراقدون ..هل عاشوا في سلام قبل أن يرحلوا إلى هنا؟ هل أنجزوا ما تمنوا انجازه وحققوا ما حلموا به»<sup>(2)</sup>.

وإذا تأملنا هذا النموذج نجد أن لغته منطقية وسليمة، «بينما أن الشكل اللغوي الذي يصب فيه المنولوج الداخلي، غالبا ما يكون في قالب يشبه الكلام الشفوي المعتاد، بمعنى أنه لا يبتعد عن القوالب اللغوية المعروفة في الكلام العادي، وذلك لأن من المفترض في هذا التكنيك أن يعبر عن أفكار غير مكتوبة، حيث لا يراعى فيه الصحة اللغوية كما هو واضح في روايات تيار الوعي التي تولي العناية الأولى للأفكار والمشاعر المتدفقة وفقا لنظام سيكولوجي خاص هو نظام التداعي الحر أكثر من مراعاتها للنظام اللغوي البلاغي»<sup>(3)</sup>.

وزينب بليل كما لاحظنا وذكرنا سابقا التزمت بالصحة اللغوية في منولوجاتها، فجاءت في شكل منطقي سليم حتى في أكثر لحظات تأزم الشخصية، مثل موقف «آسيا» بطلة «الاختيار» عندما أقبلت على الانتحار في نهاية الرواية، فكانت في أكثر حالاتها النفسية تأزما ناتجة عن حيرتها في إخبار زوجها أو عدم إخباره بأن ما في رحمها لا تدري ثمرة من منهما، أهو منه أم من «علي» حبيبها الأول، فنجدها تقول بعد ما تعاطت قنينة الحبوب باكملها بغرض الانتحار:

(1) انظر الشخصية واثراها في البناء الفني لروايات نجيب محفوظ ، د/ نصر محمد ابراهيم ، ص 293

(2) رواية نبات الصبار ، ص 194 .

(3) الاتجاه الواقعي في الرواية السودانية الحديثة ، د/ بشير عباس بشير ، ص 289

« يا رب..استحي أن ألقاك بعاري هذا الكبير..طهرني وارحمني يا رب.  
يا رب الذي احمله فوق طاقتي..الذي احمله في أحشائي لا اعرف بذرة من منهما.  
لا استطيع أن اخذل علي ولا قدرة لي على تركه لأني أحبه ولا استطيع أن اخذل  
مصطفى لأنه يحبني!»<sup>(1)</sup>.

الملاحظ على الحديث هنا أنه أكثر منطقية وانضباطا من الناحية اللغوية والمنطقية،  
فما تقدمه الكاتبة هنا من معاني ذهنية لا تنطبق على المنولوج «الذي يجب أن يكون  
معبرا عن أعمق درجات اللاشعور، بحيث يختفي المؤلف ويجعل الشخصية تعبر عن  
مكوناتها بطريقة أكثر حرية. فتتكلم عن مشاعر نفسية يفترض فيها أن تكون غير منظومة  
ولذلك تجئ أكثر تبعثا وقل انضباطا من الناحيتين اللغوية والمنطقية»<sup>(2)</sup>. فلهذا ما تقدمه  
الكاتبة في جميع منولوجاتها اقرب إلى مناجاة النفس من المنولوج الداخلي، «لأنها لم تستعين  
بأي مادة من محتويات اللاشعور، كما أنها لم تعتمد في أسلوبها على التداعي الحر للمعاني  
والأفكار، وإنما تقدم مناجاة تكون الشخصية فيها في كامل وعيها تناقش وتحلل وتقبل  
وترفض عن طريق استخدام المنطق والحوار الهادئ»<sup>(3)</sup>.

### 3- الحلم :

الحلم بأنواعه المختلفة، من أحلام النوم أو اليقظة تشبه في صورتها المنولوج الداخلي  
من حيث فوضويته وعدم ترابط المادة التي تظهر في تلك الأحلام. وخاصة أحلام النوم التي  
تظهر فيها الأشياء مختلطة بطريقة غير مرتبة وغير منسجمة حتى لتصل إلى أعلى درجات  
التعمية التامة والتشويش في الأحلام الكابوسية، أما أحلام اليقظة فغالبا ما تكون اللغة  
فيها متماسكة ومنطقية وهي في ذلك تقترب من مناجاة النفس، في الوقت الذي تقترب فيه  
أحلام النوم من طبيعة المنولوج الداخلي»<sup>(4)</sup>.

وقد استخدمت الكاتبة الحلم بنوعيه «اليقظة والنوم»، ففي روايتها «كش ملك»  
استخدمت حلم النوم، الذي حلم به «وقيع الله الملك» في أول ليلة له في الخرطوم قادما  
من أوربا»<sup>(5)</sup>، وقد عرضت الكاتبة في الحلم كل ما مر به «الملك» وما سوف يمر به من  
أحداث، فكان الحلم بمنزلة تنبؤ لما سوف يحدث له في المستقبل، وجزء من هذا الحلم:

(1) رواية الاختيار، ص 153.

(2) الاتجاه الواقعي في الرواية السودانية الحديثة، د/ بشير عباس بشير، ص 291

(3) المرجع السابق، الصفحة نفسها

(4) المرجع السابق، ص 263

(5) راجع مبحث الحدث من هذا البحث.

« ويصدق في كل من حوله بحثا عن وجه أمه..ويسير وسط الحشد يبحث عن إنسان يعرفه عن وجه يتسم له . عن مكان مألوف ويتابع السير ..حتى يجد نفسه ترك كل العالم ورآه ووقف على حافة البحر الذي تحول إلى دماء...وحيدا وأحس ظمأ يحرق حلقه والماء أمامه دماء..»<sup>(1)</sup>. ثم يستمر الحلم طويلا إلى أن تصل إلى نهايته «وفجأة استيقظ . لم يصدق أن ذاك كان حلما ..كل التفاصيل عاشها بتأكيد»<sup>(2)</sup>، فالحلم الذي رآه «الملك» كان ترجمة لما عاشه وسوف يعيشه في المستقبل ، فقد فارق وطنه ثم رجع إليه كالغريب، وفقد أبنائه بعد أن تخلوا عنه ورفضوه فرجع لغربته مرة أخرى وحيدا .وإذا رجعنا إلى اللغة في هذا الحلم نلاحظ عليها الترتيب والتناسق، كما نلاحظ على الأفكار أنها منطقية تطفو على سطح الذاكرة في شكل منظم. فقد رتبها الكاتبة ونظمتها لتوضح من خلالها ما رمت إليه من أحداث سابقة أو لاحقة، وليس غرضها عرض الحلم بطبيعته الكابوسية التي «تشبه إلى حد كبير تكتيك تيار الوعي، وتقتفي أسلوب التداخي الحر للأفكار والمشاعر وأيضا تقديم محتويات الشعور»<sup>(3)</sup>. بل غرضها عرض أفكارها بما يخدم الرواية، فلذا لا تهتم بكيفية استخدام التقنية والغرض منها، ومن هنا يبدو أنها لم تتقن استخدام هذه التقنية كما يجب .

شابه أسلوب حلم النوم عند الكاتبة أسلوب أحلام اليقظة، وذلك في رواية «الاختيار» عندما استرجع حمدان ماضيه ورجع بالأحداث إلى عشرين عاما مضت، عندما كان هو والسيد محجوب وإسماعيل أصدقاء، فتداخل الاسترجاع مع الحلم. فحلم حمدان ومحجوب بحياتهما القادمة مع الزوجة التي تمناها كل منها:

« وتخيّل نفسه عريسا مزفوفاً للروضة....وتخيّل نفسه تاجرا كبيرا والروضة تطلب منه أعلى الملابس والعطور وهو مزهوا يستجيب ..وتخيّلها حاملا لطفله مرهقة وهو بكل الحب والعناية يرعاها..سيجعل حياتها حلم جميل..لا يفئقان منه أبدا، وسمع بأذن خياله أطفاله وهم يرحون في البيت الكبير وابتسم إليهم»<sup>(4)</sup>.

فاللغة هنا منطقية ومتناسكة، وهي لغة أحلام اليقظة التي تشبه إلى حد كبير مناجاة النفس. فالشخصية هنا لا تخرج من وعيها أو تعبر عن منطقة اللاشعور، بل تكون

(1) رواية كش ملك ، ص 151 ،

(2) المرجع السابق ، ص 151

(3) الاتجاه الواقعي في الرواية السودانية الحديثة ، د/ بشير عباس بشير ، ص 293

(4) رواية الاختيار ، ص 3..

في كامل وعيها وهي تحلم وتتخيل ما تتمناه. «وبعض الكتاب المعاصرين قد فطنوا إلى هذه الوسيلة الفنية ودورها في إثراء العمل الفني من جهة ، ومن أخرى إلى كسر السياق المنطقي للزمان»<sup>(1)</sup>، فاستخدموها كثيرا.

(1)4 دراسات في نقد الرواية / د/ طه وادي ، ص 35



## المبحث الثاني

### توظيف التراث

- أولاً : توظيف التراث الديني والمحلي.
- ثانياً : توظيف التراث الشعبي .



إذا كانت روايات زينب بليل قد استلهمت في تشكيلها التراث على اختلاف مصادره، إلا أن هذا لا يمكن أن يطغي على دورها كاتبة مبدعة لها عصرها الذي تعيش فيه وواقعها وحياتها وتجاربها الخاصة، ولها معاناتها ومواقفها ورؤيتها وخيالها الخلاق «فليس مقبولاً أن يتحول الكاتب عن التطورات الشكلية الغربية ليتوغل في التراث بعيداً عن جوهر الفن القصصي وروحه، وإنما الصواب أن نؤكد أن الفنان يمتلك حريته الكاملة في التشكيل وعلينا أن نوافق حين يرى أن تراثنا فن خصب يمنح مجالات رائعة في تشكيل الأعمال القصصية»<sup>(1)</sup>. وربما هذا المضمون هو الذي جعل الروائيين العرب يعبرون عن مجتمعاتهم بعمق وصدق، ويلتمسون من التراث العربي ومعظمه شعبي ما يتناسب مع رؤيتهم وفهمهم. فالعامل مع التراث لابد أن يكون «بوعي وفهم واستيعاب وتمثيل حتى يختلط مع العمل الفني، فتألف فيه عناصر الموروث والواقع والأنا والآخر، وفيه أيضاً سحر الموروث الشعبي وعجائبه، ففيه الحلم والكابوس والأسطورة، وفيه منهج التأليف العربي التراثي وفيه أسلوب السرد الحكائي في الميل للاستطراد وتداعي المعاني»<sup>(2)</sup>. وزينب بليل وظفت التراث بما يتناسب مع واقع رواياتها، مما أضفى جواً من الواقعية على رواياتها، فقد استلهمت التراث الديني والشعبي كما أخذت من التراث المحلي، وسوف تفصل الدراسة توظيف التراث في روايات الكاتبة.

## أولاً : توظيف التراث الديني والمحلي :

شكل توظيف التراث الديني ظاهرة بارزة في إنتاج زينب بليل الروائي، لذلك وقفت الدراسة ووقفاً تقنياً يبحث في أنواعه، سواء أكانت في شكل ألفاظ أو جمل أو أسماء اقتبسها الكاتبة من القرآن الكريم أو السنة النبوية أو التراث العربي والشعبي، الذي كانت الكاتبة مغرمة بعرضه.

### 1- تراث القرآن الكريم :

تنوع الاستشهاد القرآني ما بين اخذ سورة كاملة أو آيات أو ألفاظ لا تحيلها الكاتبة إلى سورتها. ومن نماذج السورة الكاملة، سورة الفاتحة التي جاءت كاملة في «نبات الصبار»<sup>(3)</sup>. وقد تقبّست الكاتبة جزءاً من بعض الآيات من القرآن ومن أمثلتها: « { الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ... } »<sup>(4)</sup>، وكذلك « { ... وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئاً وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئاً

(1) انظر تحولات السرد - دراسات في الرواية العربية، ابراهيم السعافين، ص 105

(2) المرجع السابق الصفحة نفسها.

(3) نبات الصبار، ص 61

(4) سورة الكهف، الآية 46، كش ملك، ص 40

وَهُوَ شَرُّ لَكُمْ...} (1)، وأيضاً {...أَلَا يَذْكُرُ اللَّهُ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ} (2). وكذلك «...لَا يُعَيِّرُ اللَّهُ مَا يَقُومُ حَتَّى يُعَيِّرُوا مَا يَأْنَفُسِهِمْ...» (3) وهناك بعض الاقتباس المعنوي من القرآن الكريم مثل «وجوها ناضرة ضاحكة مستبشرة» (4)، التي اقتبسها من قوله تعالى: { وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ\* صَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ} (5). وكذلك «وهن العظم منه» (6)، التي اقتبسها من قوله تعالى { قَالَ رَبِّ اني وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاسْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا... } (7) وقد شكلت عبارات وألفاظ القرآن الكريم بعدا لغويا وجماليا. ومن أمثلتها «المن ، السلوى، تمتعوا ، للصابرين جنات...الخ» .

## 2. الحديث النبوي :

نجد استشهاداً من الحديث الشريف ولكن ليس بكثرة الاستشهاد القرآني . ومن نماذجه «تداووا عباد الله» (8)، من الحديث الشريف الذي روي عن أسامة بن شريك عن النبي صلى الله عليه وسلم في إجابته على الأعراب حيث قال أسامة: «أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال تداووا عباد الله فإن الله عز وجل لم ينزل داء إلا أنزل معه شفاء إلا الموت والهزم» (9). ومن أمثلته كذلك «طلب العلم فريضة» (10)، من الحديث الشريف « قال رسول الله صلى الله عليه وسلم طلب العلم فريضة على كل مسلم» (11) .

## تراث البيئة المحلية :

«توظيف التراث المحلي في الرواية العربية يمكن أن يكون ناتجاً من تأثير الروايات

(1) سورة البقرة ، الآية 216 ، نبات الصبار ص 41

(2) سورة الرعد، آية 28 ، نبات الصبار ص158

(3) سورة الرعد الآية 11 ، الاختيار ص70

(4) الاختيار ، ص21

(5) سورة عبس، الآية 37 - 38 .

(6) نبات الصبار ، 28

(7) سورة مريم، الآية 4 .

(8) الاختيار ، ص 71

(9) مسند أحمد - أول مسند الكوفيين - تدأوا عباد الله فإن الله عز وجل لم ينزل داء إلا أنزل معه شفاء إلا الموت والهزم حديث رقم 17987. وانظر كذلك سنن ابن ماجه - كتاب الطب - عباد الله وضع الله الحرج إلا من اقترض من عرض أخيه شيئا فذاك الذي حرج- ص 1137 - كتاب الطب، باب ما انزل الله داء إلا أنزل له شفاء، حديث رقم : 3436.

(10) الاختيار، ص 71.

(11) كتاب سنن ابن ماجه بشرح السندي - كتاب المقدمة - طلب العلم فريضة على كل مسلم ، حديث رقم 224.

الأمريكية اللاتينية - كما يقول بعض النقاد المحدثين- «وخاصة روايات ماركيز في روايته «مائة عام من العزلة» التي غاصت في أعماق التاريخ ووصلت إلى الأساطير والحضارات القديمة»<sup>(1)</sup>، ولكن مهما يكن التشابه بين بعض الروايات العربية والروايات الأمريكية اللاتينية من حيث التوجه إلى البيئة المحلية مثل روايات نجيب محفوظ أو الطيب صالح، فلا نبالغ في حجم التأثير، إذا أن هذه الروايات قد كتب بعضها قبل ترجمة الروايات اللاتينية، مثل روايات الطيب صالح التي وظفت البيئة المحلية قبل ترجمة الروايات الأمريكية اللاتينية»<sup>(2)</sup>. وربما يرجع التأثير من الحكايات العربية مثل ألف ليلة وليلة.

وقد تأثرت بعض الروايات السودانية بالروايات الأمريكية اللاتينية في توظيفها للتراث المحلي، كما تأثرت بعضها «بالتراث الشعبي المحلي من أدب الصعاليك «الهمباتا» أو من قصص الجدات «الحبوبات» وأخذت من ذلك التراث طابعه الاجتماعي، الذي يهدف إلى إقامة العدل لإحداث التوازن الاجتماعي بين الفقراء والأغنياء»<sup>(3)</sup>. كما تناولت الصوفية وأثرها على المجتمع، وكذلك الحكايات الشعبية والأسطورة. وكل تلك الجوانب تمثلت في روايات زينب بليل.

## 1. الصوفية :

تشكل الصوفية احد أهم مكونات العالم الروائي لزينب بليل وهي مظهر «واقعي» يشيع انتشاره في بيئات السودان، خاصة القروية منها، بوصفها المكان المناسب لظهور الصوفية، نسبة لبدائية الحياة فيها وبعدها عن الحياة الصاخبة، كما تشكل مكانا خصبا لنمو هذا النمط من النشاط الروحي الذي تمارسه مجموعة من الناس تقطع صلتها بملذات الحياة الدنيا، من اجل الوصول للحظة الفناء الروحي»<sup>(4)</sup>.

وقد اتخذت الكاتبة طريقتين لتوظيف الصوفية في رواياتها «أولهما التوظيف الخارجي، وهو تعليمي الغرض منه تعريف القاري واطلاعه على شيء مجهول بالنسبة إليه، وهنا تقف الكاتبة موقف المؤرخ السارد دون تدخل، فتقدم معلومات للقارئ عن المسيد وشيوخه وحيوانه وما يدور فيه، أما الطريقة الثانية التي اتبعتها الكاتبة فهي درجة التوظيف القصوى، حيث يذوب النص الموظف في الرواية ويشكل خلفية لأحداثها وأفكارها

(1) انظر نشأة الرواية في أميركا اللاتينية، غوردن برذرستون، تر-د/ سميرة بريك - وزارة الثقافة، دمشق 1984م - ص 6 وما بعدها - المرجع عن توظيف التراث في الرواية العربية، محمد رياض وتار، ص 216.

(2) انظر نشأة الرواية في أميركا اللاتينية، غوردن برذرستون، تر-د/ سميرة بريك، ص 217.

(3)- الرواية الواقعية السودانية الحديثة د/ بشير عباس بشير، ص 54

(4) انظر توظيف التراث في الرواية العربية، د محمد رياض، ص 219.

ومواقف شخوصها»<sup>(1)</sup>. وأكثر ما وظفت الصوفية في روايتها «نبات الصبار» حيث اتضحت فيها الطريقتان ، فبالنسبة للأولى نجدتها في وصفها للمسيد وشيوخه وتلاميذهم وما يحدث داخله خاصة يوم الجمعة « وصلوا لدار غير كل الديار ..تعج بالبشر ..فناء واسع ونظيف جدا ...بعد الصلاة التي أدءاها مئات من البشر نساء ورجال في المسجد الكبير»<sup>(2)</sup> ، وتصف النوبة والطار وإيقاعهما الموزون ، وقد نقلت الكاتبة كذلك مشهد لتشييع جثمان الشيخ الكبير للمسيد والد «الحسين» « كان ظهر جمعة ..كان المسيد يضيق بالمريدين نساء ورجالاً.. صلى ذاك الجمع على الجثمان .آم المصلين الشيخ المحجوب ..أكبر الأبناء ..اصطف بعده الأخوة العشرة ثم باقي المصلين الذين تزاموا لدرجة العراك .ثم استعد حملة الجثمان ..أربعة رجال يلبسون اخضرا ..حفاة وحاسري الرؤوس يحزمون بطونهم بأحزمة سوداء ..هناك ما يقارب المئة من هؤلاء حول النعش ليتناوبوا شرف الحمل ، بعدهم مباشرة أبناء الشيخ الأحد عشر في أجمل الثياب في عمائم سوداء ..، على يمينهم ضاري النحاس في زي اسود..على اليسار أهل النوبة ، يلبسون الدمور الأبيض ويتوشحون السواد في عمائم سوداء أيضا..بعدهم آلاف البشر من كل الأعراق وكل الأعمار الرجال ثم النساء»<sup>(3)</sup>. والكاتبة تعرض هنا هذا المشهد لغرض تعريف القارئ بما يحدث عند موت شيخ المسيد الأكبر .

أما الطريقة الثانية التي اتبعتها الكاتبة لتوظيف الصوفية في «نبات الصبار» فهي توظيفها للعلاج النفسي عن طريق شيوخ المسيد ودوره في المجتمع من خلال علاج «خديجة» بطلة الرواية الذي وصفها لها الشيخ المحجوب « تشرب عسل النحل الصافي بعصير الليمون والمحاية على الريق ، تستحم بالمحاية المبردة .....النظام ده يستمر أربعين يوم ..ما يزيد ولا ينقص»<sup>(4)</sup>. وتنتقل الكاتبة هنا صورة لإحدى الطرق التي كانت تتبع في المسيد لعلاج المرضى، ونلاحظ هنا ذوبان هذا الشكل العلاجي الموظف في الرواية واختلاطه بها مما يجعله يشكل خلفية لأحداثها وشخصياتها.

استفادت زينب بليل من ثقافتها الدينية خاصة الصوفية ، والأولياء الصالحين، فقد عاشت وترعرعت في جو تسيطر عليه مثل هذه الأشياء من زيارة للأولياء والأضرحة والقصص التي تدور حولها، فكل هذا أتاح لها القدرة على مزج الواقع بالخيال، فقد تحدثت عن شيوخ المسيد وكراماتهم وعن الأرواح كما يتصورها الناس ولعل هذا الذي يفسر وجود مثل

(1) توظيف التراث في الرواية العربية - رياض وتار ، ص 68 .

(2) رواية نبات الصبار ، ص 127 ، 128 .

(3) المرجع السابق ، ص 3..

(4) رواية نبات الصبار ، ص 22..

هذه القصة في رواياتها عامة و«نبات الصبار» خاصة ، فقد صورت مشهد خيالي يصف ما حدث لجثمان الشيخ الكبير للمسيد» وكانت المفاجأة ..حملة النعش وقفوا مصعوقين ..ارتفع الجثمان من العنقريب وسبح في الهواء ..تشهد الجمع بمحمد وكبروا وهللوا ثم صمتوا واجمين قال لهم الشيخ محجوب: احملوا العنقريب واتبعوا الجثمان ..لقد حملته الملائكة..هبط الجثمان فوق العنقريب بالقرب من اللحد»<sup>(1)</sup>.

ونلاحظ من خلال رسم هذا المشهد تفاعل الكاتبة تفاعلا ايجابيا مع هذا الموروث الشعبي والروحي الذي تراه موروثا في المجتمع . وينكشف هذا الجانب الروحي من خلال ما يعتقد الناس وما يسيطر على أذهانهم من الأساطير والمعتقدات والأجواء الروحية في المسيد ، ويظهر من موقف الكاتبة إيمانها ببعض هذه المعتقدات الدينية ، بل وما ركز في وجدانها من ولاء للمسيد والإيمان بشيوخه وشيوخ الدين من رجال الطرق الصوفية من مات منهم أو ظل على قيد الحياة . لذلك فقد نقلت عبر رواياتها هذا التراث الروحي بكل ظواهره الشعبية الذي يتمثل في الضريح وزيارة الأولياء والزار على أنها رموز مؤثرة في الحياة والمجتمع .

## 2. توظيف الأسطورة :

«الأسطورة هي ببساطة قصة، وحتى يستطيع الإنسان أن يروي قصة ، يجب أن يكون قادرا على تصوير الأشياء التي ليست في متناوله أو متناول حواسه ، كما يفترض أن يملك الكلمات التي ينقل بها تصوراته إلى الآخرين ، ولكن ليس كل قصة أسطورة ، فالأسطورة هي نوع غير عادي من القصص يتضمن أشياء خارقة»<sup>(2)</sup>. إذن فالأسطورة هي قصة خيالية قد تكون حدثت في الزمن الماضي، لذلك نجد الكاتب يستخدمها لتكون «خلفية للعمل الفني تربط الماضي بالحاضر وتنادي بمزيد من الوحدة في العمل الأدبي»<sup>(3)</sup>. والأسطورة تستمد من أفكار الكاتب وخبراته وتجاربه وما خزنه في ذاكرته من وقائع مشابهة .

وقد وُظفت الأسطورة في العديد من الروايات العربية خاصة التي تصور المجتمعات البدائية أو ذات الوعي الفكري المتدني بوصفهما مكان خصب لنمو مثل هذه القصص الخيالية، وتأثيرها بعمق على عقول الناس في تلك المجتمعات .

وقد استخدمت زينب بليل الأسطورة في رواياتها بل غرقت في عوالمها من خلال «نبات الصبار» و«كش ملك» ، حيث عرضت رواية «كش ملك» مجموعة من الأساطير التي

(1) المرجع السابق ، ص 3، 31 .

(2) وقفات نقدية مع فن الرواية ، ياسر الفهد ص 79

(3) انظر دراسات في نقد الرواية د/ طه وادي ص 113

استوحتها الكاتبة من ثقافتها الأدبية والفنية وهي أسطورة عن النجوم تسمى «بنات نعش» وتحدث عن قصة «ثلاث بنات..واحدة حبلى والثانية مرضعة والثالثة عذراء مات أبوهن وحمله المشيعون لمثواه الأخير وحزنت البنات الثلاث وبكين وأسرعن خلف النعش»<sup>(1)</sup> ولكن كل واحدة تزداد قربا أو بعدا من النعش على حسب حركتها ولا تستطيع أي منهن الوصول لنعش والدها لحكمة أرادها الله كما تقص الأسطورة فأصبح «مشوارهن ابدي جري ولهث ولن يتوقف»<sup>(2)</sup>. وقد استدعت الكاتبة الأسطورة هنا لتحديد التشابه بين ما حدث لبنات نعش في الماضي وما يحدث للملك في الحاضر وهو «لهته في سماوات القارات في مطارات العواصم والفنادق المدن..ولم يصل لمستقر..مثل صاحباته بنات نعش لحكمة أرادها الله»<sup>(3)</sup>. وقد أدى هذا التشابه إلى تداخل العالمين الأسطوري والواقعي، وتوحدهما في عالم واحد امتحت فيه الفواصل بين الأسطورة والواقع.

أما الأسطورة الثانية التي وظفتها الكاتبة فهي أسطورة «ودريا» التي تحكي أسطورة عن «ودريا راعي الغنم زوج «العقرب» عشق ودريا «الثريا» وحزنت العقرب وأحست الظلم فرفعت يديها للسماء ودعت الله قائلة عندما خرج «ودريا» بأغنامه وكانت تعرف أنه ذاهب ليخونها مع الثريا..دعت قائلة: «أنشاء الله يا ودريا..لا أنا ولا الثريا» وفاجأه الذئب..قتله واكل أغنامه فخرس ودريا حياته والمرأتين والغنم»<sup>(4)</sup>. فالكاتبة هنا توظف الأسطورة وتشبه الملك «بودريا» في الطمع وعدم الرضا والخيانة، فكلاهما متشابهان، فالتناس هنا يشكل جزء كبير من مفهوم القصة ووجدان الشخصية. فتوظيف الأسطورة هنا ليس مجرد استعراض ثقافي من الكاتبة بقدر ما هو يحمل دلالات إيجابية، تدفع المتلقي إلى الفاعلية، وتعطي النص جوا من الواقعية.

مزجت الكاتبة بين الخرافة والأسطورة في شخصية «الحسين» التي أعطتها أبعادا خيالية أو أسطورية تستطيع أن تقوم بدورها الذي حُدد لها، بالرغم من أن شخصيته يمكن أن تكون واقعية محددة السمات، إلا أن الجانب الوهمي الأسطوري الذي رسمته الكاتبة أضفى عليها أبعادا لا توجد في الواقع، فقد استطاعت هذه الشخصية بفضل ربايتها التي تفعل المعجزات التي لا يمكن أن يفعلها الإنسان فقد حلت أكثر الأمور تعقيدا، وهدأت كثير من المواقف:

(1) رواية كش ملك، ص 224.

(2) رواية كش ملك، ص 224.

(3) المرجع السابق الصفحة نفسها.

(4) المرجع السابق، ص 206.

«علا الاحتجاج.. وضرب الرجال الرجال والنساء.. فزع الأطفال وعلا صراخهم وفجأة سمعوا صوت الربابة.. شيئاً فشيئاً هدأ الغليان وطغي النغم حتى تشبع بالهواء وحمله الريح بعيداً حاملاً معه الغضب والصراخ»<sup>(1)</sup>، وهناك العديد من المواقف غيرها تتناثر بين صفحات الرواية .

لقد وظفت الكاتبة المجهول والخارق في روايتها «نبات الصبار»، فسكان شارع النار بما أنهم يعيشون حياة بدائية واغلبهم ينقصه العلم والمعرفة ، فلا بد أن يؤمنوا بالقوى الخارقة وما تتمتع به من قدرات خيالية . فصورت الكاتبة عالم الجن وما يدور حوله من قصص ، فقد رسخ في نفوس سكان الشارع أن المستنقعات يسكنها الجن ويعملون على ضرر الإنسان؛ لذلك كانوا لا يجرءون على المرور قربها، وقد حاكوا كثيراً من القصص حول المستنقعات وساكنيها من الجن ص 39، 43 . ولكن في بعض الأحيان نجدهم قد فضلوا الجن على الإنسان « والله ديل الشياطين أحسن منهم....

- مالكم ومال الشياطين؟ مجاورنهم كم سنة؟ يوم واحد هدوا بيت واحد فينا ؟ كان بتقدروا تعملوا شيء اعملوا للناس الخلوكم قاعدين في الصقيعه ..لا بيت لا مويه»<sup>(2)</sup>. ومزجت الكاتبة بين الحقيقة والخرافة في بعض أجزاء الرواية ، فوحدت بين البشر والجن، حيث جعلت الجن يفعل وما لم يستطع أن يفعله البشر، وذلك حين حارب الجن مع «الحسين» جيش الحكومة واستطاع أن يتغلب عليه «وقف جيش السلطة على سطوح المنازل وصبوا نيرانهم .ولما اقترب الزحف المخيف ضربوا في عشوائية ..في هلع وبدون تركيز ..وفروا...هرب كل من في المدينة ..حتى الحكام»<sup>(3)</sup>. وقد استطاعت هذه القوى الخفية أن تقف مع الضعفاء من البشر ضد الأقوياء، والرمز هنا يعطي الصورة الإيجابية التي بدت عليها القوى الخفية في مقابل الصورة السلبية لعالم الإنسان، وهذا الذي جعل زينب بليل تطرح الخارق بديلاً لما هو سائد، وتعويضاً عن الواقع وعلاقة الإنسان بالإنسان»<sup>(4)</sup> . وهكذا قدمت زينب بليل في رواياتها الخارق من خلال تشكيكه في وعي الجماعة ووظيفته في الحياة التي يعيشها مجتمع «شارع النار» بين الماضي والحاضر ، لتتقد الواقع المعاش الذي لم يستطع الإنسان تغييره ، فالأوضاع السياسية والاجتماعية لا يمكن أن تتغير إلا بمعجزة ، فتغيير هذه الأوضاع من الصعب بمكان .

(1) رواية نبات الصبار ، ص 4 .

(2) رواية نبات الصبار ، ص 45،44 .

(3) المرجع السابق ، ص 25..

(4) توظيف التراث في الرواية العربية ، محمد رياض وتار ، ص 223 .

3- الأمثال والعبارات الشعبية : فقد كثرت كثرة مفرطة في جميع روايات الكاتبة، بحيث شكلت نسيجاً متلاحماً وأساسياً في البناء الروائي . خاصة الأمثال الشعبية التي تذكرها في كل شاردة وواردة ، فاحتشدت بها صفحات رواياتها - خاصة نبات الصبار- وقد نجد بعض الصفحات التي احتوت على مثل أو مثلين بل ثلاثة كما في ص7.رواية «الاختيار»، وص88،156 في «نبات الصبار» . وقد وردت الأمثال والعبارات على العديد من السنة شخصياتها الروائية، أمية كانت أم متعلمة، وهذا يضفي مصداقية واقعية على الشخصية خاصة الأمية منها، مثال لذلك ما ورد على لسان الجدة في«الاختيار»«رحمة قاعد الما بتواعد»<sup>(1)</sup>. وعلى لسان الأم «عسل وانغسل»<sup>(2)</sup>. وهناك بعض الأمثال التي ذكرتها الكاتبة لا تتناسب مع الحوار أو الشخصية أو المقام الذي قيلت فيه. مثال لذلك«اللوم بجي بالغفلات»<sup>(3)</sup>، وكذلك «ود أب زهانة يدين عشان يتبين»<sup>(4)</sup>. وقد تعتمد الكاتبة على مثل شعبي يتردد على السنة الشخصيات موحياً بحكمة خالدة يحتاجها الإنسان، مثل «المصائب يجمعنا المصائبنا»<sup>(5)</sup>. وأيضاً «مرفعين كتلو أسد»<sup>(6)</sup>.

وهذه الأمثال تكررت كذلك في رواياتها الأخرى ، وان كانت لا تناسب بعض المواضيع التي قيلت فيها ، ويمكن أن يأتي المثل الفصيح داخل حوار عامي أو العكس. وقد يأتي المثل الفصيح على لسان شخصية أمية أو تتحدث العامية أو العكس مما يجعل الأمثال غير متناسقة في بعض المواضيع. وقد تغير الكاتبة من ألفاظ المثل مرة بالعامية وتارة بالفصحى ، كما حدث في المثل «الجيات أجمل من الرايحات»<sup>(7)</sup> ومرة «الجيات أكثر من الرايحات»<sup>(8)</sup> ، وقد تكرر هذا المثل أكثر من 6 مرات في الرواية. مما يدل على عمق دلالاته، وان كان قد ورد في بعض المواضيع دون مسوغ .

ولبيان كمية الأمثال داخل الروايات. فيمكن إجراء احصائية تحدد ذلك ، فالأمثال

(1) رواية الاختيار ، ص 32

(2) السابق - ص 117

(3) رواية نبات الصبار ص 154

(4) السابق - 54

(5) رواية الاختيار ص 85، 88

(6) المرجع السابق - 135، 150

(7) نبات الصبار ، ص 80

(8) المرجع السابق ، ص 80

العامية نجد منها حوالي ثلاثين مثلا تقريبا. بينما الفصحى يمثل نصف العامي أي حوالي خمس عشر مثلا تقريبا.

وقد استخدمت زينب بليل كذلك المفردات والعبارات العربية والشعبية المحلية ، بصورة واسعة في لغتها الروائية. مما خلق جو شعبي تجسدت فيه روح البيئة المحلية. ومن نماذج العبارات العربية « اختلاف الرأي لا يفسد للود قضية ، ما لا يمكن أن يدرك يمكن أن يترك ، اللبيب بالإشارة يفهم». ومن أمثلة العبارات والألفاظ العامية «بجو نضاف يراروا ، قيد الهوان، الموضوع حساب ولا كوار، المريسة ، الكوارع، أم فتفت، الأنداية، النواتية، القماح» وغيرها من الألفاظ والعبارات التي مثلت لغة تراثية ، انحدرت من القصص الشعبي أو الحكايات . وهذا الاستعراض اللغوي للمفردات والعبارات الشعبية والأمثال، يؤخذ على الكاتبة لأنها تعرضه- أحيانا- من غير مسوغ فني ، فهو لم يشكل جزءا حيويا من لغة الشخصية أو لغة الرواية ، ولا نجد لهذا الاستعراض سوى غاية واحدة هي إظهار الكاتبة لمقدرتها على حفظ هذه المفردات وتوضيح ثقافتها الشعبية .

على هذا النحو لاحظنا أن علاقة الأشكال القصصية المتوارثة بتجربة زينب بليل علاقة وثيقة تتمثل في كل رواياتها ، وقد استفادت من الأشكال التراثية بصورة كبيرة، كما استفادت من اللغة الشعبية وما فيها من غنى ، مثلما أفادت من طريقة التعبير المحلية في تصوير الشخصيات والأفكار والأحداث ورسم الخلفيات المكانية والمناظر المختلفة من مثل استغلال التعبيرات الشعبية .

## ثانيا: توظيف التراث الشعبي :

ارتبطت الرواية العربية في نشأتها بالأشكال القصصية القديمة مثل فن المقامة والحكاية الشعبية والسيرة الشعبية والأساطير وغيرها . وذلك قبل اتصالها بالثقافة الغربية التي استقت منها بعد ذلك فترة ليست بالقصيرة حاول خلالها الكتاب تقليد الشكل الغربي، فصارعت الرواية العربية فترة من الزمان التيارين الغربي والتراث العربي، فحاولت أن تثبت هويتها من خلال بعض الروايات التي اتجهت إلى توظيف التراث العربي. حيث حققت في العقود الأخيرة بعض نماذجها الاستفادة من التراث وتوظيفه «في سبيل تحقيق انتمائها إلى الثقافة العربية واستقلالها عن الرواية الغربية»<sup>(1)</sup>. فنحت بعض الراويات نحو التراث . ومصطلح التراث «هو كل ما وصل إلينا من الماضي داخل الحضارة السائدة»<sup>(2)</sup>. وهذا التعريف لا يحدد زمن التراث فعليا وإن كان حدد أنه من الماضي . فإذا كانت بعض

(1) توظيف التراث في الرواية العربية د/ محمد رياض وتار ، ص 1..

(2) المرجع السابق - ص 19 .

الروايات اتجهت للتراث العربي فإن بعضها الآخر اتجه إلى الرواية الغربية يستقي منها، ليس تقليدا لها لأن من وظائف الرواية التعبير عن مشكلات الواقع ورصد متغيراته، وفرق شاسع بين الواقعيين، ولكنها أخذت من تقنيات الرواية الغربية المعاصرة ما يحقق لها فنيته.

وزينب بليل من الكتاب الروائيين الذين ظهر في أعمالهم التأثر بالروايات الغربية كما ظهر جليا عندها توظيف التراث العربي، الذي أضفى جواً من الواقعية النابضة بالحياة في رواياتها خاصة التراث الشعبي، الذي وظفته وأتقنت استخدامه في رواياتها - في أغلب الأحيان- كما أتقنت تنويعه.

## 1. توظيف السلالة الشعبية :

وظفت زينب بليل السيرة الشعبية أو الملحمة الشعبية، من خلال شخصية البطل حيث صورت بطل رواية «نبات الصبار» «الحسين» في ضوء شخصية بطل السيرة الشعبية، فالبطل في السيرة الشعبية «إنسان عظيم كامل الأوصاف ماديا ومعنويا، والبطولة تتصل بجميع سماته ومكوناته، فهو يجمع بين الشجاعة الفائقة والذكاء النادر والحلم الصبور والوفاء النبيل، وقد تفعل شخصية البطل ما يعجز عنه البشر»<sup>(1)</sup>، وقد تصل صفات بطل السيرة إلى حد المبالغة، «والبطل في السيرة الشعبية كذلك رمز للعدل والانصاف فهو يقف مع الضعفاء من الناس، كما يعتبر مثال أعلى لاستخدام القوة في سبيل الحق والخير، لذلك فهو يعتبر رمزاً للخير والعدل في عالم تصطرع فيه قوى الخير والشر، والعدل والظلم»<sup>(2)</sup>.

وبناء على ذلك نجد ثمة تشابه بين بطل السيرة وشخصية «الحسين» في رواية «نبات الصبار» في جوانب عديدة، ولكن دون أن يكون بينهما تطابق، مما يدل على أن زينب بليل اعتمدت الاختيار والاختزال في توظيفها للتراث، فالحسين انتقل من مكانه الذي ولد فيه حيث كان معروف النسب والحسب بين أهل المسيد فهو ابن الشيخ الكبير وأخ لمجموعة من الأبناء، إلى مكان آخر هو «شارع النار» الذي يشيع فيه الفقر المدقع والظلم، وهذا المكان لا يعرفه فيه احد، ولا يدري شيء عن أصله وماضيه شأنه في ذلك شأن أبطال السيرة الشعبية، «فهو منذ ميلاده يهئ له الرواة ظروف غير طبيعية لمولده، ثم يعيش طفولة بائسة في مجتمع، طبقي يشيع فيه الظلم، ويقبع فيه عامة الناس في أسفل السلم الاجتماعي، حيث الفقر، والظلم والاستغلال، ولم ينتبه إليه أحد»<sup>(3)</sup>، كما يتميز بطل السيرة

(1) انظر دراسات في نقد الرواية، د/ طه وادي، ص 12.

(2) انظر توظيف التراث في الرواية العربية، محمد رياض وتار، ص 89.

(3) انظر توظيف التراث في الرواية العربية، محمد رياض وتار، ص 89.

الشعبية منذ ولادته بصفات مميزة ، تدل على أن هذا الطفل «سيكون له شأن عظيم في المستقبل، وتوحي هذه الصفات إلى نوع الأفعال التي يمكن أن يقوم بها»<sup>(1)</sup>.

وزينب بنت شخصية الحسين على ضوء شخصية بطل السيرة الشعبية، فألصقت بها كثيراً من صفاته، ولكن حياة الحسين تختلف عن بطل السيرة من حيث الميلاد والنشأة، فالحسين ولد في ظروف طبيعية ونشأ نشأة طبيعية ، ولكن كون الحسين آخر مولود للشيخ الكبير ، وإنه أنجبه من امرأة فقيرة، فبناء على ذلك فقد تكون الولادة غير طبيعية، ونشأته كذلك في كنف والده الذي فضله على إخوانه جعله محسوداً من قبلهم، كل هذا ينبئ عن مستقبل مجهول لهذا الابن «الأبناء الكبار لم يكن يعجبهم ذاك القرب الحميم ولا الحب الواضح بين الشيخ الكبير وأصغر الأبناء»<sup>(2)</sup>. وهذا الميلاد يشبه كذلك ميلاد نبي الله يوسف عليه السلام وموقف اخوته منه ، كما كانت ولادة الحسين تنبؤ لما سوف يحدث في المستقبل «شيء جديد حدث»<sup>(3)</sup>.

ويشبه الحسين بطل السيرة الشعبية كذلك من حيث بنيته القوية « كان الحسين فارعا وقويا ..أنه ولي ابن ولي»<sup>(4)</sup>،ومن صفات بطل السيرة الشعبية «الصفات الخارقة التي يراد منها الإشارة إلى المكانة الكبيرة التي سيحتلها في المستقبل وكأن هذه الصفات تهئ المتلقين لتقبل ما سيقوم به بطل السيرة من أفعال معجزة وجميلة في المستقبل»<sup>(5)</sup>. وهذا ما نجده عند «الحسين» حيث ورد التمهيد في الرواية للشأن العظيم الذي سيكون عليه في المستقبل، بذكر أفعال وأحداث تدل على عظمة «الحسين» وتجعله شخصية خارقة بفضل ربابته التي تفعل المعجزات<sup>(6)</sup>. وقد وضحت الكاتبة هذه المعجزات منذ أن كان الحسين صغيراً لتمهد للدور الذي يمكن أن تقوم به في المستقبل .

وبطل السيرة الشعبية «يرد الظلم عن أبناء جنسه ويمنع عنهم تسلط الأغنياء... ويمر بكثير من الصعاب والأهوال ولكنه ينتصر على قوى الشر بفضل من ساعده من

(1) المرجع السابق ، ص 9..

(2) رواية نبات الصبار ، ص 26 ، 27 .

(3) المرجع السابق ، ص 23 .

(4) رواية نبات الصبار ، ص 31 .

(5)مدخل الى التحليل البنيوي للسيرة الشعبية،نظريا وتطبيقيا ، د/ محمد رجب النجار ص 144-155قضايا وشهادات- مؤسسة غيبال-قبرص 1992م.- عن كتاب توظيف التراث في الرواية العربية - محمد رياض وتار - ص 91 .

(6) رواية نبات الصبار ، ص 27 .

الخيرين»<sup>(1)</sup>، والحسين أيضا يصارع السلطات وجيشها وينتصر عليها بفضل رباطته، ويرد الظلم عن الفقراء، وبطل السيرة الشعبية «يؤثر في حياة الآخرين ويخلص الناس من عدوان خطر»<sup>(2)</sup>، كما فعل الحسين مع جيش السلطات. فالحسين هنا يلتقي مع بطل السيرة الشعبية في أن كليهما يلقي معارضة من قوى الشر والظلم، ويلتقي كذلك وبطل السيرة في نهاية كل منهما، فبطل السيرة يموت وحيدا بعد أن يفرغ من مهمته وأداء رسالته»<sup>(3)</sup>، والحسين مات برصاص السلطات بعد أن نجح في مهمته وهي تغيير حياة «شارع النار» إلى الأفضل التي كان يحلم بها منذ كان صغيرا بفضل رباطته فقد صورته الكاتبة ساعيا للإصلاح والتغيير «أتمنى أن أعطي الناس شيئا يفرحهم.. ولم أجد غير الربابة وصوتي.. هل هذا يكفي؟ أريد أن أعطي سكان المسيد شيئا يغير حالهم.. أعطي زوار الأضرحة الخلاص.. أعطي كل المستغيثين السلام واليقين»<sup>(4)</sup>، وهي المهمة التي انتدبت لها الكاتبة.

يتبين لنا من خلال المقارنة بين الحسين وبطل السيرة الشعبية أنهما يلتقيان في نقاط كثيرة، وأن الكاتبة استطاعت أن تستفيد من ثقافتها الأدبية ليس في مجال البطل فقط بل أيضا في مجال استخدام الجن، الذي استخدمته الكاتبة رمزاً تعبر من خلاله عن الوضع الاقتصادي الذي يحتاج إلى قوى خارقة كي يتغير. ومن هنا نلاحظ اختلاف الرؤية بين السيرة الشعبية و«نبات الصبار»، فالرواية تحمل مفاهيم العصر ومشاكله والصراع الطبقي، بينما السيرة تحكي حياة البطل منذ ميلاده إلى وفاته والصعوبات التي واجهها وانتصاره على قوى الشر.

كما تلتقي رواية «نبات الصبار» مع السيرة الشعبية في «ضرورة وجود بطل فردي، يقود إلى تحقيق النصر وتصحيح الإساءات ورفعته إلى درجة التقديس»<sup>(5)</sup>، ولكنها تختلف عنها في طبيعة رؤية البطل الفردي، فالرواية وجهت اهتمامها بالسكان كذلك، لتؤكد أن الفرد لا يستطيع أن يفعل شيئا مفرده ما لم يتحرك السكان ليدافعوا عن حقوقهم ومصالحهم، كما أن الرواية لم تحمل اسم «الحسين» كما تفعل عناوين السير الشعبية، بل حملت اسم يدل على رؤية الكاتبة وتصويرها لهذه الطبقة.

## 2 - الحكاية الشعبية :

لقد وظفت زينب بليل أشكالاً من القص التراثي ولا سيما «الحكاية الشعبية»،

(1) توظيف التراث في الرواية العربية، محمد رياض وتار، ص 91.

(2) انظر دراسات في نقد الرواية، د/ طه وادي، ص 14.

(3) توظيف التراث في الرواية العربية، محمد رياض وتار، ص 92.

(4) رواية نبات الصبار، ص 28.

(5) توظيف التراث في الرواية العربية، محمد رياض وتار، ص 93.

حيث نجد كثيراً من سماتها متمثلة في رواياتها. فمن سمات الحكاية الشعبية أو توظيفها في رواياتها خاصة «نبات الصبار» المجرى العريض للوقائع والأحداث، إذ تتناسل بعضها من بعض وتتشعب فنجد أنفسنا في نهاية المطاف أمام مجموعة منها، فتتداخل القصص في الرواية الواحدة حيث تتضمن أكثر من قصة « وهذا الأسلوب الذي تتناسل فيه القصص بعضها من بعض مألوف في القص الشعبي التقليدي، ولكن هذا لا يشكل خطراً على الروايات لو تمكن الكاتب من توظيفه على نحو جيد يكشف فيه عن رؤية معاصرة، وقد فعل الكثير من الروائيين العرب المعاصرين»<sup>(1)</sup>. وقد فعلت زينب بليل ذلك حينما وظفت القصص داخل رواياتها فجاء بعضها متداخل في سياق القصة على نحو جيد ومعاصر.

ومن سمات الحكاية الشعبية كذلك عدم اهتمام الكاتب بالزمن عاملاً حاسماً لتطور الشخصيات، وهذا ما يفعله الراوي الشعبي حين لا يهتم بعنصر الزمن وأهميته بالنسبة للقص وتطور أحداثه. كما أن نهايات الروايات تحمل صورة من صور الحكاية الشعبية، مثل نهاية «الحسين» في «نبات الصبار» حيث تحول موته إلى رمز شعبي مبارك، وينتهي نهاية أسطورية خرافية «أصابت رصاصة الحسين في صدره وقبل أن يسقط أو تسقط الرابطة امتد زراع من أعلى الشجرة وحمله في رفق ووضع في أعلى غصن»<sup>(2)</sup>.

والكاتبه توظف التراث الشعبي وثقافتها به توظيفاً ذكياً في رواياتها، فأسماء الناس عندها مستمدة من الأدب الشعبي مثل الحسين، الفكي وغيرها. وتشبه أبطالها النساء بست الحسن والجمال أما الرجال فتشبههم بآبي زيد الهلالي «الحسين والبحر».

والشخصية في الحكاية الشعبية تظل على حالة واحدة لا تتغير «فالطيب الخير يظل على حالة واحدة منذ البدء حتى الختام، وكذلك الحال بالنسبة للشيرير الخبيث»<sup>(3)</sup>. كما نلاحظ في رواياتها بعض الظواهر الأسلوبية تعود بنا إلى بعض سمات التراث الشعبي من مثل صيغة الحوار، أو في بعض الحوادث التقليدية مثل الحلم والخطابات، وكذلك اللغة العامية التي تشير إلى معتقدات شعبية من مثل «ساعة المخاض» في «الاختيار». ونلاحظ أيضاً بعض التعبيرات الشعبية التي تشابه التعبيرات الملحمية السردية في تراث السيرة الشعبية وألف ليلة وليلة من مثل «تمر الأيام وذات يوم وفي يوم من الأيام. كما أن تأثرها بالأدب الشعبي أو الحكاية الشعبية جعلها تذكر في بداية الرواية «كان يا ما كان» مثل «كش ملك». كل هذه - وغيرها - سمات أساسية للحكاية الشعبية، فقد استطاعت الكاتبة أن توظف التراث

(1) فن الرواية في الأدب العربي السعودي - د/ محمد صالح الشنطي، ص 216

(2) رواية نبات الصبار، ص 25..

(3) دراسات في نقد الرواية - د/ طه وادي، ص 12.

من خلال ذاتها المبدعة .

وكذلك وردت عندها عدد من قصص التراث الشعبي المحلي، مثل حكاية «فاطمة السمحة» في «الاختيار». التي اندمجت في النص الروائي وتداخلت معه بصورة كبيرة. ولكن من الصعب التكهن بوظيفة التناس في هذه الرواية وفهم ما رمت إليه الكاتبة من استخدام هذه التقنية.

وأخيرا فإن توظيف زينب بليل للتراث ، نلحظ في بعض جوانبه علاقة تأثير وتأثر فالنص الروائي المكتوب تأثر بالنص المستدعى في بعض الفنون السابقة ، واستطاع أن يتغلغل داخله ويتفاعل معه ويساعد في تطور أحداث الرواية وفهم الشخصيات مثل توظيف الأسطورة وقصص الجن . أما بعض الفنون فقد بقيت على سباتها التراثي ولم تستطع التفاعل مع بنية النص مثل تفاعلها مع التراث ، وأصبح دورها ثقافي وحشو فقط من الكاتبة.





## الباب الثالث قضايا المضمون عند زينب بليل

- الفصل الأول : قضية الالتزام عند زينب بليل .
- الفصل الثاني : القضايا الإنسانية .
- المبحث الأول : قضايا المرأة بين التحرر والمحافظة.
- المبحث الثاني: قضايا الفقر.
- المبحث الثالث : الصراع السياسي والحضاري .



# الفصل الأول قضية الالتزام عند زينب بلي



قضية الالتزام من أشهر القضايا النقدية التي ظهرت في العصر الحديث ، وتقوم فكرة الأدب الملتزم حول مدى مشاركة الأديب في قضايا عصره وقومه ومجتمعه. فالأديب حين ينطلق لبناء فنه ، ينطلق وفق رؤية فلسفية معينة تحدد أفكاره وتصوراتهِ ورؤاه حول ما يحيط به. وقد تشكلت هذه الرؤية من خلال ثقافته وحياته . وكل أديب له دور ما تجاه مجتمعه وهذا الدور يشكل نوعاً من الالتزام الوجداني تجاه هذا المجتمع وقضاياهِ . لأنه ليس من المعقول أن تظهر في المجتمع قضايا مختلفة سياسية أو اجتماعية أو إنسانية أو دينية ؛ ويظل الفن عموماً، بعيداً عنها. فالفن لا بد أن يؤدي رسالة داخل المجتمع ، «ولابد للأدب أن تكون له وظيفة في الحياة أو المجتمع، فالفن لا يأتي من فراغ، وليس هناك أي عمل بلا غاية ، وبالتالي فليس هناك فن بلا هدف أو وظيفة»<sup>(1)</sup>.

فالالتزام إذن هو مشاركة الأديب في قضايا مجتمعه السياسية والاجتماعية والفكرية من خلال موقف معين لا يحيد عنه أبداً ، وهذا الموقف نابع من أسس ومبادئ يؤمن بها الأديب فيدافع عنها ويدعمها ويحاول تطبيقها من خلال أدبه . وقد تنوعت تعريفات الأدباء والنقاد لفكرة الالتزام وذلك لاختلاف مذاهبهم ونزعاتهم ومواقفهم من الالتزام وتصورهم لما ينبغي أن ينهض به الأدب ، وأن ظل المضمون متقارباً إلى حد ما . ومن هذه التعريفات نأخذ نموذجاً للنقاد محمد غنيمي هلال؛ الذي عرف الالتزام بأنه «تحديد الإنسان لعلاقاته بالآخرين والأشياء على حسب ما يمنحه إياه من معنى، وجمال هذا التحديد مرتبط بقيود تضيق مجال الاختيار ، فلا اختيار للإنسان في مولده من أسرة معينة، وفي بيئة معينة وفي قوه جسمية وعقلية محددة . فنحن ملتزمون قبل أن نلتزم»<sup>(2)</sup>. وهنا يقرر هلال بأن عوامل التنشئة والثقافة والوراثة لها تأثير قوي في توجيه أدب الكاتب او الشاعر ومن ثم يهتم بظروف المجتمع الأخر. وربما الملاحظة الواضحة من خلال قراءة كثير ممن عرفوا الالتزام هي وجود فكر ما أو قناعة ما اتجاه شيء ما ينطلق منه الأديب أو المبدع فيظهر في إنتاجه ويلتزم به طواعية. ومع شيوع المذاهب الفكرية المعاصرة حدث اختلاف في مفهوم الالتزام، فكل مذهب يدعو إلى ما يؤمن به ، فهناك مذاهب تدعو إلى أن يكون الأدب حراً ملتزماً بقيم أو أهداف معينة ، كما في الواقعية الاشتراكية، وهناك مذاهب تدعو إلى أن يكون الأدب حراً تامة وخالصاً من أية أهداف أي يكون للمتعة فقط ، وهو مذهب الفن للفن . ومن هنا نادى بعض النقاد بأن يكون الأديب حراً؛ فالحرية هي مصدر الفن ؛ وبغير الحرية لا يكون أدب ولا فن.

(1) دراسات في نقد الرواية، د/ طه وادي - دار المعارف - القاهرة - ط1994م - ص 95 .

(2) الأدب المقارن \_ د/ محمد غنيم هلال - دار العودة بيروت 1987- ط3- ص406، 407.

قضية الالتزام ليست وليدة العصر الحديث وإنما هي موجودة منذ القدم فنرى أن أفلاطون قديماً رفض وجود الشعراء في مدينته الفاضلة ، لأنه رأى أنهم لا يصلحون أن يكونوا ضمن بنية هذه المدينة ، فهم لا يلتزمون بأخلاقياتها . والالتزام وجد في الأدب العربي القديم وعبر عصوره المتتالية ، ”وهناك نماذج وأمثلة من الأدب الملتزم في مجالاته المختلفة عبر التاريخ منذ فجر الإسلام ، ولكن الالتزام في العصور القديمة لا يفيد الدراسة كثيراً لأنه لا ينبثق عن فكرة أو فلسفة محددة ، وإنما هو التزام فرضته ظروف الحياة وتعاليم المجتمع“<sup>(1)</sup>.

ويمكن القول إن زينب بليل من الكتاب الذين التزموا في رواياتهم بواقع مجتمعهم ، فاختارت قضايا اجتماعية وسياسية وحاولت التعبير عنها من زاوية واقعية حيث بدأت تكتب أدباً ملتزماً وسعت تدريجياً نحو الأدب الواقعي ، والتزمت بقضايا مجتمعها وهمومها ، فقد عاشت وترعرعت الكاتبة في الفترة التي تلت الاستعمار وعانت من وطأت الظروف المعيشية الصعبة وتقلب الأوضاع السياسية والاجتماعية والاقتصادية -فسرت النزعة القومية فيها- فكل هذه الظروف مجتمعة أثرت على موهبة الكاتبة فوجهتها نحو الإحساس والالتزام بهموم الوطن وقضاياها الاجتماعية.

شملت مواقف الالتزام لدى زينب بليل الجوانب الفكرية، والاجتماعية والسياسية والاقتصادية، وكانت زينب صادقة ومخلصة في دعوتها إلى حل قضايا المجتمع والحياة، من خلال رؤية واضحة المعالم أساسها الخلق والإبداع .

وقد احتضنت الكاتبة الواقع السوداني، وانطلقت من واقع مشكلاته التي يعاني منها ، وذلك لتكشف عن عيوب الطبقة الأرستقراطية التي نمت وترعرعت في أوساط المجتمع السوداني، ولتكشف كذلك عن عيوب الأنظمة السياسية، التي أدت إلى شيوع الظلم والفساد وأهمال المرافق العامة، والخدمات الأساسية كالصحة والتعليم والأمن وقد عم الفقر والجهل والمرض كل فئات المجتمع السوداني ، ولم تعد الدولة تهتم بالشرائح الضعيفة من الفقراء خاصة الأطفال والنساء، الذين لم توفر لهم الدولة فرصاً للعيش الكريم ، مما أوقعهم فريسة للاستغلال والذل والاهانة.

وهذه الأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية المتدهورة قادت الكاتبة إلى خلق أدب تصحيحي أو تعليمي، دعت منه الناس للوقوف مع أنفسهم ومحاسبة النفس، وطرح الحلول للأزمات والعقبات التي تقعد بالمجتمعات وتعيق حركتها، وقد وضعت الحلول التي تكمن في هدم السلطة ومحاربة الفقر والجهل والمرض وخلق فرص العمل ، وتوفير الخدمات الاجتماعية للشرائح الأضعف في المجتمع ، حيث تعرضت في رواياتها للطبقة الفقيرة

(1) أنظر الفن الروائي عند محمود تيمور ، عمر علي عمر ، ص 283.

ومشاكلها. وأسهمت في إيجاد الحلول العاجلة لتخفيف معاناة هذه الطبقة بلفت أنظارهم إلى العمل والحركة والنشاط حتى يسدوا حاجاتهم عن طريق احتراق المهنة الصغيرة مثل تنسيق الزهور أو الرسم أو الحياكة، كما لفتت نظرهم للتعليم الذي يؤدي إلى تقدمهم وانتشالهم من هوة الفقر .

وقد ابرزت الكاتبة التناقضات التي كانت قائمة في المجتمع السوداني، حيث الجهل والفقر وانعدام التفكير العلمي السليم في ظل عدم توفر العدالة الاجتماعية، كما صورت الممارسات الغير أخلاقية التي تخل بالشرف، وقد رمت الكاتبة من وراءها إلى التأثير الإيجابي الذي يدفع بالمجتمع إلى رفض مثل هذه الممارسات، ودعت إلى محاربة تلك الظروف التي أدت إلى ذلك والقضاء عليها وإيجاد الحلول القاطعة بالتعليم والعمل .

وتحدثت كذلك الكاتبة عن العدالة والحرية والمساواة على المستويين الفردي والجماعي، فالدعوة إلى تحرير الفرد اجتماعيا واقتصاديا وسياسيا، تبدو واضحة في كل روايات زينب، حيث ووقفت في أعمالها الروائية موقف المدافعة عن الحرية والديمقراطية وحقوق الإنسان، «تلك الحقوق الطبيعية التي يجب أن يتمتع بها الفرد ، بغض النظر عن جنسيته أو دينه أو لونه، ولا يحق لأي كائن من كان أن ينتزع تلك الحقوق أو ينتقص منها أو ينقصها عن مستحقيها، ومن واجبات الدولة بمؤسساتها ومنظماتها حماية تلك الحقوق وصيانتها من الانتهاكات التي قد تطرأ عليها من هنا أو هناك»<sup>(1)</sup>. وقد اهتمت زينب في دفاعها عن الحرية والعدالة والمساواة بالشرائح الأضعف من المجتمع كالأطفال والنساء والشيوخ ، وهذا الاهتمام نابع من شعور الكاتبة الإنساني وإحساسها بالعطف والرحمة تجاه تلك الفئات. كما نادى الكاتبة بالحرية الاجتماعية والمساواة في التعليم والتربية والعمل والزواج .

وتتضح رؤية الكاتبة في معالجاتها الروائية في مراحلها المختلفة، وتبدو هذه الرؤية مسلطة الأضواء على روح المجتمع ومشكلاته ومساوئه ، وإيجابياته وسلبياته، وتلتزم الكاتبة في طرحها، الاعتماد على استقراء أحداثها وشخصياتها بصورة عامة من خلال الواقع وأحداثه، حيث اختارت أحداثها ونسقتها وطورتها، وخلقت شخصياتها وفسرتها فظهرت وجهة نظرها وفلسفتها في الحياة والمجتمع من خلالها.

وعالم الروايات الثلاث لزينب بليلى يفصح عن أن كاتبتها صاحبة رؤية ملتزمة إزاء الواقع الذي تصوره، حيث تنقد من خلال رواياتها أحوال المجتمع المضطربة وتفصح العلاقات الاجتماعية وتشكك في القيم الإنسانية. وشخصياتها الروائية ما هي إلا رموز تعكس سوء الوضع القائم والتفاوت الطبقي، وتفصح من ناحية أخرى بضرورة الكفاح من أجل دحض هذه السلبيات التي تحول دون سعادة الناس وإصلاح المجتمع .

(1) انظر الفن الروائي عند محمود تيمور ، عمر علي عمر ، ص 218 .

والروايات تعكس تطلعات الكاتبة ونظرتها إلى الحياة فهي في «الاختيار» ختمت الرواية بالانتحار، وهي النتيجة التي اختارتها البطلة والكاتبة لانتهاء هذه الحياة التي وصمت بالعار والخطيئة فلا يمكن أن تستمر مثل هذه الحياة، لأن البطلة اعترفت بأنها لا يمكن أن تختار أحد الرجلين. أما في «كش ملك» فنهاية الملك هي الرحيل والرجوع من حيث أتى، فكان عليه أن يرحل بعد أن تأكد أنه لا وجود له بينهم، فاختار الرحيل وكانت نهايته الهزيمة، ورؤية الكاتبة هنا تجسد أن الشر لا يمكن أن ينتصر على الخير، وحسب رؤية الكاتبة في هذه الرواية هناك شخصيات مقبولة وشخصيات مرفوضة.

أما «نبات الصبار» فتبين أن الكاتبة صاحبة رؤية واضحة وموقف فكري ملتزم بقضايا مجتمعتها، فرؤية الكاتبة توضح كيف أنها من ناحية مشفقة على شخصياتها من الفقر الذي يحول دون سعادتهم بالحياة، وفي نفس الوقت معجبة بمثالياتهم الأخلاقية التي لا يؤثر عليها وضعهم الاقتصادي، فسكان «مدينة النار» كما اسمتها الكاتبة فقراء فقرا مدقعا ولكن رغم ذلك نجدهم سعداء بحياتهم تلك.

تتميز رؤية زينب في رواياتها جميعها بأنها رؤية جادة ولكنها في نفس الوقت تتصف بأنها لم تبلغ بعد درجة كافية من النضج والعمق، ويرجع السبب في تسطح رؤية الكاتبة إلى خضوعها خضوعاً كاملاً لمجموعة من الثوابت. ومن أهم الثوابت التي خضعت لها رؤية المؤلفة في رواياتها هي «النظرة إلى فساد الطبقة نظرة مطلقة ونهاية الطبقة الارستقراطية في كل رواياتها تُعد فاسدة بشكل نهائي ومطلق، فساداً لا بداية له ولا نهاية، ولا يبدو لها نمو ولا تطور ولا يقبل صراعاً أو زماناً، وكما تفسد الطبقة بشكل نهائي ومطلق فالفساد يصيب الشخصيات بنفس الدرجة، وكأنه سمة غريزية ثابتة وقدر يوليه الإنسان بشكل كامل»<sup>(1)</sup>.

أما الثابت الثاني الذي أثر على رؤية زينب بليل في رواياتها فيتمثل في فصلها الحاد للبشر وتقسيمهم إلى قسمين إما اشرار أو خيرين<sup>(2)</sup>. وهذا التقسيم اثبت الفارق ما بين الطبقتين الفقيرة والارستقراطية، وبناء على ذلك ووفق رؤية الكاتبة كان هناك فارقاً كبيراً في أسلوب تعاملها مع الطبقتين، فهي ترفض الطبقة الارستقراطية رفضاً كاملاً بأعتبارها أداة استغلال للإنسان وسبب من اسباب بؤسه، أما الطبقة الكادحة فهي - في الوقت الذي ترفض فيه بعض جوانب حياتها - تتعامل معها عموماً بتعاطف لا يخلو من رومانسية، «وذلك لأن هذه الطبقة وإن كانت جاهلة وغير واعية فهي على الأقل مؤمنة ورافضة

(1) الشخصية وأثرها في البناء الروائي لروايات نجيب محفوظ - د/ نصر محمد ابراهيم عباس- شركة مكاتب عكاظ للنشر والتوزيع - جدة - الطبعة الأولى 1984م - ص 235.

(2) انظر فصل الشخصية من هذا البحث.

للحضارة المادية ، كما أنها قانعة وراضية بحياتها لا يورقها طموح شره»<sup>(1)</sup>.  
وتعامل الكاتبة مع الطبقة الكادحة على هذه الصورة جعلها أقرب نسبا إلى  
طبقة الإنسان الذي لا يمكن تصويره خيرا خالصا أو شريرا خالصا، وان كانت المؤلفة ما  
زالت بعيدة عن الواقع الذي يصعب تصويره على درجة من الثبات، «فكل مجتمع يعيش  
باستمرار حركة تغيير مستمرة تشمله، كما تشمل جميع البشر الذين يعيشون فيه»<sup>(2)</sup>.  
والطبقة الكادحة عند الكاتبة رغم بؤسها دائما تسعى إلى التغيير. فروايتها «نبات  
الصبار» رغم معاناة اهل «مدينة النار» إلا أنها في نهايتها تحمل رؤية متفائلة بقدرة ابناء  
المدينة على التغيير. وفي الختام تتضح لنا رؤية الكاتبة - من خلال رواياتها- بأنها بانورامية  
شاملة وموقفها يفصح عن انتماء حقيقي لأهلها وطبقتها، أنه انتماء يستمد من البؤس  
والعذاب والعجز قوة وإيمانا وصلابة من أجل مستقبل مشرق للإنسان السوداني .

(1) انظر الشخصية وأثرها في البناء الروائي لروايات نجيب محفوظ ، د/ نصر محمد ابراهيم عباس ، ص 275 .

(2) المرجع السابق الصفحة نفسها .



## الفصل الثاني القضايا الإنسانية

المبحث الأول  
قضايا المرأة بين التحرر والمحافظة



رغم أن العالم الروائي لزينب بليل عالم شاسع وخصب ومتنوع بالقضايا والرؤى وتجارب حياة البشر في سلسلة من العلاقات المتشابكة في القرية والمدينة، فإن ثمة محاور رئيسية يدور حولها عالم زينب الروائي والمتشكل من الواقع والوهم والخيال. واعتقد أن هذه المحاور هي المرأة وقضايا الإنسان التي تتمثل في الفقر والصراع الحضاري والسياسي والديني، وقد تناولت الكاتبة هذه القضايا بالإثارة والموضوعية من خلال تحركات شخصيات وأحداث رواياتها.

### قضية المرأة بين التحرر والمحافظة:

ترددت كثيرا قبل أن افرد هذا المبحث لمعالجة قضية المرأة في روايات زينب بليل وأتناولها كونها قضية محورية وأساسية عندها، وذلك أن المرأة عنصر أساسي في أي عمل روائي، وهي كالرجل شريكة في المجتمع وتحولاته. ولكنني لاحظت أن روايات الكاتبة الثلاث تخصصت في معالجة هذه القضية من زوايا متعددة، أولها من خلال رؤية اجتماعية رحبة مثال رواية «كش ملك»، وثانيها من خلال نطاق اسري تربوي في رواية «نبات الصبار». وثالثها قضية عاطفية في إطار رؤية ذاتية وجدانية، واجتماعية في رواية «الاختيار»، وقد تناولت زينب بليل قضية المرأة من وجهة نظر معينة، هي نظرة المرأة للمرأة ومشاكلها. فالرواية بطبيعتها تمتزج أحداثها من خلال «علاقات عنصري الوجود البشري الرجل والمرأة، فالذي لا شك فيه أن صورة المرأة أكثر استقطابا لحركة المجتمع وأغنى دلالة لتحديد موقف الأديب منه، كما أن صورة المرأة أكثر رهافة وحساسية واشد وضوحا في تعبيرها عن الواقع من صورة الرجل»<sup>(1)</sup>، لما تتسم به من سمات عامة ليس بوصفها فردا وإنما بوصفها نموذجاً لا تكاد تفرد لها خصوصيات عامة، وهذا ما يفسر رأي بعض الروائيين المصريين فيها، فالمازني يرى أن المرأة: «أكثر تمثيلا للنوعية في حين أن الرجل أكثر تمثيلا للفردية»<sup>(2)</sup>، بينما يراها العقاد «مظهر القوة التي بيديها كل شيء في الوجود وكل شيء في الإنسان»<sup>(3)</sup>، وعند نجيب محفوظ «لا يوجد ثمة حركة بين الرجال إلا وراءها امرأة، المرأة تلعب في حياتنا الدور الذي تلعبه قوة الجاذبية بين الأجرام والنجوم»<sup>(4)</sup>. إذن فقد وعي الروائيين دور المرأة في المجتمع وأثرها في توجيه مساره. وبناء على ذلك، وبما أن المرأة تحتل مكانة إنسانية ممتازة في الحياة العامة، فمن الطبيعي أن تجد العناية والاهتمام الذي تستحقه من جانب الكُتّاب سواء في مجال القصة أو الرواية.

(1) انظر صورة المرأة في الرواية المعاصرة، د/طه وادي، ص 5، 52.

(2) حصاد الهشيم، إبراهيم عبد القادر المازني، الدار القومية مصر 1961م، العدد 121، ص 72

(3) رواية سارة، عباس محمود العقاد، سلسلة أقرأ العدد 108، ط 1 1938م. ص 129.

(4) رواية السراب، نجيب محفوظ، ط.مكتبة مصر، 1948م، ص31..

«فقضية المرأة من أكبر القضايا التي استأثرت باهتمام الروائيين كانعكاس للجدل الذي دار حول وضعيتها الاجتماعية بعد أن برزت معالم المجتمع المدني وما أسفر عنه من ضرورات وما ترتب عليه من أبنية فكرية، وقد أتاح ظهور شريحة الموظفين وتكامل تواردها إلى بروز دور المرأة في هذا القطاع خصوصا في مجال العمل الصحي والاجتماعي»<sup>(1)</sup>.

اهتمت زينب بليل بقضية المرأة اهتماما بالغاً، مثلها مثل الكتاب الروائيين، وقد ركزت في رواياتها على شخصية المرأة وهمومها، شأنها شأن الرواية النسوية السودانية كانت أم العربية، التي تبنت قضايا المرأة وهمومها، فيبدو صوت المرأة هو الصوت الأساسي في الروايات، لكن كل صوت له النبرة الخاصة به. ويتضح اهتمام الكاتبة بالمرأة في إعطائها البطولة الحقيقية والمطلقة في معظم رواياتها، بالرغم من دور الرجل الكبير في الصراع الإنساني في المجتمع السوداني والحياة الاجتماعية، ولكن نظرا لتعاطفها مع المرأة فقد أولتها الاهتمام الأكبر. ولعل هذه الملاحظة تتضح بجلاء في روايتها الأولى «الاختيار» وروايتها الأخيرة «نبات الصبار». فقد بدت صورة المرأة مشرقة في مقابل دور الرجل الباهت.

ونسبة لاهتمام الكاتبة الكبير بهذه القضية، واتساع حجمها في رواياتها فسوف يقوم البحث بتقسيمها إلى ثلاث أقسام حتى يتسنى دراستها بالشكل المطلوب.  
أولا: قضية المرأة بين الرواية الرومانسية والواقعية .

ثانيا: قضايا المرأة وهمومها.

ثالثا: أمهات صورة المرأة.

## أولاً : قضية المرأة بين الرواية الرومانسية والواقعية :

« اهتم الروائيون بالمرأة منذ فجر الرواية وان اختلفوا بعد ذلك في الدوافع والدرجة، فقد اهتم بها الرومانسيون كم اهتم بها الواقعيون، ولكن كلا من الرومانسيين والواقعيين يختلفون من حيث الرؤية والأداة»<sup>(2)</sup>.

**الإطار الرومانسي :** «الإطار الرومانسي للرواية يدور حول بطل»فرد« يستقطب طبقة الفنان ، ويعكس بعض ما كان يفرزه الواقع بصفة عامة، وذلك أن مشكلات الناس في الرواية انعكاس صادق لرؤية الفنان للواقع ، بل ان أزمة البطل في الرواية هي أزمة الأديب في الغالب»<sup>(3)</sup>، إذن الرواية الرومانسية تحمل رؤية الكاتب للواقع من خلال البطل الفرد أو البطلة، اللذان يستقطبان جهد الكاتب في التعبير عن القضايا العاطفية حزنا أو فرحا .

(1) انظر فن الرواية في الأدب السعودي د/ محمد صالح الشنطي ص 77 .

(2) الاتجاه الواقعي في الرواية السودانية الحديثة ، د/ بشير عباس بشير ، ص 187 .

(3) صورة المرأة في الرواية المعاصرة د/ طه وادي ، ص 48 ، 49 .

« والرومانسيون يؤكدون على حرية المرأة واستقلالها العاطفي ، باعتبارها فرد يحقق بحريته السعادة لنفسه وللآخرين، وقد كان الرومانسيون صادقين في مثاليتهم حين فصلوا بين التحرر الاقتصادي والاجتماعي للمرأة»<sup>(1)</sup>. ولكن ظلت نظرتهم قاصرة على جانب واحد من جوانب المرأة، وعاجزة في نفس الوقت عن التعبير عن واقع المجتمع كلاً وليس من خلال الفرد ومشكلاته العاطفية. وقد نادى الرومانسيون برفع الظلم عن المرأة من جانب المجتمع الذي يريد استعبادها ويقضي على سعادتها العاطفية وحريتها الاجتماعية، وهذه النظرة الرومانسية نجدها عند زينب بليل في روايتها الأولى «الاختيار» حيث ركزت روايتها على البطلة «آسيا» ومشاكلها العاطفية ، كما أن معظم شخصيات الرواية النسائية يشغلها البحث عن الحب كوسيلة لتحقيق ذاتها. مثال «بدرية ، ليلي، كارولين، نعمات» . فصورة البطلة في «الاختيار» صورة المرأة المتعلمة الباحثة عن الحب والسعادة والحرية الذاتية، وقد عرضت الكاتبة عدداً كبيراً من الحوارات التي دارت بين البطلة وحبیبها في عبارات رومانسية حاملة:

« افهمي أني مستعد أبيع عمري كله عشانك ..وأناطح الجن عشان أحميك ..اعمل المستحيل عشان أعيش معاك لنهاية العمر..اطلبي وأكون اسعد إنسان لو أحقق طلباتك»<sup>(2)</sup>. وقد استعانت الكاتبة بكثير من التقنيات الحديثة لترسم صورة كاملة لطبيعة هذه العلاقة التي فشلت ولم تستطع البطلة الزواج من حب بسبب الفارق الطبقي. وتزوجت رجلاً وافقت عليه الأسرة وسافرت معه خارج البلاد ص 82،83، وجاهدت نفسها على نسيان حبیبها وفتح صفحة جديدة مع زوجها ، ولكنها عانت معه كثيراً لأنها لم تستطع أن تنسى حبیبها ، وقد صورت الكاتبة المعاناة التي حدثت لهما:

« تتكرر المأساة . إذا أغمضت عينيها ، كان الذي معها هو علي...فبیتعد زوجها مهزوما وإذا فتحتها، كان الذي معها رجل آخر غير الذي أقسمت له ألا تكون لآخر سواه.. ويبرد الدم في عروقها ..وتحتار...وترى الحيرة في عينيه..تحس الصراع داخله ، بين أن يتجاهلها ويمضي قدماً وبين كبرياءه الجريحة..ولم يعرفا كيف يتصرفان»<sup>(3)</sup>.

وتستمر المعاناة مدة ست سنوات ، ثم ترجع إلى السودان، وأثناء أزمتهام مع زوجها تقابل علي حبیبها الأول، حيث لم يستطع كل منهما نسيان الآخر؛ ولذلك فقد كان من الطبيعي أن يجذب كل منهما للآخر، وتخطيء معه وترجع حبها الضائع ، وتختار الانتحار

(1) انظر المرجع السابق ، ص 57

(2) رواية الاختيار ، ص 41 .

(3) رواية الاختيار ، ص 85 .

نهاية لأحزانها، وهذه النهاية المأسوية هي من صميم الرومانسية حيث الآلام والحزن . والكاتبة تعرض أزمة البطلة وحرمانها العاطفي ، فهي حزينة لأنها عجزت أن تحقق أملها وسعادتها بالزواج بمن تحب، وحسب رؤيتها أن الزواج لا بد أن يكون من شخص تختاره لا يفرض عليها :

« الزوج يجب أن يكون شخص تختاره من بين الجميع ، بعد أن تكون قد عرفت الجميع ، شخص تحبه وتحب حتى الغير الجميل فيه، شخص تفهمه كلغتك الأم ..دون الحاجة إلى قاموس»<sup>(1)</sup>.

وعجزت أن تنال السعادة والطمانينة مع من تزوجت فقد فقدت الاثنين. والكاتبة تقدم البطلة في حالة سلبية هروبية عاجزة عن مواجهة أزمتهما والتصدي لها ، لذلك تنهي قضيتها بالانتحار. وهنا تجسد الكاتبة سلبيات العصر من حيث تفشي الفقر وسوء الحالة الاجتماعية والحوازر الطبقيّة التي تقف بين البطلة وحببيها. فالبطلة هنا مظلومة من قبل المجتمع والعادات والتقاليد والعرف ، وهي نفس الصورة التي تدور في الإطار الرومانسي. ومن مظاهر الرومانسية كذلك وصف البطلة عند زينب حيث تتسم بجمال الخلقة والتكوين، فمعظم النساء خاصة البطلات عندها جميلات طاهرات، تذكرنا «بست الحسن والجمال» ، «خصر لم ير أدق منه في كل النساء..أظافر نظيفة ومقلمة تماما ، بشرة نضرة خالية من المساحيق...زملأؤها ينادونها «جيوكوندة». أنها تشبه تلك اللوحة حقيقة»<sup>(2)</sup>. كما أنها تجمع بين الجمال المادي والأخلاقي -في اغلب الأحيان- فخديجة في «نبات الصبار» مثال للجمال والطهر والنقاء 58،59. وقد بالغت الكاتبة في وصفها ونعتتها بكل الصفات الخلقية والأخلاقية. وكذلك «ياسمين» في «كش ملك» اتسمت بالجمال وكانت مثال للفضيلة والطهر والنقاء كما وصفتها الرواية:

« ياسمين..تلك البنية ، الباقية من كل ورود الأرض ومن الياسمين شيء فيها يجعلك تبتسم وتحب الدنيا..... هي ذكاء ونقاء وجمال وتسامح وطيبة وانتماء كأنها كل النساء الطيبات..... »<sup>(3)</sup>.

ونلاحظ هذه المبالغة في الوصف، فشخصية ياسمين شخصية تمنتها الكاتبة، وتمنت تحقيقها في الواقع لذلك رسمتها بحيث يتوفر فيها كل مقاييس الجمال والأخلاق الحميدة، ومن الملاحظ أن الوصف لا يأتي مفصلا، بل في شكل جملا انشائية عامة، تذكرنا براوي

(1) المرجع السابق ، ص 82 .

(2) رواية نبات الصبار ، ص 105 ، 106 .

(3) رواية كش ملك ، ص 208 .

الحكاية الشعبية أو مؤلفها. وهكذا تهتم الكاتبة بالجمال الذي تتسم به معظم شخصياتها النسائية خاصة الرئيسة، فقد رفعت من شأنهن فهن جميلات وذكيات ومتعلمات قادرات على الفعل والعطاء.

## الإطار الواقعي :

الرواية هي أكثر الأنواع الأدبية تعبيراً عن الواقع الذي يعيشه الناس عن طريق استخدام أبنية الرواية من سرد وحوار ووصف... الخ « وان كان الواقع في الفن أكثر غنى من حقيقته الواقعة، لأن الفن ليس مرآة عاكسة للواقع تماماً، إنما يضيف أبعاداً جديدة له، فيبدو الواقع في صورة جديدة ، أكثر دقة وانتظاماً، واقل غموضاً واضطراباً»<sup>(1)</sup>. وبما أن الرواية تكثف رؤية الكاتب إلى الواقع وإدراكه لمشاكله وصراعاته، فقد عبر أغلب كتاب الرواية رجالاً ونساء سواء في العالم الغربي أو العربي عن الواقع ومشاكله الاجتماعية والفكرية من خلال المرأة وقضاياها وتجاربهم في ذلك كثيرة ، والذي يهمننا في هذه الدراسة كيف استطاعت زينب أن تتخذ من المرأة رمزاً للتعبير عن الواقع ومشاكله الفكرية والاجتماعية . وبالنظر إلى روايات الكاتبة نجدها قد تناولت صورة المرأة ونماذجها المختلفة وكذلك قضاياها، ضمن إطار واقعي- غلب على إنتاجها الروائي- عكست من خلاله موقفها ونظرتها للواقع المعاش. وبهذا تكون النماذج المختلفة لصورة المرأة وأيضاً قضاياها ضمن هذا الإطار الواقعي. ولكن في هذا الجزء نكتفي بدراسة الملامح العامة لصورة المرأة الواقعية في روايات الكاتبة ، ثم نستكمل النماذج وكذلك القضايا من خلال الرؤية الواقعية. فإذا كانت زينب بليلى قد قدمت لنا في «الاختيار» البطلة «آسيا» نموذجاً للفتاة المحبة الحاملة التي تبحث عن حريتها الذاتية، في رؤية رومانسية، وان غلبت السلبية على شخصيتها وعلى تفكيرها. فقد قدمت لنا رؤية واقعية مختلفة للمرأة عبرت عنها في رواياتها الأخرى.

فمثلاً المرأة في «كش ملك» رغم أنها ليس لها البطولة المطلقة إلا أنها أكثر تعبيراً عن قيم اجتماعية تتصل بموقف المجتمع من المرأة. فهي ضحية المجتمع لأنها لم تنل التعليم الكافي؛ لذلك عملت بائعة شاي مثل «حواء»، وحملت العبء والمسئولية مثل والدة الملك «زهرة» التي عملت خادمة في المنازل وغاسلة للملابس كما في النموذج التالي: «سأت أحوالهم جداً . فاضطرت لأن تعمل خادمة في منازل الأغنياء لكي يواصل وقيع الله وسيدة الدراسة خاصة وهما من أوائل فصولهما»<sup>(2)</sup>.

(1)3 صورة المرأة في الرواية المعاصرة ، د/ طه وادي ، ص 5.

(2) رواية كش ملك، ص 1.

فدور المرأة هنا قد تغير فالنساء ليس لهن عمل إلا المتعلمات منهن أمثال «مريم و»زهرة الملك» اللاتي عملن في مهنة التدريس، وقد أفسحت زينب بليل مساحة للمرأة في هذه الرواية كي تقوم بدور لعله الدور الذي تقوم به المرأة في واقع شخصيتها الذين يروا في روايتها مكافحين من أجل قضية يؤمنون بها مثل «مريم التوم» التي أكملت المرحلة الثانوية وعملت بالتدريس لتنفق على إختوتها، و«ياسمين» التي لم تكمل تعليمها الجامعي وسخرت كل جهدها لخدمة المجتمع عبر إشرافها على رياض الأطفال. وهنالك صورة أخرى للمرأة -خاصة الغير متعلمة- التي تتاجر بجسدها ربما للاحتياج مثل «محاسن» زوجة الملك التي حاولت جاهدة أن تربي أطفالها بكرامة ليواصلوا تعليمهم ولكن الظروف كانت أقسى منها فاضطرت إلى البغاء، وقد تتاجر المرأة بجسدها لأنها مومس بالفطرة مثل «سيدة» أخت الملك ص2، وقد صورت الكاتبة المرأة كذلك ضحية للرجل الذي صورته وحشا مفترسا ما أن تضعف المرأة بين براثنه أو تنهار حتى تفقد كل أمل ببرأتها وعفتها، وصورة هذا الرجل تمثله نفسية «وقيع الله» الجريئة ماديا ومعنويا:

«عيونه الجريئة على الوجوه النضرة تقف في طوافها على العيون الوجلة المشتاقة وتتخطى العيون لتخترق بعدا أعمق وتنسدل الرموش خجلا لتفتتح أخرى في انتظار نظرة تروي الظما»<sup>(1)</sup>.

وكذلك توضح الرواية مكانة الرجل بصورة عامة في المجتمع وسيطرته على المرأة، في مقابل صورة المرأة بسليبتها وضعفها وعجزها وعطائها غير المحدود. والقارئ لهذه الرواية لا يملك إلا أن يتعاطف مع الأم فهي المسئول الرئيس عن حياة الأسرة. ومن هنا يتضح اهتمام الكاتبة بالمرأة من خلال إعطائها دورا واقعا كبيرا في الرواية، واشتراكها في الحياة ودوران عجلتها.

وإذا كانت روايتها «كش ملك» قد حاولت أن تولي المرأة عناية أكبر، فإن «نبات الصبار» قد أعطت المرأة ما تستحقه من اهتمام حتى بدت أكثر انسجاما مع الحياة الإنسانية، وأكثر استلهاما للواقعية وأعمق إدراكا لروحها، من خلال صور عديدة، فالمرأة في هذه الرواية انعكاس لأوضاع اجتماعية وثقافية بقدر ماهي انعكاس لشخصية الرجل الذي تعيش في كنفه، ولقد جاء دورها أساسيا في هذه الرواية لا بالنسبة للرجل وحده، بل بالنسبة للحياة أيضا، وذلك من خلال شخصية البطلة «خديجة» وشخصية والدتها «أمنة»، فالبطلة نالت قدرا كبيرا من التعليم، وأصبحت طبيبة وشاركت في نمو المجتمع وتطوره، هي وزميلاتها الطبيبات، هدفهم كان بناء «مستشفى خيرى من أجل الفقراء...واقسموا بينهم وبين أنفسهم ألا يبيع أحدهم الحلم مهما أعطوه من ثمن...ألا يغتنوا من مرض الفقراء....

(1) رواية كش ملك، ص 30

وبعد أن تخرجوا تحمسوا وفتحوا عيادة... كانت العيادة تعمل يوميا ما عدا الجمع... كما فتحوا أخرى في فريق الجنة»<sup>(1)</sup>.

ونالت المرأة بهذا نصيها من الاهتمام فشاركت مشاركة ايجابية في تطور الحياة، ومشاركة المرأة في هذه الرواية لم تبد مقحمة ومفتعلة، بل هي مشاركة منطقية وواقعية في ان واحد. وهذا ما يخص المرأة المتعلمة الايجابية، أما المرأة غير المتعلمة فقد بدت صورتها تقليدية في أكثر شخصيات الرواية مثل خالة خديجة ومعظم شخصيات الشارع النسائية فمنهن البائعة للطعام أو الخمر أو عاملات في المنازل، فالمرأة في هذه الشخصيات مستسلمة وقانعة» لأنهم يكتفون بالقليل ولا داعي لمضاعفة الجهد»<sup>(2)</sup>.

فقد تعودت على نمط حياتها فلا تحس بوجوب تغييره، فهي تقيس كل شيء على ضوئه، ومثال لذلك «فاطمة» زوجة خالد التي لا تحس بسلبيتها ولا تطالب بالتغيير للأفضل ص 135، 106. وتأتي صورة «آمنة» والدة البطلة نقيض للمرأة المستسلمة سواء للحياة والوضع الاجتماعي أو لمشيئة الرجل، التي تمثل التابع الذليل. فهي دائما كانت تسعى جاهدة لتغيير حياتها وحياة الأسرة وتحاول أن تخلق لابنتها وضعا أفضل من وضعها، وفي سبيل ذلك كانت دائما تناقش زوجها وتوضح رائها» صارت تحتد مع الحسين وتتهمه بأنه يريد لابنتها أن تظل فقيرة مثلها تنظف أقدار الآخرين، وإنه يشجعها لتلتصق أكثر بالفقراء وحتما ستصير منهم ولن تفكر في مصاحبة غيرهم من الفئات السعيدة التي أعطاها الله ما طلبت، وصارت آمنة تعيش رعبا ربما يكرر الله حياتها في ابنتها»<sup>(3)</sup>.

ولكن هناك نقطة لم تثرها الكاتبة وهي لماذا سلمت «آمنة» من ما تعرضت له أختها «بخيته» من اغتصاب وقهر وذل، هل لأن الكاتبة تريد تهيئتها لتصبح أما صالحة للبطلة وزوجة مناسبة للحسين تليق به ومكانته، والكاتبة هنا لم تعطي الوضع حقه من الواقعية وبالغت في رسم شخصية «آمنة».

وإذا لاحظنا لصورة المرأة الواقعية في «نبات الصبار» أو في الروايات الأخرى فإننا نلمس صورتين متقابلتين للمرأة، صورة الخضوع والاستسلام وصورة الإيجابية الواعية. هكذا تكون الصورة انتقائية، فمرة تكون المرأة حديدية الإرادة، تفعل ما تريده و يتطابق قولها مع فعلها، مثل «آمنة» والدة خالد في «نبات الصبار» و«ياسمين» و«مريم» في «كش ملك» وأحيانا تبدو على هامش الحياة لا حول لها ولا قوة كأكثر شخصيات «نبات الصبار» النسائية

(1) رواية نبات الصبار ، ص 85، 84 .

(2) المرجع السابق، ص 22..

(3) المرجع السابق ، ص 59 .

أو «محاسن» أو «دانة» زوجة البحر في «كش ملك» أو «المسرة ووالدتها» في «الاختيار». وقد أغرمت الكاتبة بهذه الثنائية في جميع أبنية الرواية، كما لاحظنا ذلك من قبل.

### ثالثاً: أمثاط صورة المرأة:

إذا سلمنا بأن الرواية عند زينب بليل تصور قطاعاً من الحياة تريد أن تقول شيئاً من خلاله. فصورة المرأة عندها تعبر عما يزخر به المجتمع من أمثاط بشرية، وقد استلهمت زينب في رسم شخصياتها النسائية واقع حياتها ومجتمعها، وقدمت معظم النماذج النسائية في المجتمع السوداني في جميع طبقاته المتفاوتة اجتماعياً وفكرياً، كما عبرت هذه النماذج المختلفة عن صورة المرأة السودانية في كل صورها في مراحل تاريخ السودان المختلفة، فصورتها فقيرة وغنية وأماً وابنة وحفيدة وجددة وأختاً وحبيبة وكذلك صورتها متعلمة وجاهلة. وزينب كانت دائماً نصيرة وحامية للمرأة.

وقد تمثلت صورة المرأة في روايات الكاتبة من خلال هذه الصور الثلاثة:

أولاً: صورة المرأة الفقيرة وتمثلها أغلب الشخصيات النسائية في رواياتها.

ثانياً: صورة المرأة الأرستقراطية وتمثلها زوجة خالد ووالدته في «نبات الصبار» وسعاد في «كش ملك».

ثم جاءت صورة ثالثة مغايرة وهي صورة الأم، التي قد تكون أرستقراطية أو فقيرة، حيث ظهرت صورتها بارزة ونامية منذ الرواية الأولى «الاختيار».

### أولاً: صورة المرأة الفقيلة:

«نالت المرأة الفقيرة في الطبقة الدنيا والوسطى اهتمام كثير من الروائيين الواقعيين وهي نفس الطبقة التي جاء منها معظم كتاب الرواية الواقعية من الذين عرفوا ظروف الحياة في تلك الطبقة التي تمثل جزءاً من تجربتهم في الحياة»<sup>(1)</sup>.

وتكاد تكون غالبية شخصيات زينب النسائية فقيرة من الطبقة الدنيا أو الوسطى اللائي لم ينلن تعليماً كافياً أو أميات، فمنهن الشريقات مثل «حواء» «بائعة الشاي» و«زهرة» في «كش ملك» اللتان تعملان بشرف لتربية أبنائهما، وهاتان تمثلان نموذجاً للمرأة السوية ويتمثل دورهما في دور «الأم» وهو أهم تكنيك لدى الكاتبة، كما نجد الخارجات عن العرف والدين والعادات والتقاليد مثل بائعات الخمر في «نبات الصبار».

وقد أفردت لهن الكاتبة مساحة كبيرة في روايتها فوصفت بيوت الخمر «الأنديات» وما يمارس فيها من محرمات مثل شرب الخمر والرقص والغناء، وكذلك تعرضت للصراع الذي يدور بين نساء بيوت الخمر وتفضيل بيت على الآخر، وصورت الإهانة والضرب

(1) الاتجاه الواقعي في الرواية السودانية الحديثة، د/ بشير عباس بشير، ص 192

والسباب التي تتعرض له بائعة الخمر ص 22، 23، وتوضح الكاتبة دور هؤلاء النسوة في المشاركة في مجتمع شارع النار واندماجهن مع سكانه ومشاركتهن أفراحه وأحزانه فهم جزء من هذا المجتمع. وتصور كذلك نموذج من النساء اللائي بعن شرفهن وتاجرن به لحوجتهن مثل «محاسن» في «كش ملك».

وقدمت الكاتبة كثيرا من نماذج المرأة الساقطة، فمنهن من تكون زوجة مثل زوجة سليمان عبد الحفيظ في «الاختيار» التي قتلها زوجها بعد أن عرف خيانتها له، ومنهن من تكون طموحاً تريد أن تترك طبقتها مثل «سيدة» أخت الملك في «كش ملك»، وهنالك نماذج كثيرة في «نبات الصبار» منهن محترفات البغاء، أو اللائي يتاجرن بأجسادهن لضغط الظروف الاقتصادية ص 236. وكل هذه النماذج عرضتها زينب عرضا دون أن تتعمق المشكلة وأبعادها أو تحاول حلها بل عرضتها لتوضح وجود هؤلاء النسوة في المجتمع وأنهن آفة من آفاته .

وسجلت رواية «نبات الصبار» بعض الشخصيات الشعبية النسائية التي تمثلت في ذلك المجتمع مثل «كرمة» شيخة الزار وبثينة الحنانة وحليمة الخياطة ، ونفيسة بائعة الكسرة، وسكينة بائعة اللبن<sup>(1)</sup>، وأيضا هناك «الداية» التي تقوم بتوليد النساء والدالية التي تبيع للنساء الملابس، ولم تترك الكاتبة نموذجا من نماذج المرأة الفقيرة في المجتمع السوداني إلا وتعرضت لها، سواء بذكرها فقط لأنها نموذج موجود في المجتمع أو من خلال مشاركتها فيه .

أهم شخصية نسائية تنتمي للطبقة الفقيرة هي شخصية «خديجة» في «نبات الصبار»، لقد أبدعت الكاتبة وبالغت في رسمها واتكأت على إبراز الجانب الإنساني فيها وقدمتها نامية تبرز خصوصية الزمان والمكان اللذين عاشت فيهما فقد علمها والدها «الحسين» منذ صغرها «متعة العطاء في كل أشكاله..ومتعة أن تكون مع الآخرين»<sup>(2)</sup>، لذلك كان يعطيها المال «تصرف فيه كما تحب....فكانت خديجة تشتري فستانا لطفلة اهترا فستانها أو جلبابا لامرأة.. أو كراسا لتلميذ تراه يحتاجها أو تشتري دواء لمريض»<sup>(3)</sup>. وقد حملتها الكاتبة وجهة نظر اجتماعية وبعدا وطنيا. إذن نجد هنا نموذج جديد للمرأة «الإنسان» المتعلمة التي تضحى بسعادتها في سبيل تحقيق أمانيتها هي وأهلها وأصحابها بتغيير الأوضاع التي يعيشون فيها. فقد وافقت «خديجة» على الزواج من دكتور «خالد» الرجل الارستقراطي

(1) رواية نبات الصبار ، ص 59

(2) المرجع السابق، ص 58 .

(3) المرجع السابق ، الصفحة نفسها .

رغم أنه يكبرها بسنوات كثيرة ولا يتوافق معها اجتماعيا ونفسيا كما تذكر ذلك: «سوسن البروف شخصية جافة جدا ثم تاني كيف أتزوج إنسانا لا أستطيع أن اضحك معه؟ ولا يوجد بيننا شيء مشترك؟ لا ماضي ولا حاضر. كيف أتزوج رجلا لم أشاركه شيئا؟.... ذاك الرجل البروف الغني، المتوتر الأعصاب، الذي لا يبتسم إلا للضرورات، لا يعرف يطيب خاطر ولا يتسامح ويعتبر الفقر عارا والفقراء أغبياء.»<sup>(1)</sup> ولكنها ضحت لتستطيع أن تبني مستشفى في مدينتهم «مدينة النار» وتحقق حلمهم «العافية للجميع»:

«أنا بحلم يا بخيئة باني عاجبت كل الناس وما فضل زول مريض لأنه ما قادر يدفع تذكرة الطبيب أو ما لاقى سرير أو ما عنده حق العملية، أنا بتخيل ربنا خلقني طيبة لكن ما اداني حق التخصص ولا العيادة...عشان كده قلت اقبله ما دام خطبني عشان يساعدي أحقق حلمي»<sup>(2)</sup>.

فصورة المرأة هنا أكثر إيجابية وموإدراكا لمكانتها في المجتمع، وأكثر تمثلا للواقع. وتتمنى الكاتبة تحقيق هذا النموذج وبالتالي تحرير المرأة من التبعية المطلقة للرجل وتحقيق ذاتها. لذا لم تنهي الكاتبة روايتها نهاية حزينة أو سعيدة مثل ما فعلت في «الاختيار» فهي مهتمة في المقام الأول بالرواية والشخصية التي ترسمها، وليس إرضاء للقراء وعواطفهم، وجعلتها نهاية مفتوحة كذلك حتى توضح التغيير الذي أصاب المجتمع ودور المرأة فيه. والكاتبة بما أنها صاحبة رؤية والتزام لذلك وضحت من خلال هذه النهاية رؤيتها المستقبلية للطبقات الفقيرة المتطلعة، فجعلت القارئ يتعاطف مع البطلة وكل الشخصيات المحيطة بها وأثارت الشفقة على الفقراء وازدراء الأغنياء.

ونستخلص مما سبق أن شخصية «خديجة» لم تتجاوز طبقتها الفقيرة ولا تطلعت إلى طبقة أعلى، ولكنها كانت في حدود طبقتها الفقيرة التي أرادت لها الارتقاء والتطور عن طريق الارستقراطي «خالد» حتى يعينها في رفع مستوى طبقتها.

تؤكد الكاتبة من خلال عرض شخصية «خديجة» و«مريم التوم» في «الاختيار» و«ياسمين» في «كش ملك» على إبراز الجانب الإنساني في طبيعة المرأة. والدور الذي تقوم به إلى جانب دورها الأنثوي، «مريم التوم» تحملت عبء تربية أبناء الملك وإيواءها لهم في بيتها والانفاق عليهم، رغم ما حدث بينها وبين والدهم من خلاف، والكاتبة هنا تريد توضيح أن المرأة يمكن أن تقوم بأي دور في الحياة مثلها مثل الرجل تماما. وتقدم الكاتبة نموذجا أخيرا للمرأة الفقيرة وهو نموذج المرأة التقدمية، التي تسعى للمساواة مع الرجل

(1) رواية نبات الصبار، ص 12..

(2) المرجع السابق، ص 248.

والتححرر الكامل لما ورثته المرأة من اضطهاد لا يتم إلا بالتححرر الاقتصادي أي بالعمل ، وتمثله «بدرية» في «الاختيار» التي اعتنقت فكر ومبادئ مغايرة للإسلام، وتصرح بدرية بذلك من خلال الرواية:

«بحثت كثيرا وفكرت لماذا لست مؤمنة مثلكم ولم أجد إجابة . أحس أنني أنا التي اجعلها جنة أو ناراً لنفسي- منذ وفاة الوالدين ما عدت اهتم إلى أين سأذهب بعد أن أموت»<sup>(1)</sup>.

لا تهتم هنا الكاتبة بوصف جسدي لبدرية، ولم تتعمق شخصيتها من الناحية الإنسانية وإنما عمقتها من الناحية الفكرية حيث ركزت اهتمامها على أفكارها التقدمية، وقد حملتها كثيرا من هذه الأفكار مثل « ماذا جعلك تعتقدين أن الإنسان سيد نفسه ويمكنه أن يسعدنا أو يشقيها؟ ماذا فينا جعلك تتراحين لأنك لا تنتمين إلينا؟»<sup>(2)</sup>. ولكن بالرغم من عرض هذه الأفكار إلا أن هذه الشخصية ثانوية وتبدو مسطحة، ولعل السبب يرجع إلى أن هذا النموذج محصور داخل المجتمع في إطار شخصيات نادرة محدودة. وزينب من خلال هذا النموذج للمرأة الفقيرة تقدم التغيير والتطور الذي حدث في صورة المرأة ومعاملة الرجل لها، وما يوازيها من تطور ينبغي أن يسود في علاقة الرجل بالمرأة والمساواة بينهما:

«- أتمنى أن نكون أنا وأنت شيئاً واحداً..نتفق على كل أمورنا. نتعاون على قضاء احتياجاتنا سوياً..ألا يكون بيننا عبد وسيد..نتقاسم كل أعمالنا...كل حسب قدرته وخبرته ورغبته حتى لا أحس بالظلم وأحس أنني مستغلة.....حسين..هل يسوؤك تفكيري في أن نتقاسم أعمال البيت سوياً؟ .

- ماذا يسوء في أن يخدم الإنسان نفسه؟ وأنت نفسي يا بدرية...معك أحس أنني في لب الحياة... هل سأخسر اللب من اجل من سيطبخ أو ينظف؟ القضية ليست في من سيعمل ماذا هذه هوامش»<sup>(3)</sup>.

نلمس هنا صوت جديد ونبرة مختلفة للمرأة وعلاقتها بالرجل ونظرتها لنفسها وللحياة ، فتقدم الكاتبة عبر هذا النموذج مدى ما وصلت إليه المرأة من حرية واستقلال وذاتية في تلك الفترة المبكرة من تاريخ السودان . وتقدم الكاتبة هذا النموذج للمرأة في نفس الفترة التي تقدم فيها نماذج أخرى أمية لا تشارك في الرأي أو الجدل، لتدل على تنوع المجتمع واحتوائه على كل هذه النماذج النسائية انذاك.

(1) رواية الاختيار ، ص 5..

(2) المرجع السابق ، ص 52 .

(3) رواية الاختيار، ص 51 ، 53 ، 54 .

تعرضت الكاتبة لوصف المرأة الفقيرة فعرضت ملابسها ووصفها الجسدي. فالمرأة الأمية لا تهتم كثيرا بمظهرها وزينب مثل «الروضة» والدة البطلة في «الاختيار» فتصورها «أرجلها مشققة وشعرها أشعث ..وجلدها يابس ..وفستانها كأنها استعارته من أخرى أكبر منها حجما»<sup>(1)</sup>. أما المرأة المتعلمة فتصورها في مظهر نظيف وأنيق حتى لو لم تكن جميلة شكلا، فمقياس الجمال عند الكاتبة الأصالة والنظافة «جميلة بإسلوبها الخاص.. بسيطة ونظيفة جدا وذكية ، لا طلاء أظافر ، أظافرها مقلمة .... لا أحمر شفاه لا مساحيق لا شيء غير أصلي فيها»<sup>(2)</sup>. وتضيف الكاتبة إلى ذلك القوام الفارع المعتدل والخطوة الواثقة . وهذه المقاييس وضعتها الكاتبة في «خديجة» في نبات الصبار» وياسمين ومريم في «كش ملك» مما يؤكد تمسكها بها .

### ثانياً: صورة المرأة الارستقراطية :

لم تهتم زينب كثيرا بالمرأة البرجوازية ولم تظهر صورتها في رواياتها، أما المرأة الارستقراطية فقد أعطت نماذج لها ولكنها لم تعمق رؤيتها لها فهي رمز للطبقة التي تمثلها فقط أو تعبيرا عن الفوارق الطبقية، فتقدمها شخصية مسطحة هامشية لا تتعمق فيها بحسبانها نموذجاً بشري يعيش ويحيا ويتفاعل مع الحياة في الرواية، وغالبا ما تقدمها في صورة عامة دون خصوصية. ومن نماذج الطبقة الغنية التي تصور تلك النظرة «السيدة قمر العباسي» والدة خالد و«فاطمة» زوجته في «نبات الصبار» وهما ينتميان لقبيلة من الأغنياء «تسمي نساءها ربات الخدور لا يخرجن من بيوت الآباء إلا لبيوت الأزواج...شرف تلك القبيلة وموقفها المالي ، ثملة نساؤها ويعكسهنه. منعومات..يلبسن الذهب والحريير وكل مهمهن يظهرن جميلات .يجدن الطبخ وصناعة الحلوى وتحضير الموائد واللبس الأنيق. الأعمال الدنيا ليست من اختصاصهن . لا غسل ولا تنظيف»<sup>(3)</sup>، فقمر العباسي والدة خالد تمثل نموذج للمرأة الارستقراطية التي تنم تصرفاتها ومواقفها وكلامها عن ارستقراطيتها ص 100,99. والكاتبة تقدم نموذج هذه المرأة دائما فيها خلل وترجعه إلى الغنى في أحيان كثيرة. أما «فاطمة» زوجة خالد فهي النموذج السائد للفتاة الجاهلة الغنية التي نشأت ولم تتلق إلا علما متوسطا ولم تستوعب فكرا ص 133 وتصورها ممتلئة ولا تهتم بمظهرها وقوامها » فاطمة في الكرسي المواجه له .سمينة وشعرها غير مرتب وأظافرها غير مستوية وطلاؤها يحتاج إزالة وإعادة»<sup>(4)</sup>.

(1) المراجع السابق ، ص 113 .

(2) رواية كش ملك ، ص 41 .

(3) رواية نبات الصبار ، ص 99 .

(4) رواية نبات الصبار، ص 105 .

وهذا الوصف عام لجميع نساء تلك القبيلة الارستقراطية « قانون القبيلة القائل:- لكي تكون المرأة جميلة يجب أن تكون ممتلئة»<sup>(1)</sup>. والكاتبة تبالغ في وصف المرأة الغنية بهذه الصفات فهي ليست قاعدة عامة بل خاصة، ونلاحظ أن شخصية «فاطمة» هي النموذج المقابل لشخصية «خديجة» التي تمثل النموذج الفقير، فكان الكاتبة وضعت هذين النموذجين لتقارن بينهما، تلك المقارنة التي كانت تأتي عن طريق خالد في أحيان كثيرة. وتقدم الكاتبة نموذجاً آخر للمرأة الارستقراطية تمثله «سعاد» ابنة الصائغ في «كش ملك»، فهي جميلة وأنيقة وتهتم بمظهرها العام، « تبرد أظافرها تلبس نظيفا ومرتباً وفي زينة كاملة كأنها مدعوة إلى حفلة»<sup>(2)</sup>، وتصفها في موقف آخر «وجدها في الصالة شعرها الأسود الطويل يتدلّ ضفيران على كتفيها ويرقد ناعماً على الصدر. ترتدي جلباباً حريياً أبيضاً يزيد من سواد الشعر»<sup>(3)</sup>. وهذه الصورة مخالفة لصورة فاطمة في «نبات الصبار»، ولكن الكاتبة تعطيها وصفاً آخر يمكن أن ينطبق على الأغنياء من وجهة نظرها فتصورها خائنة وقاتلة وكاذبة كذبت على «الطيب» وأوهمته بحبها ليساعدها في دفن زوجها الذي قتلته ثم تنكرت له بعد أن ساعدها:

«معليش يا الطيب. سامحني . أنا غشيتك ..لو أصلا في طريقة أتزوجك كان أتزوجتك قبله..أهلي ما بقبلوا.....ربنا يفتح عليك وتلقى بت من مستواك وبتحبك تتزوجها...طبعاً أنا أصلا ما ممكن احبك مش كده؟»<sup>(4)</sup>.

وهذه الصورة تجعل القارئ يكره المرأة الارستقراطية ويحس معها بالاستياء ولا يتعاطف معها. فالمرأة الارستقراطية وان كانت صورتها زينة جميلة وأنيقة أحيانا فقد عكست جانباً آخر منها يشعرك بالنفور وعدم الرضا .

### ثالثاً: صورة الأم :

مشاعر الأمومة من اسمى المشاعر التي تتجلى فيها إنسانية الإنسان بأروع صورها ، وتظهر قيم المحبة والتضحية والعطاء ، فنجد المرأة كثيراً ما تلغى حياتها الخاصة في سبيل أولادها، لأنها تعايش الأمومة وهو أجمل إحساس ينبض في أعماق المرأة ويشكل خصوصية نظرتها للحياة التي تنعكس على تعاملها مع الآخرين، وعلى خصوصية الخطاب

(1) المرجع السابق ، ص 10..

(2) رواية كش ملك ، ص 25 .

(3) المرجع السابق ، ص 36 .

(4) المرجع السابق ، ص 37

الروائي لديها»<sup>(1)</sup>. وزينب بليل عايشة هذا الإحساس الجميل وتعمق داخلها، لذلك نجدها تهتم بصورة الأم وهي أهم صورة للمرأة تناولتها الكاتبة بقدر كبير من التركيز، فعلى نفس القدر من الحنان والجلال في واقع الحياة، يأتي تصويرها للأم في رواياتها. وتكاد تكون هي الروائية الوحيدة من بين روائينا التي وقفت عندها كثيراً.

ودور الأم في رواياتها يتطور بتطور المجتمع، فمثلاً في روايتها الأولى «الاختيار» التي تصور فيها المجتمع السوداني بعد الاستقلال، نرى للأم دوراً هامشياً ساذجاً، حيث تعيش في كنف من يعولها زوجها أو ابناً، ويقتصر دورها على رعاية الأسرة والقيام بالخدمات، والمحافظة على العادات والتقاليد، إذ لم يكن هناك اهتمام كبير بتعليم المرأة أو عملها، فتصورها الكاتبة صابرة على شظف العيش، ويتضح صبرها من خلال الأزمت التي تعرضت لها الأسرة فكشفت عن صلابتها ومعدنها الأصيل، وهذا النموذج تمثله «الروضة» زوجة حمدان ووالدة آسيا بطلة الرواية:

«الروضة فعلا هي ملكة زمانها وظروفها. أنجبت ثمانية.. في بؤس ينحني له البؤس إجلالاً.. وأنشأتهم في صبر يخجل الصبر نفسه. لم تشتكي للجارات سوء حظها ولم تتمنى الموت لترتاح من شقاء لا يعلم إلا الله مداه.. لا تصرخ أو تتشنج أبدا...»<sup>(2)</sup>.

وتصورها كذلك صامته لا تشارك في الحوار إلا نادراً، ودورها في الرواية لا يتكشف إلا عن طريق الراوي في السرد أو عن طريق الحديث عنها من قبل الشخصيات. وشخصية الروضة تمثل خير تمثيل للمرأة في تلك الحقبة، فهي ترمز للأم السودانية الأمية التي تقدر الحياة الزوجية وتحافظ على العادات والتقاليد وتؤمن بالزار وخرافات وتعتقد في الأولياء الصالحين والأساطير. وتقدر زوجها وتطيع أوامره وتستجيب لرغباته وتنفذ تعليماته وتحافظ على أبنائها وتحتويهم بعطفها وحنانها ص 113. ودور الأم ووصفها في «الاختيار» ينم عن معاشة حقيقية واقعية لنموذج هذه المرأة من قبل الكاتبة. ونرى في «الاختيار» نموذجاً آخرراً للأم، وهي «المسرة» أخت «آسيا» بطلة الرواية التي قاست الحياة ليس بسبب الفقر والاحتياج مثل والدتها ولكن بسبب الفارق الطبقي، فلم تطق المعاملة السيئة، ولم تتحمل مثل والدتها الروضة ظروف الحياة، فانتحرت مع بناتها الثلاث خوفاً عليهم من غدر الزمن وقسوة الحياة.

وينمو دور الأم ويتطور بتطور المجتمع عند الكاتبة، ففي رواياتها الثانية «كش ملك» التي صورت مجتمع السودان في السبعينات والثمانينات حيث خرجت المرأة

(1) انظر الخطاب القصصي النسوي، د/ ماجدة حمود، ص 108

(2) رواية نبات الصبار، ص 113.

للعمل والتعليم وتفشت ظاهرة النساء بائعات الشاي والطعام، وكذلك العاملات في القطاع العام. ينمو دورها فتقدمها في صورة الأم المكافحة التي تحاول أن تهزم الظروف الاقتصادية، فتلجأ للأعمال المهينة من أجل أبنائها مثل غسل الملابس والعمل خادمة في المنازل وبيع الشاي حتى تستطيع إعالتهم، ونجد لها أمثلة كثيرة في الرواية بصور متعددة. ومن نماذجها «زهرة» أم «الملك» بطل الرواية التي توفي عنها زوجها فحول أبنائه كل ممتلكات والدهم إلى أسمائهم ولم يتركوا لها حتى المنزل الذي تسكنه، وضافت بها الحياة وباعت كل ما لديها لكي تنفق على أبنائها الصغار:

« لجأت لأبناء الملك ولكنهم اخبروها أن لا شأن لهم بها ولا بأبنائها فاضطرت لأن تعمل خادمة في منازل الأغنياء لكي يواصل وقيع الله وسيدة الدراسة...وتعمل طوال اليوم... وفي آخر النهار تحمل فتات الموائد وما ضاق عن الأبناء من ملابس لوقيع الله وسيدة»<sup>(1)</sup>. فالأم هنا هي عصب الأسرة وسر تماسكها ورمزا لاستمرارها، وشخصية الأم هنا رغم ما وصل إليه حالها من فقر وفاقة كانت نموذجاً للأنفة والاعتداد بالنفس فلم تلجأ إلى أحد، بل فضلت بذل كل ما تستطيع من جهد لتوفر لأبنائها القدر الذي تستطيعه من الأمان والراحة، وإحساسها بقدرها وقدر أبنائها، وتفهمها الواعي لانتمائها حماها من الانحراف، فضلت الكسب الشريف على الاستسلام البائس بقدر لم يكن لها دور في صنعه. ولكن هذا النموذج الخير للأم انشأ أبناء خاطئين رغم تنشيتها الجيدة لهم.

وهنالكَ نموذج آخر لتلك الأم تمثله «حواء» بائعة الشاي التي عملت لتعول ابنتها بعد وفاة زوجها، فامتنت عملاً شريفاً رغم ما تتعرض له من مضايقات أثناء عملها إلا أنها فضلت العيش الشريف، ونموذج حواء هنا تقدمه الكاتبة نموذجاً للأم الحنونة، الأم الإنسان التي تساعد الآخرين وتؤويهم رغم بؤسها، فقد أوت الطيب عندما قدم غريباً إلى الخرطوم ولم يجد ماؤى فعمل معها ص 13، 14.

وتعد أم الملك وحواء بائعة الشاي النموذج السوي على الرغم من المحن التي صادفتها. وهذان النموذجان يقابلهما نموذج آخر سيء وغير سوي وهو «محاسن» زوجة وقيع الله التي لم تستطع أن تحافظ على شرفها في سبيل تربية أبنائها بعد هروب زوجها وتركها دون عائد مادي، وحاولت أن تجد عملاً شريفاً لكنها لم تفلح، فاضطرت للبقاء: « محاسن قد نفذ ما معها من مال... ولم تعرف إلى من تتجه، وساءت أحوال محاسن..نفذ كل ما معها فباعت حليها..وزاد السوء لما توفيت أمها التي كانت تساعدها ببيع ما تنتجه من مأكولات، فاضطرت أن تخرج هي بنفسها لتبيع انتاجها، وكثيراً ما تعرضت لاهانات ولخدش حيائها وجرح كرامتها من قبل رجال كانت تصدهم في حزم..وكان هدفها

(1) رواية كش ملك ، ص 1

الأول أن تربي أطفالها بكرامة وأن يواصلوا دراستهم»<sup>(1)</sup> وقاومت محاسن الفقر والشقاء بكل قواها ولكن ظروفها لم تساعدها وساعدها الرجال الذين اعتادوا على زيارتها كل منهم يقدم ما يراه مناسباً ص 62، وانحرفت عن الطريق وضاعت وضيعت أبناءها معها. فالاحتياج وعدم التعليم الكافي ليس مسوغاً للانحراف فكان عليها أن تجد عملاً شريفاً كما فعلت زهرة أم الملك أو حواء بائعة الشاي، فكل هذه النماذج التي قدمتها الكاتبة نماذج غير متعلمة أو على قدر قليل من التعليم . وهي بتقديهما لهذه النماذج تريد توضيح مأساة «محاسن» وتعزوها إلى ظلم المجتمع لها، فتصورها نموذجاً موجوداً في الحياة مقابل لذلك النموذج السوي الآخر .

أما في «نبات الصبار» فدور الأم يشابه دورها في «كش ملك» حيث الكفاح من أجل حياة أفضل لأبنائها فنجد «أمينة» زوجة الحسين ووالدة خديجة تكافح وتعمل «فراشة في مدرسة نموذجية»<sup>(2)</sup>، لتنال إبتهاحاً أوفر منها خاصة التعليم، فهنا دور الأم ينمو حسب نمو المجتمع وازدياد نسبة تعليم المرأة ومشاركتها في كافة التخصصات العلمية، فأمنة هنا تتمنى لابنتها أن تصبح طبيبة وتعالج المرضى وتساعد في تطور المجتمع: «أحياناً يشطح خيالها وتتمنى أن تصير خديجة دكتورة..مثل الدكتورة التي تأتي إلى المدرسة لتكشف على الطالبات..لكنها تطلب من الله السماح أن هي تجاسرت على إرادته وسألته أكثر مما هو مسموح به لأمثالها»<sup>(3)</sup>.

وصورة الأم هنا تمثل الكفاح والصبر في وجه الأزمات عن طريق العيش الشريف والدور الإيجابي والمشاركة في العيش والتقاسم مع الأب في تكاليف الحياة، ونجد نموذجاً للأم العاملة وهي «سوسن» الطبيبة التي تشارك زوجها الطبيب الحياة وتتقاسم معه، والكاتبة في الرواية تشير إلى التطور الكبير الذي حدث في المجتمع، عن طريق مشاركة المرأة العاملة فيه ومساواتها بالرجل و منافستها له في كل المجالات .

ونلمح تطوراً آخر لدور الأم وذلك عن طريق علاقتها مع أبنائها ، فتبدو علاقة أمينة قوية مع ابنتها وتشاركها الرأي والمشورة وتساعد في إبداء رأيها. إذن فالأم هنا نموذج إيجابي يمثل المرأة القوية التي تستطيع أن تدلي برأيها الصائب وتتمسك به، كما يتضح دورها الفعال في الأسرة والمشاركة في تطورها ودفعها للأفضل .  
وتقدم زينب نموذج آخر للأم مختلف في «نبات الصبار» عند الطبقة الأرستقراطية

(1) رواية كش ملك ، ص 64 .

(2) رواية نبات الصبار ، ص 55 .

(3) المرجع السابق ، ص 58 .

والذي تمثله «قمر العباسي» والدة خالد والذي يتمثل دورها في التسلط والسيطرة التامة على الأبناء بل يصل الأمر إلى توجيه مسار حياتهم وخاصة خالد» كانا يقسوان عليه كثيرا لأنه ولد وسط ست بنات فخافا أن يصير هينا ولطيفا مثلهن افهموه علنا وضمنا.. عليه أن يواصل الدراسة إلى ما بعد الجامعة... كان خالد يلبي كل ما يطلبان منه... ومع كل ما يقدم إليه وصلته رسالتهم.. علنا وضمنا أنه لا شيء غير طيب وعليه أن يحقق ذاك المطلب... وعليه أن ينفذ في صمت»<sup>(1)</sup>. وتمثل «فاطمة» زوجة خالد نموذج آخر للأمم الارستقراطية التي يقتصر دورها على تربية الأبناء فقط دون توجيههم أو التأثير عليهم سلبا أو إيجابا، فهو دور هامشي. ونلاحظ من خلال دور الأم في الطبقة الارستقراطية أن الكاتبة تحاول أن تقلل من شأن الأغنياء وتتحامل عليهم وتصورهم من وجهة نظرها.

استطاعت زينب بليل من خلال مشاعر الأمومة أن تجسد قيم المحبة والتضحية والعتاء، وترصد حساسية هذه العلاقة وجمالياتها خاصة عندما تنغصها بعض المنغصات مثل موت الأب أو سفره أو الفقر من خلال تضحية «زهرة» أم وقيع الله فجميع الأمهات عندها مضحيات من أجل أبنائهن، فتتجلى الأمومة في أسمى صورها، وتتجلى حميمية العلاقة بين الأم وأبنائها، وهذا ما لمسناه من خلال علاقة الأمومة التي تربط بين «خديجة» وأمها في «نبات الصبار».

إذن فدور الأم ينمو ويتطور بتطور المجتمع والزمن. فبعد أن كانت المشاركة صامتة عند الروضة في «الاختيار» أصبحت المشاركة فعلية عند «زهرة وحواء» في «كش ملك». وتحولت في «نبات الصبار» بالإضافة إلى المشاركة الفعلية عند آمنة مشاركة في التطور والنمو ودفع عجلة الحياة بالإصرار على أن تصبح ابنتها طيبة وتشارك في تطور المجتمع. وأخيرا فإن شخصيات زينب النسائية تنوعت في وضوح طبقي بدء من آسيا ومريم التوم ونعمات وسعاد و قمر العباسي والدة خالد. كذلك تنوعت شخصية الأم فوجدنا الأم السلبية في «الاختيار» أم آسيا وزوجة خالد في «نبات الصبار» وأخرى إيجابية مسيطرة أم خديجة في «نبات الصبار» وأم الملك في «كش ملك» وبينهما أم مختفية بل لا تظهر على السطح مثل أم على في «الاختيار» وأم أحمد في «نبات الصبار»، ويبدو أن الكاتبة لم تر أي ضرورة لإظهار أي منهما إذا لا حاجة لهما شخصيات مساعدة في تدعيم الحدث والسلوك المبرر لنماذجهما. إلى جانب ذلك هناك بعض الشخصيات النسائية الحازمة مثل أم خالد في «نبات الصبار» ولكن حزمها لم يطور الأحداث ولم يصل بأسرتها إلى بر الأمان وإعطاء نتيجة بل وضعت في الرواية نموذجا للمرأة الارستقراطية المتسلطة على أبنائها الذين لا تسمع لهم رأياً بل رائها هو الطاعي.

(1) رواية نبات الصبار ، ص 99 ، 10..

## ثانياً : قضايا المرأة وهمومها .

«قضية المرأة وحققها في اختيار الزوج ، وحصولها على حقوقها الاجتماعية والسياسية والإنسانية، كحقها في العمل والتعليم ، والمشاركة في الحياة العامة من أوضاع المشكلات التي تصدرت لها الرواية الواقعية في السودان باعتبار أن هذه القضايا جزء من القضية الكبرى هي قضية التخلف الاجتماعي والاقتصادي والثقافي التي يعاني منها المجتمع السوداني»<sup>(1)</sup>. أما زينب بليل فقد رصدت العديد من القضايا التي تخص المرأة، منها قضية الحب وما تلاقيه المرأة من حزن ومأس نتيجة هذا الحب، ثم قضية التعليم ودورها في تقدم المرأة أو تخلفها، وعرضت كذلك قضية المرأة وعلاقتها بالرجل وأنواع القهر الذي تلاقيه منه. وتصور من خلالها موقفها الخاص من الرجل، ثم تتعرض لقضايا أخرى تتعلق بالحرية الذاتية للمرأة ووضعها الاجتماعي وحق المرأة في اختيار الزوج، والتي توضح فيها أن معظم الزوجات لا تتم عن طريق الحب ، وإنما على أساس المنفعة التي قد يلقاها أحد الطرفين، كما ناقشت مشاكل التخلف الاجتماعي ودور المرأة فيه. وكذلك تعرضت لقضية عمل المرأة التي تعد بداية المساواة بين الرجل والمرأة في القرن الماضي. وقضايا المرأة وعلاقتها بالمجتمع مثلت أزمة الكاتبة نفسها ومشاكل العصر من وجهة نظرها. فمشاكل المرأة غالباً عندها تبدأ بالحب ومشكلاته، ثم تتطور إلى نوع من الاحتجاج الفردي على بعض مشاكل المجتمع الطبقي والسياسية أو الاجتماعية. إذن عكست قضايا المرأة ملامح الواقع وعبرت عنه وعن العصر الذي كتبت فيه.

### 1. المرأة والحب :

استطاعت الكاتبة التعبير عن هموم المرأة العاطفية من منظور أنثوي، فلاحظنا خصوصية الصوت الأنثوي في التعبير عن حاجاته وأعماقه بلغة واضحة قريبة من لغة الحياة اليومية ، وبذلك استطاعت أن تعبر بحرية عن خصوصية أعماق المرأة وانعكاس تجربة الحب عليها من خلال «آسيا» و «بدرية» و «ليلي» في «الاختيار»، و«مريم» في «كش ملك»، و«خديجة» في «نبات الصبار» حيث استطاعت الكاتبة أن تدخلنا أعماق المرأة فنعيش معها أفراح الحب وقدرته على تحديد حياتها وتغيير قناعاتها، فنجد في «الاختيار» ليلي الارستقراطية التي أحبت الطاهر الطبيب الفقير تغير رغبتها في الالتحاق بالعمل بسبب الحب لأن حبيبها لا يرغب في أن تعمل وقد دار بينهما الحوار الآتي:

« - .... سأخرج واعمل براتب محترم.

-..... لن يكون لك راتب.

- لا افهم .

(1) الاتجاه الواقعي في الرواية السودانية الحديثة ، د/ بشير عباس بشير ، ص 55

- زوجتي لن تعمل ولن تتقاضى أجرا<sup>(1)</sup>. وبعد مجادلات وحوار اقتنعت برأيه رغم أنها درست تخصصاً يمكن أن يعود عليها بوظيفة جيدة وراتب كبير.

واستطاعت زينب كذلك أن تطلعنا على إحساس المرأة بالحب، وكيف يملأ حياتها وكيانها، وكثير من النماذج توضح ذلك:

«حسين... أنا لا أحد لي غيرك في هذه الحياة... لا أهل ولا جاه ولا ثروة.. لكن صدقني، لأنك تحبني.. أحس أنني أغنى أغنياء العالم.. فقط لا تترك الذي أراه في عينيك يتغير، لا تنظر بعيداً إذا كنت أصدق فيهما... اسمح لي أن أجمع ثروة البحار وباطن الأرض.. لا تتركني أفلس، هذا رجاء.. طلب... أقدمه منذ الآن وحتى آخر العمر»<sup>(2)</sup>.

ونلمس هنا لغة الحب الجريئة وشعور المرأة تجاه هذه العلاقة. وهناك نماذج أخرى في «الاختيار» ص 92، 93، توضح الكاتبة فيها تأثير الحب على المرأة.

والحب عند زينب يمتزج بالحزن، فكل الشخصيات التي أحبت في رواياتها واجهت كثيراً من العقبات التي وقفت في طريق هذا الحب، ففي «الاختيار» وقفت عقبات كثيرة بين المحبين فبدرية وحسين واجهتهما مشكلة الاختلاف الفكري، وآسيا وعلي، ومصطفى ونعمات وقفت بينهم مشكلة الفارق الطبقي، فالحب دائماً يصاحبه الحزن وغالباً لا تؤدي العلاقة العاطفية إلى الزواج، ففي «كش ملك» علاقة الحب بين «الطيب» و«سعاد» كانت حزينة وانتهت بالفشل لأنها كانت من طرف واحد هو فقد أحب «الطيب» سعاد ولكنها غدرت به لأنه ليس من مستواها أو نفس طبقتها، والحب بين «مريم» و«الملك» لم يؤدي إلى الزواج لاختلافهما في القيم والمبادئ، وكذلك في «نبات الصبار» العلاقة بين «خديجة» و«أحمد» لم تسفر بالزواج فقد اعترضتها عواقب كثيرة. فسمة الحزن تطبع جميع العلاقات العاطفية ويصطحبها عقبات كثيرة، وقليل من العلاقات تنجح وتؤدي إلى السعادة والارتباط مثل علاقة «الطاهر» و«ليلي» في «الاختيار» التي أدت إلى الزواج والسعادة وكذلك «كارولين» و«الصادق».

وفي ظل النظرة الحزينة للحب، يصبح الحب عبءاً ثقيلاً على المحبوبة فهو محاط بالهموم والمسؤوليات، مثال لذلك حب «آسيا» بطله «الاختيار» لعلي فعلاقة الحب بينهما محاطة بالمحرمات «الدينية والاجتماعية» فعلاقتهم منذ بدايتها مهددة بالفشل نسبة للفوارق الطبقيّة والرواسب الأسرية القديمة. وعندما تزوجت «آسيا» أصبحت العلاقة بينهما محرمة ولا أمل لحياة مستقرة بينهما، فهذه العلاقة غير آمنة، لذا نلاحظ أن الكاتبة «جعلت

(1) رواية الاختيار ، ص 46 .

(2) المرجع السابق ، ص 54 .

الأمكنة المغلقة والبعيدة مثل السيارة والشقة فضاء لممارسة الحب وهذه النظرة للحب المقترنة بالحنن، تقدمها الروايات النسوية بصورة عامة ونادرا ما يقتزن الحب بالفرح»<sup>(1)</sup>. وهذه النماذج نجدها في الرواية ص 143،142،137،136،96،95،93،92.

ورواية«الاختيار» بما أنها أكثر رواياتها يتضح فيها الجانب الرومانسي، فذلك تتجسد فيها هذه النظرة الحزينة للحب من خلال شخصية «آسيا»، فرجوع آسيا لحبها الأول «علي» ليس مصادفة قدرية وإنما «مصادفة فنية» مقصودة من الكاتبة يترتب عليها تطور أحداث الرواية، وكذلك انتحارها ليس رغبة من الكاتبة في توضيح الجزاء والعقاب أو هو غاية في حد ذاته، وإنما تعبير عن الجانب الحزين والمأساوي لأزمة البطلة ، فالكاتبة تريد أن تعمق الإحساس بالمأساة التي تدل على تصدع القيم الاجتماعية في المجتمع. وفي «كش ملك» كذلك الحب محاط بالحنن والكوارث وهو عبء ثقيل على «سعاد» تريد التخلص منه، فبسبب الحب والغيرة على المحبوب قتلت زوجها» وأخذت تصرخ في هستريا أي كتلتها! كتلتها عشان حبيته. كتلتها عشان تاني يعرس»<sup>(2)</sup>. فالكاتبة هنا تصور الحب وما يمكن أن يتسبب به من مصائب ، وقد استطاعت أن تصور الغيرة وما يمكن أن تفعله بالمرأة .

وتقدم زينب بليل صورة أخرى للحب عند المرأة، تمثلها البطلة «خديجة» في «نبات الصبار» إذ تقدمها في صورة أكثر تقدما، فهي ليست مجردة من العواطف ولكن عواطفها لا تجمح بها مثل النساء الاخريات في رواياتها السابقة، فقد أحبت «أحمد» زميلها في الجامعة الذي يسكن معها في نفس الحي، ولكنه في سبيل البحث عن الأفضل وتحقيق الأحلام سافر وتركها و تزوج من غيرها ليحصل على إقامة في البلد التي رحل إليها، و لم تستسلم لليأس والحنن وانتظار الحبيب، بل حددت موقفها ومضت في كفاحها لإصلاح أوضاع مجتمعها الذي تعيش فيه. إذن الحب لم يستطع أن ينسيها واجبها نحو مجتمعها. وفي جزء آخر من الرواية تصور الكاتبة «خديجة» عاطفية تتذكر حبيبها عبر المنولوج الداخلي» لكنه تركني لنفسي وسافر... تركني للضميم وهو يعرف تماما أنني بدونه ضعيفة رغم القوة التي يزعمون أنني امتلئ بها. تركني ليحقق أحلامه ، وعاد قويا وغنيا ومتخصصا كما تمنى.. وعدت أنا من رحلة سراب ..انفقت فيها عافيتي وعمري وفقدت الكثير»<sup>(3)</sup>. فتصور الكاتبة «خديجة» حزينة ضعيفة لتعبر عن أزمته الخاصة الاجتماعية والعاطفية ، بإسلوب شاعري

(1) الخطاب القصصي النسوي، د/ ماجدة حمود ، ص 150.

(2) رواية كش ملك» ، ص 46 .

(3) رواية نبات الصبار ، ص 229 .

يرضي العاطفة أكثر من العقل ، فالمبالغة في رسم شخصية «خديجة» من قبل الكاتبة أدت إلى بعض عيوب التكنيك الفني التي وردت في الرواية .

ووفقا لموقف الكاتبة الحزين والمثالي في نظرتها للحياة والمجتمع والتي تمثلت من خلال رواياتها، انعكس ذلك على صورة الحب عندها ، فهي من ناحية تشك في قدرة المرأة ككائن بشري وتصورها مسلوقة الإرادة أمام حبها وحياتها ، ولكن بالرغم من ذلك فإن الكاتبة تبدي إعجابها بمثالياتها ووفائها النادر، و«آسيا» في «الاختيار» مسلوقة الإرادة أمام حبها وزواجها ممن تحب، ولكن رغم ذلك كانت وفية لحبها لعلي ولم تستطع أن تتكيف مع مصطفى زوجها أو تحبه«هل فكرت أن تحبه؟ أن ترى ما بداخله؟تجلس إليه يتناولان الإفطار..ولا تعرف إذا كان حليق الذقن أم لا. ثلاث سنوات مضت وهي لا تستطيع أن تصف عينيه. لا تعرف شكل أصابعه، لا تعرف طوله بالتحديد»<sup>(1)</sup>. وكذلك خديجة في «نبات الصبار» البطلة المثالية الوفية لحبها رغم زواجها من دكتور خالد لم تستطع أن تنسى حبيبها «أحمد» «لم تحوّل خديجة بصرها عنه. لقد عاد نحيفا لكن في غير هزال مما جعله يبدو أكثر طولا، وهي تعشق الرجل الممشوق...حقيقة اتخذت قرارا لن أراجع للبروف ثانيا لكن هل سأرجع لأحمد؟ هل يتوقع رجوعي إليه؟هل يرحب به؟لن اصدق أن أحمد نسي عهدا كانت بيننا..لم ينس أحد فكيف يكون قد نسي حبا سقيناه عصارة عمرنا؟»<sup>(2)</sup>.

فتصورها الكاتبة هنا حنونة ، محبة وفية لحبها. وضعيفة في نفس الوقت أمام هذا الحب، فكل شخصيات زينب بليل النسائية نلمس فيها عنصر الضعف الأنثوي، فالمرأة هي أم قبل كل شيء ولأجل هذه المهمة فأنها تكرر حياتها للظفر بزواج وانجاب أطفال فيما إذا كانت سوية، أو قد تجعل همها أن تصطاد رجلا إذا انحرفت بها عن الزواج سبل الحياة أو ضاقت بها سبل العيش.

ومما سبق يتضح أن الكاتبة نظرتها كانت قاصرة على المرأة وعلاقتها العاطفية والاجتماعية دون ربطها بالظروف التي أفرزت تلك العلاقات . فقد كان ههما تصوير الحب ودوره في حياة المرأة والصعوبات التي واجهته دون أن تعمق نظرتها لهذه الصعوبات وأسبابها وحلها. وتركت الحل والاستنتاج للقارئ يتصرف فيه كيف يشاء .

## 2. المرأة والتعليم :

المرأة هي أساس المجتمع واللبنة الثانية لبناء الأمم ، فإذا صلحت المرأة صلح المجتمع، ولذلك لا بد أن تعد المرأة إعدادا كاملا حتى تستطيع أن تقوم بالدور الموكل لها

(1) رواية الاختيار ، ص 89 .

(2) رواية نبات الصبار ، ص 229 .

في تنشئة الأجيال ومن ثم قيام المجتمعات القوية التي تنافس أكثر المجتمعات قوة، وهذا لا يتم إلا عن طريق التعليم، وهذا ما دعا إليه محمد احمد محبوب في مقاله في مجلة الفجر: «أن تكون لنا أسرة صحيحة، نريدها امرأة متعلمة، وأن يعرف الشبان وأحبائهم قبل أن يطالبوا بحقوقهم وأن تتحد كلمتهم»<sup>(1)</sup>.

بعد استقلال السودان وبعد ثورة أكتوبر 1964م زاد الاهتمام بالتعليم فكثرت المدارس الحكومية والأهلية وأنشئت الجامعات، وزاد عدد الطلاب من الجنسين، فظهرت الفتاة السودانية المتعلمة و تخرجت في المدارس الثانوية والفنية والجامعات، وشاركت في جميع المجالات الثقافية والفنية والاجتماعية، كما شاركت في الحركة السياسية، فساهمت مع الرجل في دفع عجلة التطور والنماء. وهذا التغيير والتطور الذي طرأ على وضع المرأة الاجتماعي كان له أثره الواضح في المجتمع السوداني بشقيه المحافظ والتقليدي، إذ تخلصت الأسرة السودانية شيئاً فشيئاً من قيود العادات والتقاليد البالية التي توارثوها من مئات السنين، كما بدأت تتخلص من الشعوذة والدجل والمعتقدات المتخلفة.

قضية تعليم المرأة من القضايا المهمة التي أثارها زينب بليل، فربطت بينها وبين وضع المرأة الاجتماعي والاقتصادي في المجتمع والمساواة بينها وبين الرجل. فكل ما نالت المرأة قدراً من التعليم كل ما تحسن وضعها الاقتصادي ونالت مكانة اجتماعية. ودور المرأة في الروايات يتطور بازدياد التعليم ومشاركة المرأة فيه. فمثلاً روايتها الأولى «الاختيار» التي عبرت عن الفترة التي تلت الاستقلال، حيث لم يكن تعليم المرأة منتشرًا وغير مرحب به من قبل كثير من أهالي ويعد عيباً وفسوقاً، تعرضت الكاتبة لتعليم المرأة وصورت جانب من عدم تشجيع الأهل لتعليم ابنتهم، فأسيا عندما التحقت بالمرحلة الوسطى لم تلاقي التشجيع من الأهل:

«جاء دور آسيا ولحقت بأخواتها في المدارس الوسطى ويوم سفرها قامت الدنيا وقعدت.. ثار الأهل وهدد بعضهم الأب أن هو خرج عن التعاليم الموروثة وسمح للبنت بالسفر والدراسة.. هذا معناه مروق وفسوق وتمرغ لاسم القبيلة.. لكن حمدان، لسبب ما لم يعبأ برأي احد»<sup>(2)</sup>. فالمرأة في ذلك الوقت لم تخرج من بيتها وظلت مكبلة تحت قيود الأسرة والمجتمع إلا فيما بعض الأسر التي علمت بناتها.

وزينب في «الاختيار» أشارت إلى قضية تعليم المرأة إشارات فقط ولكنها لم تتعمق القضية وتناقشها، أو توضح معاناة المرأة حول هذه القضية، وتشير إلى بعض المعارضات من

(1) مجلة الفجر السودانية العدد 12 العام 1932م .،

(2) رواية الاختيار ، ص 24 .

خلال هذا النموذج: «عندما جاء دور التوأمين لدخول الجامعة لم يحتج ولم يعلق لكن ساءه جدا سماع اسمه مقرونا باسم حرمة عندما أذيع اسم آسيا ضمن النجاحات في الدخول للمدارس الثانوية.....لم يزغرد احد لنجاحها، نظر إليه البعض على أنه بدعة ونظر إليه البعض على أنه تقليد أعمى لما يفعله الوجهاء والبعض تفاءل به..بارقة أمل في دروبهم الشائكة»<sup>(1)</sup>. فذكر الجد هنا دلالة على أن رفض تعليم المرأة له جذور منذ القدم ولكنه بدأ يتلاشى شيئاً فشيئاً، وفي هذا النموذج نلاحظ الإشارة إلى تعدد وجهات النظر حول تعليم المرأة. وزينب رغم هذه الاحتجاجات إلا أن روايتها تحشد عدداً كبيراً من النساء المتعلمات حتى مراحل متقدمة من التعليم، مثل «آسيا» و «ليلي» و «بدرية» و «نعمات»، أما «المسرة» فقد كان تعليمها متوسطاً.

إذا كانت «الاختيار» قد أثارت فيها الكاتبة قضية تعليم المرأة، عبر إشارات فان «كش ملك» لم تتعرض فيها الكاتبة لهذه القضية، فأكثر النساء فيها اكتفين بقدر من التعليم المتوسط مثل «محاسن وزهرة الملك ومريم وياسمين وسيدة» لظروفهن الاجتماعية أو الاقتصادية لذلك لم يستطيعن إكمال تعليمهن. ولكن في هذه الرواية ربطت الكاتبة التعليم بالوضع الاقتصادي للمرأة، فالمرأة غير المتعلمة لم تستطع أن تنفق على نفسها فسلكت سلوكاً غير سوي، لذلك ظهر عدد من الآفات والانحرافات الاجتماعية التي تتعلق بقضية تعليم المرأة، فوجد مثلاً «سيدة» لم تكمل تعليمها ولم تجد رعاية اجتماعية كافية من جانب الأسرة فكان من الطبيعي أن تنحرف وتصبح مومساً، «فسيدة» والدتها لم تشجعها على مواصلة تعليمها «اكتفت سيدة بالمرحلة المتوسطة ولم تصر عليها زهرة لتواصل الدراسة لاعتقادها أن ابنتها جميلة ولجمالها فقط يمكنها أن تتزوج رجالاً غنياً يكفيها عناء الدراسة والوظيفة..... لم تجبر سيدة على مواصلة الدراسة، خاصة والمصاريف كانت تزيد يوماً بعد يوم»<sup>(2)</sup>.

فالكاتبة هنا تربط بين التعليم وسوء الحالة الاقتصادية، فسيدة لم تواصل تعليمها لفقر أسرته، وانحرفت لأنها لم تجد لها مصدر دخل بسبب عدم التعليم فالكاتبة هنا نظرتها تطورت لقضية تعليم المرأة. فقدمت كثيراً من النماذج التي عانت بسبب عدم التعليم. مثل «محاسن» التي مثلت نموذجاً آخر لضياح المرأة وانحرافها بل ضياح أسرة بأكملها بسبب عدم التعليم الكافي، فمحاسن لو نالت تعليماً مناسباً لكانت حصلت على وظيفة مناسبة تستطيع أن تعول منها نفسها وأبناءها بعد هروب زوجها وسفره.

(1) المرجع السابق، 36، 37.

(2) رواية كش ملك، ص 3.

في مقابل النماذج السابقة نجد نماذج للمرأة المتعلمة في «كش ملك» التي استطاعت بفضل التعليم أن ترفع من مستواها فكريا واجتماعيا بل اقتصاديا، فاعتمدت على نفسها وشاركت في مسؤوليات الحياة . وتقدم الكاتبة نموذجين للمرأة المتعلمة التي استطاعت أن تعين نفسها وأسررتها . «زهراء الملك» تمثل نموذج للمرأة السودانية المثقفة التي تريد إثبات ذاتها ووجودها، ولكن مرت بها أزمات عديدة أثرت في حياتها مثل «حادثة الاغتصاب» التي تعرضت لها وهي صغيرة وكذلك انتحار أمها وقتل أخيها لرجل وهروبه، وقد أصبحت لا تجد لها هي وأخيها ملاذا ومأوى خاصة بعد المضايقات التي وجدها من أهل أبيهما، وقد واصلت تعليمها هي وأخيها بعد أن تكفلت بهما «مريم التوم» ولكنها لم تكمل تعليمها. وقد وجدت في الرسم ملاذا وعزاء لازمتها ومعاناتها ورفضها للزواج .

أما النموذج الآخر فهو «مريم التوم» التي تمثل كذلك نموذج للمرأة السودانية المثقفة العاصمية التي يستطاع الاعتماد عليها في الأمور العظيمة ، فقد استطاعت أن تعول أهلها وتساعد والدها في مهامه ثم انتقلت بعد الزواج مشاركتها لزوجها ومقاسمتها له مسؤوليات الحياة ، وبعد موت زوجها استطاعت أن تنفق على أبنائها ووالدها الكبير في السن ، ثم أخيرا تكفلت بتربية «زهرة واحمد الملك»، فتطورت صورة المرأة هنا وأصبحت فعالة ومشاركة في بناء نفسها ومجتمعها بفضل التعليم . و«زهرة» و«مريم» من نساء الطبقة الفقيرة ولكن بفضل تعليمهن استطاعت أن تطورا نفسيهما وترتقيا بها، وأصبحتا في صورة مشرفة من سيدات الطبقة الوسطى.

في «نبات الصبار» تطور الوضع الاجتماعي للمرأة إذا نالت قسطا أكبر من التعليم ، وخاضت كل مجالات التعليم ، فتغير وضعها بالنسبة للرجل في علاقة تستوجب تنظيما جديدا يقوم على الحب والفهم والمساواة ، ولكن المجتمع لم يتغير بالدرجة المطلوبة، فمعاملة الرجل للمرأة أو نظرتة لها لم تتغير كثيراً . ومن نماذج المرأة المتعلمة التي خاضت المجالات العلمية وأصبحت طبيبة «خديجة» بطلة الرواية، فالبطلة هنا امرأة مدركة واعية حرة السلوك والرأي داخل البيت وخارجه:

« قال الحسين: حبابك عشرة يا دكتور لكن أنادي ليك خديجة تتفأهم معاك . طبعاً القرار حقها وهي صاحبة الشأن»<sup>(1)</sup>. وهذا التطور في صورة المرأة يعتبر تطورا طبيعيا ينعكس عن واقع أكثر تطورا . فخديجة بفضل علمها استطاعت أن تجد مكانة في المجتمع وتحقق ما تريد. فهي نموذج للمرأة السودانية المثقفة التي تسعى لتأكيد وجودها في مجتمع ذكوري وسلاحها هو علمها وعملها.

نموذج خديجة الفتاة المتعلمة المثقفة التي تلقت كل عناية من أمها وأبيها

(1) رواية نبات الصبار ، ص 108 .

وتربت على المثل والقيم، نموذج مقابل لزوجته خالد «فاطمة» المرأة غير المثقفة، والتي ليس لها دور في الحياة أو المجتمع سوى انجاب الأبناء. وهي نموذج للمرأة الارستقراطية التي لم تتلق تعليماً كافياً حسب قانون قبيلتها لأن المرأة من وجهة نظر أهلها ليس مهم أن تتعلم وإغما العلم للرجال» افهموه ضمناً وعلنا عليه أن يواصل الدراسة إلى ما فوق الجامعة..ذاك قانون القبيلة ويجب الالتزام به ، وهذا القانون هو ما يفرق بين النساء والرجال عندهم»<sup>(1)</sup>.

قضية عمل المرأة من القضايا التي ظهرت في المجتمع. « فنادى أنصار التجديد في الفكر والأدب بإصلاح وضع المرأة في المجتمع، واستقلالها الاقتصادي كضرورة للتحرر من السيطرة الاجتماعية المفروضة عليها»<sup>(2)</sup>، ارتبطت قضية التعليم بعمل المرأة في روايات زينب بليل، فالمرأة المتعلمة تنال وظيفة ومكانة اجتماعية فهي غنية بعلمها وعملها وان كانت فقيرة والمرأة الفقيرة المتعلمة تصورها صاحبة مبادئ وقيم ، أما الأمية أو التي نالت قسطاً قليلاً من التعليم فهي ضحية للمجتمع وليس لها مكانة فيه. وقد تعرضت الكاتبة لقضية عمل المرأة والجدل الذي دار حولها . ففي روايتها الأولى «الاختيار» أثار الجدل حول عمل المرأة والآراء المتباينة فيه، ولكنها لم تقدم امرأة عاملة في الرواية ، فالمجتمع بصورة عامة قد رفض عمل المرأة كما لم يستوعب تعليمها في تلك الحقبة من تاريخ السودان .

من نماذج الآراء المعارضة لعمل المرأة ، الحوار الجدلي الذي دار بين الطاهر وليلى وعدم تأييده لعمله:

- « - ...إني سأخرج واعمل براتب محترم .
- لا تعتمدني على العيادة ولن يكون لك راتب
- لا افهم .
- زوجتي لن تعمل ولن تتقاضى أجراً .
- طاهر
- لماذا عملي؟ لا أريد لك الشقاء.
- لماذا اعمل؟ أولاً لأنني تعبت ودرست..ثانياً لأن راتبي سيساعدنا.
- الغي سيساعدنا هذه..إذا كنت لا اقدر على تحمل مسؤولياتي كرجل..فلا تفكري في كزوج وأب لأطفالك.....أما كونك درست فهذا لا يضير..ستفيدنا الدراسة في بيتنا»<sup>(3)</sup>.

(1) رواية نبات الصبار، ص 10..

(2) انظر صورة المرأة في الرواية المعاصرة د/ طه وادي ، ص 40

(3) رواية الاختيار ، ص 47 .

وهو يرى من وجهة نظره «أن العمل للرجل وليس للمرأة، فالمرأة عملها داخل بيتها ومسئولية زوجها وتربية أطفالها، وما تريد أن تعمله سوف يعملها الرجال، أما عملها هي من انجاب وتربية لا يستطيع الرجال القيام به، فليأخذ كل عمله»<sup>(1)</sup>، ونرى هنا نظرة قاصرة تقيس عمل المرأة من جانب واحد، وهذه النظرة تصدر من رجل متعلم ومثقف، وهذا دليل على عدم قبول المجتمع لعمل المرأة. والكاتبة تبت أفكارها وآراءها حول عمل المرأة من خلال شخصية الطاهر. ونموذج آخر يؤيد عمل المرأة ولا يرى مانعا من عملها ويتمثل في رأي حسين في حوارها مع بدرية :

«...أريد أن اعلم حتى أستطيع أن أسأهم في نفقات حياتنا وحتى أحس بوجودي ويكون لي كياني الخاص....

- بدرية...أنا اتفق معك في كل أمانيك وأرجو أن نحققها ونعيشها سويا»<sup>(2)</sup>.

حسين هنا لا يعارض عمل المرأة ولا يجادل فيه الطاهر وهذا يوضح الآراء المختلفة حول عمل المرأة. ومن خلال الحوار نلاحظ رأي المرأة حول العمل وأهميته بالنسبة لها، فهو عامل مهم في رفع مستوى الأسرة الاقتصادي ثم انه يعني بالنسبة لها إثبات لوجودها وكيانها. نلمس نوع من التعمق في طرح الكاتبة لهذه القضية.

فقد طرحت الأسباب حول عمل المرأة ولكنها لم تطرح الحلول، فالمرأة في النهاية تقتنع برأي الرجل كما فعلت ليلي. نحس في هذه الرواية أن الكاتبة لا تؤيد عمل المرأة والدليل على ذلك تبنيتها لأفكار الطاهر وردها الذي جاء على لسان ليلي: «عندما توفر الأسواق الأطعمة الجاهزة للطبخ، وتتوفر دور الحضانة الممتازة، وتتوفر المواصلات السهلة وتتغير عاداتنا في النزول ضيوفا بلا انذار سأعمل»<sup>(3)</sup>.

فالكاتبة تضع شروطا لعمل المرأة وتربطها بالوضع الاجتماعي للمجتمع السوداني، وهذا الرأي تبنته الكاتبة في روايتها الأولى ولكن تغير مفهومها لعمل المرأة في الروايات الأخرى. ففي «كش ملك تطور مفهوم عمل المرأة عندها، حيث تطور المجتمع نفسه وزاد الضغط الاقتصادي مما استوجب عمل المرأة والمسأهمة في نفقات الحياة.

فالمرأة في الرواية خرجت إلى العمل سواء كان عملاً وظيفياً مثل «مهنة التعليم» أو عملاً يدوياً مثل بيع الشاي أو بيع الطعام أو الخدمة في المنازل. فظروف الحياة جعلت المرأة تترك بيتها وتذهب لطلب الرزق لها ولمن تعول، فنجد المرأة غير المتعلمة امتهنت

(1) المرجع السابق، 47، 48.

(2) رواية كش ملك، ص 51.

(3) رواية الاختيار، ص 48.

المهنة الوضيعة مثل الخدمة في المنازل لتعول أبنائها مثال «زهرة» أو تخرج إلى الشارع وتعرض لمضايقات مثل «محاسن» بائعة الطعام أو «حواء بائعة الشاي، وهذه هي المهنة الشريفة التي تناسب تعليمهن.

أما المرأة المتعلمة، فقد امتهنت مهناً وظيفية، وتركزت جميعها في التعليم الذي كان يناسب المرأة في ذلك الوقت، «فزهرة الملك» و «مريم التوم» كلتاهما عملتا بالتدريس، فزهرة «عملت معلمة بالشهادة الثانوية العليا ليس لأن مجموعها لم يؤهلها لدخول الجامعة، لكن لأنها قررت ألا تحمل مريم التوم مصروفات دراسية أخرى»<sup>(1)</sup>.

فهذه المهنة لا تحتاج إلى إكمال المرحلة الجامعية كما لا تحتاج إلى معدل عال للنجاح، مهنة «التدريس» أحببتها الكاتبة كثيراً وتعاطفت مع الشخصيات التي عملت بها، وربما يرجع ذلك إلى أنها المهنة التي أحببتها منذ الصغر وتعلقت بها وعملت بها فترة من الزمن في بداية حياتها وظلت تختزنها في ذاكرتها»<sup>(2)</sup>.

أما «نبات الصبار» فقد تطورت الكاتبة بعمل المرأة والوظائف التي تمتهنها، وهذا يدل على تغيير نظرة الكاتبة لعمل المرأة وفقاً لتطور المجتمع وتردي الحالة الاقتصادية. وبخوض المرأة لمجال الطب تؤكد الكاتبة على مساواتها بالرجل الذي لم تتغير نظره لها، فما زال ينظر إليها أنثى يتمتع بجمالها، ولا يريد لها امرأة عاملة، وهذا ما نلمسه من خلال موقف خالد من خديجة، فهو لا يريد لها أن تعمل بل يريد أن يحتفظ بها داخل البيت بالرغم من أنه على قدر عال من العلم والوعي: «حرام عليك نفسك أنت محتاجة لوظيفة؟ ناهيك عن اثنين! أنت مالك ومال الشقاء؟ لو أنا مكانك والله ما اطع من البيت. ارتاح وبس واسمع مزيكا وارقص وأنسق الحديقة واقراً واهتم بشكلي وأطور اجتماعياتي أنت شغالة ثلاث وظائف اذا أضفنا البيت ومسؤولية زوجك وضيوفو وعملو...

- يا دكتور أنت شغال أكثر مني. كم عملية في اليوم؟ محاضرات الجامعة واهو أنت بخير العمل ما عمل ليك حاجة.
- أنا أتعودت على العمل...وأنا كمان راجل .
- شنو يعني راجل؟
- ربنا خلقني عشان اععمل. لكن المرأة، لما تتعب بتتأثر سريع وتبين عليها الشيوخوخة»<sup>(3)</sup>.

(1) رواية كش ملك ، ص 118 .

(2) ارجع برنامج نجوم بعيدة -تقديم نجيب نو الدين - الحلقة الثانية و الخامسة .

(3) رواية نبات الصبار ، ص 162 .

فالكاتبة هنا تناقش عمل المرأة ونظرة الرجل له من وجهة نظر أحادية، فخالد شخصية أنانية تحب التملك والسيطرة لذلك رفض عمل خديجة ليستأثر بها لنفسه . بينما نجد في الرواية نماذج كثيرة للمرأة العاملة في جميع المهن سواء كانت وضيفة أو شريفة .

### 3. المرأة والرجل :

صورة الرجل عند القاصة الأنثى بصورة عامة ، وعند زينب بلييل بصورة خاصة «متأثرة بمحيطها وعالمها الأنثوي الخاص ، وما يسببه لها الرجل من متاعب، لذلك كانت صورته في طابعها العام ذات سمة سلبية»<sup>(1)</sup>، وقد وظفت الكاتبة عدداً من التقنيات الفنية القصصية للتعبير عن ذاتها وموقفها الخاص من صورة الرجل، منها اعتمادها على الأسلوب السردي المباشر، الذي تظهر فيه الساردة العاملة بكل شيء، والذي تبدو سلطتها واضحة في تحريك شخصياتها، فتتحكم فيها وفي صورة الرجل التي تقدمها من منظور الساردة الأنثى، وهي الطرف المقابل للرجل فتكون «ابنة أو أخت أو زوجة أو حبيبة» وصورته تأتي دائماً من خلالها هي ، حيث لا تستطيع التخلي عن ذاتها الأنثوية فتصور مشاكلها الذاتية ونظرتها للرجل ولنفسها، من خلال استخدام الوصف أو استخدام ضمير الغائب « كل البنات في شلته يعشقنه. كل واحدة تتمنى أن تفوز برضاه. وكل تتمنى أن تكون فتاة أحلامه»<sup>(2)</sup>. وقليلاً ما تأتي صورة الرجل من منظوره هو وذلك عندما يتحدث إلى نفسه في منولوج داخلي «الأوغاد. سيدفعون الثمن. ستدفع أمهاتكم مضاعفاً ثمناً خدمة أمي لكم وستدفعون ثمناً أهانتكم لي»<sup>(3)</sup>. أو من خلال الحوار الذي يعبر عنه ، ولكن الساردة في كل الأحوال هي المتحكمة في صورة الرجل من خلال منظورها الأنثوي، الذي يأتي غالباً عن طريق الشخصية المحورية البطلة ، وغالباً هي أنثى تدور حولها الأحداث ويدور في فلكها الرجل.

وعليه «فلا يمكن الفصل بشكل عام بين جنس الذات المبدعة وبين إنتاجها، وهذا ما يدور حوله أحد محاور «النقد النسوي» الذي يهتم بإبراز صفة خاصة للكتابة النسائية ، لا تستطيع من خلالها التخلي عن ذاتها الأنثوية في تصويرها للآخر «الرجل» أو لذاتها وما تحمله من مشاكل خاصة تدور حول ماهيتها الأنثوية ونظرتها لنفسها وللمجتمع من خلال موقعها فيه»<sup>(4)</sup>.

صورة الرجل عند زينب بلييل صورة سلبية، فهي تنظر للرجل على أنه خائن ووصولي

(1) صورة الرجل في القصة القصيرة في المملكة العربية السعودية ، د / منال عبد العزيز العيسى، ص 198

(2) رواية كش ملك ، ص 6

(3) المرجع السابق ، ص 31 .

(4) صورة الرجل في القصة القصيرة في المملكة العربية السعودية ، د / منال عبد العزيز العيسى ، ص 198

وأناي ورجعي وهو مستهتر بالقيم والتقاليد والأخلاق، «والآخر في الخطاب النسوي عادة يوصف بالقسوة والتسلط والقهر والتسبب في إيذاء المرأة»<sup>(1)</sup>. والمرأة دائماً مجني عليها من جانب الرجل وضحية له، والمرأة في نظرها مهما كانت سيئة فهي نتيجة لظروف ما، هي التي جعلتها هكذا.

ورواية «كش ملك» هي أكثر الروايات التي ظهرت فيها صورة الرجل الخائن والوصولي الذي يستهتر بالقيم والدين والأخلاق، ومثل هذا النموذج شخصية الملك «وقيع الله» الذي صورته في صورة اجتمعت فيها جميع الخصال السيئة فهو «يوعد ويخلف يوافق..يحقد على رفاقه الذين يحبونه ويتمنى يوماً ينتقم...يجمع الحقد والكراهية لرفاقه وأمهاتهم»<sup>(2)</sup>. وصورته خائناً جاسوساً يغدر بأصدقائه ويسلمهم للسلطات الحكومية ص 48،49، وصورته كذلك مستهتراً بالدين والأخلاق «لا تصمد أمامه أنثى فاستغل ضعفهن واغتني»<sup>(3)</sup>.

وهناك نموذج آخر للرجل الأناني المتسلط وخاصة على الأنثى ويمثل هذا النموذج شخصية «خالد» في «نبات الصبار» فقد تزوج خديجة وتسلط عليها بكل جبروت الرجل وتسلطه «اعرفي معلومة تهملك.. أنت زوجتي أنا، ومن حقي افرض عليك أي شيء ومن حقي أمنعك من العاوز أمنعك منه ومن حقي آمرك وأنت تنفذي وبس، فاهمة؟»<sup>(4)</sup>. وصورته كذلك أناي يحب أن تظل جميلة وتحفظ بجمالها لذلك منعها من الانجاب «هذا الجمال يجب أن لا يتشوه أبداً أبداً حبا أو كرها، ستستمر هكذا، لن أفرط في متعة تزيل عني الرهق والهجوم..سأشقى أنا لتظل جميلة كما خلقها الله..لا حمل لا ولادة لا رضاعة لا سهر ولا شقاء»<sup>(5)</sup>.

وصورة الرجل في الخطابين السابقين صادرة على لسانه هو، وليس وصفاً من الساردة لتدل الكاتبة على أن الأنانية والتسلط طبع في الرجل. «والرجل في نهاية المطاف هو مركز الكون وفي اعتقاده ألا وظيفة للأخرى سوى الدوران في فلكه والطواف في مداره»<sup>(6)</sup>.

وهناك صورة أخرى للرجل تقدمها الكاتبة وهي صورة الزوج الضعيف أمام زوجته وعجزه في شد انتباه زوجته وإثبات رجولته بالرغم من أنه يحبها وهذا النموذج

(1) فن الرواية في الأدب السعودي، د/ محمد صالح الشنطي ص

(2) رواية كش ملك، ص 39.

(3) المرجع السابق، ص 207.

(4) رواية نبات الصبار، ص 181.

(5) المرجع السابق، ص 162.

(6) في الرواية النسوية العربية، د/ إبراهيم خليل - دار ورد الأردنية للنشر والتوزيع ط1 2007م - ص 145.

يمثله «مصطفى» في «الاختيار» « سنتين مرت وما قدرت اجعل من نفسي إنسان يتحب.. آسيا.. اطلبي أي شيء.. مستعد أكون أي شيء يرضيك بس فكري في كرجل ممكن يثير ويستثار»<sup>(1)</sup>. وتصوره الكاتبة في صورة الزوج المثالي العاشق ولكنه فشل في جعل زوجته تحبه «أربع سنوات من المعاشة ولم استطع أن اجعل من نفسي رجل يتحب... هل حاولت أن تري عيني فأغمضتهما؟... أراهن أنك لن تستطعي وصفني بالتقريب»<sup>(2)</sup>.

ويظهر هنا ضعف الزوج وتصويره من خلال منظوره هو . وتقدم صورة لضعفه من منظور الزوجة «غلبته عبراته، وكرهت نفسها، أكثر ما يؤلمها أن ترى إنسانا يبكي.. والأكثر إيلا ما أن يكون ذلك الإنسان رجلا.. وفوق الرجال.. رجل كبرياؤه أكبر من عمره... أبكته أنثى... احتضنته طويلا.. وبكى طويلا هدهدته كطفل فقد أمه حتى عاد الهدوء إليه»<sup>(3)</sup>.

ومن خلال منظور الزوج والزوجة لهذا الضعف يبدو مسوغ من قبل الكاتبة وسببه الزوجة التي لم تستطع نسيان حبيبها الأول لذلك لم تتجاوب مع زوجها «وتحتار في بلائها وتحتار في مصيرها.. وتحتار في برودها.. أي مخلوق مهما كان لئيمًا وبارداً، اذا عومل بتلك السماحة لأثرت فيه إلا هي.. ظلت مكبلة في رقبها»<sup>(4)</sup>. فالكاتبة في هذا النموذج ترجع ضعف الرجل للمرأة، فهي لا تريد أن تعترف أن الرجل يمكن أن يكون ضعيفا فهو في مركز القوة دائما «وممعن في دكتاتوريته»<sup>(5)</sup>.

وتتحمّل زينب على الرجل كثيرا في رواياتها، وحسب موقفها من قضاياها والتزامها في منها ومناصرة الضعفاء، فهي تحلم بمدينة فاضلة يسود فيها العدل والمساواة والغنى والسعادة، ولأنها تعلم أن حلمها لن يتحقق في ظل هذا الرجل وصفاته، لذلك فهي تأخذ السوط وتلهب به ظهر الرجل. فهو الجاني دائما والمرأة هي المجني عليها، فعلاقة المرأة مع الرجل في رواياتها تجسد أنواع القهر الذي تتعرض له المرأة وينغص حياتها، بينما يمكن أن تكون العلاقة مع الرجل مصدر فرح المرأة ومبعث أحلامها في تحقيق ذاتها عبر علاقة الحب والزواج والأمومة، ولكن هذه العلاقة نماذجها نادرة عند الكاتبة .

وتصور الكاتبة أنواع القهر التي تتعرض لها المرأة من الرجل ومعاناتها منه. وأقصى أنواع القهر هو القهر الجسدي الذي يتمثل في «الاعتصاب» و «الإجهاض» والكاتبة

(1) رواية الاختيار ، ص 86 .

(2) المرجع السابق ، ص 9 .

(3) المرجع السابق ، ص 93 ، 94 .

(4) المرجع السابق ، ص 9..

(5) رواية نبات الصبار ، ص 124 .

تعرضت لهما في رواياتها ففي «كش ملك» تتعرض «زهرة الملك» للاغتصاب وهي صغيرة وتشعر داخلها بالقهر مما حدث لها « كان شعورها قهرا أكثر منه أي شيء آخر ..لماذا فعل بها الرجل ما فعل وهي لم تسيء إليه ولا حتى تعرفه؟ لم تره لماذا مزق دواخلها بلا ذنب؟»<sup>(1)</sup>.

فهذا القهر اثر في نفسية زهرة تأثيرا كبيرا ولازمها إلى آخر حياتها ومنعها من الزواج أو الارتباط « كل الشباب في الحي كتبوا لها خطابات غرام لكنها لم تفتح واحدا منها . كانت تشعل الكبريت في الورق وتفرج عليه يحترق، منذ أن اعتلاها رجل بلا وجه حق أو سبب ومزق شيئا فيها قررت أن ذاك الفعل لن يتكرر ولما فاتحها طارق... بأنه يحبها ويريد أن يتزوجها ، اعتذرت له بأنها لن تتزوج أبداً»<sup>(2)</sup>.

أما «عملية الإجهاض» والتي تجبر عليها المرأة وتؤثر فيها نفسيا فقد صورتها الكاتبة من خلال رواياتها، ففي «كش ملك» السلوك الغير قويم كان يضطر الفتيات لإجراء عمليات إجهاض غير قانونية من قابلات متقاعدات، فالملك كان سبب لكثير من عمليات الإجهاض، وتصور الكاتبة شعور المرأة وهي تتعرض لهذه العملية...كانت تتصبب عرقا باردا وترتجف من الخوف والخزي... وبكت بكل الألم والتعب الذي تعانیه....لم تصدق أنها في هذا المكان لتتخلص من جنين في بطنها حملته سفاحا..وكرهت نفسها وكرهت وقيع الله وكرهت شكله الوسيم وابتسامته التي لا تقاوم ونظرته التي تجردها من عفتها ووقارها وحرصها على الحياة.. وخافت أكثر هل بإمكان هذه المرأة السمينة أن تخلصها من عارها وتعيد إليها الطهر؟ والاطمئنان؟ ماذا لو فشلت؟»<sup>(3)</sup>.

نلمس هنا شعور الخوف وعدم الرضا من قبل المرأة، وهذا الحزن والخزي تصوره الكاتبة بسبب الرجل واستغلال ضعف المرأة، وبقيّة الحوار ص 8 ، 9 تؤكد الكاتبة فيه على أن المرأة ضحية الرجل الكاذب والمخادع، وتصوره في صورة وحش مفترس دون أن تلقي اللوم على المرأة ومراعاتها للدين والعرف والمجتمع.

أما النموذج الآخر لعملية الاجهاض فهو «خديجة» في «نبات الصبار». حيث أجريت لها عملية إجهاض دون علمها بإيعاز من زوجها وفقدت على أثرها جنينها، فتصور الكاتبة الحالة النفسية والقهر الذي أصابها عقب ذلك « بعد ساعات طويلة من النوم بدأت خديجة تتحرك. بدأت تتحسس بطنها..وفجأة صرخت صرخة حادة..الحقوني يا ناس

(1) رواية كش ملك ، 72 .

(2) المرجع السابق ، ص 118 .

(3) رواية كش ملك ، ص 8 .

الحقوني ..أنا اتنشلت ..الشال البيبي من بطني منو؟ بتتحرك في بطني لغاية امبارح ...لكن البيبي وينها؟ كتلوها ليه؟ ليه كتلو ندى يا قتلة يا سفلة يا حرامية»<sup>(1)</sup>. وتصور زينب شعور المرأة بعد فقدها لجنينها والحالة الهستيريا التي أصابها ص186،187،188،189،190. فتتعرض لمعاناة المرأة الداخلية عبر صوت «خديجة» من خلال تقنية تيار الوعي. وتعتبر عملية الإجهاض وفقد المرأة لجنينها من أشد أنواع القهر التي يمكن أن تتعرض له المرأة من جانب الرجل بسبب تسلطه وغروره . ونوع آخر من أنواع القهر صورته الكاتبة في «الاختيار» وهو قهر الزوج لزوجته، فتعرض شخصية «المسرة» وموقفها الخاضع المستسلم للزوج: «لا يعرف معنى الحنان ولا السماحة ولا يعرف كيف يحترم كبرياء امرأة وصار الملح المركز في فمي يشرقني..خيبة الأمل والإحباط صارا أكبر من أن تحتويهما حواسي . تعبت آسيا. فقدت الرغبة في الاستمرار. حتى نفسي ما عدت أعرف ماذا افعل بها. صدقيني..أنا لا اعرف بالضبط ماذا أريد؟ هل أفضل الحياة على الموت أم الموت على الحياة؟»<sup>(2)</sup>

فالكاتبة في هذا النموذج تصور الغبن والقهر الذي تلاقيه المرأة من سوء معاملة زوجها لها واحتقارها، ويصل القهر أعلى مراتبه عند «المسرة» عندما تعرف أن زوجها يخونها مع أخرى«أحس أنني سأنفجر . استهلكت طاقتي أخذت فوق احتمالها..ما أظنني استطيع أكثر من هذا . صار يتعمد أن افهم أنه على علاقة بأخرى..يتعمد أن افهم أنه خارج للقاء امرأة يسعده لقاؤها ..يتعمد أن افهم أنه راجع من لقاء امرأة أسعده لقاؤها ..وأكاد اصرخ ..لا....وأحس أنني اشتعل»<sup>(3)</sup>. وهذا الموقف من الزوج يحمل قهرا للزوجة، وهي رغم هذا القهر والمأساة التي تعيشها نجدها صامتة ومستسلمة حفاظا على كيانها ووجودها الاجتماعي، فهي تحاول الحفاظ على مصدر الأسرة الاقتصادي وفي نفس الوقت تتقي انتقادات المجتمع «حتى لا يقال أمهن مطلقة..لن تطلق المرأة إلا لعيب فيها ، هذا ليس رأي..أنا أتكلم بلسان المجتمع»<sup>(4)</sup>.

وقد قدمت الكاتبة هذه الصورة عبر حوار طويل مركز دار بين «المسرة» وأختها «آسيا»، وهذه صورة المرأة «الزوجة» اتجاه قهر الرجل«الزوج». في حين كانت صورة الزوج عابثا لاهيا غير مهتم، ولم تقدم الكاتبة أي مبررات لهذه المعاملة السيئة بل ركزت على المرأة ومآساتها، وقد انتحرت المسرة هي وبناتها الثلاث لتختم الكاتبة قصتها بتلك النهاية

(1) رواية نبات الصبار ، 186 ، 187 .

(2) رواية الاختيار ، ص 129 .

(3) المرجع السابق ، ص 131 .

(4) المرجع السابق ، ص 133 .

المأساوية التي تجعل القارئ يتعاطف معها ضد الرجل. وقدمت الكاتبة صوراً عديدة لقهر المرأة التي يتزوج عليها زوجها، مما يجعلها تتأثر وتنتقم لكرامتها ففي «الاختيار» قتلت «سعاد» زوجها لأنه تزوج عليها، وقد وجدت الكاتبة مبرراً لهذا الفعل « بنى للعروس بيت ما حصل... قصر بس.. للسجاد فرشوا ليها.. وسعاد العاشت معاه الفقر والجوع خلاها في بيتها القديم.. والله جير ما ضربوا ليها.. شفتي مغصة الرجال؟.... دحين دي مغصة بتنحمل؟ والله الواحدة كان راجله يموت في التراب.. أحسن ليها ألف مرة من يعرس فيها الواحدة تقولي رشتيها بجاز وحرقتيها وهي واقفة على طولها... الضر؟ الله لا وراك ليه»<sup>(1)</sup>. والكاتبة هنا تقدم شعور المرأة والقهر الذي تتعرض له، وهي صورة تعبيرية عن الشعور الداخلي للمرأة لا يمكن تصويره إلا من منظور الساردة الأنثى، فهي اعلم بهذا الشعور ووصفه أكثر من الرجل. والغيرة والقهر من جانب الزوجة يمكن أن يودوا إلى القتل، وصورة سعاد في «كش ملك» وقتلتها لزوجها تعبر عن القهر الذي عانته من جراء الغيرة بزواج زوجها من أخرى ص 23، 24، 25.

البطولة المطلقة دائماً للمرأة في روايات الكاتبة، لذلك نجدها أحياناً تمنح بطالتها قدرة فائقة تضمن لها التفوق على الرجل لا في العاطفة أو جمال المرأة، بل في مجال الهم الوطني والاجتماعي، الذي غالباً ما يكون من اختصاص الرجل، «فخديجة» في «نبات الصبار» و«مريم» في «كش ملك» كانت لهن قدرة فائقة في تحمل العبء والمسئولية اتجاه المجتمع والوطن، فقد شاركت «فخديجة» في رفع مستوى مجتمعها وبالتالي شاركت في نهضة الوطن. أما «مريم» فقد أخذت على عاتقها القيام بتربية «زهرة وأحمد الملك» وهو ما يقوم بفعله الرجال. فزينب تقدم المرأة هنا قوة قادرة وواثقة تمتلك صفات الرجل حتى تستطيع المشاركة في الحياة العامة، والمساهمة في خدمة الوطن. وهنا يتم إلقاء خصوصيتها الأنثوية.

و«دور الرجال في الروايات النسوية غالباً ثانوية، وحتى من كان منهم ذا حضور متميز في الرواية يستخدم ليكشف عن طبيعة المرأة»<sup>(2)</sup>. أما عند زينب بليلى فعندما يكون البطل رجلاً، فإنه يدور في فلك امرأة تحدد له مساره، وتتعاطف معه زينب وتمنحه صفات أنثوية مثل «البحر» بطل رواية «كش ملك».

فحياته كلها مرتبطة بالمرأة أما كانت أو زوجة أو حبيبة أو ابنة أو حفيدة، وقد سيطرت علي شخصيته صفات أنثوية مثل الأمومة فتكفل بتربية حفيدته بعد موت ابنته»

(1) رواية الاختيار، ص 116، 117.

(2) فن الرواية في الأدب العربي السعودي، د/ محمد صالح الشنطي - ص 55.

رفض البحر ان تعتني أي امرأة بالمولودة . قرر أن يكون لها أما ..يغسلها ويغير لفائفها ويملاً زجاجات الحليب وينيمها في حضنه»<sup>(1)</sup>. فالكاتبة تصور البحر يمارس الأمومة بكل معانيها مع حفيدته يغسل لها ملابسها ويخطبها لها ويعلمها ويوجهها فقد تعهدا منذ مولدها، ورافقها أعوام عمرها الثمانية عشر ص 106-114.

وقد تفوقت الكاتبة في تصوير العلاقة الحميمة بين الجد والطفلة «البحر وياسمين» ، الجد الذي تدرس بالحياة وخبرها تماما، فالعلاقة بين الطفلة البريئة والجد المتمرس تقوم على المفارقة ، فلكل من الاثنين رؤية للحياة والعالم الذي يعيش فيه ، ولكن ياسمين لا تكتمل رؤيتها إلا من خلال جدّها البحر الذي يسيطر عليها ويوجه حياتها ص 132،133. ودور البحر الذي صورته الكاتبة لا يمكن أن يقوم به رجل ، فتجارب الأمومة لا تصدر إلا من امرأة لما تميزت به من صبر وحنان يفوق الرجل ، ولكن الكاتبة صورت الرجل هنا في دور المرأة وأعطته صفاتها. وهذه العلاقة بين الجد والحفيدة نجد لها تشابه عند الطيب صالح في روايته «بندر شاه» ومضمون روايته «مريود» ، حيث يتركز العمل الفني عند زينب بليل في «كش ملك» حول العلاقة بين الجد والحفيدة ، وعند الطيب صالح في علاقة الجد بالحفيد. وربما لم يكن تأثير من جانب الكاتبة « إذ أن هذه العلاقة بين الأجيال استقطبت كثير من الكتاب لا على مستوى السودان فقط بل على مستوى العالم العربي عند نجيب محفوظ أو العالم الغربي في رواية«الآباء والأبناء» لترجينيف»<sup>(2)</sup>.

وأخيرا روايات زينب قلما نسمع فيها صوت الرجل الخاص به، فصوت المرأة هو المحور الأساس الذي يسيطر على رواياتها بصفة خاصة والروايات النسوية بصفة عامة.

#### 4. قضايا أخرى :

نتيجة لحركة المرأة في المجتمع وتطورها، ظهرت قضايا كثيرة تتصل بها خلاف

القضايا السابقة منها :

#### 1. المرأة والحرية :

الحرية مفهوم فلسفي لا يمكن تطبيقه في الواقع ، لذلك فإن أجناس الفن بصفة عامة والقصة والرواية بصفة خاصة، تحاول أن تجد الحرية الذاتية، فيحاول معظم الكتاب تطبيقها في أدبهم. والكاتبة زينب بليل«رغم دعوات التحرر للمرأة من الجمود الشرقي، ومن تقاليد سجنّت بين جدرانها»<sup>(3)</sup>، إلا أن نظرتها وقفت عند مجرد الدعوة النظرية للقضية

(1) رواية كش ملك ، ص 107 .

(2) في الرواية النسوية العربية، د/ ابراهيم خليل ، ص 123.

(3) الاتجاه الواقعي في الرواية العربية الحديثة في مصر، د/ حلمي بدير ص 130

دون التعمق فيها أو إيجاد النتائج والحلول لها، لهذا فإن بطولاتها ينتمين إلى مجتمع المرأة الخاص الذي يعبر عنها وعن قضاياها، فنظرتها إلى المرأة قاصرة، حيث تنظر إليها على أنها «جنس آخر» مقابل للرجل، ولا تنظر إليها على أنها عضو هام من أعضاء المجتمع تساهم في بنيانه.

فتناولها للحرية الذاتية للمرأة لم تكن واضحة إنما رمزية، من خلال شخصية «آسيا» في «الاختيار» حيث جعلتها تبحث عن حريتها الذاتية عن طريق الحب والسعادة وتحقيق وجودها الفردي في الزواج ممن تحب وتفهمه ويحبها ويفهمها، ولكن استلاب الحرية الشخصية وقسوة التقاليد والتفاوت الطبقي تؤدي إلى خنق العواطف وتضييع الحب. ورغم ذلك مضت «آسيا» تبحث عن حريتها التي وجدتها في رجوعها إلى حبيبها علي، دون النظر إلى الأخلاق والمثل والمجتمع الذي تعيش فيه ومن قبلها إلى الدين. وهي تطلب الحرية لا لتحقيق هدفاً، وإنما لتحقيق مطالب الجسد ص 93، 92، 143، 144. ومن هنا كان التعبير عن الجنس عند زينب تجسيدا لأزمة الحرية عند «آسيا» و«المسرة» ص 128، 130، 131، 132. والكاتب في تعبيرها عن أزمة الحرية الذاتية للمرأة وتزمت بعض التقاليد الاجتماعية المنظمة لعلاقة المرأة بالرجل، قد ركزت على صورة المرأة المأزومة ولم تربطها بأزمة المجتمع ككل بل قصرت رسم شخصية المرأة على قضاياها وهمومها واهتمت بقضايا الانحراف، فركزت على شخصية «آسيا» وأزمتها العاطفية دون النظر للواقع المادي الذي تعيش فيه.

### قضية التخلف الاجتماعي :

دافعت زينب بليل عن المرأة وعن حقوقها دفاعاً قويا من وجهة نظر نسوية بحتة، وناقشت الكاتبة كثيراً من القضايا- كما سبق - من خلال قضية المرأة، مثل قضية التخلف الاجتماعي الذي تمثل في نقد كثير من العادات والتقاليد الاجتماعية البالية، وأنماط السلوك غير المتحضر وطرق التفكير الرجعي التي تحد من حركة المرأة وتقدمها. وروايتها الأولى «الاختيار» أكثر رواياتها حشداً للعادات والتقاليد البالية وأنماط السلوك غير المتحضر. وربما يرجع ذلك لتعمقها في المجتمع في ذلك الوقت، أو لربما لأنها الكاتبة الأولى فأرادت أن تحشد فيها أكبر قدر من هذا السلوك وتوضح عدم رضاها عنه. فتعرضت «للزار» كونه ظاهرة اجتماعية متفشية في المجتمع وإيمان المرأة والرجل بها، فقد اقتنع حمدان بها كعلاج لزوجته المريضة التي لم يفلح معها أنواع العلاج المختلفة ص 12. وتصور الكاتبة حفلة الزار وما يحدث فيها دون أن تعلق عليها سلباً أو إيجاباً، فهو ظاهرة في المجتمع عرضتها ولكن دون حلول أو أسباب.

تعرضت الكاتبة كذلك لخرافات متفشية في مجتمع النساء الشعبي أثناء عملية المخاض وهي «شجرة المنتهى» وكذلك غسل قدم الزوج بالماء. وفي اعتقادها إذا تفتحت

هذه الشجرة في الماء فسوف تضع المرأة بسلام ولا تموت وتصفها الكاتبة لتعرف القارئ بها:

« - شجرة المنتهى شنو؟

- أنت ما بتعرفيها؟ حقيقة يا بتي أمك ولاداتها كلهن ما احتاجت ليها. اسمعي..

تلقوا حاجة تشبه البصلة.. لكن هي من قش يابس زي الحطب.. لونه اصفر

وملموم.. شبه البصلة بالضبط...

- شجرة منتهى شنو يا نسوان؟ دي خرافات . كلها ساعة أو ساعتين والجنا ينزل»<sup>(1)</sup>.

والكاتبة هنا تعلق على هذه العادة بأنها خرافة، فتوضح وجهة نظرها فيها ، أما اعتقاد أن غسل قدم الزوج وشرب الزوجة للماء يسهل عملية الولادة ، فترفضه الكاتبة بشدة لدلالته على ذل المرأة وهوانها، وكذلك ظلم المجتمع لها ص19.

وفي «كش ملك» تعرض الكاتبة بعض المعتقدات البالية التي تتعلق بوصول الفتاة لمرحلة البلوغ، وقد صورت الكاتبة بلوغ «ياسمين» والطقوس التي تتم عقب هذه المرحلة وما تتعرض له الفتاة ص 117، والكاتبة توضح رائها إزاء هذه المعتقدات التي تعدها من الخرافات . وتصوير الكاتبة لهذه المعتقدات ينم عن معاشة حقيقية لهذه العادات والمعتقدات ، التي تفتشت في المجتمعات القروية .

ومن خلال استعراضنا لدور المرأة في روايات زينب بليل يتضح أنها صاحبة رؤية وفكر، فهي تناصر المرأة أي كانت إما أو أختا أو ابنة أو زوجة أو حفيدة ..الخ فقضية المرأة هي شاغلها الأول ، لذلك تصورها نامية متفاعلة، أو سلبية محصورة على نفسها. ففي «الاختيار» تصورها منحصرة في دور الأنثى تشابه روايات الرومانسيين حيث «يصورون دور المرأة في الحياة هو نفس الدور التقليدي الذي يحصرها في إطار الأنثى، لا جنساً مقابلاً وإنما نوعاً أدنى إدراكاً للمسئولية وناقصة عقل ودين. لذلك فقضية الحب هي الشاغل الوحيد للمرأة في رواياتهم»<sup>(2)</sup>.

أما في «كش ملك» و«نبات الصبار» حيث الرواية الواقعية فتصور الكاتبة المرأة أكثر تقدماً وتفاعلاً مع المجتمع، متفقة مع نظرة الكتاب الواقعيين اللذين يصرون كتاباتهم «عن رؤية أكثر للواقع ، واشد وعياً بالعوامل المؤثرة فيه، فقد كان تصورهم للمرأة في الواقع والفن أكثر تقدمية ، فهي عندهم إنسان متفاعل ذو إرادة حرة وعواطف يجب أن تحترم»<sup>(3)</sup>.

(1) رواية الاختيار ، ص 18 .

(2) صورة المرأة في الرواية المعاصرة ، د / طه وادي ، ص 318 .

(3) المرجع السابق ، ص 249

المبحث الثاني  
قضايا الإنسان عند زينب بليل  
(الفقر)



## البحث الثاني : قضية الفقر .

اختلفت موضوعات الرواية الحديثة عنها من الرواية القديمة ، التي لم يكن لها خصوصية تذكر لعدم تعقد الحياة وما فيها من قيم إنسانية، أما الرواية الحديثة فإن عالمها خاص ومتميز، حيث اختلف عالم البشر وما لم به من تناقض وصراع وتعقد في العلاقات الإنسانية. فاهتم الروائيون المحدثون بالموضوعات التي تتصل بعالم الإنسان الحديث وما به من مشكلات ، خاصة الاجتماعية منها، حيث « استأثرت الموضوعات الاجتماعية باهتمام كثير من كتاب الرواية وخاصة في المرحلة الأخيرة ، فعرض الكتاب أهم المشكلات الاجتماعية التي شغلت الرأي العام في القرن الماضي وعلى رأس هذه المشكلات الفقر ومفارقات الأوضاع الاجتماعية»<sup>(1)</sup>، كما اهتموا بتصوير الجوانب السياسية والصراع الطبقي ودور الرأسمالية وقضاءها على الطبقة الفقيرة ، وعرضوا للنظام الإقطاعي، وناقشوا مشاكل المجتمع والتعليم، وظاهرة الاستغلال والجشع وتحكم الفئات الغنية ، وكل هذه الموضوعات دار في فلكها وتناولها من قبل رواد الاتجاه الواقعي في السودان، فقد اهتموا بإنسان القرية والمدينة ومشاكله .

والكاتبة زينب بليل شأنها شأن الكتاب السودانيين والعرب اهتمت بالقضايا الاجتماعية التي كانت عائقا في تطور المجتمع السوداني ، ووقفت حجر عثرة في طريق دعاة التقدم والتحرر، فقد ناقشت مظاهر التخلف التي تشد المجتمع إلى الوراء، مثل الزار والشعوذة والدجل وغيرها. والكاتبة تهدف من وراء ذلك دفع الناس إلى الثورة على مثل هذه المظاهر . كما أنها حرصت في رواياتها الثلاث على تصوير حياة الناس وعاداتهم وتقاليدهم ومشكلاتهم اليومية ، بحيث يحس أي قارئ رواياتها في أي قطر من الأقطار العربية أنه عرف شيئا عن أشقائه في السودان .

### قضية الفقر :

الفقر من أكبر القضايا التي شغلت الكتاب والأدباء في الفترة الأخيرة ، فعبروا عنه وعن كل «ما يتصل به وينبع منه من المآسي الاجتماعية. وقصة الشعب السوداني مع الفقر طويلة منذ الاستعمار ومرورا بالاستقلال إلى ما بعده حيث رزح الشعب تحت وطأة الفقر الذي نتج عن عدم كفاية الإنتاج ، وعدم قدرة الدولة على الكفالة الاجتماعية عن طريق المعاشات والتأمينات والضمانات الاجتماعية المختلفة التي تحول دون وقوع الإنسان المواطن بين براثن الفقر ، والذي يؤدي في النهاية إلى الرذائل ، والوان من الانحرافات التي تعد من الأمراض الاجتماعية، وتقاس بقلتها وكثرتها المجتمعات ، فيحكم لها بالتقدم أو عليها

(1) دراسات في القصة العربية الحديثة د/ محمد زغلول سلام ، 105.106 .

بالتخلف»<sup>(1)</sup>. وقد عبر كتاب الرواية السودانية عن مشكلة الفقر مثل نظائرهم من الكتاب العرب .

وهذا على المستوى العام للكتاب السودانيين، أما على المستوى الخاص، فلعل أهم محور أردت أن أبرزه من خلال هذه الدراسة هو بيان إطار العالم الإنساني الذي استوحت منه الكاتبة مادة رواياتها، فعالم زينب بليل من خلال رواياتها هو نفس العالم الذي كادت تتخصص فيه، وهو عالم الإنسان الفقير في مدن السودان وقراها، خاصة منطقتها «سنجة» - وان لم تذكر الكاتبة قرية بعينها أو منطقة محددة - وما تعانيه هذه القرى والمدن من صراعات مختلفة على جميع المستويات، وقد ناقشت الكاتبة من خلال شخصياتها هذا الواقع المعاش، ونفذت منه إلى قضايا الإنسان الفقير الحزين في السودان على المستويات الاجتماعية والاقتصادية والعاطفية .

فالظروف الاجتماعية القاهرة وكذلك الضرورة الملحة والمتمثلة في الاحتياج المصاحب للضعف الإنساني، هي المعادلة المتكررة في روايات زينب والتي تقول «بأن البشر ثمرة الوضع السيئ للمجتمع، وأن الظروف السيئة المحيطة بالبشر تؤدي إلى كافة أمراضهم الاجتماعية»<sup>(2)</sup>. وقد ناقشت هذه القضية بالجدل والمحاورة، ووضحت كل ما يتصل بها من فساد أخلاقي وسياسي واجتماعي. وبذا تكون قد أحاطت بكل جوانب صورة الفقر من معاناته وأسبابه والأمور التي تترتب عليه، كما عرضت صور حية للفقر بجميع أنواعه.

وبما أن الفقر هو الحقيقة الأولى في روايات زينب بليل والعامل الاقتصادي هو المحرك الأول للشخصيات، وأنه أساس العلاقات الاجتماعية بل والشخصية بين الأفراد. فالإنسان عندها مهزوم أمام قهر الواقع الاجتماعي وبصورة مأساوية كما تصوره هي. أما غالبية البشر في عالمها الروائي فهم مسحوقون أذلاء ومهانون كما تصورهم في جميع رواياتها. ولكنها ما يسوء لهذه الرؤية أنها ربطت «عوامل الشقاء في المجتمع بالفقر، بالرغم من أن هناك عوامل أخرى تزيد من أسى الناس في الواقع والفن، لذلك فإن هذه النظرة فردية منعزلة عن المجتمع»<sup>(3)</sup>.

وفي روايتها الأولى «الاختيار» استوحت الكاتبة مسقط رأسها مدينة «سنجة» وان لم تذكرها صراحة، وهذا يدل على أنها كانت وفيه لجذورها ملتزمة بالانحياز لأصولها الاجتماعية التي نشأت فيها، وكاتبنا في «هذه السمة تشترك مع كثير من كتاب القصة،

(1) دراسات في القصة العربية الحديثة د/ محمد زغلول سلام، ص 104، 105 .

(2) السرد الروائي العربي د/ مدحت الجيار، ص 165.

(3) صورة المرأة في الرواية المعاصرة، د/ طه وادي، ص 143

حيث نجد أن القاص المجيد يربط نفسه - في الغالب - بعالمه الحقيقي الذي نشأ فيه وصدر عنه ، بل أنه يكتب تعبيرا عن آماله والآمه<sup>(1)</sup>. حيث تناولت مشكلة الكادحين من المزارعين، فعرضت ما يعانونه من مشكلات اجتماعية واقتصادية وصحية وثقافية ، ترجع إلى فقر البيئة وتخلفها ، فصورت حياتهم وآلامهم وصراعاتهم في سبيل العيش الكريم، كما تعرضت إلى الاستغلال والجشع الذي يقعون ضحيته من قبل الملاك نتيجة جهلهم وعدم إدراكهم لحقيقة هؤلاء الانتهازيين من الإقطاعيين وملاك الأراضي، وتعمق زينب الصراع بين المزارعين وأصحاب المزارع من الرأسماليين، فتعرضت مأساة المجتمع كله آنذاك، ممثلا في أفراد أسرة «حمدان» الواقعة تحت الظروف الاجتماعية القاسية .

ويبدو الفقر الأساس الأول لمأساة الأسرة باعتبارها نموذجاً محدداً من المجتمع ، بكل تناقضاته ومفاهيمه وآراءه المتباينة، وشخصياته المتضاربة . فتجسد أسرة «حمدان» مأساة قرية بأكملها تقع على نهر النيل وتعتمد في عيشها على الزراعة» توقيتهم مع الشمس يبدأ....قوافل تزحف في إعياء وكلهم نفس الهيكل المتحرك في ثقل وألم، الرجال كلهم في ظهورهم انحناء وعلى أكتافهم فؤوس ، ويلبسون نفس الخرق التي لا لون لها ، والنساء كلهن ملتفات بثياب صارت كالحيال... يلفنهن حول هياكلهن حتى تعصمها من التداعي، لا سيما وقد ناءت الظهور بأعواد الوقود التي احكم وضعها على الرؤوس المثقلة أصلاً ، الأطفال بلا استثناء عراة...<sup>(2)</sup>.

وهذه الصورة تعكس مدى الفقر الذي تعاني منه هذه القرية ، وقد تمكنت زينب من تصوير معاناة أهل القرية وما يلاقون من ظروف صعبة بسبب حرمانهم من أبسط حقوق الإنسان في الحياة الكريمة، كما تصور الظلم الذي يتعرض له المزارعون وأقصى ألوان الاستغلال والجشع الذي يلاقونه من قبل الإقطاعيين . فتعرضت الكاتبة حياة تلك الأسرة التي تتكون من الأب والأم وخمسة أبناء وبنيتين بالإضافة إلى الجد والجدة للأب - تعد من الأسر الممتدة في السودان- فتصور الكاتبة ما يعيشون فيه من فقر وحاجة مع وجود هذا العدد من الأبناء، والمصدر الرئيس لعيش الأسرة الزراعة في ظل النظام الإقطاعي الذي لا يعطي المزارع حقه، فتعكس الكاتبة الصراع الدائر حول حق الحياة الكريمة، وتعمق أوجه هذا الصراع الحيوي بين المزارعين وبين ذوي اليسار والنفوذ والسلطة، ووقعهم فريسة لاستغلال «السيد محجوب» الثري الانتهازي الذي استولى على أراضيهم وشغلهم فيها بالأجرة . وتصور الكاتبة هذا الظلم « بدا موسم الحصاد . وبدأت المباريات. من يجمع أكثر يكسب أكثر

(1) دراسات في نقد الرواية د/ طه وادي ، ص 118 .

(2) رواية الاختيار ، ص 2 .

، وكانوا يحققون المعجزات . من بإمكانه أن يبني جبلاً من الثلج في عز الصيف؟ كانوا ينحنون ليرفعوها جبالاتاً في علو همتهم»<sup>(1)</sup>. وبعد الحصاد واستلام الإقطاعي لمحصوله لم يعط المزارع حقه وما جناه من تعب ص 6 ، التي توضح فيها الظلم الذي يقع على المزارع من قبل المالك .

أما رواية «كش ملك» فتغادر فيها زينب عالم القرية إلى العاصمة ، ولكن القرية ما زالت في مخيلتها ولم تفارقها في كل ما كتبت ، وكأنها جاءت إلى الخرطوم «لتنشر هذا العالم القروي بكل مآسيه وأحزانه، وكل آماله وطموحه في أن تصبح الحياة أكثر أملاً وإشراقاً»<sup>(2)</sup> ، فتنقل الكاتبة إلى مجتمع المدينة من خلال مجموعة من البشر الذين اثر الفقر عليهم وعلى المجتمع. فتعرض الكاتبة صوراً للفقر وما نجم عنه من فساد اجتماعي، وتناقش مشكلة الفقر وتقارن بينه وبين الغنى من خلال نموذجين لشخصيتين احدهما تمثل الغنى وتجسد الشر وهو «وقيع الله» أو «الملك» والأخرى تمثل الفقر وتجسد الخير وهو «البحر» أو «الطيب». وتتعاطف الكاتبة مع الفقراء وشخصياتهم، وتصور من خلال الرواية ما يمكن أن يفعله الفقر بالإنسان من عقد نفسية ، فتصور شخصية «وقيع الله» وما عاناه بسبب الفقر:

«وقيع الله أكثر ما كان يسوءه أن أمه تعمل خادمة لنساء تفوقهن جمالا وأدبا واقسم بينه وبين نفسه ستخدمها كل هؤلاء النسوة اللاتي غسلت ملابسهن ونظفت بيوتهن.....أحس حقداً بمأله»<sup>(3)</sup>.

وتصور الكاتبة كيف دفع الفقر بالملك إلى الاستهانة بالقيم الأخلاقية والدينية، في سبيل الوصول الى الغنى السريع فسيطرت عليه فكرة الوصولية بأي وسيلة، فهي إيمانه الوحيد لأنه لا يؤمن بأي مبدأ غيرها ، فصورته الكاتبة وصولياً وانتهازياً يضحى بكرامته وشرفه وحتى أصدقائه في سبيل الانتقال إلى طبقة أعلى ، ويخسر كل شيء وينكشف أمام أبنائه وأحفاده وينهار نفسياً ولا يستطيع التأقلم مع هذا الواقع، فيرجع غافلاً إلى حياته التي بناها وواقعه المر الذي يرفض كل ما هو قديم واصل ، فالكاتبة تقدم من خلال الرواية علاقة الفقر بالشرف والأمانة وعلاقة الغنى والجاه بالانتهازية وعدم الالتزام بالأخلاق. كما تقدم صراعاً بين قوى الخير الممثلة في «الطيب» وأسرته وأصدقائه، وبين قوى الشر الممثلة في «وقيع الله» ، والصراع في حقيقته بين الفقر والغنى وقيمهما وانتصار قيم الفقر على الغنى.

(1) رواية نبات الصبار ، ص 4 .

(2) دراسات في نقد الرواية د/ طه وادي ، ص 118

(3) رواية كش ملك ، ص 3,2 .

أما في «نبات الصبار» فالفقر والحاجة والعوز ، تشكل المحور الأول من محاور الرواية، حيث انتقلت عدسة زينب بليل داخل طبقة المهتمشين في المجتمع . فالرواية تخلق عالما إنسانيا ، يقدم حياة مجموعة من البشر تعيش في إطار اجتماعي محدد، ولهم حياتهم الفردية الخاصة، التي تعكس رؤية الكاتبة إزاء الفقر، فتصف الرواية «شارع النار» الضيق الصغير المحدود وصفا تفصيليا لتصور لنا أهل الشارع وقصصهم وحياتهم وأخلاقهم ومزاجهم ومواطن الخير والشر فيهم ، وهي حياة متصلة ببعضها البعض ، تتشابك تشابكا فنيا دقيقا، وهي في تصويرها هذا تريد أن تنقل حياة طبقة الفقراء وبعض تقاليدهم وعاداتهم. وقد سلطت زينب عدستها القوية على جوانب من حياة ساكن الشارع ، ولكنها مرت بها مروراً على حياة البعض . فرصت عدستها هذه الطبقة المهمشة من المجتمع التي لا تملك أدنى درجات الحياة الكريمة» سكنوا بيوتا ضيقة وليس فيها ماء ولا كهرباء ..تكدسوا فيها بالعشرات ..بيوتا ليس فيها مراحيض...بيوتا قاحلة وجرداء...يسرون في شوارع تضيق بهم ..يتدافعون بالمناكب يهرولون ..يتصادمون»<sup>(1)</sup>.

وتصور الكاتبة كذلك الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية المتردية في «شارع النار» والتي نتج عنها ذلك الفقر المدقع، والشارع يمثل نموذجا لقطاع من المجتمع .

### **قضية الفقر وعلاقتها بقضايا أخرى:**

مشكلات الفقر ومضاعفاته من المشكلات التي تناولتها زينب بليل، مثل النظام الطبقي وصراعه الذي أدى للانحلال الأخلاقي. ومشكلات التخلف والجهل والمرض نتيجة لتردي الأوضاع المعيشية. كما ناقشت مشاكل التعليم والعمل والهجرة وعلاقتها بالفقر. وكل هذه القضايا متشابكة بعضها مع بعض، ومسببا واحدا هو تردي الأحوال الاقتصادية ، بل هي في الحقيقة نتائج لمرحلة الانتقال التي بدأ المجتمع السوداني يدخل فيها ليواكب حضارة الغرب . وبعض هذه المشكلات لم تتناولها زينب ببعث بل شابتها بعض السطحية . والبعض عمقته وناقشت من خلاله بعض المعاني، مثل المحافظة والتحرر ، والتكافل الاجتماعي والحرية والمساواة والعدل، وقد أعطت الكاتبة صورة واقعية على أهمية المال وكيفية الحصول عليه . ولا شك أن موضوعات زينب وآراءها المنحازة إلى موقف المحافظة ومناصرة الفقراء كانت من أهم أسباب أدبها .

### **1. الفقر والأخلاق:**

تعرضت الكاتبة لقضية كبرى هي قضية الأخلاق وعلاقتها بالفقر، فتردي الأوضاع الاقتصادية و سوء الأحوال المعيشية هي التي أدت لانتشار التهلك والانحلال الأخلاقي .

(1) رواية نبات الصبار ، ص 33 .

فتناولت زينب في عالمها الروائي الفسق بأنواعه والمجون والشذوذ الجنسي وإدمان الخمر، وغير ذلك من العيوب الأخلاقية باعتبارها أولاً من المخلفات الاستعمارية في المجتمع السوداني، وثانياً إفراز من إفرازات البيئة السودانية حديثاً .

والتناقض الطبقي الذي تقدمه الكاتبة في رواياتها يعبر عن التفاوت في المجتمع وفساد حياة الأفراد، لذلك نجد الطبقات الفقيرة دائماً مطحونة، والمرأة في هذه الطبقة تمارس البغاء احترافاً ومهنة بسبب الضغوط الاقتصادية . ولكن هذا لا يمنع أن الطبقات الغنية بين نسائهن من يمارسن البغاء بسبب عدم التمسك بالقيم والمبادئ، أو ربما بسبب الخيانة وعجز الرجل عن تلبية حاجات المرأة الجنسية نتيجة للزواج غير المتكافئ ، مثل ما حدث «لسعاد» في «كش ملك» التي اضطرت لممارسة البغاء لتخدع «الطيب» حتى يساعدها في تنفيذ خطتها لمقتل زوجها ودفنه بعد أن تزوج بأخرى، والكاتبة لم تركز على النساء المنحرفات أخلاقياً من تلك الطبقة ، دليلاً على هامشية هذا النوع من الشخصية وعدم تعمقها فكرياً واجتماعياً. ودليل أيضاً على أن الكاتبة ربطت البغاء بالطبقة الفقيرة . وداخل هذه الطبقة الفقيرة تتعرض الكاتبة لقطاع البغي، وما يحتوي عليه من نماذج بشرية مختلفة لصور البغي بجميع أشكاله الاجتماعية والإنسانية. وهذا القطاع البائس تقدمه الكاتبة بحسبانته إفرازاً سيئاً للظروف الاجتماعية التي عاشها المجتمع السوداني في فترة معينة من تاريخه . فالفقر في روايات الكاتبة يمثل مأساة عامة تعد أساساً لانحراف كثير من الشخصيات في رواياتها ، وتعطي الأعمال سمة الواقعية والمنطقية من حيث اتصالها بواقع الحياة ، ففي روايتها «كش ملك» تقدم كثيراً من النماذج النسائية والرجالية التي انحرفت أخلاقياً بسبب الفقر الذي كان عاملاً لتربيتها.

«فسيدة» أخت «الملك» ضحية من ضحايا الفقر، اضطرتها ظروف أسرتها أن تكون بائعة هوى حتى وصلت إلى يد أخيها لتحصل على المال ص 57، 58. ومرجع كل ذلك الفقر وعدم تحقق العدالة الاجتماعية ، فشخصية «سيدة» شخصية طموحة ومتطلعة إلى تغيير واقعها، بالإضافة إلى ما تملكه من جمال ساقها للانحراف والتردي .

وقد ربطت زينب بين الفقر والانحلال الأخلاقي، فكسب المال كان سبباً في تمهيد الطريق أمام كثير من النساء لممارسة البغاء لإعالة الأسر وسد النفقات ، فحاجة المرأة للطعام هي وأسرتها نتيجة الفقر الشديد ، وقسوة ظروف الحياة ، سبباً للانحراف ويعد مسوغاً كافياً من وجهة نظر الكاتبة . فانحراف زوجة الملك «محاسن» كان لكسب المال ، فهي لم تستطع الصمود أمام الفقر بعد هروب «الملك» وضياع ثروتهم مما أدى إلى انحرافها ص 64، 65. وقد يسأل البعض هل من الضرورة أن تكن هناك علاقة بين فقر «محاسن» وبين الانحراف ، بالطبع ليس هنالك علاقة وثيقة بين الفقر والانحراف ، ولكن الكاتبة تريد

أن تؤكد بقوة على ما يمكن أن يؤدي إليه الفقر من تشويه لحياة البشر. ومن خلال نموذج «محاسن» تستشف الكاتبة بعض معاني الإنسانية في مهاوي الرذيلة، وتكشف عن طريق تصويرها «محاسن» حياة الفقراء وما انطوت عليه من بؤس وعذاب، بسبب الظلم والفساد وانعدام العدالة في المجتمع، فهي تريد أن تصور زاوية إنسانية تنقد الواقع من خلالها، وتطرح من خلال الانحراف كثير من المفاهيم والقيم. كما تريد أن توضح الثبات على القيم من خلال شخصية «محاسن» ولكن الوضع الاجتماعي لم يجعلها تحافظ على موقفها وثباتها:

«سأت أحوال محاسن..نفذ كل ما معها..فباعت حليها..ثم ملابستها وزاد السوء لما توفيت أمها التي كانت تساعدنا ببيع ما تنتجه من مأكولات، فاضطرت أن تخرج بنفسها لتبيع انتاجها، وكثيرا ما تعرضت لإهانات ولخدش حياتها وجرح كرامتها من قبل رجال كانت تصدهم في حزم..كان هدفها الأول أن تربي أطفالها بكرامة وأن يواصلوا دراستهم»<sup>(1)</sup>.  
ونلاحظ تمسك محاسن بقيمتها وجهدها لتربية أبنائها بكرامة و«تظل في الشارع عارضة بضاعتها منذ الخامسة صباحاً وحتى العاشرة ليلاً»<sup>(2)</sup> ولكن دون فائدة ما اضطرها للانحراف وممارسة البغاء بسبب الفقر والعامل الاقتصادي، و«محاسن» هنا تبدو ضحية لواقع مضطرب وظروف سيئة، ولكنها ليست وحدها في ذلك، وإنما هنالك نماذج كثيرة في المجتمع تشابهها. إذن هذا المصير السيئ وهذه النهاية المأساوية الذي انتهت إليها «محاسن» في «كش ملك» قدر كل الفقراء في المجتمع، وبهذا تستطيع الكاتبة أن تتجاوز بالنموذج الروائي صورة الفرد إلى صورة الإنسان حين تجعله معبرا عن واقع عام، ومصوراً لعذاب قطاع من البشر في مرحلة تاريخية بعينها.

وصورت الكاتبة صوراً أخرى من الانحلال الأخلاقي وهو شرب الخمر وما يمارس في بيوتها «الأنديات» من غناء ورقص على أنه إفراز من افرازات الفقر، وتعرضت لصاحبات الخمر وقدمت نماذج كاملة لهن ولأماكنهن وما يدور بينهن من صراع، في روايتها «نبات الصبار ص 23، وقد أطالت الكاتبة في وصف بيوت الخمر مما يدل على أهميتها في هذا القطاع الفقير من المجتمع.

وتربط الكاتبة شرب الخمر وإدمانه بالفقر ونسيان الهموم، فقد لجوء لشرب الخمر حتى ينسون وضعهم الاجتماعي ومشاكلهم، وهم دائماً يقارنون أنفسهم بالأغنياء في ذاكرتهم «إذا كانت المدن سوائل تصفى، فهم حثالة المدينة التي يفصلهم عنها الجدار لماذا؟

(1) رواية كش ملك، ص 64، 63.

(2) المرجع السابق، ص 64.

لماذا هم يبنون تلك؟ ..يجملونها كل يوم ..يغسلون شوارعها المسفلتة بعرقهم ويسكنون المستنقعات؟ ويسألون الله في رجاء أن يبدل سكرهم وعيا كي يعرفوا ..ويسألونه في قوة أن يبدل ضعفهم قوة»<sup>(1)</sup>.

ويمثل الحب والجنس جانباً كبيراً من روايات الكاتبة رغم اختلاف الزمن بالنسبة للروايات ، التي تقع ما بين الخمسينيات إلى التسعينيات من القرن الماضي - أبان الحكومات العسكرية- إلا أنها تناقش هاتين القضيتين في صراحة وحرية وانطلاق . وتربطها غالباً بالفقر أو الأوضاع الاجتماعية المتردية ، وإن كانت قد ركزت على الجنس والانحراف والشذوذ وعرضته في رواياتها، ولكنها لم تتعمق المشكلة وأسبابها في روايتها «نبات الصبار» بل أشارت إليها إشارات، حيث صورت هذه الآفات على أنها جانب من جوانب الفساد الأخلاقي الذي أصاب المجتمع ، فتعرضت للشذوذ ص 47،49. أما الانحراف فصورته في ص 236، حيث صورت نماذج متدنية من النساء بائعات الهوى. وإن كانت قد أشارت إلى الحب والجنس إشارات في «نبات الصبار» فقد تناولته بجرأة في روايتها الأولى «الاختيار» حيث تناولت الحب برومانسية لدرجة أن البطلة «آسيا» انحرفت واختارت الخيانة الزوجية بسبب الحب ، فحرمان «آسيا» من حبها وعدم زواجها بمن تحب مرجعه في البداية إلى الفقر، الذي أدى بدوره لكل هذه المشاكل التي أدت في النهاية لارتكاب المحرمات . فقد رفض والد «علي» زواج ابنه من «آسيا» بسبب فقرهم وتعالیه عليهم:

« لم يلق الرجل التحية .... وقف متكئا على عصاه ...» اسمع يا ابن ادم .... فكرت واتجرات تناسيني ؟ يا راجل خلي عندك حياء..يا راجل استحي ولم شرفك..ولا أصله الجعانيين ما عندهم شرف ولا حياء..عاوزين تبقوا ناس بأي تمن»<sup>(2)</sup> .

نلاحظ من خلال هذا النموذج غطرسة الغني وتعالیه على الفقير الذي لا يعده إنسان ، فقد استطاعت الكاتبة أن تجسد هذه القضية وأبعادها، وتصور ما يمكن أن يفعله الفقر بمصير الإنسان والوقوف في سبيل سعادته.

أما في روايتها الثانية «كش ملك» فقد عرضت الحب البائس بين الملك ومريم، وعدم نجاح العلاقة وإثمارها بسبب اختلاف القيم والمبادئ بين الحبيبين وليس بسبب الفقر. ولكنها تتعرض للجنس في الرواية وعلاقته بالأوضاع الاجتماعية ، حيث ربطته عند «الملك» بالفقر والانتهازية ومحاولة كسب المال، الذي حصل عليه عندما كان في الجامعة عن طريق الطالبات وخذاعهن وقد وصفته الرواية بذلك «تلقى دخلا محترما من نشاط

(1) المرجع السابق الصفحة نفسها .

(2) رواية الاختيار ، ص 80،79.

غير أخلاقي وغير إنساني . تحب مصاحبة الفتيات تعيش عليهن توهمهن أنك تحبهن وتغرر بهن»<sup>(1)</sup>.

والمملك في سبيل كسب المال كان يفعل كل ما هو مُنافٍ للأخلاق والدين. وبعد تخرجه وفي حياته العامة مارس هذه العادات لكسب المال ولكنه طورها على مستوى المكان في وكر لكل الأعمال المذرية ص 57 ، وقد صورت الكاتبة رواد هذه الدار من النساء من فئات وأعمار مختلفة ، واغلبهن يؤتبن لهذه الدار طلبا للمال . فربطت الكاتبة بين الانحراف والفقر ، والرواية في مجملها تصور الأوضاع الاقتصادية المتردية في المجتمع وما يمكن أن يصيب المجتمع من جراها.

## 2. الفقر والجهل والمرض :

«المرض والجهل من المشكلات الاجتماعية وهما صنوان، فالاول علة جسدية تعوق القوة البشرية عن العمل بكل طاقتها ، كما يمنع الثاني القوة الخلاقة من الإبداع»<sup>(2)</sup> . فكلتا القضيتين تتعلق بالفقر ، فلولا الفقر ما كان هناك تخلف أو مرض ، فالفقر لا توفر له الدولة المستشفيات والمدارس المناسبة لإمكانياته» الجامعات؟ وحلم الجامعات! إيجاد جامعة مشكلة.. والوصول إلى الجامعة مشكلة.. والكتاب الجامعي مشكلة ..والزي الجامعي مشكلة.. والوجبة مشكلة»<sup>(3)</sup> . وتطرح الكاتبة هنا مشكلة ازدياد النفقات في هذه المرافق التي تمنع الإنسان الفقير من ارتيادها، فينتشر بذلك التخلف والمرض، فكل هذه القضايا متعلقة ببعضها ترجع في النهاية إلى سوء الإدارة السياسية .

وقد صورت زينب بليل المجتمع الفقير في رواياتها الثلاث ونقلت الحالة الاجتماعية والاقتصادية التي وصلت إليها المجتمعات الفقيرة من جهل وتخلف بسبب الفقر سواء في مجتمع القرية أو المدينة، حيث ناقشت في «الاختيار» مشكلة الجهل والتخلف وعلاقته بالفقر في مجتمع القرية وحاولت أن تنفذ إلى أعماق الريف . بينما ناقشت في «نبات الصبار» و«كش ملك» قضية التخلف والجهل في مجتمع المدينة . والكاتبة أرادت أن تنقل رؤيتها لإمكانية تغيير الأوضاع وذلك عن طريق العلم ، فبالعلم وحده يمكن أن يرتقي المجتمع ويتطور نحو الأفضل، ففطنت زينب لهذه النقطة وأثارته من خلال رواياتها، ففي «نبات الصبار» «خديجة» وزملائها الأطباء من أبناء الشارع هم الذين استطاعوا أن يغيروا «شارع النار» إلى «مدينة النار» الذي كان يغرق في الجهل والرزابا والفقر المدقع. فوضحت أنه من

(1) رواية كش ملك ، ص 26 .

(2) دراسات في القصة العربية الحديثة د/ محمد زغلول سلام ، ص 105

(3) رواية نبات الصبار ، ص 34 .

الضروري أن يكون رد الفعل من الفئة المثقفة والمتعلمة من أبناء الطبقة الفقيرة ومقاومة ذلك الواقع .

أما في «الاختيار» فصورت مجتمع القرية وما يتعرض له المزارعون من سرقة ونهب من قبل الإقطاعيين بسبب جهلهم وفقرهم ، وبينت أهمية العلم من خلال أسرة «حمدان» حيث استطاع أبناء الستة ، وأبناء القرية من تبديل أوضاعها الاقتصادية بفضل ما نالوه من تعليم- وصل للحد الجامعي- ونتيجة لاحتكاكهم بالحياة الاجتماعية في المدن الكبرى والعاصمة ، فرجعوا إلى ديارهم ليرفعوا من شأنها ويردوا ظلم الإقطاعيين.

أما رواية «كش ملك» والتي تقوم على الازدواجية في كل شيء قارنت الكاتبة فيها بين الغني والفقير، «فوقيع الله» الملك استطاع أن يغير وضعه بالعلم ولكن هنا أضافت إليه الكاتبة الانتهازية والوصولية ليصل إلى الثراء الفاحش . أما في الجهة المقابلة فالبحر واسرته استطاعوا أن يغيروا من أوضاعها، بسبب تعلم أفرادها «ياسمين» والعم «أحمد» ،والعمة «زهرة».

فالكاتبة لها رؤية واضحة حول الفقر وآلياته ، فالذي لم يتعلم من شخوص رواياتها يظل قابعا في ظلمات الجهل الذي قد يقوده إلى الرذيلة مثل «سيدة» و«محاسن» في «كش ملك»، ونماذج كثيرة من الشخصيات في «نبات الصبار». أو قد يقود الجهل الشخصيات إلى الذل والهوان مثل «حواء» و «زهرة» في «كش ملك». فترجع الكاتبة للعلم كل فضيلة فهو الذي يرفع من شأن الإنسان ويرتقي به من غياهب الجهل ومرتع الرذيلة ، فرؤيتها البعيدة ترمي إلى أن الوطن لن يرتقي ما لم يعمه العلم . و تؤكد من خلال هذه الرؤية دور العلم وأثره في نهضة الشعوب .

وأما عمل المرأة فربطته الكاتبة بتردّي الأحوال المعيشية، حيث اهتمت بالإشارة لخروج الفتيات إلى العمل لاكتساب الرزق بسبب الفقر والحاجة، وخروجهن إلى الحياة العامة علامة مهمة في عصر تحبس فيه المرأة، أي أنها خرجت عن تقاليد عصرها ومورثوها بسبب الفقر، وتؤكد الكاتبة على أن المرأة التي لا تتعلم لا تستطيع أن تخرج للعمل بل تتاجر بعرضها وشرفها في سبيل المال « أنت دكتور قريتي الجامعة وأنا ما بعرف اكتب اسمي . أنا بعرف اشتغل خدمة للناس، بعرف اسرق وبعرف أشحت.....ويعرف اصبر أتحمل قرف الرجال وقسوتهم»<sup>(1)</sup>.

ومن القضايا التي ربطتها زينب بليل بالفقر قضية الجهل ومنها انبثقت مشكلة الأساطير والخرافات والدجل والشعوذة . وقد وضحت دور الروحانيات في تقدم وتخلف الشعوب، حيث كشفت في جميع رواياتها عن المستوى الثقافي والعلمي الضعيف للمجتمع

(1) رواية نبات الصبار ، ص 147 .

سواء كان القرية أو المدينة . وما يتعلق به من إيمان بالأساطير والخرافات .  
ففي رواية «الاختيار» جهل أهل القرية جعلهم يؤمنون بالخرافات التي  
استوطنت فيهم وعلقت بعقولهم . أما «كش ملك» فقد صورت الخرافات والبدع التي  
عبرت عن سذاجة عقول تلك الطبقة ، من مثل الإيمان بالدجل ، والخرافات والأساطير مثل  
أسطورة «بنات نعش وأسطورة «ود ربا»، التي تحدث عنها «الملك» واقتنع بها كما تقول  
الرواية بالرغم من تغيير وضع الملك وما اكتسبه من حضارة وثقافة نتيجة لسفره الطويل في  
عواصم العالم ، إلا أن الكاتبة تصر على تصويره بهذه العقلية الساذجة التي تؤمن بالأساطير  
وتتفاعل معها ، ربما ترجعها الكاتبة إلى مخزونه الثقافي الذي تربى عليه، وهذا لا ينطبق على  
شخصية تثقفت بثقافة عالية وخبرت الحياة .

أما رواية «نبات الصبار» فقد جسدت فيها الأساطير وعالم الجن والشعوذة  
والدجل الذي ناسب تلك البيئة وإنسانها الذي وصل إلى أدنى درجات الفقر والجهل والمرض،  
لذلك كان من الطبيعي أن تتفشي مثل تلك الأمور .

وتناولت الكاتبة قضية المرض وعلاقتها بالفقر، فصورت الأوضاع الصحية المتدنية  
في روايتها «نبات الصبار» وما تعانیه هذه الشريحة من سوء الأحوال الصحية وانتشار  
الأوبئة نسبة لتدني مستوى الخدمات الصحية المقدمة من الدولة، وارتفاع أسعار الدواء  
«مشى بمحاذاة القنال التي جففتها السلطات منذ زمان بعيد فصارت مكانا لقضاء الحاجة  
ورمي القمامة والحيوانات التي تموت بكثرة ، رأى الديدان فوق الجيف تلالا بيضاء تموج  
والذباب الأخضر الشبعان يرقص في أسراب مبتهجا بالأمن والحرية ، والحشرات تتنقل كما  
تشاء»<sup>(1)</sup>. فتكشف هذه الصورة عن الأحوال المتردية التي أدت إلى انتشار الأمراض «يتحدثون  
ويسخرون من أسطورة العلاج . ان مجرد التفكير فيه يزيد الوجع ، ماذا أصاب البلد؟  
لماذا في كل بيت مريض أو اثنين إن لم يكونوا ثلاثة !! انتشرت الأوبئة وعجز الناس عن ثمن  
العلاج»<sup>(2)</sup>.

تعرضت الكاتبة في الرواية لشريحة الأطباء الجدد وما يعانونه من ضعف في  
الرواتب والوساطة في العمل والمحسوبة، « تخرج احمد بامتياز من المفترض أن يذهب في  
بعثة وتتعين خديجة في الكلية، لتجد فرصة تحضير مجانية لكن تعين ابن احد الدكاترة في  
اجتماع مجلس الكلية رجحت كفة ابن الدكتور»<sup>(3)</sup>.

(1) رواية نبات الصبار ، ص 231 .

(2) المرجع السابق ، ص 49 .

(3) المرجع السابق ، ص 85 .

وقدمت الكاتبة نقداً عاماً لأوضاع المستشفيات الحكومية وعدم توفر الإمكانيات الصحية والعلاج ص 61، وعقدت مقارنة بين المستشفيات الحكومية وبين المستشفيات الخاصة وما يقدم فيها من خدمات ص 61. كما تتعرض الرواية لأهمية الصحة بالنسبة للمجتمع، حتى ينشأ جيل صحي ومتعافٍ، فتركز الكاتبة في الرواية على بناء مستشفى في «مدينة النار» تحمل اسم «العافية للجميع» وهي حلم سكان الشارع وأطباءه «لبنوا مستشفى فيه كل إمكانيات العلاج.. فيه عدد من السراير مجانية لمن لا يستطيع الدفع... مستشفى من أجل الفقراء...»<sup>(1)</sup>. فتضافرت جهودهم لذلك وطلبوا المستحيل ليحققوا هذا الحلم.

والكاتبة تصور أبطال الرواية وهم يصرون على توحيد الطريق وتحقيق الأحلام في «مدينة النار» أو «المنصور» ويعتزمون على تحقيق أحلامهم ببناء مستشفى «العافية للجميع» وإقامة الفرح المؤجل. وهذا التعاون بين السكان لبناء المستشفى أو مشروع «العافية للجميع» الذي تصوره الكاتبة يؤكد مدى الحاجة إلى الصحة التي كانت تنادي بها الكاتبة في جميع رواياتها .

### 3. الفقر والهجرة :

«يمثل القهر عائقاً ضد الحرية الإنسانية وليس القهر مجرد الحرمان من الحرية بل هو وصف لسلب الإرادة أو تعليقها لفترة أو لمدة طويلة. ومن أهم أنواع القهر «الاحتياج» الذي يسبب الهجرة من الوطن إلى مناطق ثرية تستطيع أن تلبى احتياجات الإنسان، وهذه الهجرة عائق مؤقت لحرية الإنسان حتى يعود وقد حصل على ما يريد»<sup>(2)</sup>. أظهرت زينب بليل قضية الهجرة في روايتها «نبات الصبار» التي يعاني منها السوداني في كل مرحلة زمنية من تاريخ السودان . وتصورها بعداً آخر لقضية الفقر، فالسوداني يحلم أبداً ببلاد الغربية وينسلخ عن أرضه وأحبابه، ليحسن وضعه الاجتماعي ويحصل على ما يريد. وقد درست الكاتبة من خلالها «دواخل النفس الحائرة التي تحلم بغد أفضل حتى إذا حققته لم يسعدها»<sup>(3)</sup>.

وقد ناقشت الكاتبة في روايتها هجرة أخري داخلية وهي هجرة المواطن السوداني من مدينته إلى العاصمة «الخرطوم» التي جاء إليها هاربا من الفقر أو غيره وحلم فيها بتحقيق ما يريد وتغيير أوضاعه «كلهم جاءوا.. بعضهم جاء هاربا من حمل فوق طاقته وبعضهم حاملا حلمه الذي لم تتسع له المدن الصغيرة، وبعضهم جاء المدينة حبا في المدينة

(1) المرجع السابق ، ص 84 .

(2) السرد الروائي العربي ، د/ مدحت الجيار ، ص 225 .

(3) اثر الرواية الواقعية الغربية في الرواية العربية ، د/ محبة حاج معتوق ، ص 193 .

لما سمع من أساطير حكاها الذين لم يعيشوا فيها....بعضهم جاء مصدقا أسطورة أن تلك المدينة بلاد لا فقر فيها ولا احتياج..الكل يعمل ويكسب...ولا معاناة»<sup>(1)</sup>. والكاتبة ناقشت هذه القضية باستفاضة ووضحت الأحلام التي ارتادت المهاجرين بحثا وراء الدعة ورغد العيش» الماء في المواسير داخل المنازل ، وحيثما تريده..والإضاءة بالكهرباء.....قالوا لهم في تلك المدينة...المطاعم تقدم ما يشتهي المرء ويتمنى...وقيل للحالمين الناس في مدينة العجائب لا يموتون...الأخصائيون يجددون العمر..وهم على أهبة الاستعداد لمعاينة المرضى في منازلهم..... والصيديات ملئ بالجديد من الأدوية بأسعار زهيدة»<sup>(2)</sup>.

وقد حلقوا بأحلامهم عاليا وبنوا قصورا في الأحلام ولكن كانت المفاجأة والدهشة لم يجدوا ما حلموا به ص34،35. والكاتبة تعرض سوء الحالة الاقتصادية والاجتماعية التي فطن لها المهاجرين، وتوضح رائها في هذه القضية من خلال ندم المهاجرين على تركهم لديارهم، فهم جاءوا ينشدون السعادة ولكنهم تركوا السعادة حيث أتوا « سكنوا بيوتا قاحلة جرداء ليست مثل بيوتهم الفسيحة التي تظللها أشجار وريفه يقضون تحتها نهارهم...ويشربون حليب أبقارهم وعصير تمرهم أو خلاصة ذراهم...»<sup>(3)</sup>. وهنا تتضح رؤية الكاتبة في بناء المدن الصغيرة زراعيًا وتعميرها بدلا من التكديس في العاصمة دون عمل أو عمل هامشي ص2.

ومقابل هذه الهجرة التي لم يحقق منها المهاجر ما تمنى ، صورت الكاتبة الهجرة لبلاد يحلم فيها بتغيير الأوضاع في روايتها «نبات الصبار» من خلال شخصية «احمد» الطبيب الذي لم يستطيع أن يحقق أحلامه فاضطر إلى الهجرة خارج السودان ، ونلاحظ ذلك من خلال الحوار الذي دار بينه وبين «خديجة» خطيبته :

« أنا اتأكدت أنه البلد دي مالي دي غابة ..تسكنها الذئاب والنمور والأفاعي .خفت عشان كده مسافر.....جوي البلد دي ما حقتنا لنبحث عن بلد نعيش فيه بكرامة ...نحن ليس في إمكاننا تامين بيتا متواضعا ! فكرت وقلبت الأمر على كل الوجوه ..لم أجد حلا غير السفر..لا يوجد شيء جاهز»<sup>(4)</sup> . فالهجرة هنا لها مسبباتها حيث تحطمت أمانيه بسبب الفقر، فقرر السفر وانسلخ عن جلده» يبحث عن الأحسن. عن بلاد محكومة بالعدل والمساواة، بلاد تحترم الإنسان ..بلاد في قاموس حكمها ما في محسوبة»<sup>(5)</sup>. وتصور الكاتبة

(1) رواية نبات الصبار ، ص 33 .

(2) رواية نبات الصبار، ص 34، 33 .

(3) المرجع السابق، ص 34،33 .

(4)رواية نبات الصبار، ص 88،89.

(5) المرجع السابق ، ص 114 .

معاناة احمد في الغربة والحيرة والذل والمهانة التي وجدها هناك «منذ أن فارقتكم وأنا لا املك إقامة شرعية ولا سكنا ، ولا عملا ، اعمل خادما في منزل أنظف واطبخ للذين استضافوني....أمارس مهنتي القديمة ..غسيل العربات كي أساهم في النفقات»<sup>(1)</sup> .

وتتعمق الكاتبة في معاناة «احمد» وتجوس داخل نفسه لتصور ندمه وتحطم أحلامه وحينه إلى وطنه: «مزيج من اليأس والهزيمة والإحساس بالدونية..ذاك كان إحساسي...عرفت في ذلك الوقت ..أن مجرد وجودي في بلد أنا فيه غير مطارد وغير مطالب بإقامة شرعية ..وغير مطالب بإثبات هوية ...لم اعرف أنني هناك سيد وغني ومن الوجهاء والأمنين بلا منحة وبلا تخصص وبلا سلطة أو جاه أو مال، أنا ملك سعيد ..الان عرفت هذا وأنا مختبئ مثل فار..وندمت ..ولعنت حماقتي وتأكدت تماما ..كل المنح الكبرى كل الشهادات والمراكز العليا ..كل الطموح الأكاديمي..صفر أمام المواطنة...لن يكون الإنسان إنسانا بلا وطن»<sup>(2)</sup> .

وإلى جانب معاناة المغترب عن وطنه ، تثير الكاتبة هنا نقطة مهمة وهي قيمة الوطن وحبه في قلوب من تركوه وهاجروا، فالكاتبة تبث أفكارها وآراءها عبر شخصياتها وتعبر عن ما بداخلها . ولكن رغم ما عانى «احمد» تصوره الكاتبة مصرا على مواصلة المشوار حتى يحقق الحلم في بناء المستشفى» أقسمت بوطني الذي تأكدت أنه آمن بلاد الأرض وأجمل ما خلق الله لن ارجع مهزوما كما خرجت ..لن أعود إلا كبيرا وقويا وغنيا»<sup>(3)</sup> ، وينصح أصدقائه ألا يلجأوا للغربة بل يظلوا في وطنهم يكافحون لتحقيق أحلامهم « ابقوا ، حيث أنتم وواصلوا الأحلام ستجدونها قد تحققت ذات يوم»<sup>(4)</sup> .

وتتعرض الكاتبة لأهمية المال في حياة الإنسان وخاصة الفقير، وأهميته كذلك بالنسبة للوطن وتعميره « كم هو قاسي أن يؤخذ حقه قهرا..فقط لأنك لا تستند على شيء ...لا مال ولا سلاح....مشى عشان يجي راجع كبير ..مشى يشتري السلاح يجعل للإنسان هبة ومكانة..العالم ما عاد فيه مكان للضعيف..أما أن تكون غولا تأكل حقه وحق الغير.أو تكون نارا تحرق البقترب منك كله»<sup>(5)</sup> .

وتؤكد الكاتبة أنه على الرغم من أهمية المال في بناء الإنسان والوطن، إلا أنه يمكن الحصول عليه والكفاح من اجله داخل الوطن وبسواعد شبابه بدلا من الهروب

(1) المرجع السابق ، ص 94 .

(2) رواية نبات الصبار، ص 95 .

(3) السابق نفسه الصفحة نفسها .

(4) السابق نفسه الصفحة نفسها.

(5) المرجع السابق ، ص 114 .

والهجرة منه «إذا لم نؤمن بأننا خلقنا أقوىاء لكن حصلت ظروف أضعفت قوتنا، وأنا ولدنا خيرين وأذكىاء...إذا لم نؤمن بحقنا، لن نقاتل لنسترده من قبضة الذين رأونا تنازلنا عنه فأخذوه وتركونا نهيم في بلاد الآخرين..بحثا عن ظل وعن عمل وعن حلم جميل..»<sup>(1)</sup>. فالكاتبة هنا تحرض الشباب الفقراء على الثقة بالنفس، واكتشاف موارد البلد والاستفادة منها بدلا من التخبط والاهانة في بلاد الغير» الكنز تركوه مدفونا في أرضهم ولم يعرفوا كيف يزيحوا التراب عنه»<sup>(2)</sup>.

#### 4. الحرية والفقر :

الأوضاع الاقتصادية المتردية والأحوال المعيشية السيئة - في ظل النظام السياسي السيئ - هي التي تقود إلى سلب الحريات وانتهاك القوانين . فالإنسان الفقير لا يملك حرية التعبير، لأن لقمة العيش والحاجة هي التي تصادر الحريات ، وتجمد الأفكار وتدفع إلى التنازل عن الحقوق والواجبات وحقيقة «من لا يملك قوته لا يملك قراره».وقد ناقشت زينب بليل مشكلة الحرية، ووقفت عندها في أعمالها الروائية موقف المدافع عنها وعن الديمقراطية . واهتمت في دفاعها عن الحرية والعدالة والمساواة بالشريحة الأضعف من شرائح المجتمع وهم الفقراء، وتحدثت عنها على المستويين الفردي والجماعي . فعلى المستوى الفردي ربطتها بنقطتين الأولى تشير فيها إلى أن الأقوى هو الذي يمتلك القرارات ويحرك الأفراد ، وهو من يمتلك المال كما مثله «بالسيد محجوب» في «الاختيار» الذي امتلك القرارات وتحكم في مصائر الفقراء وحياتهم ، فثروته خولت له هذا التحكم « ما في غير صلة السيد بالعبد ..أنا مما فتحت لقيت أبوي بعمل في أرضكم ..وأبوك بعامل الجميع ..وكأنه ما بعرف حتى أسماءهم»<sup>(3)</sup>. فالكاتبة تصور غطرسة وتعالي «محجوب» الإقطاعي ذو الجاه والمال . والنقطة الثانية على المستوى الفردي توضح فيها أن الفقراء لهم حرية أكثر في اتخاذ قراراتهم الخاصة بحياتهم من الأغنياء ، لأن أسرهم صادرت حرياتهم وتحكمت في مصائرهم، بعكس اسر الفقراء الذين ربوا أبناءهم على اتخاذ قراراتهم بأنفسهم .وتمودج لذلك رواية«نبات الصبار» حيث أعطيت «خديجة» الفقيرة الحق الكامل في اتخاذ قراراتها ، بعكس نساء «ربات الخدور» من أسرة «خالد» الغنية، ونلمس ذلك من خلال هذا الحوار الذي دار بين «الحسين» والد «خديجة» وبين«خالد»: «- حبابك عشرة يا دكتور لكن أنادي ليك خديجة تتفاهم معاك ..طبعا القرار حقها، وهي صاحبة الشأن .

(1) رواية نبات الصبار ، ص 115 .

(2) السابق نفسه الصفحة نفسها .

(3) رواية الاختيار ، ص 72 .

لم يصدق الدكتور أذنيه ، في هذا الحي في هذا المستوى . في هذا الفقر. رجل يقول القرار لها وهي صاحبة الشأن! يعني أن هؤلاء النسوة المحتاجات لينغمسن في مطهر فرضن وجودهن أكثر من ربات الخدور! حتى اليوم في أسرتهن لا يجروا رجل أن يقول عن امرأة انها صاحبة الشأن..سيضحك عليه الآخرون»<sup>(1)</sup> .

فالحرية والقرار للفقراء أكثر من الأغنياء على مستوى الفرد . أما على المستوى الجماعي، فالكاتبة ناقشت هذه القضية بعمق واستفاضة في روايتها «الاختيار» حيث ناقشتها في مسألة الانتخابات التي أجريت حول اختيار الحاكم من أهل القرية والذي يمثلهم في مجلس الشعب ، ووضحت من خلالها تأثير الاحتياج المادي والجوع والنقص على إرادة الإنسان وحرية من خلال آراء الناخبين من أبناء القرية ممثلة في أسرة «حمدان» ص 34،33، حيث يتضح أن مع الفقر يمكن أن يبيع الإنسان رأيه وإرادته وحرية مقابل ما يسد به جوعه ويستتر به جسده .

فرؤية الكاتبة هنا واضحة تعبر عن مدى ما يتمتع به الإنسان من حرية حقيقية مع الفقر والاحتياج على لسان حسن:» اقدر افهمهم ليه ما ياخدوا الفلوس ويسدوا احتياجاتهم الملحة مقابل الواحد يقول نعم بس ...لما يأكلوا حتى يشبعوا ولما يعرفوا الفرق بين الحلال والحرام ، لما يطمئنوا بكره أحسن من اليوم وإنه اذا مرضوا حيلقوا علاج ..في ذاك الوقت هم لوحدهم جيعرفوا يختاروا منو»<sup>(2)</sup> .

إذن الرؤية تتضح في أنه لا يمكن أن نطلب رأياً حراً من إنسان محتاج وعبد لاحتياجاته وفقره . فالإنسان الجائع لا يمكن تصنيفه على أنه إنسان حر، فالجوع والحاجة يجعلان منه عبدا لا يملك حرية التعبير ولا حرية الاختيار. فالأفكار التي جاءت على لسان الشخصيات في هذه القضية تعبر عن وجهة نظر الكاتبة تنقلها عبر شخصياتها ، وربما تعبر بها عن موقف سياسي لها . وتؤكد زينب على نظرتها تلك بتغير الأحوال الاقتصادية وتحسنها بعد ازدياد الدخل عن طريق الأبناء ، لذلك تغيرت نظرة الناس في الانتخابات بعد ذلك ، وأصبح لهم قدرة أكثر على الاختيار بانتفاء الجوع والفقر وبالتالي ازدياد الحريات ، واختاروا ما روه خير لهم وأصلح .

## 5. الفقر والصراع الطبقي:

ارتبطت قضية الفقر بالمجتمع الطبقي «وما خلفه التركيب الطبقي من صراعات عميقة ، بسبب الفوارق الناتجة عن التمييز الاجتماعي. ثم ما ارتبط بعضه بالفقر في قضايا

(1) رواية نبات الصبار ، ص 108 .

(2) رواية الاختيار، ص 34 .

جانبيه أخرى، مثل تطلع أبناء الطبقة الفقيرة إلى الوصول إلى مكانة أبناء الطبقة الغنية وما يلاقي هؤلاء الفقراء من صعوبات تكون حائلا في سبيل تحقيق رغباتهم، ثم موقف الطبقة العليا من الطبقات الأخرى المتوسطة»<sup>(1)</sup>.

وهذه القضية وما ارتبط بها تقرب في مضمونها من مضمون روايات زينب بليل جميعها، حيث تناقش فيها قضية الفوارق الطبقيّة في المجتمع، تلك الفوارق التي تتسبب في الأزمات النفسية والمادية لشخصياتها وتصورهم باحثين عن المساواة والعدل. وصراع الطبقات متكرر في كل رواياتها، وقد تناولت قضية الصراع من جانب واحد وهو الصراع بين الغنى والفقير، الذي هو في حقيقته صراع بين الخير والشر، «فمن طبائع الحياة والأشياء أن يمتد الصراع بين «الخير والشر» بين القوى التي تطمح إلى تحقيق العدالة والحرية وهم الفقراء، والقوى التي ترفض نداء الحق وتلجأ إلى القوة الغاشمة سلاحا وحيدا لاستعباد الإنسان وقهر إرادته وتجويعه وهم الأغنياء. وهذه هي المعادلة وان تغيرت أركانها في كل عصر وفي كل جيل»<sup>(2)</sup>.

وهذا هو مفهوم الصراع الذي ناقشته زينب في كل رواياتها، فقسمت الحياة والناس إلى عالمين عالم الخير وهم الفقراء وعالم الشر وهم الأغنياء، فرواية «الاختيار» مثلا بالرغم من أنها أول رواياتها إلا أننا نجد فيها نضجا واضحا من خلال تصوير الصراع الطبقي وتطلع أبناء الطبقة الفقيرة إلى بلوغ مستوى الطبقة العليا في المجتمع. فأبناء «حمدان» أرادوا دائما تغيير أوضاعهم المعيشية إلى الأفضل وتطلعوا إلى الارتقاء بأنفسهم حتى يتساووا مع الطبقة العليا ويصلوا إلى مستواها.

فقد صورت الكاتبة هذا الصراع من خلال عدة شخصيات وأحداث، فمثلاً رفض «السيد محبوب» الإقطاعي الثري زواج ابنه «علي» من «آسيا» الفقيرة كان بسبب الفارق الطبقي ص 80،79. فهو السبب في تفرقهما، مما أدى إلى شقاء «آسيا»، وانطلاقاً بالأزمة إلى مداها نجد الفقر والفارق الطبقي يؤدي إلى موت البطلة وانتحارها.

وكذلك بسبب الفارق الطبقي رفضت زوجة محبوب زواج ابنتها «نعمات» من «مصطفى» الفقير. كما ناقشت الكاتبة مسألة الصراع الطبقي عبر الحوار الطويل الذي دار بين الطاهر وليلى ووضحت من خلاله آراءها وأفكارها التي تؤمن بها:

« - ليلي..من أقدم الصراعات في العالم الصراع بين الطبقات وأنا لا أريد أن أشقيك معي ولا أريد أن أبعثر حياتنا في محاولة إقناع نفسي بقبول تفكيرك أو إقناعك بأن تفهمي

(1) الاتجاه الواقعي في الرواية السودانية الحديثة د/ بشير عباس بشير، ص 55،54.

(2) انظر تحولات السرد- دراسات في الرواية العربية د/ إبراهيم السعافين، ص 107.

تصرفاتي... لن تقبلي الكثير من أفكاره ولن تتحملي تصرفاتي»<sup>(1)</sup>.

فصورت حياة الفقراء وما يعانونه إزاء الفقر، وقارنت بين حياة الفقراء والأغنياء « أنت ابنة وحيدة لرجل غني جدا.. أب أعطاك في سخاء... وأنا ابن بين سبعة أخوة... نشأت في بيت أكثر من فقير يضم اثني عشر شخصا.. نجتمع كلنا حول صحن واحد نأكل منه جميعا»<sup>(2)</sup>. ولكن الكاتبة تتحيز للفقراء وتؤيد مبادئهم وقيمهم «ارتباطي بهم ليس هو العلاقة العادية التي تربط الإنسان بأهله.. شعوري نحوهم هو الانتماء الحقيقي.. الحب الحقيقي.. الوفاء والعرفان ولن تحتملهم.. مفهومهم للحياة يختلف عن الأغنياء.. وإذا تزوجنا أنا أتوقع منك تعاملهم كما أعاملهم ولن أسمح في أي تقصير أو إساءة توجه لهم ولن تستطعي احتمالهم... ابنة سيد القبيلة.. لن يعجبها أن يأمرها رجل من الرعية.. الأميرة لن يعجبها أن تنفذ دون مجادلة وقد لا تنفذ إذا لم تقتنع ولن يرضيني هذا وهنا التحدي وتتدخل الكبرياء والكرامة... لا أريد أن تنقلب هذه المعاني بسبب المعاناة والصراع من أجل التوافق... أو العذاب من عدم القدرة على التوافق»<sup>(3)</sup>.

وتناقش الكاتبة هنا إمكانية التعايش بين الطبقتين من خلال هذين النموذجين «الطاهر» و«ليلي»، ويتم التوافق بينهما ويتزوجان دون مشاكل ويعيشان سويا، وهذا يدل على انتصار طبقة الفقراء وإمكانية ارتقاءها للوصول للطبقة العليا. وتناقش الكاتبة جوانب الصراع في الرواية وتعكس مدى تحالف قوى الإقطاع الممثلة في ملاك الأراضي و«محبوب» ضد الطبقة الفقيرة «كبر السيد محجوب جدا.. وصغر الباقون.. صار موظفوه يماطلون في الدفع وكثيرا ما يخرج المزارع بربع ما كان يتوقع»<sup>(4)</sup>.

أما في «كش ملك» فقد وضع الصراع جليا بين الغنى الذي يمثله «وقيع الله» وبين الفقر الذي يمثله «الطيب»، وقد تركز الصراع حول «وقيع الله» عندما تخلى عن مبادئه للحاق بركب الطبقة الارستقراطية، ولكنه انهزم أخيرا أمام الفقر ومبادئه وقيمه فرجع «وقيع الله» من حيث أتى، وهنا توضح الكاتبة عدم إمكانية تعايش الفقر مع الغنى وانتصار الطبقة الدنيا على العليا.

وفي «نبات الصبار» عمقت الكاتبة الصراع الطبقي أكثر من روايتها السابقتين «الاختيار» و«كش ملك»، حيث عبرت الكاتبة عبر منظور ايولوجي محدد يؤمن بحتمية

(1) رواية الاختيار ، ص 45.

(2) السابق ، ص 45 .

(3) السابق ، ص 45 .

(4) رواية الاختيار ، ص 66 .

الصراع بين الطبقات ، فقسمت البشر إلى قسمين عالم الأغنياء من وراء الجدار وعالم الفقراء من أمام الجدار ص 37 ، 38 . ووفقا لهذا التقسيم كانت المفارقة والتقابل الفادح بين سكان الأحياء الشعبية المهمشة «مدينة النار» ممن يعيشون تحت خط الفقر، وبين سكان القصور الذين يصلون جنون الثروة «المدينة المضيئة» «على ضفتيه منازل من الطين .. أبوابها صغيرة ونوافذها صغيرة وفضاءاتها ضيقة لذا يقضي السكان معظم أوقاتهم في الشارع يحده من جهة الشمال سور بطول الشارع يحمي المدينة المضيئة ذات العمارات الشاهقة والشوارع المسفلتة والحدائق الغناء من الأتربة .. ثم فضاء واسع .. أوسع من مساحة بيوت الشارع عرضا، في ذاك الفضاء أنوار كاشفة»<sup>(1)</sup>.

وتقارن الكاتبة بين حياة المدينتين وعيشتهم ومأكلهم ومشربهم، وكأنها تريد الكاتبة إبراز التناقضات الطبقيّة القائمة في السودان . وتعرض للصراع الدائر بين قوى الخير الممثلة في أهل «شارع النار» وبين قوى الشر الممثلة في السلطات ، والصراع في حقيقته صراع ضد الطبقة الفقيرة .

وجانب من جوانب الصراع كذلك نلمسه في هجرة «احمد» ليصل إلى الطبقة العليا، وكذلك نجده في موافقة «الحسين» على زواج «خديجة» من الارستقراطي «خالد»، ولكن هل زواج «خالد» من «خديجة» يمكن أن يرمز إلى انتصار الطبقة الغنية على الطبقة الفقيرة ، وانهزام «احمد» بعدم زواجه من «خديجة» انهزام الطبقة الفقيرة .

وتعاطفت الكاتبة مع الفقراء في كل رواياتها، ووفقا لرؤيتها لمظاهر الفقر والتخلف، دفعها الحماس إلى النظر إلى كل فقير حسن وكل غني سيء ، وبناء على هذه النظرة ناقشت مشكلة الغنى والفقر والفارق الطبقي في رواياتها ففي نبات الصبار» تناقش هذه المشكلة على لسان الطالبات وآرائهن حول الغنى والفقر والتي تلخصت في أن أغلب الأغنياء أموالهم من مصادر غير شرعية، وإِنَّهم يهضمون حق الفقراء ويستولون عليّ تعبهم وكدهم ص 71،72،73. وفي رواية «الاختيار» تتكرر هذه النظرة للأغنياء :

« - ما دايرين نغنى ..يا هو نبقى زي الغنيانين الله يوديهم النار ؟

منو قال الغنيانين الله يوديهم النار؟

ايوه..عشان ما بدوا الناس البشتغلوا معاهم حقهم»<sup>(2)</sup>.

وهذه النظرة من قبل الكاتبة نظرة قاصرة على جانب واحد محدد من القضية ، فهي لم تنظر إلى كل من الفريقين نظرة شمولية عامة .

(1) رواية نبات الصبار ، ص 13 .

(2) رواية الاختيار ، ص 16 .

وقدمت زينب من خلال رواياتها الصراع الطبقي الذي يكمن داخل الشخصيات، «ويبدو أكثر ما يكون وضوحاً عندما تخفت حدة الأخلاق والتقاليد والعرف لتفسح المجال أمام المطامح البشرية التي تكاد تقتل الجانب الأخلاقي تماماً»<sup>(1)</sup>، فكل الشخصيات تريد الوصول إلى تلك الطبقة، وقد اتخذت عدة طرق، منها ما حدث من سقوط كل من «الملك» وأخته «سيدة» و«سعاد» و«محاسن» في «كش ملك» و«آسيا» و«علي» في «الاختيار» وهو «السقوط المادي المتعارف عليه في المجتمعات الأخلاقية كالمجتمع السوداني، والذي ينتج عن علاقة غير مشروعة بين الرجل والمرأة، وهذا فضلاً عن السقوط المعنوي الذي ينجم عن التنازل عن قيم ومبادئ أخرى»<sup>(2)</sup>. وقد عرضت الكاتبة لأنواع هذا السقوط ليس بهدف سرد فضيحة ما، ولكن بهدف البناء الاجتماعي وما يحدث فيه من جراء هذا الفارق الطبقي ومعالجته.

أما قضية الحب المحروم التي قدمتها زينب في رواياتها، فقد كانت معادلاً موضوعياً لقضية أخرى، وهي الفقر باعتباره سمة مميزة في فترة وضح فيها التفاوت الطبقي، فالبطل «الرجل» في رواياتها لا ينال الفتاة التي أحبها وتمناها مثل «آسيا» و«علي» في «الاختيار»، و«الملك» و«مريم التوم»، و«محبوب» و«الروضة»، و«الطيب» و«سعاد» في «كش ملك»، ومن وجهة نظرها إن المال والحب اتجاهان مختلفان لطريق واحد هو طريق الحياة، ولا يستطيع المرء أن يسير في الاتجاهين في الوقت نفسه.

وأخيراً فإن روايات الكاتبة في مجملها عبارة عن نقد اجتماعي وفضح للطبقة الأرستقراطية التي ترفض الكاتبة الأسس التي تقوم عليها قيمها البالية. وكذلك كشف عن المساوي التي يولدها الفقر والتفاوت الطبقي، حيث تجسم رواياتها العيوب الطبقيّة، فالفقراء وحدهم تحملهم التحلل الأخلاقي وضياع القيم، أما أبناء الأغنياء فإن نصيبهم أكبر في الوظائف والمناصب العليا.

## مكافحة الفقر :

ناقشت زينب بليل كيفية مكافحة الفقر وذلك عن طريق تغيير أوضاع الفقراء، فرواياتها على المستوى الإنساني تحمل داخلها رسالة تطمئن بها الفقراء مضمونها أن الوضع سوف يتغير، ولسان حالها يقول: «أنت لست وحدك». فهي تؤمن بحتمية التغيير والتقدم وتنادي في رواياتها ولقاءاتها بهذا التطور الذي تتمناه للسودان ليلحق بركب الدول المتطورة. وتعاقب الأحداث في رواياتها يعكس مشاكل المجتمع السوداني ومعالجتها، خاصة مشكلة

(1) الشخصية وأثرها في البناء الفني لروايات نجيب محفوظ د/ نصر محمد إبراهيم عباس، ص 176

(2) انظر الشخصية وأثرها في البناء الفني لروايات نجيب محفوظ د/ نصر محمد إبراهيم عباس، ص 176

التقدم الذي رمزت له بالتغيير والتطور الذي أصاب القرية والمدينة .  
وقد عرضت في جميع رواياتها كيفية التغيير وحتميته، وصورت جميع أبطال رواياتها يصرون على التغيير، ووضحت أن بداية التطور والتمدد تكون عن طريق التعليم « والشعب الذي يدرك أهمية هذا الجانب، يعتبر شعباً قابلاً للتحضر مهما كان تخلفه»<sup>(1)</sup>.  
ففي «الاختيار» يتم التغيير بواسطة تعلم الشباب من الجنسين حتى المرحلة الجامعية ومساهماتهم في التغيير مثل أبناء «حمدان» وشباب القرية، الذين أحسوا بالظلم والفوارق الاجتماعية، ففطنوا إلى أهمية العلم الذي «أصبح سلاحاً في أيدي أعداء أهل القرية رمز الجهل والتخلف، الذين ينتظرون جيل جديد ينحاز إلى العلم ضد قوى الشر لصياغة عالم خير جديد»<sup>(2)</sup>، وتقدم الكاتبة مشهد فرحة الناجحين باجتياز شهادة دخول الجامعة « كل الناجحين في الحي تجمعوا ورقصوا... تماسكوا كجدار صلب... وغنوا بحناجر قوية.. كأنهم يقسمون بذلك التراب الذي سقوه عرقاً ودموعاً.. بأنهم سيواصلون الزحف وقوفاً دون انحناء مهما دفعوا من ثمن... لا يأس.. لا تراجع.. لا خوف مهما طال الليل وكبرت العثرات»<sup>(3)</sup>.  
ومن خلال هذا المشهد تنقل الكاتبة وعي الشباب بدورهم في التغيير، وإصرارهم على التقدم مهما كانت الصعوبات لتحقيق أعظم الرسالات. وقد أثمر السعي وكللت الخطوات بالنجاح فكان التغيير، عن طريق العلم وزراعة الأرض التي جلبت لهم المال ص70، وناقشت الكاتبة مسألة التغيير كذلك من خلال اختيار الحاكم في الانتخابات، فلكي يستطيع أهل القرية اختيار الحاكم لا بد أن يغيروا من أفكارهم ويبدلوا أحوالهم، وتطرح الكاتبة هذه القضية من خلال دور المتعلمين فيها:

« يلزمهم جهد جهيد ليفهم أهلهم أهمية الاختيار وأهمية التغيير ولماذا يجب أن يكون بأيديهم دفعة مقاديرهم منهم يحسون معاناتهم... عليهم أن يفهموا أن في دواخلهم قوة جبارة لم تستغل، قوة يمكن أن تبني وتعلم وتقلب الليل نهاراً... يجب أن يفهموا أن لا شياطين ولا ملائكة يمكن أن تصنع لهم خبزاً أو دواء.. لا احد غيرهم... وهم فقط الذين بإمكانهم أن يبدلوا حالهم»<sup>(4)</sup>.

وتصر الكاتبة على التغيير وتحرض عليه «عليهم أن يلفتوا انتباههم: أنهم يعيشون زمناً يزداد فيه الأغنياء غنىً ويزداد الفقراء فقراً والأغبياء غباء.. عليهم أن يوضحوا لهم

(1) الرواية السودانية الحديثة د/ بابكر الأمين الدرديري، ص 266.

(2) انظر تحولات السرد- دراسات في الرواية العربية د/ إبراهيم السعافين، ص 107

(3) رواية الاختيار، ص 35.

(4) رواية الاختيار، ص 7..

ليعرفوا أن الأرض لكل من يمشي عليها وأن الفاكهة والحليب... قد خلقها الله لهم لا ليجمعوها ويشموها فقط بل حق لهم»<sup>(1)</sup>، وليتم العدل والمساواة لابد أن يتم التغيير « يجب أن تتعادل كفتا الميزان، والمساواة»<sup>(2)</sup>.

وتطرح زينب سؤال في الرواية: هل التغيير سهل وسريع؟ وبدلاً من مناقشته جعلت الرد في جملة واحدة «فاز حسين حمدان ضد السيد محبوب»<sup>(3)</sup>. فقد طرحت آراءها حول التغيير، ولكنها لم توضح كيف تم ذلك بل رمزت إليه فقط بفوز حسين الفقير ضد السيد محبوب الاقطاعي، لأنه منهم فاتفقوا وتوحدوا لذلك فاز «وعندما تأزم الموقف وفي اللحظة الحاسمة.. توحدوا... لأن الهدف واحد.. هو تحرير الإنسان... تنازلوا كلهم لواحد فرجحت كفتهم وفاز حسين»<sup>(4)</sup>.

أما في «كش ملك» فقد ظهر التغيير عن طريق العمران الذي تغير في الخرطوم والذي لاحظته «الملك» بعد عودته من غربته ص 150. وقد ناقشت الكاتبة في الرواية مكافحة الفقر عن طريق بعض الشخصيات التي عاشت حياة الهوان والحاجة التي يعيشها جزء من المجتمع يمثله وقيع الله وأمه وأخته، فشخصية «وقيع الله» «الملك» عانت الفقر والحاجة، وشعر بضرورة الثورة وعدم السكوت على ما أحس به من اضطهاد وفقر وإحباط. فأراد أن يغير فقره ولكنه سلك طرق غير سوية، وصفة الانتهازية التي تميز بها ليس صفة نفسية محضة بل يمكن أن تكون صفة عرضية ولدتها الظروف الاجتماعية، وليس صفة نمطية فيه على نحو ما صورتها الكاتبة، فشخصية «الملك» شخصية تحمل في جوانبها تطلعات ورؤى تهدف إلى تحقيقها وتطمح إلى المجد. وهناك شخصيات أخرى أحست بوجود التغيير، فانطلقت من قمم الفقر لتبعث في حياتها روحاً سعيدة، ودفعتها طموحها للتقدم إلى الأمام ولكن بطرق مشروعة، ولم تصبح ضحية للفقر مثل «مريم التوم» و «زهرة الملك».

وأما «نبات الصبار» فقد كان التغيير فيها كبيراً ومكافحة الفقر كانت من عدة جوانب، منها المستشفى التي بنيت، والمرأة التي أصبحت طبيبة، وكذلك في حفر البئر لجلب المياه التي هي مصدر لكل تقدم وتغيير. وتعكس الرواية التطور الحضاري والاجتماعي الذي بدأ يستوعبه سكان «شارع النار» البسطاء الذين يعيشون حياة فقيرة حياة المهمشين

(1) السابق نفسه الصفحة نفسها.

(2) السابق نفسه الصفحة نفسها.

(3) رواية الاختيار، ص 71.

(4) المرجع السابق، الصفحة نفسها.

في المجتمع، ويحاول سكان الشارع زيادة رزقهم وتوسيعه ويخرج بعضهم من الشارع مثل «احمد» الذي سافر إلى الخارج بحثا عن الرزق، وتخرج كذلك الفتيات لتحسين أوضاعهن فيعملن في المنازل، وحلم جميع السكان بالتغيير» لماذا نشقى نحن ليسعد الآخرون؟ لماذا نخدم من شروق الشمس حتى غروبها ويكون نصيبنا فتات الموائد وفتات الجيوب؟ وارخص ما في الأسواق؟<sup>(1)</sup>. فانتقل بذلك مجتمع الشارع إلى طور جديد من أطوار التقدم والحضارة. إذن فقد كانت أزمة الشارع في الحصول على المال وسيلة لتغيير الأوضاع، لذلك ركزت الكاتبة على وصف الشارع وصفا تفصيليا دقيقا، لنلمس التغيير الذي حدث فيه بعد ذلك، وتعد الكاتبة هذا الشارع نموذج للمجتمع بأكمله.

وتوضح أن التغيير لا يمكن أن يتم إلا بالتعاون والمشاركة الجماعية. ولا بد أن ينبع التغيير من أنفسهم، وتعبّر عن ذلك «إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم». وجانب من جوانب التطور تمثل في حفر البئر، فقد دارت حول الماء كثير من أحداث الرواية وهو رمز للتجديد والنماء، لأن الماء عنصر مهم من عناصر الحياة، بل يمكن أن يتوقف سير الحياة على الماء، خاصة في تلك المنطقة «شارع النار» التي اعتمدت على الآبار الجوفية في كل شؤون حياتها، والكاتبة تبرز عمق المأساة التي تعرض لها السكان من جراء انعدام الماء الذي تتوقف عليه حياة السكان وحياة ماشيتهم بل ارتباط مصيرهم به» نحن بنستحم في الأسبوع مرة وما بنغسل ملابسنا إلا للضرورة، البهائم ماتت من العطش والشجر حرق.... يشترون الماء من الكاروهات بأسعار غالية لأنها تنزل نقطا، لا اندفاعا ولا انهمارا»<sup>(2)</sup>.

وتعرض الكاتبة صورا للمدينة وأحوالها من جراء انعدام الماء» حتى الطيور رحلت.. الأشجار ما عاد لها ظل ولا ثمار.... صار فضاء المدينة مشبعا برائحة البول والبراز والجيف»<sup>(3)</sup>. ولكن الوضع يتغير بوعي السكان بأهمية الماء للحياة، فتم حفر البئر بالعون الذاتي، حيث كانت هناك مشاركة وتعاون تام من سكان «شارع النار» في انجاز هذه المهمة ص244، وتصور الكاتبة التحول والتغيير الذي طرأ على المدينة بعد حفر البئر وتوفر الماء» نظفوا المنازل والشوارع وحرقوا الأوساخ. صارت المدينة كأنها لم تستعمل من قبل.... حفروا أحواضا لأشجارهم اليابسة وسكبوا فيها ماء لحد الامتلاء.... غسلوا كل شيء الملابس الأواني وأحذيتهم.. غسلوا شعرهم.. وغسلوا حيواناتهم وكانوا يتنافسون.. من سيكون الأنظف بللوا الأرض كلها بالماء ليستمتعوا بعطر التراب وملمس الطين.. أعجبهم المظهر الجديد لمدينتهم

(1) رواية نبات الصبار، ص 21.

(2) رواية نبات الصبار، ص 238.

(3) السابق، ص 24..

فقرروا أن يظل كذلك أحسوا أنهم بخير وغدا حتما سيكون أجمل»<sup>(1)</sup>. وتؤكد الكاتبة هنا أهمية الماء بالنسبة للحياة الكريمة ، وبالنسبة للأجيال القادمة فالتطور أولاً يبدأ بالماء وجانب آخر من جوانب التطور في «مدينة النار» وهو بناء المستشفى الذي تم بجهد أبناء الشارع وكفاحهم متمثلاً في احمد الذي اغترب سنين ليأتي بالمال ويحقق الحلم الذي طال ما راودهم ص244، ونجد تعاون بين سكان المدينة لبناء المستشفى، فكل مواطن يريد أن يساهم فيه حسب مجاله وفي حدود طاقته ، وهذا يرمز إلى التطور وإلى عنصر التجديد ، أي بدأ يظهر في الشارع جهد الشباب وكبار شارع النار أصحاب الخبرة والمعرفة أمثال الحسين» كل يعمل ما يروق له وبدواء يعملون ..كلهم...فصاروا لا يتوقفون ليلا ولا نهارا...اكتمل بناء المستشفى ووقف شاهقا وضخما وجميلا في وسط المدينة»<sup>(2)</sup> . وتنتهي زينب روايتها بتشبيد المستشفى والحلم الذي تحقق ، وتأتي في النهاية الصورة الجديدة لهذا الشارع بعد تغييره الذي شمل الاسم كذلك .

«وهذه المشاركة الجماعية التي لمسناها من جانب السكان رجالهم ونسائهم هي التي دفعت بهم نحو التقدم والتطور ، والشعب الذي يفعل ذلك يتحقق له التطور الحضاري الذي ينشده»<sup>(3)</sup>. لذلك تؤكد الكاتبة بأن التجديد والتغيير لا يمكن أن يحدث دون عمل وكفاح ، وكل جهد في هذا الجانب يؤدي ثماره إن عاجلا أو آجلا ، فقد استوعب سكان المدينة الاسلوب الحضاري الجديد بسهولة وتعاملوا معه بوعي وفهم لذلك كان عطاءهم بلا حدود، وبهذا الوعي والفهم تستمر عجلة التقدم والتطور حتى تبلغ مكانتها التي يتطلع لها أفراد الأمة والوطن .

وبناء المستشفى وحفر البئر بالعون الذاتي يؤكد عجز السلطات عن الوفاء بحاجة الأهالي، كما يعكس مؤشرا حضاريا في حق الجيل القادم بأن يخرج إلى الحياة وهو يحمل سلاح من أسلحة العصر الحاضر وهو العلم والصحة فهما وجهان لعملة واحدة ، فتعلم سكان «شارع النار» هو الذي أوصلهم لفكرة بناء مستشفى ، وبالعلم والصحة تتحسن أحوالهم الاقتصادية والاجتماعية ، فيتخلصون من العادات والتقاليد الاجتماعية البالية التي كانت تشدهم إلى الوراثة وتدفع بهم إلى ظلام الجهل والخرافة التي كانوا يعيشون فيها اسر الظروف البيئية المتخلفة في كل مقومات حياتها الصحية والمعيشية والاقتصادية .

(1) السابق ، ص 246 .

(2) رواية نبات الصبار ، 252.

(3) الرواية السودانية الحديثة ، د/ بابكر الأمين الدرديري ، ص 267 .

## المبحث الثالث الصراع السياسي والحضاري



صورت زينب بليل ملامح الحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية للسودان في فترة معينة من تاريخه . ورصدت الصراع الفكري والاجتماعي والسياسي بعد الاستقلال بإحساس عميق من وجدانها ، فقد اختلفت المواقف السياسية، وتضاربت الآراء حول الحضارة، بعد الاستقلال خاصة ، ولكن مهما كانت المواقف السياسية والمشاكل التي تعرض لها السودان خلال الاحتلال البريطاني، فلا شك أن المجتمع السوداني قد تأثر تأثيراً مباشراً في كافة مظاهره سواء على المستوى العام لحياة الأفراد أو على المستوى الخاص لحياة الشخصية اليومية . وقد تناولت زينب بليل في رواياتها الصراع السياسي، وتعرضت للأوضاع السياسية وانتقدتها، كما صورت الصراع الحضاري بين الشرق والغرب ، ووضحت رائها فيه ، ولكن بالرغم من ذلك فإن الصراع عندها - بصورة عامة - أساسه الصراع الاجتماعي لذلك لا نجد للقضايا السياسية والحضارية وجوداً كبيراً .

### أولاً : الصراع السياسي :

لم تقف زينب بليل أمام الأحداث السياسية التي مر بها السودان في فترات من حكمه موقف المتفرج المستعرض لأرائه واتجاهاته ، وإنما وقفت موقف المنتقد لها الذي يحاول أن يجد الحلول . وقد تناولت زينب الصراع السياسي من نقطتين الأولى الصراع بين الساسة والشعب ، وعرضت من خلاله بعض القضايا السياسية . أما النقطة الثانية فصورت فيها الصراع الفكري بين فكرين مختلفين . ويلوح في أفق رواياتها إشارات كثيرة كانت دلالاتها تتوارد فيما يمكن أن نسميه انتقاد الوضع السياسي الذي كان قائماً في السودان في حقبة سابقة ، من خلال إشارات الانتخابات في رواياتها «الاختيار» أو جهاز الأمن في رواياتها «كش ملك» أو صراع أهل شارع النار مع السلطات في رواية «نبات الصبار» . ففي رواية «الاختيار» و«نبات الصبار» يبدو الصراع سياسياً تعود أسبابه إلى الظلم والفساد الناجمين عن الطبقية والطائفية في الحكم والساسة ، التي سلبت من المجتمع قيم الحرية والعدالة والمساواة، ثم تحول الصراع إلى صراع اجتماعي، صراع القوى بين الضعفاء وبين الأقوياء الذين حازوا قدراً من القوة والجبروت بفضل المال، وهو صراع دائم ومستمر على مر الأزمان . أما في «كش ملك» فتسجل الكاتبة كثيراً من صور الفساد السياسي والاجتماعي ، كما تصور كثيراً من صور الظلم وانعدام العدالة .

ورواية «الاختيار» رصدت الكاتبة من خلالها الانتخابات البرلمانية لاختيار عضو من الشعب يمثلهم في البرلمان ، وقد نقدت الكاتبة هذه الانتخابات التي توضح أنها غير نزيهة وعادلة بل ترشح من كان في موقف القوة والجبروت والغنى ، حيث رشح «السيد محبوب» نفسه ، وأراد الفوز عن طريق المال ، وذلك بتجنيد أهله ونفر من أهل القرية للعمل في الحملة الانتخابية «اسمعي يا آسيا عمك أبو نعمات نازل انتخابات..شدي حيلك عشان

تشتغلي مع نعمات.... شغلكن تمرن على النسوان ..تكلّموا كل واحدة ما تدي صوتها إلا لعمك أبو نعمات ..البتلقنها من صفنا ومتحمسة لينا خلاص ..والبتلقنها كدي ولا كدي جييوها بالقروش ..من جنيه لعشرة»<sup>(1)</sup>.

وهذا يوضح انتخاب الشخص دون معرفة جهوده ومساهماته ، كما يوضح استغلال المنتخبين لفقر الأسر وحاجتها. وقد فاز «السيد محبوب» بالانتخابات التي اشترى فيها الأصوات لصالحه . وهنا تصور الكاتبة جانب من فساد السلطة ، ونظرتها للانتخابات البرلمانية .

وفي«كش ملك» ترصد الكاتبة جانب آخر من ظلم النظام الحاكم في تلك الفترة، حيث تتعرض لجهاز امن الدولة ودوره في كبت الحريات ومصادرتها ، فتصور جهاز الأمن ورصده لتحركات الناس وحياتهم عن طريق اخذ تقارير كاملة عنهم ص 26 . كما تصور دور جهاز الأمن في الحد من النشاطات السياسية المعادية للنظام، وطرقه الملتوية في قمع المعادين عن طريق السجون والتعذيب، ويتم ذلك من خلال استغلال الأشخاص ذوي النفوس الضعيفة لينهضوا بالمهمة، فقد استغل الجهاز «وقيع الله» للوشاية بأصدقائه وزجهم بالسجون « الوظيفة كالاتي: تنتمي لهؤلاء الجماعة . كيف ؟ هذا الأمر متروك لك ..تكون يقظا ومنتبها ، لا يجب أن تترك أي مجال للشك فيك ، فأنت عضو مخلص وأمين ..المطلوب ماذا يقال في الجلسات الخاصة ..لماذا يخططون؟ أين ستقام الاجتماعات .من هو الرأس؟ كيف يجندون كادرا جديدا..من أين التمويل ..يجب أن تكون نشطا وموثوق بك... ..سيكون لك راتب محترم .....نريد معرفة الرؤوس المخططة ولك ما تشاء من مكافأة»<sup>(2)</sup>.

اما في «نبات الصبار» فيتضح الصراع بين ابناء الشعب من الفقراء وبين السلطات ، فقد صورت الكاتبة مواقف عديدة بينهما ، تتمثل في مطالبة سكان «شارع النار» بالشرب من البئر الارتوازية التي تقع في الجانب المقابل للشارع ويفصل بينها وبين «شارع النار» سور سميك من الأشجار فقام السكان بحرق السور، وكان عقابهم من السلطات أن امرتهم بهدم منازلهم «عليهم أن يهدموا بيوتهم ويرحلوا فوراً..كيلوا مترات...بعد الخور وشرعت السلطات في بناء سور مسلح مكان الأشجار»<sup>(3)</sup>، ولم يعرف سكان الشارع ماذا يفعلون ازاء هذا الامر«هل ينصاعوا ويقبلوا بالأمر مثلهم مثل اغنامهم والدجاج؟ لماذا لا يقاوموا؟ لكن كيف تكون المقاومة ؟ وهم عزل....واغلبهم لا يعرف القراءة أو الكتابة!... واغلبهم لا يعرف

(1) رواية الاختيار ، ص 32 .

(2) رواية كش ملك ، ص 26 .

(3) رواية نبات الصبار ، ص 38 .

أن له حقوقاً على الآخرين ! كثيرون لا يعرفون جهة ترفع لها المطالب غير السماء»<sup>(1)</sup>، ولم ينفذوا الأمر ولم يقطعوا الأشجار «ومع مغيب الشمس احاطت بهم الجرافات والرجال المدججين بالسلاح أنذروهم بمكبرات الصوت ثلاث مرات ، لم يتحرك احد وفي المرة الرابعة سارت العجلات الضخمة فوق الحيطان الهشة وساووها بالأرض»<sup>(2)</sup>، وهذا يدل على قهر السلطات الحكومية للمواطنين العزل وقمعهم . وتظهر الكاتبة جانباً من احتجاج السكان على السلطات من خلال بعض الهتافات لإسقاط نظام الحكم ص 44 .

ويظهر جانب من الصراع بين السلطات وسكان الشارع في هدم السكان للجدار الفاصل بين المدينتين «مدينة الاغنياء» المدينة المضيئة» وبين مدينة الفقراء «مدينة النار» ليحصلوا على الماء ولكن السلطات شرعت في بنائه مرة أخرى ، مما اشعل غضب السكان وذهبوا للقاء الحاكم للمطالبة بالمياه ، وهنا تظهر الكاتبة ظلم السلطات للمواطنين وقمعهم بالقوة الجبرية مما اضطرهم للتراجع والتقهر، «صفق الحشد وهتفوا بحياة الحاكم لكن ، قال معاون الحاكم في همس لا يسمعه غيره :

لنرشم بالنار ونهني شيئاً اسمه مدينة المستنقعات ..

رد الحاكم : ذاك هو الرأي الصواب .. أعط أمراً بذلك قبل فوات الأوان..»<sup>(3)</sup>، وصوبوا رصاصهم عليهم فمات نصف السكان في تلك الحادثة .

أما بالنسبة للصراع الفكري السياسي فقد صورته الكاتبة في روايتها «الاختيار» التي تعود أهميتها إلى كونها من أولى الروايات السودانية التي سجلت ملامح الصراع الفكري والاجتماعي والسياسي بعد الاستقلال، حيث ركزت الكاتبة الاضواء على ازمة المثقف السوداني وحيرته أمام القوى الفكرية والطائفية المتصارعة من بينها قوى اليمين واليسار، فوجد المثقف نفسه في موقف صعب، عليه أن يختار فيه واحداً من طريقتين، أما أن يبقى على ما يؤمن به أو أن يختار طريقاً آخر .

وصورت الكاتبة هذا الصراع بين الفكرين اليساري واليميني من خلال شخصية «بدرية» الممثلة للفكر اليساري و«حسين» الممثل للفكر اليميني. فقد احتدم الصراع داخل نفس «بدرية» التي وقعت فريسة لصراع نفسي مرير، تتأرجح فيه بين الإنتماء الإشتراكي وبين تطلعاتها الذاتية «حسين .. أنا لا أودى أحداً.... أحب الجميع وأتمنى أن يكون في استطاعتي أن أساعد الجميع... لا أطمع أبداً طلباتي بسيطة جداً حتى أستطيع تحقيقها .....

(1) السابق ، ص 38 .

(2) السابق ، ص 38 .

(3) رواية نبات الصبار ، ص 52 .

لا أريد أكثر من أن تظل تحبني رغم تفكيري الذي قد يغضبك أو يقلقك»<sup>(1)</sup>، ويتجلى هذا الصراع في موقفها من «حسين»، الذي تحبه ولكنها لا تريد أن تتخلى عن مبادئها «كل ما اطمع فيه حياة مستقرة.. بلا مشاكل أو اضطرابات.. أن نرى الوجود بأعيننا نحن.. هل هذا كثير؟... أفكر بطريقتي أنا وأحس إحساسي أنا.. هل تراني لا استحق الحب أو المعاشية لأن هذه أنا؟..... لماذا تعتقد أنني مخطئة؟ لماذا لا تحترم مبدئي كما احترم مبدأك؟»<sup>(2)</sup>. وتدعي بدرية أنها مالكة لرشدها ولن تتزوج إلا من رجل يحقق لها تطلعاتها الفكرية والاجتماعية «حسين أخاف أن اخسر نفسي اذا تنازلت عن مبدأي»<sup>(3)</sup>، ولأجل ذلك ترفض بدرية الزواج من حسين، ولكنها تعود وتقبل الزواج منه تحت تأثير رغبتها الذاتية وحبها لحسين. وقد حسمت الكاتبة الصراع لصالح بدرية وما تؤمن به وهه المعاشية مع الفكر الآخر «حسين ماذا إذا أحب اثنان واحتفظ كل بفكره وهويته ما دام يحترم كل منهما عقيدة الآخر وآراءه ولا يأتي بما يسئ للآخر أو يجرحه»<sup>(4)</sup>.

أما شخصية «حسين» الذي ينتمي إلى جماعة «الأخوان المسلمين»، فتصوره الكاتبة مؤمناً محباً للإسلام، فهو يحمل هم الوطن ويسعي لبنائه، وهو كذلك أميناً على مبادئه الدينية «هل تحكمن على العقيدة.. على المبدأ بسلوك الذين لم يفهموه على حقيقته؟.. عفوا بدرية..... مبدؤنا وعقيدتنا تأمرنا أن نتصرف كما تتمنين، لكن الناس يأخذون السهل دائماً. والانحطاط أسهل من الرقي.. أرجوك.. لا تحكمني بسلوك الناس»<sup>(5)</sup>. لذلك فهو يرفض الزواج أو الاقتران ببدرية التي أحبها رغم اختلاف مبادئهم، ولكنه يطلب منها ترك مبادئها التي لا تنسجم مع مبادئه ويحاول تغييرها «احبك كلك.. ولأنني احبك سأعمل المستحيل لتستقري ويملاً الإيمان قلبك»<sup>(6)</sup>. ورغم المحاولات المتكررة من جانبه إلا أن بدرية لم تستطع التخلي عن آرائها ومبادئها. ولكن نهاية علاقتهما كانت الزواج. ولم توضح الكاتبة تنازل احدهما عن مبادئه في سبيل الآخر، ولنا أن نتساءل هل يمكن أن يتنازل الإنسان عن قيمه ومبادئه؟ «لأن قيم الإنسان ومبادئه كل لا يتجزأ، فالإنسان المتحرر الذي يطمح إلى بناء حياة جديدة يحاول أن تكون ممارساته كلها منسجمة لا تناقض فيها، ولاشك أن وعي الكاتبة ورغبتها

(1) رواية الاختيار، ص 5..

(2) السابق، ص 51.

(3) السابق، ص 53.

(4) السابق، ص 54، 55.

(5) السابق، ص 52.

(6) رواية الاختيار، ص 53.

في تقديم شخصية متحررة قد سبب مثل هذا التناقض في البيئة الأيدلوجية للشخصية»<sup>(1)</sup>. واعتقد أن الكاتبة تريد أن توضح إمكانية تعايش الفكرين مع بعضهما دون أن يتخلى أحدهما أو يتنازل للآخر عن مبادئه. والثنائية العقائدية والفكرية التي أظهرتها الكاتبة في شخصيتي «بدرية» و«حسين»، بدت أكثر حدة ووضوحا في عرضها لقضية الانتماء، ويبدو أن الكاتبة تحاول أن تعطينا رأيا محايدا دون آخر، فيبدو تعاطفها مع شخصية بدرية وآرائها وأفكارها الشيوعية التي تبنتها الكاتبة. وان بدت محاولاتها قد غلفتها اللامباشرة والتردد. ومهما يكن من الأمر، فإن «زينب لبليل» تحاول أن تضع نفسها في جوهر الصراع الفكري، بل انها تبدو كأنها أديب ملتزم لابد له أن يكون داخل بوتقة الصراع على وجه العموم، ولولا ذلك لما أكدت بشكل مستمر وحاد على آراء «بدرية» و«حسين» وذلك لطرح أبعاد القضية الفكرية، وفي هذا تشير الكاتبة على لسان بدرية وقضية العقيدة: «بحثت كثيرا وفكرت لماذا لست مؤمنة مثلكم ولم أجد إجابة. أحس أنني أنا التي اجعلها جنة أو ناراً لنفسي..منذ وفاة الوالدين ما عدت اهتم إلى أين سأذهب بعد أن أموت»<sup>(2)</sup> وتبدو نبرة الكاتبة الحادة والملتزمة في الرواية على لسان بدرية الاشتراكية تؤكد - إلى حد ما - انحيازها غير المباشر لهذا الجانب الفكري العقائدي. ويبدو ميلها له لتردادها آراء «بدرية» الثورية من ان لآخر» اتمنى أن نكون أنا وأنت شيئا واحدا...نتفق على كل امورنا نتقاسم اعمالنا..كل حسب قدرته وخبرته ورغبته حتى لا احس الظلم وأحس أنني مستغلة وأنت لا تحبني»<sup>(3)</sup>. وتطرح كذلك الكاتبة آراء بدرية حول معرفتها لله حيث تقول بدرية: «اعرفه في الخير عندما يعم وفي العدل عندما يسود..في الحق عندما ينتصر...اعرفه في بسمه ام سعيدة....اعرفه في ضحكة مريض تعافى...وفي فرحة مهموم افرج كربه...اعرفه طيبا لا يؤذينا ولا يسومنا العذاب...اعرفه في يقظة ضائرتنا عندما نخطئ وفي قوة ارادتنا عندما نعزم وفي نجاحنا عندما نسعى في البر والخير»<sup>(4)</sup>.وقد وضحت الكاتبة عقيدة بدرية واستعرضت افكارها ومضمونها الفكري. وفي الجانب المقابل لم تطرح آراء «حسين» صاحب الفكر الإسلامي ولم تتعرض لتعاليم الأخوان المسلمين إلا بمقدار ما يوضح انتمائه له مثل قوله: «بدرية..أخذ الناس من الدين ما يريدون..ما يتفق وهواهم..ثم أخذ الذين لا

(1) انظر الخطاب القصصي النسوي د/ ماجدة حمود - ص 69

(2) رواية الاختيار، ص 5..

(3) رواية الاختيار، ص 51.

(4) السابق، ص 51.

يفهمون الحقيقة مسلک إخوانهم الذين لا يريدون الحقيقة نقطة ضعف»<sup>(1)</sup>، فهي لم تشرح الفكر الإسلامي عبر حواراته ، بل كانت عبارة عن رد لآراء بدرية ومحاولة لإقناعها من مثل قوله:«اختلفنا يبدو في الفكر والمبدأ والعقيدة ، هل من الممكن أن تعيدي النظر؟ وتحاولي في هدوء وموضوعية أن تري جوانب السلب؟»<sup>(2)</sup>. بالإضافة إلى هذه الآراء المقتضبة، نرى أيضا الحوار المختصر مقارنة لحوار بدرية المطول الذي تطرح فيه افكارها. وضعت الكاتبة جل اهتمامها في طرح الثنائية العقائدية الفكرية الموجودة انذاك دون أن توضح جوانب النفس البشرية ودوافع سلوكها فيه، كما أنها لم تحاول تفسير الاتجاهين إلا بالقدر الذي أرادت به أن تعرض القضية»<sup>(3)</sup>.

## ثانياً : الصراع الحضاري :

هنالك قضية أخرى تناولتها الكاتبة وهي الصراع الحضاري بين الحضارة الغربية والعربية ، والتي ناقشتها في جميع رواياتها حيث اتضح رأيها وانحيازها لتلك الحضارة الغربية . وقد أظهرت الكاتبة مدى تطور الحضارة الغربية ، من خلال شخصياتها التي جاء على لسانها مدى التقدم الذي نالته تلك الدول التي هاجروا إليها. بالإضافة إلى بعض الإشارات التي ذكرتها الكاتبة عن تطور الحضارة الغربية عن العربية وتفضيل الكاتبة لها . فمثلا في «الاختيار» وضحت من خلال سفر البطلة « آسيا إلى دولة أوربية ومكوئها فيها لمدة ست سنوات ، وفي «كش ملك» ظهرت عندما استقر الملك في أوربا ، اما في «نبات الصبار» فعندما سافر أحمد خارج البلاد .

عقدت الكاتبة مقارنة بين الشرق والغرب في مستوى التقدم والحضارة وحاولت تلمس بعض الإشكاليات والصعوبات التي تعوق تقدم الشرق ، وبحثت عن أسباب التخلف والتأخر في الشرق. فقد وضحت الكاتبة مستوى التقدم بالنسبة للدول الغربية وارتقاءها، وناقشت اسباب هذا الارتقاء وعدده«هؤلاء ارتقوا لأنهم يعطون كل شيء حقه لا لعب اثناء العمل ولا تواكل أو مباطلة، لا إهدار للزمن...لا اهدار لعمر الإنسان بالأوبئة والأمراض المستوطنة ، الإنسان في الدول الراقية..العمل بالنسبة له هو حياته وعليه أن يحافظ على

(1) السابق ، ص 52 .

(2) السابق ، ص 51 .

(3) الشخصية وأثرها في البناء الفني لروايات نجيب محفوظ د/ نصر محمد ابراهيم نصر ص 169

حياته بكل المسؤولية والاحترام»<sup>(1)</sup>، وطرحت الكاتبة السليبيات التي تعوق تقدم الشرق، وقد تمثلت في التواكل ص 48،47.

وناقشت الكاتبة سلبيات العرب المسلمين وتخلفهم بالنسبة للعالم ، وفضلت الأوربيين على العرب المسلمين بقولها: « الذين لا دين لهم يعيشون حياة لها ابعاد .. لا جائع ولا مستغل ولا مريض يستجدي الدواء. المدارس لكل الأطفال، والمستشفيات لكل المرضى ... يعملون بجهد ومسؤولية ..الإنسان هناك محترم له كيانه وله وضعه المقدر من الجميع... نحن نعيش على فتاتهم»<sup>(2)</sup>.

فالكاتبة هنا تريد أن توضح بأننا نحن المسلمين والعرب لم نساير العالم ونهضته وتطوره ، وتوضح كذلك أن أسباب التخلف لا ترجع للدين الإسلامي بل للذين أخذوا منه حسب أهوائهم: «فقرنا وعدم استغلالنا للإمكانات المتاحة لنا وقذارة تفكيرنا وسلوكنا وضعفنا وتواكلنا ، ولا مبالتنا، وعدم احترامنا للقانون وللعمل ولحقوق الغير ، ليس لأننا نؤمن بالله ورسوله..»<sup>(3)</sup>. فكل السليبيات في المجتمع التي طرحتها الكاتبة ، لم يكن للدين علاقة بها، بل هي نتاج للعقلية القديمة المتخلفة . فالعرب المسلمون متمسكون بعبادات وتقاليد بالية كالسحر والشعوذة والدجل مما يقعد بالمجتمع عن التطور والتقدم.

وقد دعت الكاتبة إلى محاربة تلك العادات والتقاليد الضارة ، وحذرت من الخرافات والأساطير والطائفية والطبقية، والشوائب العقدية كالنصوف والتبرك والتوسل، وكل ما يعيق تقدم المجتمع والحد من سيره وقدرته وفاعليته على النمو. وتحاول الكاتبة أن تجد الحلول لتلك السليبيات ، فتعلنها ثورة عارمة ضد الكسل والتواكل «اجتهدوا سيدي اجتهدوا اذا اردتوا أن تعيشوا حياة أكرم وأنظف»<sup>(4)</sup>. وتدعو الكاتبة للعمل من أجل البناء والرقى والتغيير للأفضل ، وتسخر من عدم الطموح والآمال وانتظار السماء لتمطر ذهبا :

- أما الطموح والآمال ، فتلك كلمات لم ترد في لغتنا بعد .....

- ضحكة فاطمة السمحة وسماؤنا التي ستمطر ذهبا أو بكاؤها وسماؤنا التي تمطر

(1) رواية الاختيار ، ص 47 .

(2) رواية الاختيار ، ص 52 .

(3) رواية نبات الصبار ، ص 52 .

(4) رواية الاختيار ص 101.

ماء الانتظار أريح ..لماذا الدخول في متاهات قد تقود لنهاية مؤلمة»<sup>(1)</sup> .  
فالتائج والحلول التي قدمتها الكاتبة للتخلص من السلبيات، كانت سلبية يشوبها  
اليأس والقنوط ، ويلفها العجز عن معالجة الظاهرة « كنا نعيش في مهادنة مع ظروفنا ليتنا  
ما عرفنا أن في العالم أكل جيد وطيب وبيوت صحية مريحة ومستشفيات تعتبر أي مريض  
وزير الصحة، وأن الشوارع تغسل بالصابون.. »<sup>(2)</sup> . فهي تنقد السلبيات ولكن دون إيجاد  
حلول قاطعة لها .

(1) السابق ، ص 100، 101 .

(2) رواية الاختيار ، ص 102 .

## الخاتمة:

حاولت في هذه الدراسة أن أدرس روايات زينب بليل الثالث، موضحة من خلالها موقف الكاتبة الأيدولوجي والفكري ملتزمةً بوجهة النظر الواقعية، بالإضافة إلى دراسة العلاقات الجمالية داخل النصوص الأدبية. كما قمت بإلقاء الضوء على حياة الكاتبة بهدف الربط بين حياتها وأنتاجها الأدبي، موضحة الصلات والشائج بينهما. ولعل أهم النتائج التي توصلت إليها تندرج تحت ثلاث نقاط:

أولاً: على مستوى رؤية وحياتها.

ثانياً: على مستوى الشكل الفني لروايات زينب بليل.

ثالثاً: على مستوى المضمون.

أولاً: لقد تمكنت من إثبات أن تجربة الكاتبة الروائية، لها علاقة بحياتها ومولدها في القرية، ومعايشتها لحياة المدينة، ثم ثقافتها ودراساتها للفنون الأدبية خاصة المسرحية، كما لها علاقة باحتكاكها بالحضارة العربية والغربية، حيث انعكس ذلك على رواياتها الثلاث التي مثلت إسقاط لفكرها إزاء واقعها.

أما رؤية الكاتبة في رواياتها فقد كانت رؤية متميزة، جاءت تعبيراً عن موقفها كاتبة مثقفة اجتهدت لتكون لها كتاباتها الروائية التي تحمل جديداً في الشكل والمضمون. ولتفصح أعمالها عن مدى إلتزامها بتصوير أزمات المجتمع وسلبياته، فقد عالجت مشاكل اجتماعية في المجتمع، وحاولت أن تبرز الصورة الجديدة داخل المجتمع، والقيم التي ينبغي أن تسود فيه. وتعتبر زينب مسؤولة اجتماعياً عن كل ما كتبت لأنها استخدمت الكلمة في تصوير هموم وطنها.

وباستعراض الأعمال الروائية التي قدمتها زينب بليل، نجد أنها قد ركزت على شخصية المرأة وهمومها شأنها شأن الرواية النسوية العربية التي تبنت قضايا المرأة وهمومها، فبرز صوت المرأة وهو الصوت الأساس في الروايات، ولكن مع هذا نجد أن الكاتبة انطلقت لتعبر عن موقفها من المجتمع وقضاياها، شأنها شأن المرأة الكاتبة التي أخذت تعبر عن موقفها من أحداث الحياة التي تجري من حولها، ولم تعد منغلقة على همومها الخاصة، ومشكلات بنات جنسها، كما غدت تبحث لنفسها عن لغة خاصة ومفردات معينة.

ثانياً: بعد تحليل عناصر البنية الروائية والفنية في أعمال الكاتبة، توصلت إلى أن عناصر البناء الفني عند زينب بليل عبارة عن أدوات فنية بسيطة تشبه السمات التلقائية البسيطة للقص في الحكاية الشعبية، ومعنى ذلك أن زينب روائية مزجت بين التراث الشعبي والمعاصرة.

ففي مجال الشخصية نجد أن الكاتبة قد قدمت شخصيتها الروائية بطريقة تذكرونا بطريقة راوي الحكاية الشعبية، الذي لا يقدم وصفا مفصلا لشخصياته بقدر ما يقدم جملا انشائية عامة. تقرب السامع إليها أو تنفره منها. ويمكن أن نقول أنها استخدمت في تصوير ملامح الشخصية نفس الأدوات الفنية البسيطة التي استعانت بها في رسم مسيرة الحدث. فأصبحت طريقة العرض في كلا العنصرين الشخصية والحدث تشابه سمات التشكيل التلقائي البسيط للقص في الحكاية الشعبية.

أما الزمان والمكان في فنون القص القديمة فأنها لم تكن لهما خصوصية تذكر، أما الرواية الحديثة فإن عالمها خاص متميز- سواء من حيث الزمان أو المكان- تتحرك فيه الشخصيات كما يتحرك البشر في حياتهم بما فيهم من تناقضات وصراعات وعلاقات إنسانية، ومن هنا فإن رواية «الاختيار» ورواية «نبات الصبار» يصوران عوالم محددة، من خلال أفراد محددين أيضا، لهم فكرهم المنطقي المحدد مع خصوصية الزمان والمكان. ومن ذلك يتبين أن الروائيتين قد نجحتا في تقديم عالم خاص بهما متميز بخصوصية المكان والزمان اللذين تصورهما، وهذا من أهم الشروط لتحقيق واقعية الروائيتين وإن كان هذا لا يمنع من وجود بعض الخيال والخرافة أحيانا كما في «نبات الصبار».

استخدمت الكاتبة في لغتها معجما شعبياً، حيث لم تتردد في استخدام العامية التي تحاول من خلالها رسم الواقع كما هو، فترسم المشهد بصدق وتنقل المشاعر والحالات على لسان الشخصية، التي تنتمي في الأغلب إلى شرائح اجتماعية فقيرة، أما لغة السرد فهي فصيحة، وأعرابية مفصحة، لأنها تمثل صوت المؤلف، وفي لغة الحوار كانت الكاتبة حريصة على أن تسمي الأشياء بمسمياتها المستعملة في الحياة اليومية، حتى عندما ترد في لغة الحوار فهي حريصة على أن تضعها كما هي قدر الإمكان وتضعها مثل ما تلفظها الشخصية، حتى لو كانت بها أخطاء نحوية أو لغوية، وهذا يعني أن الكاتبة لا تلتزم إلا بقاعدة الصدق والواقعية وهذا ماتصبو اليه في واقعية اللغة مع واقعية الشخصية والموقف. وبغض النظر عما يمكن أن يسجل على روايات زينب بليل من مأخذ فنية ولغوية إلا أن تصويرها لحركة الحياة وما يمور داخلها من صراعات وتناقضات جعل من رواياتها عملا فنيا قادرا على أن يعكس التحولات الاجتماعية والسياسية والاقتصادية في محيط البيئة المحلية.

هنالك قضية بالغة الأهمية استوقفت الباحثة، وهي تحت أي نوع من أنواع الرواية تتدرج روايات زينب بليل، هل هي «روايات أجيال على النحو المعروف عند «نجيب محفوظ» أو «جالذوروي» و«توماس» هذا النوع الذي يهتم بالمصائر الفردية من خلال تصويره للتحولات الاجتماعية، أم هي رواية مغامرة، التي تظهر فيها أهمال البيئة وصمود

الشخصية، وإثارة الانفعالات الحادة»<sup>(1)</sup>، والحقيقة أن روايات زينب بلييل رغم اهتمامها بالحدث وإثارة الانفعال لم تهمل البيئة أو الشخصية، والحدث عندها خضع في بعض جوانبه لمنطق الحياة الشعبية وسادته روح رومانتيكية، وبالتالي فإن الروايات تقع على التخوم الفاصلة بين رواية الحدث والرواية الفنية الناضجة، وتعتبر رواياتها معلما هاما من معالم تطور الرواية المحلية التي صورت من خلالها البيئة المحلية والكثير من العادات والتقاليد واللهجات والأمثال المحلية عبر تجربة ثرية ذات دلالات.

وبعد دراسة روايات زينب الثلاث ودراسة قضايا البنية عندها يتضح أن أهم ما يشكل الإبداع الروائي -وهو القدرة التعبيرية أو التصويرية- ظهر في روايتها الثالثة بصورة واضحة، حيث نجدها تزداد تطورا وتقدما بالنسبة للتكنيك الفني للرواية؛ فتجربتها الأولى «الاختيار» تعتبر المرحلة الأولى للتلقائية والبذرة الأولى لمسيرة الإبداع عندها، أما روايتها الثانية «كش ملك» فنجدها ازادت نضجا وعمقا وفكرا، وتعتبر مرحلة وسطى بين الروايات، أما تجربتها الأخيرة «نبات الصبار» فتعد نقلة جديدة في التكنيك الفني للرواية عندها، وهذا التطور في التكنيك انعكاس صادق لرؤية الكاتبة للواقع. ولذلك مثلت الرواية الثالثة مرحلة أكثر نضجا في التطور الفني لتكنيك الرواية عند زينب بلييل. وكذلك أسلوب هذه الرواية الثالثة أصبح أكثر نضجا وعمقا ودلالة من سابقتها من حيث تطور الوصف والحدث والشخصية، وبدأت لغتها تقترب من الواقع وحيويته، كما بدأت تهتم بوصف الشخصية الجسدي والنفسي مما أضفى حيوية على فضاء الرواية. وكذلك تطور وصف البيئة فبدأت معالم الفضاء المكاني أكثر تحديدا، حيث تصف الكاتبة حي من أحياء الخرطوم، اذن فقد بدأت الكاتبة تعي ضرورات الإبداع الروائي فاستطاعت أن تقدم شخصيات تجسد بؤس الواقع المعاش.

ثالثاً: لما كانت الرواية رسالة يبعثها الكاتب هادفا منها توضيح الحقائق وإصلاح المجتمع؛ لذا فإن قيمتها تُقدر بموضوعها ومضمونها. وقد تبين للباحثة من خلال تتبع الموضوعات التي كتبت فيها زينب بلييل وعبرت فيها عن آرائها، أنها تكشف عن موقفها المحافظ ومناصرة الفقراء، وهذا كان من أهم أسباب نجاح أدبها، ورؤيتها الأدبية، وهو ما يمكن أن نلخصه في جميع أعمالها الروائية فنقول: إن موقفها هو موقف المصلحة التي تدعو إلى اصلاح المجتمع، والتمسك بالفضيلة ومناصرة الفقراء والمساكين ومساعدتهم، ومحاربة الرذيلة، والمحافظة على كرامة المرأة. فقد تعرضت للمرأة ومشاكلها وعرضت شرائح مختلفة من صور المرأة في جميع أحوالها كما رأينا ذلك، وكانت في عرضها لقضية المرأة منحازة لها انحيازاً واضحاً.

(1) فن الرواية في الأدب السعودي، د / محمد صالح الشنطي، ص 68.

ومن خلال قضايا المضمون عند الكاتبة، يمكن أن نطلق «صفة الشعبية على كتاباتها، بالمفهوم العام لهذه الصفة، وليس بمفهوم «الفولكلور». وتعني الشعبية هنا، أنها كتابات من حياة الشعب في القرية والمدينة، موجهة إلى هذا الشعب بكل شرائحه الاجتماعية، فقد صورت الكاتبة هذا الشعب بجميع قيمه الموروثة والمكتسبة»<sup>(1)</sup>، ولا تقف كتاباتها عند القرية التي تربت فيها، بل تجاوزتها إلى المدينة، وقد لجأت الكاتبة أحيانا للحكايات الشعبية أو الاسطورة أو التراث لتخلق هذا العالم الشعبي، بالإضافة إلى رسم الشعبية في معيشة معينة يعيشها أفراد عالمها الروائي كما رأينا في جميع رواياتها، حيث نرى الناس ضحية لظروفهم الاجتماعية، وضغطها عليهم لدرجة تتحول فيها نفوسهم من الخير إلى الشر تحت الحاح الحاجة وتلبية للضرورة.

وأعمال زينب بليل في مجملها صورت الحياة السودانية وسماتها على نحو جعلها حياة تقابل بينات العوالم الأخرى للرواية العربية، مثل عوالم نجيب محفوظ في رواياته التي صورت نبض الحارة المصرية، وروايات عبد الرحمن منيف التي صورت الحياة في السعودية والخليج، وروايات حنا مينا التي صورت الحياة في الشام.

وإذا كانت زينب بليل في كل رواياتها تدعو إلى التمسك بالفضائل الأخلاقية والقيم النبيلة، فإن ذلك يعكس نوعا من الاحتجاج على ما شاع في المجتمع من فساد ومشكلات. ويمثل رغبة غير صريحة من جانبها في السخط على مظاهر من أزمات سواء بسبب الحضارة الغربية الغازية أو القوى الحاكمة غير العادلة، كما يمثل أملاً في الرقي بالمجتمع، حتى يحقق السعادة لأكثر عدد من الناس. كما أن البحث عن الفضيلة والمثل العليا، أمر يعكس رغبة الأديبة في الدخول بمجتمعها إلى عالم أفضل، والبحث عن مدينة فاضلة.

وفي محيط التأثير والتأثر تبدو روايات زينب نمطا جديدا من أنماط الرواية السودانية اشتركت مع جميع أنماط الروايات السودانية في اهتمام المؤلفة بتتبع نماذج القصة العربية في مصر والتأثر بها وخاصة بقصص نجيب محفوظ. والتأثر بتيار القصة العالمي الذي أتاحته لها ثقافتها بالآداب الغربية.

يستطيع الباحث أن يثبت أن زينب بليل روائية واقعية، وذلك من خلال ما رأينا من دقة تصويرها للمجتمع، ولكن بالرغم من ذلك لم تتخلص من رواسب الرومانتيكية حيث كانت تعبر عن نفسها من خلال شخصياتها. وبناءً على ما سبق هل تُوصف روايات زينب بليل بأنها روايات واقعية نقدية بما تحمله من افاضة في وصف الحياة البائسة للمزارعين في «الاختيار» أو لاهل «شارع النار» في «نبات الصبار»، وتصوير بؤس الطبقات الفقيرة واشتداد الازمة عليها. أم رومانسية في اهتمامها بالفرد والتراث أم هي حلقة بين

(1) السرد الروائي العربي، د/ مدحت الجيار، ص 159.

الواقعية والرومانسية . يستطيع الباحث أن يتبين أن زينب استطاعت أن تقدم روايات واقعية نقدية تتضافر فيها قوة وعيها بطبيعة مجتمعتها الذي تصوره وجودة البناء الفني لرواياتها ، فجمعت بين الفكر والفن معا . وعليه يمكن إثبات أن زينب بليل قد زاوجت في رواياتها بين واقعية التصوير والنقد الرومانسي . وبناء على كل ما سبق يستنتج البحث أن زينب بليل تُعد رائدة من رواد الرواية النسوية في السودان، بما أسهمت به في تثبيت جذور هذا الفن الحديث في بيئة محافظة . وبعد فلست ادعي الكمال لهذه الدراسة ، اللهم أنني اقدم جهد الطاقة كاملا، وقد سعيت إلى أن يكون البحث محاولة جادة لدراسة تجربة ابداعية من تجارب متعددة في مجال الإبداع الروائي النسوي ، وحاولت فيها أن أكون منهجية ودقيقة فيما أقول، وأن أدمع مآقلته بشواهد عديدة ومآذج مختلفه، فإن كنت قد وفقت فيما طمحت اليه فمن الله ، وان كنت قد أخفقت في شيء من ذلك فمن نفسي ومن الشيطان. والحمد لله أولا وآخرا .

## المصادر والمراجع :

أولاً : -

القرآن الكريم .

ثانياً : -

## المصادر والمراجع العربية :

- (1) الاتجاه الاسلامي في اعمال نجيب الكيلاني- عبدالله صالح العربي- دار كنوز اشبيليا للنشر والتوزيع - الرياض - الطبعة الثالثة 2005م.
- (2) الاتجاه الواقعي "في الرواية العربية الحديثة في مصر" حلمي بدير- دار المعارف القاهرة - الطبعة الأولى 1981م.
- (3) الاتجاه الواقعي "في الرواية السودانية الحديثة" بشير عباس بشير -دار جامعة أم درمان الإسلامية للطباعة والنشر -ط1- 1431هـ، 2011م .
- (4) الاتجاهات الشعرية في السودان ، محمد النويهي، القاهرة ، 1957م.
- (5) أثر الرواية الواقعية الغربية في الرواية العربية - محبه حاج معشوق - دار الفكر اللبناني - كورنيش بشارة الخوري- بيروت - لبنان 0
- (6) الاختيار "رواية"- زينب بليل- المطبعة العسكرية- الطبعة الثالثة بدون تاريخ .
- (7) الأدب المقارن، محمد غنيمي هلال، دار العودة بيروت، ط 3 ، 1987م.
- (8) الأدب وفنونه ، عز الدين إسماعيل ، دار الفكر العربي ، القاهرة، ط5، 1973م.
- (9) الأدب ومذاهبه ، محمد مندور - دار النهضة مصر للطبع والنشر -الفيجالة- بدون تاريخ .
- (10) أساليب السرد في الرواية العربية - صلاح فضل - دار سعاد الصالح- الطبعة الأولى 1992م.
- (11) الأسس الجمالية في النقد العربي-عز الدين اسماعيل-دار الفكر المصري- الطبعة الثالثة 1973م.
- (12) الاسلوب - أحمد الشايب - مكتبة النهضة مصر، بدون تاريخ .
- (13) أوراق نقديه في الأدب - عبدالرحمن عوف - الهيئة المصرية العامة للكتاب 2006م
- (14) بانوراما الرواية العربية الحديثة - سيد حامد النساج- مكتبة غريب - القاهرة - الطبعة الثانية بدون تاريخ .
- (15) البطل في الرواية السعودية" دراسة نقدية"- حسن حجاب الحازمي -نادي جازان الأدبي 1395هـ.بناء الحكاية والشخصية في الخطاب الروائي النسائي العربي - محمد معتصم - مطبعة مطبعة الامنية الرباط - الطبعة الأولى 2007م.
- (16) بناء الرواية "دراسة في الرواية المصرية" -عبدالفتاح عثمان- مكتبة الشباب- القاهرة 1982م.

- (15) بناء الرواية- سيزا أحمد قاسم -الهيئة العامة المصريه للكتاب الطبعة الثانية1984م.
- (16) بنية الشكل الروائي-حسن بحراوي- المركزالثقافي العربي-بيروت-الطبعة الأولى 1990م.
- (17) بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي، حميد الحمداي، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط1، 1991م.
- (18) تحولات السرد "دراسات في الرواية العربية"-إبراهيم السعافين - دار الشروق للنشر والتوزيع رام الله - فلسطين.
- (19) تطور الرواية العربية الحديثة في بلاد الشام - ابراهيم السعافين.
- (20) تطور الرواية العربية الحديثة في مصر (1870-1938م) - عبدالمحسن طه بدر- دار المعارف - القاهرة - الطبعة الخامسة 1992م.
- (21) توظيف التراث في الرواية العربية - محمد رياض وتار - من منشورات اتحاد الكتاب العرب - دمشق2002م.
- (22) حصاد الهشيم، إبراهيم عبد القادر المازني، الدار القومية ، مصر ، العدد 121، 1961م.
- (23) الخطاب القصص النسوي - ماجده حمود - دار الفكر المعاصر - بيروت لبنان - الطبعة الأولى 1422هـ - 2002م
- (24) دراسات في القصة العربية الحديثة - أصولها اتجاهاتها واعلامها - محمد زغلول سلام.نشأة المعارف بالاسكندرية - جلال حزي وشركاه بدون تاريخ0
- (25) دراسات في النقد الأدبي - لويس عوض - منشورات المكتب التجاري للطباعة بيروت1963م .
- (26) دراسات في نقد الرواية - طه وادي- دار المعارف القاهرة -الطبعة الثالثة 1994م0
- (27) الرواية الاسلامية المعاصره - حلمي محمد القاعود - نادي جازان الأدبي1419هـ - الطبعة الأولى.
- (28) الرواية السودانية الحديثة"دراسة نقدية تحليلية من عام "1940- 1975م" - بابكر الامين الدرديري- مروى بوكشب بدون تاريخ0
- (29) الرؤية والاداة "نجيب محفوظ" - عبدالمحسن طه بدر- دار المعارف - القاهرة الطبعة الثالثة 1986م.
- (30) سارة "رواية" - عباس محمود العقاد، سلسلة اقرأ ، العدد 108، ط1، 1938.
- (31) السرد الروائي العربي"قراءة في نصوص دالة" - مدحت الجيار - القاهرة - الهيئة المصرية العامة للكتاب - الطبعة الأولى 2008م .
- (32) سنن ابن ماجه ، أبو عبد الله بن محمد بن يزيد القزويني ، بيروت ، دار الكتب العلمية.
- (33) الشخصية وأثرها في البناء الفني لروايات نجيب محفوظ- نصر محمد ابراهيم

- عباس - شركة مكنتبات عكاظ للنشر والتوزيع - جدة - الطبعة الأولى 1984م.
- (34) الشخصية والبيئة في القصة القصيرة، ثابت ملكاوي، الشارقة، اتحاد كتاب وأدباء الإمارات، ط1، 1922.
- (35) الشمعة والظلام - محمد المهدي بشري - حصاد للطباعة - الطبعة الأولى 2004م.
- (36) صورة الرجل في القصة القصيرة في المملكة العربية السعودية - منال عبدالعزيز العيسى - النادي الأدبي بالرياض 1423هـ-2002م.
- (37) صورة المرأة في الرواية المعاصرة - طه وادي - دار المعارف القاهرة - الطبعة الرابعة 1994م.
- (38) عين النقد على الرواية الجديدة - صلاح فضل - دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع - القاهرة - عبده غريب 1998م.
- (39) فن الرواية في الأدب العربي السعودي المعاصر - محمد صالح الشنطي - الطبعة الأولى 1411هـ - 1990م0
- (40) فن القصة - محمد يوسف نجم - الجامعة الأمريكية، بيروت-نشر وتوزيع دار الثقافة بيروت - لبنان بدون تاريخ0
- (41) فن القصة القصيرة - رشدي رشاد - دار العودة بيروت 1975م.
- (42) فن القصص - محمود تيمور تيمور- المطبعة النموذجية- مصر 1963م
- (43) في أدب المرأة - سيد محمد قطب- عبدالمعطي صالح - عيسى مرسي سليم - الشركة المصرية العالمية للنشر - لونغمان-مصر- الطبعة الأولى 2000م0
- (44) في الرواية النسوية العربية - ابراهيم خليل - دار ورد الأردنيه للنشر والتوزيع- الطبعة الأولى 2007م.
- (45) في الرومانسية والواقعية- سيد حامد النساج- مكتبة غريب مصر- بدون تاريخ.
- (46) في النقد الأدبي- شوقي ضيف- دار المعارف مصر 1962م .
- (47) في عالم القصة - علي شلش - مطبوعات الشعب -مصر - الطبعة الأولى 1978م0
- (48) القصة الحديثة في السودان، مختار عجوبة، الخرطوم، 1972م.
- (94) قصة حب "رواية"، ط1، سلسلة الكتاب الذهبي ضمن مجموعة جمهورية فرحات، روزاليوسف، القاهرة، يناير، 1956.
- (50) القصة في الأدب العربي - محمود تيمور- مطبعة الآداب الجميلة- مصر 1971م
- (51) القصة وتطورها في الأدب العربي- مصطفى علي عمر- دار المعارف مصر الطبعة الثانية بدون تاريخ.
- (52) كش ملك "رواية" - زينب بليل- المطبعة العسكرية- الطبعة الأولى مارس 2000م.
- (53) لسان العرب- ابن منظور- دار صادر بيروت- بدون تاريخ.

- (54) مسند الإمام أحمد، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل، تحقيق أحمد محمد شاكر، مصر، القاهرة، دار المعارف، 1357هـ - 1956م.
- (55) ملامح من المجتمع السوداني، حسن نجيلة، بيروت، ط3، 1964م.
- (56) نبات الصبار "رواية" - تحت الطبع نسخة على قرص مدمج.
- (57) نشأة النقد الروائي في الأدب العربي الحديث - علي شلش - مكتبة غريب القاهرة - بدون تاريخ.
- (58) نظرية الرواية "دراسة لمناهج النقد الأدبي في معالجة فن القصة" - السيد ابراهيم - دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع - عبده غريب - تاريخ النشر 1998م.
- (59) نظرية الرواية، عبد الملك مرتاض، بحث في تقنيات السرد، عالم المعرفة الكويت، 1998م.
- (60) النقد الأدبي الحديث في الخليج العربي، محمد عبد الرحيم كافود، دار قطر بن الفجاءة، للنشر والتوزيع، ط1، 1420هـ، 1982م.
- (61) الواقعية الاسلامية في روايات نجيب الكيلاني - حلمي محمد القاعود - دار النشر - الأردن - الطبعة الأولى 1996م.
- (62) الواقعية في الرواية العربية - محمد حسن عبد الله - الهيئة المصرية العامه للكتاب 1991م.
- (63) وقفات نقدية مع فن الرواية - ياسر الفهد - الطبعة الأولى 2002م - بيق للخدمات الطباعية - دمشق.

## ثانياً :

### المراجع المترجمه :

- (64) أركان الرواية - إ. م. فورستر - ترجمة موسى عاصي، جروس بروس لبنان - الطبعة الأولى 1994م.
- (65) أركان الرواية - ادوار. م. فورستر - ترجمة كمال عياد - القاهرة 1960م
- (66) بحوث في الرواية الجديدة - ميشال بوتور - ترجمة فريرا انطوميتوس - مكتبة الفكر بيروت 1971.
- (67) بناء الرواية - إدوين ميور - ترجمة ابراهيم الصيرفي - القاهرة 1965م .
- (68) تاريخ الرواية الحديثة - رنية ماريل البيرس - ترجمة جورج سالم - مكتبة الفكر الجامعي 1967م.
- (69) صنعة الرواية - بيرسي لوبوك - ترجمة محمد درويش بغداد 1980م.
- (70) صنعة الرواية - بيرسي لوبوك - ترجمة عبد الستار جواد - بغداد 1981م.
- (71) فن كتابة الرواية - ديان دوت فاير - ترجمة عبد الستار جواد - بغداد 1988م.
- (72) القصة - برنارد فوتر - ترجمة محمد مصطفى هدارة - القاهرة 1965م.
- (73) نظرية الرواية - هنري جيمس - ترجمة انجيل سمعان 1980م -

- (74) نظرية الرواية - جون هالبرين- ترجمة محي الدين صبحي - دمشق 1981م.  
(75) جماليات المقال، غاستون باشلار، ترجمة غالب هلسا، بيروت، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، ط1، 1987م.

#### رابعاً :

#### البحوث والصحف والدوريات :

(76) صحيفة الوسط- العدد -365 السنة الثانية - الأربعاء 22 ذي الحجة الموافق 19 نوفمبر 2008م.

(77) صحيفة رأي الشعب- الخميس 12 شعبان 1429 هـ الموافق 14 أغسطس 2008م.  
(78) الفن الروائي عند محمد تيمور "دراسة نقدية تحليلية" رسالة دكتوراه مخطوطة- عمر علي عمر- جامعة أم درمان الإسلامية 1430 هـ-2009م .

(79) مجلة كلية دار العلوم - جامعة القاهرة0

#### خامساً : مراجع أخرى :

«نجوم بعيدة» برنامج إذاعي، تقديم نجيب نور الدين، حيث حصلت الباحثة على سبعة أسطوانات من الكاتبة، تتضمن سيرتها الذاتية التي قدمتها خلال حلقات هذا البرنامج الإذاعي.



رقم الإيداع: (2022/600)